

على كتاب نور اليقين في سيرة سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم

تأليف
العلامة المحدث المؤرخ
محمد راغب الطباخ

تحقيق ودراسة
الدكتور زكريا عبد العزيز الجاسم

المجلد الثاني





وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

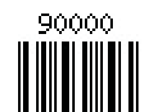



طَبْعَة خَاصَّة
هَذَا الْكِتَابُ
وَقْفٌ لِلَّهِ تَعَالَى
طُبِعَ عَلَى نَفَقَةِ
وَزَارَةِ الْأَوْقَافِ وَالشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ
وَهُوَ يُوَزَّعُ مَجَّانًا وَلَا يَجُوزُ بَيْعُهُ

turathuna@islam.gov.qa

إِدَارَةُ الشُّؤُونِ الْإِسْلَامِيَّةِ
ص. ب: ٤٢٢

ISBN 978-9933-549-20-6

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ لِدَارِ النَّوَادِرِ

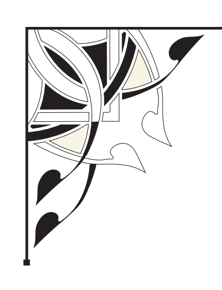
الطَّبْعَةُ الْأُولَى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

قامت بعمليات التنضيد الضوئي والإخراج الفني والطباعة



لبنان - بيروت
ص. ب: 14/4462
هاتف: 009611652528
فاكس: 009611652529
E_mail: info@daralnawader.com
Website: www.daralnawader.com




السَّنة الخامِسَة

غزوة دُومة الجَنْدَل

وفي ربيع الأول من هذا العام بلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن جمعاً من الأعراب بدُومةِ الجندلِ يظلمون مَنْ مَرَّ بهم، وأنهم يريدون الدنوَّ من المدينة، فتجهز لغزوهم، وخرج في ألف من أصحابه، بعد أن وَلَّى على المدينة سِبَاعَ بنَ عُرْفُطَةَ الغِفارِيَّ، . . . .

السنة الخامسة

غزوة دومة الجندل

قوله: (دومة الجندل) هي ـ بضم الدال، ويجوز فتحها، واقتصر الحافظ الدمياطي على الأول[1] ـ.

وقال الجوهري: الصوابُ الضمّ[2].

وأخطأ المحدثون في الفتح، سميت بدومى بنِ إسماعيلَ عليه السلام؛ لأنه كان نزلها.

قوله[3]: (سباع بن عرفطة): سباع؛ ككتاب، وعُرْفُطَة: ـ بضم العين والفاء وسكون الراء وفتح الطاء ـ. اهـ. قاموس[4].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» للدمياطي (ص: ١٩٩).

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: دوم)، وفيه: أصحاب اللغة يقولونه بضم الدال، وأصحاب الحديث يفتحونها.

(٣) تكرر لفظ: «قوله» في الأصل.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عرفط).

ولم يزل يسير الليل ويكمُن النهار حتى قرب منهم، فلما بلغهم الخبر، تفرقوا، فهجم المسلمون على ماشيتهم ورعائهم، فأُصيب مَنْ أُصيبَ، وهرب من هرب، ثم نزل بساحتهم فلم يلقَ أحداً، وبثّ السرايا، فلم يجد منهم أحداً، فرجع عليه الصلاة والسلام غانماً، وصالحَ وهو عائد عُيينةَ بنَ حِصْنٍ الفَزاريَّ، وهو الذي كان يسمّيه عليه الصلاة والسلام: الأحمقَ المُطاع؛ لأنه كان يتبعُه ألفُ قَنَاة، وأقطعه عليه الصلاة والسلام أرضاً يرعى فيها بهمه على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة؛ لأن أرضه كانت قد أجدبت[1].

قوله: (فلم يجد منهم أحداً): في الحلبي: أخذ محمد بن سلمة رجلاً منهم، وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم [عنهم][2]، فقال: هربوا حيث سمعوا أنك أخذت نعمهم، فعرض عليه الإسلامَ فأسلمَ. اهـ[3].

قوله: (ألف قناة): في الحلبي: عشرة آلاف[4].

وقوله: (وأقطعه عليه السلام أرضاً): في الحلبي: لما سمن حافره وخفه، وانتقل إلى أرضه، غزا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، فقيل له: بئس ما جزيتَ به محمداً صلى الله عليه وسلم، أَحَلَّكَ أرضَه حتى سمنَ حافرُك وخُفُّك، وتفعل معه ذلك؟ فقال: هو حافري.

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٢).

(٢) ما بين معكوفتين من «الطبقات الكبرى»، و«السيرة الحلبية».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٢). وانظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٦٢).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٢).

غزوة بني المُصْطَلِق

في شعبان، بلغه عليه الصلاة والسلام أن الحارثَ بنَ أبي ضِرار، سيدَ بني المصطلق الذين ساعدوا قريشاً على حرب المسلمين في أُحُد، يجمع الجموع لحربه، فخرج له عليه الصلاة والسلام في جمع كثير، . . . .

وأسلم عيينة هذا بعد الفتح، وشهد حنيناً والطائف، وكان من المؤلفة، ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن، وأساء الأدب، فصبر النبي صلى الله عليه وسلم على جفوته، وقال فيه صلى الله عليه وسلم: «إن شر الناس من تركه الناس اتقاءَ فحشه»[١]، وارتدَّ في زمن الصدِّيق، فإنه لحق بطُلَيحَة بن خويلد حين تنبأ، وآمن به، فلما هرب طليحة، أسره خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ وأرسل به إلى الصدِّيق في وثاق، فلما دخل المدينة، صار الأولاد ينخسونه بالحديد، ويضربونه ويقولون: أَيْ عدوَّ الله! كفرتَ بالله بعد إيمانك؟! فيقول: والله! ما كنتُ آمنتُ، فمنَّ عليه الصدِّيق، فأسلم. اهـ[٢].

واللقاح ـ بكسر اللام ـ: الإبل.

غزوة بني المصطلق

قوله: (المصطلق): هو على وزن اسم الفاعل.

قال الحلبي: وبنو المصطلق بطنٌ من خزاعةَ، وهم بنو جذيمة، وجذيمة هو المصطلق، من الصلق: وهو رفعُ الصوت[٣].

قوله: (فخرج له عليه السلام. . .) إلخ: قبل أن يخرج إليه أرسل صلى الله عليه وسلم بُرَيدة ـ بالتصغير ـ ابنَ الحُصَيب ـ بضم الحاء وفتح الصاد ـ ليعلم علم

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٤)، ومسلم (٢٥٩١)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٢).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٣).

ووَلَّى على المدينة زيدَ بن حارثة، وخرج معه من نسائه عائشةُ وأُم سلمة. وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قطُّ في غزوة قبلها، يرجون أن يصيبوا من عَرَضِ الدنيا، وفي أثناء مسيره عليه الصلاة والسلام التقى بعَيْنِ بني المصطلق، فسأله عن أحوال العدو، فلم يجبْ، فأمر بقتله. ولما بلغ الحارثَ رئيسَ الجيش مجيءُ المسلمين لحربه، وأنهم قتلوا جاسوسه، خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضُهم، ولما وصل المسلمون إلى الْمُرَيْسِيع، تَصَافَّ الفريقان للقتال، بعد أن عرض عليهم الإسلامَ فلم يقبلوا، فترامَوْا بالنبل ساعة، . . . .

ذلك، واستأذن بريدةُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فخرج حتى ورد عليهم، ورأى جمعهم، فقالوا له: من الرجل؟ قال: رجل منكم، قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل، فأسير في قومي ومن أطاعني، فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم، فقال له الحارثُ: فنحن على ذلك، فعجل علينا، قال بريدة: أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومي، فسرُّوا بذلك منه، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر القوم، فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إليهم، فأسرعوا الخروج. اهـ. حلبي(١).

قوله: (وخرج معه ناس من المنافقين. . .) إلخ: قال في الحلبي: منهم عبدالله بن أبي ابن سلولَ، وزيدُ بن الصلت(٢).

قوله: (التقى بعين بني المصطلق): وكان وَجَّهه الحارثُ ليأتيه بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان القاتل له عمرَ بنَ الخطاب.

قوله: (بعد أن عرض عليهم الإسلام): بحيث أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بنَ الخطاب أن يقول لهم: «قولوا: لا إله إلا الله، تمنعوا بها أنفسكم

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٣ ـ ٥٨٤).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٤).

ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد، فلم يتركوا لرجل من عدوهم مجالاً للهرب، بل قتلوا عشرة منهم، وأسروا باقيهم مع النساء والذرية، واستاقوا الإبل والشياه، وكانت الإبل ألفي بعير، والشياه خمسة آلاف، واستعمل الرسول صلى الله عليه وسلم على ضبطها مولاه شُقرانَ، وعلى الأسرى بُرَيدةَ. وكان في نساء المشركين بَرَّةُ بنتُ الحارثِ سيدِ القوم، وقد أُخذ من قومها مئتا بنتٍ أسرى وُزِّعَتْ على المسلمين، وهنا يظهر حُسْن السياسة ومنتهى الكرم؛ فإن بني المصطلق من أعزِّ العرب داراً، فأسْرُ نسائهم بهذه الحال صعب جدًّا، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يجعل المسلمين يَمُنُّونَ على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم، فتزوج بَرّةَ بنت الحارث التي سمّاها: جُوَيْرِيَةَ، فقال المسلمون: أصهارُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي أسرُهم في أيدينا، فمنّوا عليهم بالعتق، فكانت جويريةُ أيمنَ امرأةٍ على قومها كما قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ[1].

وأموالكم»، ففعل عمر ذلك، فأبوا[2].

قوله: (شقران): ـ بضم الشين ـ، واسمه: صالح، وكان حبشياً.

قوله: (فتزوج برة بنت الحارث): قال الحلبي: وقعت برةُ في سهم ثابتِ ابنِ قيس، فكاتبها على تسع أواق من ذهب، فدخلت عليه صلى الله عله وسلم فقالت له: يا رسول الله! إني امرأة مسلمة ـ أي: أسلمت ـ؛ لأني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وإني برة بنتُ الحارث سيدِ قومه، وقد كاتبني ثابت على ما لا طاقة لي به، وإني رجوتك فأعنِّي في مكاتبتي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أوخيرٌ من ذلكِ؟» قالت: ما هو؟ قال: «أُؤدي عنك كتابتك، وأتزوجك»،

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٣١).

(٢) أورده البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٤٨) عن الواقدي.

وتسبَّب عن هذا الكرم العظيم، وهذه المعاملة الجليلة: أن أسلم بنو المصطلق عن بَكْرة أبيهم، وكانوا للمسلمين بعد أن كانوا عليهم.

وقد حصل في هذه الغزوة نادرتان، لولا أنْ صاحَبَتْهُما حكمةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعادتا بالتفريق على المسلمين.

قالت: نعم يا رسول الله، قد فعلت[1].

فأرسل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى ثابت بن قيس، فطلبها منه، فقال ثابت ـ رضي الله عنه ـ: هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي! فأدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان كاتبها عليه، وأعتقها وتزوجها، وهي ابنة عشرين سنة، وسماها: جويرية[2].

ثم قال: وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كانت جويرية امرأة حلوة، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم ونحن على الماء ـ أي: الذي هو المريسيع ـ إذ دخلت جويرية تسأله في كتابتها، فوالله! ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبي صلى الله عليه وسلم، وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت: يا رسول الله! إني امرأة مسلمة... الحديث. انتهى[3].

وفي «الدحلانية»: لما تزوج النبي صلى الله عليه سلم جويرية، وخرج الخبر إلى الناس؛ فقال الناس: أصهارُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلوا ما بأيديهم، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: فما أعلم امرأة كانت أعظمَ بركةً على قومها منها ـ رضي الله عنها ـ[4].

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٣١) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بنحوه.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٦).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٦)، والخبر المذكور تقدم تخريجه عند أبي داود (٣٩٣١).

(٤) تقدم تخريجه عند أبي داود (٣٩٣١).

فأولاهما: أن أجيراً لعمر بن الخطاب اختصم مع حليف للخزرج، فضرب الأجيرُ الحليفَ حتى سال دمه، فاستصرخ بقومه الخزرج، واستصرخ الأجير بالمهاجرين، فأقبل الذعر من الفريقين، وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: . . . .

وقيل: إنها طلبت قومها من النبي صلى الله عليه وسلم ليلة دخوله بها، فوهبهم لها. اهـ[1].

قوله: (أن أجيراً لعمر بن الخطاب): في الدحلاني: هو رجل من المهاجرين اسمه: جهجاه بن مسعود، كان أجيراً لعمر ـ رضي الله عنه ـ، ويقود له فرسه، انطلق ليملأ قربَ النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، فوجد الناس يزدحمون على الماء، فأمر الناس بالإمساك ليملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، فنازعه رجل من الأنصار، وكان أجيراً لعبدالله بن أبي، فتنازعا، فضرب المهاجريُّ الأنصاريَّ، فقال الأنصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فأقبل جمع من الجيش، وشهروا السلاح حتى كاد أن تكون فتنة عظيمة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟»، فأُخبر بالحال، فقال صلى الله عليه وسلم: «دعوها ـ أي: تلك الكلمة ـ فإنها مُنتنة»[2].

قوله: (فأقبل الذعر): الذعر ـ بالذال ـ: الفزع، وهو ليس مراداً هنا، والصواب: الزُّعر ـ بالزاي ـ: مفرده زَعِر؛ مثل شَرِس: الخلق وزناً ومعنى، وفيه زعارَّة ـ بتشديد الراء وتخفيفها ـ؛ أي: شراسة.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٠٣).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١١٠)، والخبر المذكور رواه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

«ما بال دعوى الجاهلية؟» وهي ما يقال في الاستغاثة: يا لَفُلان! فأُخبر الخبر، فقال: «دَعُوا هذه الكلمة؛ فإنها منتنة»[1]، ثم كلم المضروبَ حتى أسقط حقه، وبذلك سكنت الفتنة، فلما بلغ عبدَالله بنَ أُبَيٍّ هذا الخصام، غضبَ، وكان عنده رهط من الخزرج، فقال: ما رأيت كاليوم مذّلة أَوَ قد فعلوها؟ نافرونا في ديارنا، والله! ما نحن والمهاجرون إلا كما قال الأوَّل: سَمِّنْ كلبك يأكلْك، أما والله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨]**، ثم التفت إلى مَنْ معه، وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالَكم، أما والله! لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم، لتحولوا إلى غير داركم، ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسَكم غَرَضاً للمنايا دون محمد، فأيتمتم أولادكم، وَقَلَلْتُم وكثروا، . . . . .**

قوله: (نافرونا في ديارنا)؛ أي: غلبونا وكاثرونا.

وقوله: (الأول) ـ بتشديد الواو ـ سهوٌ من الطبع، والصواب: الأُوَل ـ بضم الهمزة وفتح الواو ـ؛ أي: الأقدمون.

قوله: (ليخرجن الأعز منها الأذل): يعني بالأعز: نفسَه، وبالأذل: النبيَّ صلى الله عليه وسلم. اهـ. حلبي[2].

قوله: (غرضاً للمنايا): الغرض: الهدف الذي يُرمى إليه، والجمع: أغراض؛ مثل: سبب وأسباب. اهـ. مصباح[3].

وقوله: (دون محمد)؛ أي: فقُتلتم دون محمد.

---

(١) رواه البخاري (٣٥١٨، ٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٦).

(٣) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: غرض).

فلا تنفقوا عليهم حتى يَنْفَضُّوا من عنده، وكان في مجلسه شابٌّ حديثُ السن، قوي الإسلام، اسمه: زيد ابن أرقم، فأَخبر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، الخبر فتغير وجهه، وقال: «يا غلام! لعلك غضبتَ عليه فقلتَ ما قلت؟» فقال: والله يا رسول الله! لقد سمعته. قال: «لعلّه أخطأ سمعك»، فاستأذن عمرُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم في قتل ابنِ أُبَيّ، أو أن يأمر أحداً غيرهَ بقتله، فنهاه عن ذلك. وقال: «كيف يا عمرُ إذا تحدث الناسُ أن محمداً يقتل أصحابه؟»[1].

قوله: (لقد سمعته)؛ أي: منه؛ كما في الحلبي[2]، والأَولى للمؤلف أن يذكرها.

قوله: (أن محمداً يقتل أصحابه): قال الحلبي: وفي لفظ: أن عمر قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن كرهت أن يقتله مهاجريٌّ، فأمرْ به أنصاريّاً، فقال له: «ترعَدُ له إذن أُنُفٌ كثيرة بيثربَ»، اهـ[3].

يعني: يكون ذلك سبباً لإثارة فتنة كبيرة نحن في غنًى عنها.

وقال الحلبي عند ذلك: ولما نزلت سورة المنافقين، صار قوم عبدالله يعاتبونه ويعنفونه، ولما بلغه صلى الله عليه وسلم معاتبتهم له، قال لعمر: «كيف ترى يا عمر؟ إني ـ والله ـ لو قتلته يوم قلتَ، لأرعدت له أنوف لو أمرتُها اليوم

---

(١) رواه البخاري (٣٥١٨، ٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ مختصراً.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٧).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٧)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» كما في «تخريج الأحاديث والآثار في تفسير الكشاف» للزيلعي (٤/ ٣٣).

ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشتد الحر يقصد بذلك عليه الصلاة والسلام شَغْلَ الناس عن التكلم في هذا الموضوع، فجاءه أُسَيدُ بن حُضير، وسأله عن سبب الارتحال في هذا الوقت، فقال: «أَوَ ما بلغك ما قال صاحبكم؟ زعم أنه إن رجعَ إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزّ منها الأذل». قال: أنت ـ والله ـ يا رسول الله تُخرجه إن شئتَ، هو ـ والله ـ الذليلُ، وأنت العزيزُ[1].

ثم سارَ عليه الصلاة والسلام بالناس سيراً حثيثاً حتى آذتهم الشمس، فنزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض حتى وقعوا نياماً.

بقتله لقتلته»، فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: قد ـ والله ـ علمتُ لأمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظمُ بركة من أمري. اهـ[2].

قوله: (هو ـ والله ـ الذليل، وأنت العزيز): قال الحلبي: ثم قال: يا رسول الله! ارفقْ به، لقد جاء الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه، ما بقيت عليهم إلا خرزة واحدة عند يوشَعَ اليهودي، فإنه ليرى أنك استلبته ملكاً. اهـ[3].

القصد بذلك: الاعتذارُ عن عبدالله بنِ أبي، وأن ما كان منه إنما هو نفثةُ مصدور.

قوله: (سار بالناس سيراً حثيثاً): في الحلبي: سار يومهم ذلك وليلَتهم وصدرَ ذلك اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، وإنما فعل

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٠٩) عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعن عبدالله بن أبي بكر، وعن محمد بن يحيى بن حبان، كلٌّ قد حدث بعضَ حديث بني المصطلق، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٦).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٣)، والخبر المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ١١٦ ـ ١١٧) عن عاصم بن عمر بن قتادة.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٨).

وكلّم رجالٌ من الأنصار عبدَالله بن أُبيّ في أن يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم الاستغفار، فلوى رأسه واستكبر. وهنا نزل على الرسول سورةُ المنافقين التي فضحت عبدَالله بنَ أُبيّ وإخوانَه، وصدَّقت زيدَ بنَ أرقم. . . .

صلى الله عليه وسلم ذلك؛ ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس[1].

قوله: (وكلم رجال من الأنصار. . .) إلخ: صنيعه يفيد أن نزول سورة المنافقين كانت بعد طلب الأنصار من عبدالله بن أبي أن يطلب من الرسول الاستغفار، وليس كذلك.

قال الحلبي: جاء أنه لما نزلت سورة المنافقين، وفيها تكذيبُ ابن أُبي، قال له أصحابه: اذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك، فلوى رأسه، ثم قال: أمرتموني أن أؤمن فآمنت، وأمرتموني أن أعطي زكاة أموالي فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ الآية. اهـ[2].

لكنه قبل نزول السورة ذهب بعض الأنصار الذين سمعوا قول النبي صلى الله عليه وسلم وردَّه على الغلام إلى ابن أُبي ـ لعنه الله ـ، فقال له: يا أبا الحباب! إن كنت قلت ما نُقل عنك، فأخبرْ به النبيَّ صلى الله عليه وسلم فليستغفر لك، ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك، وإن كنت لم تقله، فأتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر له، واحلف له: ما قلته، فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئاً، ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له «يا بن أبي! إن كانت سبقت منك مقالة، فتبْ»، فجعل يحلف بالله ما قلتُ ما قال زيد، وما تكلمت به. اهـ[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٣).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٨)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٥٤).

ولما بلغَ ذلك عبدَالله بنَ عبدالله بنِ أُبيّ، استأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه حذراً من أن يُكَلِّف بذلك غيره، فيكون عنده من ذلك أضغان وأحقاد، فأمره عليه الصلاة والسلام بالإحسان إلى أبيه[1].

قوله: (ولما بلغ ذلك عبدَالله بنَ عبدالله بن أبي . . . إلخ): صنيعُ المؤلف يفيد أنه لما بلغه ما كان من أبيه، استأذن رسول الله في قتله، وليس كذلك، فقد استأذن النبيَّ صلى الله عليه وسلم في قتله لما بلغه مقالة عمر ـ رضي الله عنه ـ.

ففي الحلبي: أن عبدالله لما بلغه مقالة عمر ـ رضي الله عنه ـ من قتل أبيه، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إنه قد بلغني أنك تريد قتلَ عبدِالله بنِ أبي ـ يعني: والده ـ فيما بلغك عنه، فإن كنتَ فاعلاً، فمرني أن أحمل لك رأسه، فوالله! لقد علمتِ الخزرجُ ما كان بها رجل أبرُّ بوالده مني، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فأقتل مؤمناً بكافر، فأدخل النار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بل نترفق به، ونحسن صحبته ما بقي معنا»[2].

وفي رواية: فمرني فوالله! لأحملن إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا، وإني لأخشى ـ يا رسول الله ـ أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأدخل النار، فعفوُكَ أفضل، ومنتُك أعظم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أردت قتله، ولا أمرت به، ولنحسن صحبته ما كان بين أظهرنا». اهـ[3].

قال الحلبي: ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي العقيق،

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٢٧٨ ـ ٢٨١)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٨٣ ـ ٥٩٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ١١٦) عن عاصم بن عمر بن قتادة.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٥٩٩)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٥٦).

النادرة الثانية: وهي أفظعُ من الأولى، وأجلبُ منها للمصائب، وهي: رميُ عائشةَ الصدّيقةِ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإفك، فاتَّهموها بصفوانَ بنِ المعَطَّل. . . . .

تقدم عبدُالله بنُ عبدالله بن أبي، وجعل يتفحص الركاب حتى مر أبوه، فأناخ به ثم وطئ على يد راحلته، فقال أبوه: ما تريد يا لُكَع؟ فقال: والله! لا تدخل حتى تقر أنك الذليل، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتعلم أيضاً الأعز من الأذل أنت أو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصار يقول: لأنا أذلُّ من الصبيان، لأنا أذلُّ من النساء، حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «خَلِّ عن أبيك»، فخلى عنه[1].

ثم قال: وفي لفظ قال لأبيه: لَئِن لم تقرَّ لله ولرسوله بالعزة، لأضربن عنقك، فقال: ويحك! أفاعل أنت؟ قال: نعم، ولما رأى منه الجد قال: أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه: «جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً». اهـ[2].

حديث الإفك

قوله: (ابن المعطل) ـ بضم الميم وفتح الطاء مشددة ـ.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٢)، والخبر المذكور أورده الشامي في «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٣٥٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٢)، والخبر المذكور أورده الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٤٤ ـ ٥٤٥) باللفظ المذكور، ولم نقف عليه مسنداً، وقال الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (٤/ ٣٥): وذكره الثعلبي بتمامه، وعزاه لأصحاب السير، وكذلك الواحدي في «أسباب النزول».

السلميَّ، وذلك أنهم لما دنوا من المدينة، أذن عليه الصلاة والسلام ليلةً بالرحيل، وكانت السيدة عائشةُ قد مضت لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش، فلما قضت شأنها، أقبلت إلى رَحْلها، فلمست صدرها، فإذا عِقْدٌ لها من جزْع ظَفَارِ قد انقطع، فرجعت تلتمس عقدَها، فحبسها ابتغاؤه، فأقبل الرهط الذين كانوا يَرْحلُونَهَا، فاحتملوا هودَجَها ظانِّين أنها فيه؛ لأن النساء كنَّ ـ إذ ذاك ـ خفافاً لم يُغَشِّهِنَّ اللحمُ، فلم يستنكر القوم خِفَّةَ الهودج، وكانت عائشة جارية حديثة السن، فجاءت منزل الجيش بعد أن وجدت عقدَها، وليس بالمنزل داعٍ ولا مُجيب، فغلبتها عيناها فنامتْ، وكان الذي يسيرُ وراء الجيش يفتقد ضائعه صفوان بن المُعَطَّل، فأصبح عند منزلها فعرفها؛ لأنه كان رآها قبل الحجاب، فاسترجع، فاستيقظت باسترجاعه، وسترت وجهها..................................

وقوله: (السَّلِمي): ـ بفتح السين وكسر اللام ـ نسبة لبني سَلِمة، بطنٍ من الأنصار. اهـ. قاموس[1].

قوله: (من جزع ظفار): الجزع ـ بفتح الجيم وكسرها وإسكان الزاي ـ: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض، تُشبَّه به الأعين[2].

وقوله: (ظفار): بلد باليمن قرب صنعاء، وهو على وزن قَطامِ.

قوله: (يرحلونها): هو ـ بتخفيف الحاء ـ؛ أي: يجعلون هودجها على الرحل، والهودج: مركب للنساء.

قوله: (لم يُغَشِّهِن) ـ بضم الياء وفتح الغين وتشديد الشين ـ؛ أي: من التغشية، وهو التغطية.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سلم).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: جزع).

بجلبابها، فأناخ راحلته، وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحة، فقامت قيامة أهل الإفك، وقالوا ما قالوا في عائشةَ وصفوانَ، والذي تَوَلى كِبْرَ الإفك عبدُالله بنُ أُبيّ.

ولما قدموا المدينة، مرضت عائشةُ شهراً، والناس يُفيضون في قول الإفك، وهي لا تشعر بشيء، وكانت تعرف في رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة إذا مرضت، فلم يعطها نصيباً منها في هذا المرض، بل كان يمر على باب الحجرة لا يزيد على قوله: «كيف حالكم؟»؛ مما جعلها في ريب عظيم.....................................

قوله: (بجلبابها) قال الحلبي: هو ثوب أقصر من الخمار، ويقال له: المِقْنَعة، تغطي بها المرأة رأسها[١].

قوله: (كبر الإفك)؛ أي: معظمَه.

في الحلبي: إن عبدالله بنَ أبي ابنَ سلول كان أولَ من أشاعه في العسكر، فإنه كان ينزل مع جماعة المنافقين مبتعدين من الناس، فمرت عليهم، فقالوا: من هذه؟ قالوا: عائشةُ وصفوان، فقال: فَجَرَ بها ورَبِّ الكعبة.

وفي لفظ: ما برئت منه، وما برئ منها، وصار يقول: امرأة نبيِّكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم لها؛ لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ[٢].

قوله: (كيف حالكم): في الحلبي والدحلاني وابن هشام: «كيف تيكم؟»[٣].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٦).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٧).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٨)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٠٦)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٦٣).

فلما نَقِهَتْ، خرجت هي وأُم مِسْطَحِ بنِ أثاثة ـ أحدِ أهل الإفك ـ للتبرّز خارج البيوت، فعثرت أُم مسطح في مِرْطها، فقالت: تَعسَ مِسطح، فقالت عائشة: بئسَ ما قلتِ، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هَنْتاهُ! أو لم تسمعي ما قالوا؟ فسألتها عائشة عن ذلك، فأخبرتها الخبر، فازدادت مرضاً على مرضها. ولما جاءها عليه الصلاة والسلام كعادته، . . . .

قوله: (نَقِهت)؛ أي: برئت، ونَقِهَ من باب تَعِب.

قوله: (وأم مسطح بن أثاثة): قال الجبريني في «شرح أسماء أهل بدر»: مِسْطَح: ـ بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الطاء المهملة ـ، وأُثاثة: ـ بضم الهمزة ـ، ومسطح لقبه، واسمه: عوف، وأم مسطح يقال لها: سلمى بنت أبي رُهْم، وأمها رائطة بنت صخر، أخت أم الخير والدةِ أبي بكر الصديق، واسمُ أم الخير: سلمى، فمسطح ابنُ بنتِ خالة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، شهد مسطح بدراً، وكان ممن خاض في الإفك على عائشة ـ رضي الله عنها ـ، فجلده النبي صلى الله عليه وسلم فيمن جلد في ذلك[1].

قوله: (في مرطها): المِرْط: كساء من صوف أو خَزّ يؤتَزَر به وتتلفع المرأة به، والجمع: مُروط؛ مثل حِمْل وحُمُول. اهـ. «مصباح»[2].

قوله: (يا هَنْتاهُ) ـ بفتح الهاء الأولى وسكون النون وضم الهاء الثانية ـ؛ أي: يا هذه. اهـ. حلبي[3].

وقال في الخازن: معناه: يا بلهاء[4]، وهو أَولى.

---

(١) انظر: «شرح أسماء أهل بدر» للجبريني (ص: ٧٤).

(٢) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: مرط).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٨).

(٤) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٢٨٧).

استأذنته أن تمرّض في بيت أبيها، فأذن لها، فسألتْ أُمهَّا عمّا يقول الناس، فقالت: يا بنيّة! هوِّني عليك، فو الله! لقلّما كانت امرأة قطّ وضيئةٌ عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرْنَ عليها، فقالت عائشة: سبحان الله! أوَ قد تحدث الناس بهذا؟ وبكت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لها دمع، ولا تكتحل بنوم. وفي خلال ذلك كان عليه الصلاة والسلام يستشير كبارَ أهل بيته فيما يفعل، فقال له أسامة ـ لما يعلمه من براءة عائشة ـ: أهلك أهلك، ولا نعلم عليهم إلا خيراً. وقال علي بن أبي طالب: لم يُضَيِّقِ الله عليك، والنساء سواها كثير، وسلِ الجارية تَصْدُقْكَ، . . . .

قوله: (استأذنته أن تُمَرَّض في بيت أبيها): في الحلبي: فقلت: أتأذن لي أن آتي بيت أبويَّ، وأنا أريد أن أتثبت الخبر من قِبَلهما[1].

قوله: (وضيئة)؛ أي: جميلة.

قوله: (إلا أكثرن عليها) قال الحلبي: فيه: أن ضرائرها أمهاتِ المؤمنين لم يكنَّ السببَ في إشاعة ذلك، ولم ينقصنها به، إلا أن يقال: ظنت أمها ذلك على ما هو العادة في ذلك[2].

قوله: (يستشير كبار أهل بيته): في الحلبي: في رواية عن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ: استشار الصحابة، فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: من زَوَّجها لك يا رسول الله؟ قال: «الله تعالى»، قال: أفتظن أن الله دلس عليك فيها؟! سبحانك هذا بهتان عظيم، ودعا علي بن أبي طالب . . . إلخ ما ذكره المؤلف[3].

قوله: (وسَلِ الجارية)؛ أي: جاريةَ عائشة، وهي بَريرة؛ لأنها كانت

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٠٩).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٣).

فدعا عليه الصلاة والسلام بَريرةَ جاريةَ عائشةَ، وقال لها: «هل رأيتِ من شيء يَرِيْبُكِ؟» فقالت: والذي بعثك بالحق! ما رأيت عليها أمراً قطّ أغمِصه، غير أنها جارية حديثة السِّنِّ، تنام عن عجينها، فتأتي الداجنُ فتأكله.

فقام عليه الصلاة والسلام من يومه، وصَعِد المنبرَ والمسلمون مجتمعون، وقال: «مَنْ يَعْذِرُني من رجلٍ قد بلغني أذاه في أهلي؟ والله! ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي». فقال سعد بن معاذ: أنا يا رسول الله أَعذِرُك منه، فإن كان من الأوس، ضربتُ عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتَنا ففعلنا أمرك، فقام سعدُ بن عبادة الخزرجي وقال: كذبتَ لعَمْرُ الله، . . .

تخدمها. اهـ. حلبي[1].

قوله: (أغمصه) ـ بالغين المعجمة والصاد المهملة بينهما ميم مكسورة ـ؛ أي: أعيبه عليها. اهـ. حلبي[2].

قوله: (الداجن): هي الدابة التي تألف البيوت، ولا تخرج للمرعى، وهي هنا الشاة. اهـ. حلبي[3].

قوله: (من يَعْذِرني)؛ أي: يُنصفني.

قوله: (ولقد ذكروا رجلاً. . .) إلخ: المراد به: صفوانُ بن المعطل السُّلَمي.

قوله: (فقال سعد بن معاذ): هو سيد الأوس.

قوله: (فقام سعد بن عبادة)؛ أي: وقد أجهلته الحمية؛ أي: حملته الحمية لهم على أن يجهل.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٣).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٣).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٣).

لا تقتله، ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببتَ أنه يُقتل، فقام أُسيد بن حُضير، وقال لسعد بن عبادة: كذبتَ لعمرُ الله لنقتلنَّه؛ فإنك منافق تجادلُ عن المنافقين. وكادت تكون فتنة بين الأوس والخزرج لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر، وخَفَّضَهم حتى سكتوا.

قوله: (فقام أسيد بن حضير) هو ابن عم سعد بن معاذ.

قوله: (فإنك منافق) المراد بكونه منافقاً: أنه يفعل فعل المنافقين، ومن ثم لم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك إن كان سمعه. اهـ. حلبي[1].

قوله: (وخَفَّضهم) ـ بتشديد الفاء ـ؛ أي: لَيَّنَ قولَهم.

ثم ذكر الحلبي نقلاً عن «الإمتاع»: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث أياماً، ثم أخذ بيد سعد بن معاذ في نفر حتى دخل على سعد بن عبادة، فتحدثوا ساعة، وقرَّب لهم سعد بن عبادة طعاماً، فأصابوا منه، ثم انصرفوا، فمكث أياماً، ثم أخذ بيد سعد بن عبادة في نفر، فانطلقوا حتى دخلوا منزل سعد بن معاذ، فتحدثوا ساعة، وقرّب لهم سعد بن معاذ طعاماً، فأصابوا منه، ثم خرجوا، فذهب من أنفسهم ما كان. اهـ[2].

وهنا كلام نفيس لابن القيم ـ رحمه الله ـ ذكره في كتابه «زاد المعاد» في الكلام على غزوة المريسيع، قال: فإن قيل: فما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم توقف في أمرها، وسأل عنها، وبحث واستشار، وهو أعرفُ بالله وبمنزلته عنده وبما يليق به؟ وهلاَّ قال: سبحانك هذا بهتان عظيم كما قاله فضلاء الصحابة؟

فالجواب: إن هذا من تمام الحِكَم الباهرة التي جعل الله هذه القصة سبباً لها، وامتحاناً وابتلاءً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع الأمة إلى يوم

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٥).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٧).

. . . .

القيامة؛ ليرفع بهذه القصة أقواماً، ويضع آخرين، ويزيد الذين اهتدوا هدًى، ولا يزيد الظالمين إلا خساراً، واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حُبِس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحيُ شهراً في شأنها، لا يُوحى إليه في ذلك شيء؛ لتتم حكمته التي قدرها وقضاها، وتظهر على أكمل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيماناً وثباتاً على العدل والصدق، وحسن الظن بالله ورسوله، وأهلِ بيته والصديقين من عباده، ويزداد المنافقون إفكاً ونفاقاً، ويظهر لرسوله وللمؤمنين سرائرهم، ولتتم العبودية المرادة من الصديقة وأبويها، وتتم نعمة الله عليهم، ولتشتد الفاقة والرغبة منها ومن أبويها والافتقار إلى الله، والذل له وحسن الظن به والرجاء له، ولينقطع رجاؤها من المخلوقين، وتيئس من حصول النصرة والفرج على يد أحد من الخلق، ولهذا وفَّت لهذا المقام حقه لما قال لها أبواها: قومي إليه ـ وقد أنزل الله عليه براءتها ـ، فقالت: والله! لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا اللهَ، هو الذي أنزل براءتي.

وأيضاً: فكان من حكمة حبس الوحي شهراً: أن القضية نضجت وتمحضت، واستشرفت قلوبُ المؤمنين أعظمَ استشرافٍ إلى ما يوحيه الله إلى رسوله فيها، وتطلَّعت إلى ذلك غايةَ التطلُّع، فوافى الوحي أحوجَ ما كان إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأهلُ بيته، والصديقُ وأهلُه، وأصحابُه والمؤمنون، فورد عليهم ورودَ الغيث على الأرض أحوجَ ما كانت إليه، فوقع منهم أعظمَ موقع وألطفَه، وسُرُّوا به أتمَّ السرور، وحصل لهم به غايةُ الهناء، فلو أطلع الله رسوله على حقيقة الحال من أول وهلة، وأنزل الوحي على الفور بذلك؛ لفاتت هذه الحكم وأضعافُها، بل أضعافُ أضعافها.

وأيضاً: فإن الله سبحانه أحب أن يُظهر منزلة رسوله وأهل بيته عنده، وكرامتهم عليه، وأن يخرج رسوله صلى الله عليه وسلم عن هذه القضية، ويتولى هو بنفسه الدفاع والمنافحة عنه، والردَّ على أعدائه، وذمَّهم وعيبهم بأمر لا يكون له

أما عائشة، فبقيت ليلتين لا يَرْقَأ لها دمع، ولا تكتحل بنوم. وبينما هي مع أبويها، إذ دخل النبي عليه الصلاة والسلام، فسلّم ثم جلس، فقال: «أما بعد: يا عائشة! إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف وتاب، تاب الله عليه»، . . . .

فيه عملٌ ولا يُنسب إليه، بل يكون هو وحده المتولي لذلك، الثائر لرسوله وأهل بيته.

وأيضاً: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو المقصود بالأذى، والتي رميت زوجته، فلم يكن يليق به أن يشهد ببراءتها مع علمه أو ظنه الظنَّ المقاربَ للعلم ببراءتها، ولم يظن بها سوءاً قط، وحاشاه، ولذلك لما استعذر من أهل الإفك، قال: «من يعذرني في رجل بلغني أذاه في أهلي؟ والله! ما علمتُ على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»[1]، فكان عنده من القرائن التي تشهد ببراءة الصديقة أكثرُ مما عند المؤمنين، ولكن لكمال صبره وثباته ورفقه، وحسنِ ظنه بربه وثقته به، وَفَّى مقامَ الصبر والثباتِ وحسنِ الظن بالله حقَّه حتى جاءه الوحي بما أقرَّ عينه، وسرَّ قلبه، وعظمَ قدره، وظهرَ لأمته احتفالُ ربه به واعتناؤه بشأنه. اهـ[2].

قوله: (ألممت بذنب) قيل: هو من اللَّمَم، وهو صغائر الذنوب، وقيل: معناه: مقارفة الذنب من غير فعل. اهـ. خازن[3].

وقوله: (فاستغفري الله): في الحلبي: قصد بذلك: الاعتراف، لا الأمر

---

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٣).

(٣) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٢٨٧).

فتقلص دمعُ عائشةَ، وقالت لأبويها: أجيبا رسولَ الله، فقالا: والله! ما ندري ما نقول، فقالت: إني ـ والله ـ لقد علمتُ أنكم سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم، وصدقتم به، فلئن قلتُ لكم: إني بريئة، لا تصدقوني، ولئن اعترفتُ لكم بأمر ـ واللهُ يعلم أني منه بريئة ـ لتُصَدِّقُنِّي، فوالله! لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حيث قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: ١٨].

ثم تحولتْ، واضطجعتْ على فراشها، ....

بالستر، مع أنه المطلوب ممن أتى ذنباً لم يَطَّلع عليه أحد[١].

أي: فلا يكون قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لعائشة مثل قول العزيز: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ﴾[يوسف: ٢٩].

قوله: (فتقلص دمع عائشة)؛ أي: ارتفع حتى ما أحس منه بقطرة. اهـ. حلبي[٢].

قوله: (فقال: والله! ما ندري): الصواب: فقالا.

قوله: (إلا أبا يوسف) في الحلبي: والتمستُ اسمَ يعقوب، فلم أقدر عليه[٣]؛ أي: أن هول الموقف أنساها اسمه، فلم تتذكره.

قوله: (ثم تحولت واضطجعت على فراشها): في الحلبي: ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشي، وما كنت أظن أن الله ينزل في شأني وحياً يتلى ـ وفي

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٠)، والرواية المذكورة رواها ابن حبان في «صحيحه» (٤٢١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٠)، والرواية المذكورة رواها البخاري (٤٧٥٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

ولم يزاولْ رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصدّيقةِ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾ . . . .

لفظ : قرآناً يقرأ به في المسجد، ويصلى به[1] ـ ولَشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يتلى، وكنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا في النوم يبرئني الله بها[2].

وعند ذلك قال أبو بكر : ما أعلمُ أهلَ بيت من العرب دخل عليهم ما دخل عليَّ، والله! ما قيل لنا هذا في الجاهلية حيث لا يُعبد الله، فيقال لنا في الإسلام، وأقبل على عائشة مغضَباً[3].

قوله : (ولم يزاول رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه . . . إلخ): في الحلبي : أخذ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ما كان يأخذه عند نزول الوحي من شدة الكرب، فسُجِّي بثوبه ـ أي غُطِّيَ ـ وَوُضعت له وسادة من أَدَم تحت رأسه، قالت عائشة : فأما أنا حين رأيت ما رأيت، فوالله! ما فزعت؛ لأني قد عرفت أني بريئة، وأن الله غيرُ ظالمي، وأما أبواي، فوالذي نفس عائشة بيده ما سُري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُخبر بما أُخبر حتى ظننتُ لتخرجَنَّ أنفسُهما فَرَقاً ـ أي : خوفاً ـ من أن يأتي من الله تحقيقُ ما قال الناس[4].

قوله : (﴿عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ﴾)؛ أي : جماعة من العشرة إلى الأربعين، واعْصَوْصَبوا : اجتمعوا، وهم : عبدالله بن أبي رأسُ المنافقين، وزيد بن رفاعة، وحسان بن

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١١٣).

(٢) رواه البخاري (٤٧٥٠) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) انظر : «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٠ ـ ٦١١).

(٤) انظر : «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١١)، والرواية المذكورة رواها الطبري في «تاريخه» (٢/ ١١٤).

لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا . . . .

ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحَمْنة بنت جحش، ومن ساعدهم. اهـ. نسفي(١).

(﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾) مستأنف، والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعائشة وصفوان، والهاء للإفك.

(﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾) لاكتسابكم به الثواب العظيم، وظهور كرامتكم على الله بإنزال ثماني عشرة [آية](٢) في براءتكم، وتعظيم شأنكم، وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم، والثناء على من ظن بكم خيراً.

(﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ﴾): معظَمَه، وبدأ بالخوض فيه، وهو عبدالله بن أُبي.

(﴿مِنْهُمْ﴾) من العصبة.

(﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) في الآخرة، أو في الدنيا؛ بأن جُلدوا ثمانين ثمانين.

(﴿لَّوْلَا﴾) هلاَّ (﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾)، وإنما عدل فيه من الخطاب إلى الغيبة؛ مبالغةً في التوبيخ، وإشعاراً بأن الإيمان يقتضي ظن الخير بالمؤمنين، والكفَّ عن الطعن فيهم(٣).

قال النسفي: روي: أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنتَ بدلَ صفوان، أكنتَ تظن بحرم رسول الله سوءاً؟ فقال: لا، قالت: ولو كنتُ أنا بدل عائشة ما خنت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فعائشة خير مني، وصفوان خير منك(٤).

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٣٧).

(٢) ما بين معكوفتين من «تفسير البيضاوي».

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٧٦ ـ ١٧٧).

(٤) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٣٧).

وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ....

(﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾)؛ أي: القاذفون.

قال النسفي: لأن الله تعالى جعل التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوتُ شهادة الشهود الأربعة وانتفاؤها، والذين رموا عائشة لم يكن لهم بينة على قولهم، فكانوا كاذبين. اهـ[1].

(﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾) لولا هذه: لامتناع شيء لوجود غيره، والمعنى: لولا فضل الله عليكم في الدنيا بأنواع النعم التي من جملتها الإمهالُ للتوبة، ورحمة في الآخرة بالعفو المقرر لكم، (﴿لَمَسَّكُمْ﴾) عاجلاً (﴿فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ﴾) خضتم فيه (﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) يُستحقَر دونه اللوم والجلد.

(﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾) على حذف إحدى التاءين، وقرئ: (تتلقونه) على الأصل، والمعنى: يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه حيث كان يقول بعضكم لبعض: هل بلغك حديث عائشة؟ حتى شاع فيما بينهم وانتشر.

(﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾) إنما قُيد بالأفواه، مع أن القول لا يكون إلا بالفم؛ لأن الشيء المعلوم يكون علمهُ في القلب، ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب؛ كقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ﴾[آل عمران: ١٦٧].

(﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ﴾)؛ أي: خوضكم في عائشة (﴿هَيِّنًا﴾) سهلاً لا تبعةَ فيه، (﴿وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾)؛ أي: في الوزر.

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٣٨).

وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ . . . .

(﴿وَلَوْلَآ﴾): وهلاَّ (﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ﴾): ما ينبغي لنا، وما يصح (﴿سُبْحَٰنَكَ﴾) تعجُّبٌ ممن يقول ذلك، وأصله أن يذكر عند كل متعجب تنزيهاً لله تعالى من أن يصعب عليه مثله، ثم كثر فاستُعمل لكل متعجب، أو تنزيهٌ لله تعالى من أن تكون حرمةُ نبيه فاجرة (﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾)؛ لعظمة المبهوت عليه؛ فإن حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها.

(﴿أَبَدًا﴾): ما دمتم أحياء مكلَّفين.

(﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾): فيه تهييج لهم ليتعظوا، وتذكيرٌ بما يوجب تركَ العود، وهو الإيمانُ الصادُّ عن كل قبيح.

(﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾) بالحدّ، (﴿وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ﴾) بالنار، (﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾) لعجل لكم العذاب، وكَرَّرَ المنةَ بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغةً في المنة عليهم، والتوبيخ لهم.

وقوله: (﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾)؛ أي: آثاره ووساوسه؛ بالإصغاء إلى الإفك والقول فيه.

(﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾): بيانٌ لعلة النهي عن اتباعه، والفحشاء: ما أفرط قبحُه، والمنكر: ما أنكره الشرع.

وقوله: (﴿مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾)؛ أي: ما طَهُر ولا صلح.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور: ١١ ـ ٢١]، **فسُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، وبشَّر عائشة بالبراءة، فقالت لها أمها: قومي فاشكري رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: لا والله! لا أشكر إلا الذي بَرَّأَني. وبعد ذلك أمر عليه الصلاة والسلام بأن يُجلدَ مَنْ صرَّح بالإفك ثمانين جلدة ـ وهي حدُّ القاذف ـ وكانوا ثلاثة: حَمْنَةُ بنتُ جحش، ومِسْطَح بن أُثَاثة، وحسان ثابت. وكان أبو بكر ينفق على مِسْطَح بن أثاثة؛ لقرابته منه، فلما تكلم بالإفك، قطع عنه النفقة،** . . . .

(**﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**) سميع لمقالتهم، عليم بنياتهم. اهـ. بيضاوي ونسفي[١].

قوله: (فسُري عن رسول الله . . .) إلخ: في الحلبي: سري عنه وهو يضحك، وإنه لَيتحدَّرُ منه العرق كالجمان، وهي حبوب مدحرجة تجعل من الفضة كأمثال اللؤلؤ، فجعل يمسح العرق عن وجهه الكريم، فكان أول كلمة تكلم بها: «يا عائشة! أما إن الله قد برأك»[٢].

قوله: (وبعد ذلك أمر عليه السلام . . .) إلخ: في الحلبي: ثم بعد نزول آيات الإفك، خرج صلى الله عليه وسلم إلى الناس، وخطبهم، وتلا عليهم تلك الآيات، وأمر بجلد أصحاب الإفك، فجُلدوا الحدَّ، وهو ثمانون[٣].

قوله: (قطع عنه النفقة)؛ أي: وحلف على ذلك حيث قال: والله! لا أنفق على مسطح أبداً، ولا أنفعه بنفع أبداً؛ على ما قال لعائشة وأدخل علينا[٤].

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٧٨ ـ ١٧٩)، و«تفسير النسفي» (٣/ ١٣٨ ـ ١٤٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١١)، والخبر المذكور رواه البخاري (٤١٤١) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ: «يا عائشة! أما اللهُ، فقد برأك».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٦ ـ ٦١٧).

(٤) رواه البخاري (٢٦٦١) من حديث عائشة، عن أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ.

فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٢٢]، **فقال أبو بكر: بل نحب ذلك يا رسول الله، وأعاد النفقة على مِسطح.**

فهذه مضارُّ المنافقين الذين يدخلون بين الأمم مُظهِرين لهم المحبة، وقلوبُهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن، فمتى رأوا باباً لها، وَلَجوه، فنعوذ بالله منهم[1].

قوله: (﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾)؛ أي: ولا يحلف؛ من ائتلى: إذا حلف، افتعال من الأليَّة، أو لا يقصر؛ من الألو؛ أي: لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين، أو لا يقصروا في أن يحسنوا إليهم، وإن كانت بينهم شحناء لجناية اقترفوها، اهـ. نسفي[2].

وقوله: (﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾) العفو: الستر، والصفح: الإعراض؛ أي: وليتجاوزوا عن الجفاء، وليعرضوا عن العقوبة. اهـ. نسفي[3].

قال في الخازن: وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق؛ لأن الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح، وذكره بلفظ الجمع في قوله: ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ﴾، وقوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، وتمامه فيه[4].

---

(١) حديث الإفك رواه البخاري (٢٦٦١، ٤١٤١، ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦١٣ ـ ٦١٤).

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٤٠).

(٣) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٤٠).

(٤) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٢٨٩).

غزوة الخندق

لم يَقَرَّ لعظماء بني النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم وإرثِ المسلمين لها، بل كان في نفوسهم دائماً أن يأخذوا ثأرهم، ويستردّوا بلادهم، فذهب جمع منهم إلى مكة، وقابلوا رؤساء قريش، . . . .

ثم قال: وفي الآية دليل على أن مَنْ حلف على يمين فرأى غيرَها خيراً منها، فليأتِ الذي هو خير، ويكفِّرْ عن يمينه، ومنه الحديث الصحيح: «من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها؛ فليأتِ الذي هو خير، وليكفرْ عن يمينه». اهـ(١).

غزوة الخندق

قوله: (غزوة الخندق): وتسمى: غزوة الأحزاب؛ لتحزب قريش وقبائل العرب واليهود ـ أي: اجتماعهم ـ على قتال المسلمين، وكانت سنة خمس في شوال، وبذلك حزم أهل المغازي(٢).

قوله: (فذهب جمع منهم. . .) إلخ: منهم: سيدُهم حُيَيُّ بنُ أخطبَ، وسلام بن مِشكَم، وكنانة بن أبي الحقيق، وهَوْذَة بن قيس، وأبو عامر الفاسق إلى أن قدموا مكة على قريش يدعونهم ويحرضونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقال أبو سفيان: مرحباً وأهلاً، وأحبُّ الناس إلينا مَنْ أعاننا على عداوة محمد، زاد في رواية: فقال لهم: لكن لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا حتى نطمئن إليكم، ففعلوا، فقالت قريش لأولئك اليهود: يا معشر يهود! إنكم أهلُ الكتاب الأول والعلم، أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أَفَدِينُنا خير أم دينُ محمد؟ قالوا: بل دينكم

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٢٨٩)، والحديث المذكور رواه مسلم (١٦٥٠) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ١٧٠).

وحرّضوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنّوهم المساعدةَ، فوجدوا منهم قبولاً لِما طلبوه، ثم جاؤوا إلى قبيلة غطفان، وحرّضوا رجالها كذلك، وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب، فوجدوا منهم ارتياحاً، فتجهزت قريش وأتباعها يرأسهم أبو سفيان، ويحمل لواءهم عثمانُ بنُ طلحةَ بنِ أبي طلحةَ العبدريُّ، وعددُهم أربعة آلاف، معهم ثلاث مئة فرس، وألف وخمس مئة بعير . . . .

خير من دينه، فأنتم أولى بالحق منه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾[النساء: ٥١]، فلما قالوا ذلك لقريش؛ سرَّهم ونشطهم لما دعَوهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعند ذلك خرج من بطون قريش خمسون رجلاً، وتحالفوا وقد ألصقوا أكبادهم بالكعبة متعلقين بأستارها أن لا يخذل بعضهم بعضاً، ويكونون يداً واحدة على محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم رجل. اهـ. حلبي ملخصاً[(١)].

والجبت: كل معبود سوى الله، والطاغوت: الأصنام.

قوله: (غَطَفان) ـ بفتح الغين والطاء ـ: حي من قيس.

قوله: (فوجدوا منهم ارتياحاً): في الدحلانية: وجعلوا لهم تمرَ خيبرَ سنة إن هم نصروهم. اهـ[(٢)].

والارتياح: النشاط.

قوله: (المرِّي) ـ بضم الميم وتشديد الراء ـ: نسبة لبني مُرَّة، وهو مرةُ بنُ عوفِ بنِ سعد بن ذبيان، وقد أسلم بعد ذلك.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٢٨ ـ ٦٢٩).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١١٣).

وتجهزت غطفان يرأسهم عُيَيْنَةُ ابن حِصن الذي جازى إحسان رسول الله كفراً، فإنه ـ كما قدّمنا ـ أَقطعَه أرضاً يرعى فيها سوائمه، حتى إذا سمن خفُّه وحافره، قام يقود الجيوش لحرب مَنْ أنعم عليه، وكان معه ألف فارس. وتجهزت بنو مرّة يرأسهم الحارثُ بنُ عوف الْمُرِّيُّ وهم أربع مئة، وتجهزت بنو أشجعَ يرأسهم أبو مسعود بن رُخَيلَةَ، وتجهزت بنو سليم يرأسهم سفيان بن عبد شمس، وهم سبع مئة، وتجهزت بنو أسد يرأسهم طُلَيحة بن خويلدٍ الأسديّ، وعدة الجميع عشرة آلاف محارب، قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه الصلاة والسلام أخبار هاتِه التجهيزات، استشار أصحابه فيما يصنع: أيمكث بالمدينة، أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرّار؟ فأشار عليه سلمانُ الفارسيُّ بعمل الخندق، وهو عمل لم تكن العرب تعرفه، فأمر عليه الصلاة والسلام المسلمين بعمله، . . . .

قوله: (رخيلة): ـ بضم الراء وفتح الخاء ـ، وأسلم بعد ذلك.

قوله: (سفيان بن عبد شمس): في الحلبي: لا يعلمَ إسلامُه[1].

وقوله: (طليحة بن خويلد): أسلم بعد ذلك.

قوله: (وبلغه عليه السلام أخبار هاتة التجهيزات. . .) إلخ: قال الحلبي: لما تهيأت قريش للخروج، أتى ركب من خزاعةَ في أربع ليال حتى أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

قوله: (فأشار عليه سلمان الفارسي. . .) إلخ: فقد قال: يا رسول الله! إنا كنا بأرضِ فارسَ إذا تخوفنا الخيل، خندقنا علينا[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٣١).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٣١).

(٣) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٩١) عن الواقدي.

وشرعوا في حفره شماليَّ المدينة من الحَرّه الشرقية إلى الحرّة الغربية، وهذه هي الجهة التي كانت عورة تُؤتى المدينةُ من قِبلها. أما بقية حدودها، فمشتبكة بالبيوت والنخيل، لا يتمكن العدو من الحرب جهتها، وقد قاسى المسلمون صعوباتٍ جسيمةً في حفر الخندق؛ لأنهم لم يكونوا في سَعَة من العيش حتى يتيسر لهم العمل، وعمل معهم عليه الصلاة والسلام، فكان ينقل التراب متمثلاً بشعر ابن رواحة:

«اللهمَّ لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدَّقْنا ولا صلّينا

فَأَنْزِلَنْ سكينةً علينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا

والمشركون قد بَغَوا علينا ... وإن أرادوا فتنةً أبينا»[1]

قوله: (من الحرة): الحَرَّة ـ بالفتح ـ: أرض ذاتُ حجارة سود، [والجمع: حِرار][2]؛ مثل: كَلبة وكِلاب. اهـ. «مصباح»[3].

والحرة الشرقية والحرة الغربية اسم لمكانين بظاهر المدينة.

قوله: (كانت عورة)؛ أي: غير حَصينة.

قوله: (لم يكونوا في سعة من العيش)؛ أي: وكان الزمن زمن عسرة وعامَ مجاعة كما في الحلبي[4].

قوله: (فأنزلن سكينة علينا): فسرها في «القاموس» بالطمأنينة[5]، وفي

---

(١) رواه البخاري (٢٨٣٧، ٣٠٣٤، ٤١٠٤)، ومسلم (١٨٠٣)، من حديث البراء ابن عازب ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) ما بين معكوفتين من «المصباح المنير».

(٣) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: حرر).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٣٢).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سكن).

وأقام الجيش في الجهة الشرقية مُسنداً ظهرَه إلى سَلْع، وهو جبل مطلٌّ على المدينة، وعِدّتهم ثلاثة آلاف، وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة. أما قريش، فنزلت بمَجْمع الأسيال، وأما غطفان، فنزلت جهة أُحُد. وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها، فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل. ولما طال المطال عليهم، أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق، منهم: عِكْرِمة بن أبي جهل، وعمرو بن عَبْدِ وَدّ وآخرون، وقد برز علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ لعمرو بن عبد ودّ فقتله، وهرب إخوانه، وهوى في الخندق نوفلُ بن عبدالله، فاندقَّت عنقُه، . . . .

«المصباح» بالمهابة(١)، ويحتمل المقام المعنيين.

قوله: (على اقتحام الخندق): قال في «زاد المعاد»: إنهم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق فاقتحموه، وجالت بهم خيلهم في السبخة بين الخندق وسلع. اهـ(٢).

قوله: (منهم عكرمة بن أبي جهل): لم أقف على اسم من برز له من الصحابة، ويظهر أنه ظل واقفاً وراء عمرو بن [عبد] ود ينتظر ما يكون بينه وبين علي بن أبي طالب، ولما قَتل عمراً، رجع عكرمةُ مع بقية منِ اقتحم الخندق من المشركين، وألقى رمحه وهو مهزوم عن عمرو، وعيَّرَه حسان بأبيات.

قوله: (وقد برز علي بن أبي طالب. . .) إلخ: قال الحلبي: كان عمرو بن [عبد] ود عُمره ـ إذ ذاك ـ تسعين سنة، فقال: من يبارز؟ فقام علي ـ كرم الله وجهه ـ وقال: أنا له يا نبي الله، فقال صلى الله عليه وسلم له: «اجلس؛ فإنه عمرو ابن ود»، ثم كرر عمرٌو النداء، وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جَنتكم التي

---

(١) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: سكن).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٧٢).

تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون لي رجلاً؟ وأنشد أبياتاً، منها:

ولقــد بحـحـــتُ مـــن النـــدا ء بجمعكـــم هـــل مـــن مبـــارِزْ

إن الشـــجاعة فـــي الفتـــى والجـــود مـــن خيـــر الغرائـــز

فقام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقال: أنا له يا رسول الله، فقال: «اجلس؛ إنه عمرو بن ود»، ثم نادى الثالثة، فقام علي ـ كرم الله وجهه ـ فقال: أنا له يا رسول الله، فقال: «إنه عمرو» فقال: وإن كان عمراً، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنشد سيدنا علي أبياتاً، منها:

لا تعجلـــنَّ فقـــد أتـــا كَ مجيـــبُ قولـــك غيـــر عـــاجزْ

ذو نيـــةٍ وبصـــيرة والصـــدقُ منجـــي كـــلَّ فـــائز[1]

وفي رواية: أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه سيفه ذا الفقار، وألبسه درعه الحديد، وعممه بعمامته، وقال: «اللهم أعنه عليه»[2]، ثم قال له علي ـ كرم الله وجهه ـ بعد كلام طويل جرى بينهما ـ مبسوط في السيرة الحلبية ـ كيف أقاتلك وأنت على فرسك؟ ولكن انزل معي، فاقتحم فرسه، وسل سيفه، كأنه شعلة نار، فعقر فرسه، وضرب وجهه، وأقبل علي ـ كرم الله وجهه ـ على حبل عاتقه فسقط، وكبر المسلمون.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير، عرف أن عليّاً قتل عمراً، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بعد قتله لعمرو بن ود: «كيف وجدت نفسك معه يا علي؟» قال: وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب، وأنا في جانب، لقدرت عليهم[3].

(١) أورده البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٣٨) عن ابن إسحاق.

(٢) أورده الواقدي في «المغازي» (١/ ٤٠١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤١ ـ ٦٤٣).

ورُمي سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ بسهم قطع أَكْحلَه[1]، وهو شريان الذراع، واستمرت المناوشة والمراماة بالنبل يوماً كاملاً حتى فاتت المسلمين صلاةُ ذاك اليوم، وقضوها بعدُ، وجعل عليه الصلاة والسلام على الخندق حُرَّاساً حتى لا يقتحمه المشركون بالليل، . . . .

ونقل السيد الدحلاني عن الحافظ يحيى بن آدم أنه قال: ما شبهت قتل علي عمراً إلا بقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾[البقرة: ٢٥١]، اهـ[2].

قوله: (قطع أكهله)[3]: صوابه: أكحله.

قال في «القاموس»: الأكحَل بفتح الحاء ـ: عرقٌ في اليد، أو هو عرق الحياة، ولا تقل: عرق الأكحل. اهـ[4].

وفي الدحلانية: هو عرق في الذراع تتشعب منه عروق البدن، وكان الذي رمى سعداً هو ابنُ العَرِقة العامري، والعَرِقة: ـ بفتح العين وكسر الراء ـ، وهي أمه، واسمها: قلابةُ بنتُ سعيد بن سعد بن سهم، وتكنى: أم فاطمة، سميت العرقة؛ لطيب ريحها، وهي جدة خديجةَ ـ رضي الله عنها ـ أم أبيها[5].

قوله: (حتى فاتت المسلمين صلاة ذلك اليوم): في الحلبية: وفي يوم استمرت المقاتلة، قيل: من سائر جوانب الخندق إلى الليل، ولم يصلِّ صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وصار

---

(١) في «نور اليقين» (المطبعة الجامعة): «أكهلة»، والتصويب من طبعة دار الإيمان.
(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٢٢)، والأثر المذكور رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٣٣٠).
(٣) تقدمت الإشارة إلى الخطأ الحاصل في نسخة المتن.
(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: كحل).
(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٢٣).

المسلمون يقولون: ما صلينا، فيقول صلى الله عليه وسلم: «ولا أنا»، فلما انكشف القتال، جاء صلى الله عليه وسلم إلى قبته، وأمر بلالاً فأذن[1].

وأقام الظهر فصلى، ثم أقام بعد كل صلاة إقامة وصلَّى هو وأصحابه ما فاتهم من الصلوات.

وعن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ: فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى الظهر، ثم أمره فأذن وأقام، فصلى العصر، ثم أمره فأذن وأقام، فصلى المغرب، ثم أمره فأذن وأقام، فصلى العشاء. اهـ[2].

قوله: (وكان يحرس بنفسه ثلمة. . .) إلخ: قال الحلبي: وكان صلى الله عليه وسلم يختلف إلى ثلمة في الخندق، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى تلك الثلمة، فإذا أخذه البرد، جاء فأدفأته في حضني، فإذا دفئ، خرج إلى تلك الثلمة، ويقول: «ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها»، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حضني، صار يقول: ليت رجلاً صالحاً يحرس هذه الثلمة الليلة، فسمع صوت السلاح، فقال رسول الله صلى الله عليه سلم: «من هذا؟» فقال سعد بن أبي وقاص: سعد يا رسول الله، أتيتك أحرسك، فقال: «عليك هذه الثلمة فاحرسها»، ونام

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٤٠٣) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ. ورواه البخاري (٩٤٥)، ومسلم (٦٣١)، من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٥)، والخبر المذكور لم نقف عليه من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، وإنما رواه الترمذي (١٧٩)، والنسائي (٦٦٢)، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، وقال الترمذي: حديث عبدالله ليس بإسناده بأس، إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من عبدالله.

وكان عليه الصلاة والسلام يبشّر أصحابه بالنصر والظفر، ويَعِدهم الخير[(١)].

أما المنافقون، فقد أظهروا في هذه الشدة ما تكنُّه ضمائرهم حتى قالوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾[الأحزاب: ١٢]، . . . .

رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غط. اهـ[(٢)].

وفي «القاموس»: الثلمة ـ بالضم ـ: فرجة المكسور والمهدوم، والثلَم ـ محركة ـ: أن ينثلم حرف الوادي[(٣)].

قوله: (وكان عليه السلام يبشر أصحابه. . .) إلخ: قال الدحلاني: كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم، ويقول لهم: «أبشروا بعون الله ونصره، وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق، وآخذ المفتاح، وليهلكن كسرى وقيصر، ولتُنفقن أموالُهما في سبيل الله»، يقول ذلك حين ما يرى ما بالمسلمين[(٤)].

قوله تعالى: (﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾): قال النسفي في «تفسيره»: روي: أن معتب بن قشير حين رأى الأحزاب قال: يعدنا محمد فتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً، ما هذا إلا وعد غرور. اهـ[(٥)].

و(معتب): كمحدِّث؛ أي: ـ بضم الميم وفتح الحاء وتشديد الدال ـ.

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٢٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٨ ـ ٦٤٩)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (١/ ٣٩٦).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: ثلم).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٢٣)، والخبر المذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٠٢) من طريق ابن فليح عن ابن شهاب.

(٥) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٢٩٩)، والخبر المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٣).

وانسحبوا قائلين: إن بيوتنا عورة نخاف أن يُغير عليها العدو، ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[الأحزاب: ١٣]**، واشتدت الحال بالمسلمين؛ فإن هذا الحصار صاحَبَه ضيق على فقراء المدينة، والذي زاد الشدةَ عليهم: ما بلغهم من أن يهود بني قريظة الذين يُساكنونهم في المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهود، وسبب ذلك: أن حُيَيَّ بن أَخْطَب سيدَ بني النضير المُجْلَين توجه إلى كعب بن أسد القرظيِّ سيدِ بني قريظة، وكان له كالشيطان إذ قال للإنسان: اكفر، فحسَّن له نقضَ العهد، . . . .**

قوله: (فانسحبوا قائلين: إن بيوتنا عورة. . .) إلخ: قال الحلبي: كانت تلك الليلة شديدة البرد والريح، في أصوات ريحها أمثال الصواعق، فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون: إن بيوتنا عورة؛ أي: من العدو؛ لأنها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة، فَأْذَنْ لنا أن نرجع إلى نسائنا وأبنائنا وذرارينا، فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم.

قيل: ولم يبق معه تلك الليلة إلا ثلاث مئة. اهـ[١].

قوله: (إن يهود بني قريظة. . .) إلخ: قال الحلبي ما خلاصته: إن حييَّ ابن أخطب كان يقول لقريش في مسيره معهم: إن قومي بني قريظة معكم، وهم أهل حلقة وافرة، وهم (٧٥٠) مقاتلاً، فقال له أبو سفيان: ائت قومك حتى ينقضوا العهد، فخرج حيي حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة، فدق عليه باب حصنه، فأبى أن يفتح له، وقال له: إنك امرؤ مشؤوم، وإني عاهدت محمداً، فلست بناقضٍ ما بيني وبينه، ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً، فقال له: ويحك! افتحْ لي أكلمك، فقال: ما أنا بفاعل، فغاظه فقال: والله! ما أغلقت دوني إلا تخوفاً على جَشيشتك ـ وهي البر يُطحن غليظاً ـ أن آكل معك، ففتح له، فقال له: جئت بعز الدهر، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال،

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥١).

ولم يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين[1].

ولما بلغت هذه الأخبار رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أرسل مَسْلَمَةَ ابنَ أسلمَ فيْ مئتين، وزيدَ بنَ حارثة في ثلاث مئةٍ لحراسة المدينة؛ خوفاً على النساء والذراري، وأرسل الزبيرَ بنَ العوّام يستجلي له الخبر، فلما وصلهم، وجدهم حانقين، يظهر على وجوههم الشر، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أمامه، فرجع وأخبر الرسول بذلك. وهناك اشتد وَجَلُ المسلمين، وزُلزلوا زلزالاً شديداً؛ لأن العدو جاءهم من فوقهم، ومن أسفلَ منهم، . . . .

وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب أحد، فقال له كعب: جئتني ـ والله ـ بذل الدهر وكلِّ ما يُخشى، فلم يزل حيي بكعب حتى أعطاه عهداً: لئن رجعت قريش وغطفان، ولم يقتلوا محمداً، أن يكون معه في حصنه، ويصيبه ما أصابه، فعند ذلك نقض كعب العهد، ومزق الصحيفة التي كان فيها العقد، وجمع رؤساء قومه، وأعلمَهم بما صنع.

وبلغ ذلك عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فاشتد الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشق عليه ذلك[2].

قوله: (﴿وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾)؛ أي: حُركوا بالخوف تحريكاً بليغاً. اهـ. نسفي[3].

قوله: (لأن العدو جاءهم من فوقهم. . .) إلخ: فقد جاءهم من فوقهم عيينة بن حصن ومن معه، وجاءهم من أسفل منهم أبو سفيان ومن معه.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٤).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٣٧ ـ ٦٣٨).

(٣) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٢٩٩).

وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنون، وتكلم المنافقون بما بَدا لهم، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يرسل لعُيَيْنَةَ ابن حِصْنٍ، ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان، فأبى الأنصار ذلك قائلين: إنهم لم يكونوا ينالون منّا قليلاً من ثمارنا ونحن كفار، أفبعد الإسلام يشاركوننا فيها؟ . . . .

قوله: (﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ . . .﴾) إلخ؛ أي: مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة، أو عدلت عن كل شيء، فلم تلتفت إلا إلى عدوها لشدة الروع.

وقوله: (﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾): الحنجرة: رأس الغلصمة، وهي منتهى الحلقوم، والحلقوم: مدخل الطعام والشراب، قالوا: إذا انتفخت الرئة من شدة الفزع أو الغضب، رَبَتْ وارتفع القلبُ بارتفاعها إلى رأس الحنجرة.

وقيل: هو مثل في اضطراب القلوب، وإن لم تبلغ الحناجر حقيقة. اهـ. نسفي[1].

قوله: **(وظنوا بالله الظنون)**؛ أي: اختلفت الظنون بالله، فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه، وظن المؤمنون النصر والظفر لهم. اهـ. خازن[2].

قوله: **(وتكلم المنافقون. . .)** إلخ: هو ما قدمناه عن معتب بن قشير، وقيل: المتكلم عبدُالله بن أبي.

قوله: **(فأراد أن يرسل إلى عيينة. . .)** إلخ: قال في «زاد المعاد»: ولما طالت هذه الحال على المسلمين، أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصالح عيينة بن حصن والحارثَ بنَ عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة، وينصرفا بقومهما، وجرت المراوضة على ذلك، فاستشار السعدَينِ في ذلك ـ سعدَ بنَ

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

(٢) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤١٦).

وإذا أراد الله العناية بقوم، هيأ لهم أسباب الظفر من حيث لا يعلمون. فانظر إلى هذه العناية من الله للمتمسكين بدينه القويم. جاء نُعيم بن مسعود الأشجعي، وهو صديق قريش واليهود، ومن غطفان، فقال: يا رسول الله! إني قد أسلمت وقومي لا يعلمون بإسلامي، فمُرني بأمرك حتى أُساعدك. فقال: «أنت رجل واحد، وماذا عسى أن تفعل؟ ولكن خَذِّل عنّا ما استطعت؛ . .

معاذ، وسعدَ بنَ عبادة ـ، فقالا: يا رسول الله! إن كان الله أمرك بهذا، فسمعاً وطاعة، وإن كان شيئاً تصنعه لنا فلا حاجة لنا، فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قِرًى أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك، نعطيهم أموالنا؟! والله! لا نعطيهم إلا السيف، فصوب رأيهما، وقال: «إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوسٍ واحدة». اهـ[١].

قوله: (ومن غطفان): معطوف على قوله: (وهو)؛ أي: وهو من غطفان؛ لأنهم قومُه كما صرح به في الحلبية والدحلانية[٢]، وكما قدمناه.

قوله: (الأشجعي) نسبة إلى أشجعَ بنِ ريثِ بنِ غطفان، أبو قبيلة؛ كما في «القاموس»[٣].

قوله: (خذل [عنَّا][٤] ما استطعت): الخذل: تركُ الإعانة والنصرة؛ أي: اجهد في أن يتركوا نصرةَ بعضِهم البعض، واستعملْ كل وسيلة في التفرقة بينهم.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٧٣)، والخبر المذكور أورده البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٣٠) من طريق ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٩)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٢٥).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قرقر).

(٤) ما بين معكوفتين من متن «نور اليقين».

فإن الحرب خدْعة»[1].

الخدعة في الحرب

فخرج من عنده، وتوجه إلى بني قريظة الذين نقضوا عهود المسلمين، فلما رأوه، أكرموه؛ لصداقته معهم، فقال: يا بني قريظة! تعرفون وُدّي لكم، وخوفي عليكم، وإني محدِّثكم حديثاً فاكتموه عنّي، قالوا: نعم، . . .

قوله: (فإن الحرب خدعة) يروى: ـ بفتح الخاء وضمها مع سكون الدال ـ، وبضمها مع فتح الدال، ومعناه على الأول: أن الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة، من الخداع؛ أي: أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة، لم تكن لها إقالة، هي أفصح الروايات وأصحها.

ومعنى الثاني: هو الاسمُ من الخداع.

ومعنى الثالث: أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم، ولا تفي لهم، كما يقال: فلان رجل لُعَبَة وضُحَكَة؛ أي: كثير اللعب والضحك. اهـ. «نهاية»[2].

الخدعة في الحرب

قوله: (فخرج من عنده. . .) إلخ: قبل أن يخرج قال: يا رسول الله! إني أقول ما يقتضيه الحال، وإن كان خلافَ الواقع، قال: «قل ما بدا لك، فأنت في حل». اهـ. حلبي[3].

قوله: (فلما رأوه أكرموه)؛ أي: لأنه كان نديماً لهم، قال: فلما رأوني،

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٤٥) عن عبدالله بن كعب بن مالك، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٩).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ١٤).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٩)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٢٧٨) من حديث نعيم بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

فقال: لقد رأيتم ما وقع لبني قينقاع والنضير من إجلائهم، وأخذِ أموالهم وديارهم، وإن قريشاً وغطفان ليسوا مثلكم؛ فهم إذا رأوا فرصة انتهزوها، وإلا انصرفوا لبلادهم. وأما أنتم، فتساكنون الرجلَ ـ يريد: الرسولَ صلى الله عليه وسلم ـ ولا طاقة لكم بحربه وحدَكم، فأرى ألّا تدخلوا في هذه الحرب حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا إلى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً منهم، فاستحسنوا رأيه، وأجابوه إلى ذلك.

ثم قام من عندهم، وتوجه إلى قريش، فاجتمع برؤسائهم، وقال: أنتم تعرفون ودّي لكم، ومحبتي إيّاكم، وإني محدّثكم حديثاً فاكتموه عني، قالوا: نفعل، فقال لهم: إن بني قريظة قد ندموا على ما فعلوه مع محمد، وخافوا منكم أن ترجعوا وتتركوهم معه، . . . .

رحبوا بي، وعرضوا عليَّ الطعام والشراب، فقلت: إني لم آت لشيءٍ من هذا، إنما جئتكم تخوفاً عليكم لأشير عليكم برأيي، يا بني قريظة! قد عرفتم ودي إياكم. . . إلخ ما في كلام المصنف. اهـ. حلبي[١].

قوله: (انتهزوها)؛ أي: اغتنموها، قاموس[٢]، وفي «المصباح»: انتهز الفرصة: شمر لها مبادراً[٣].

قوله: (بأن تأخذوا منهم رهائن. . .) إلخ؛ أي: ليكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه؛ أي: يقاتلوه. اهـ. حلبي[٤].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٩).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: نهز).

(٣) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: نهز).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٠).

فقالوا له: أيُرضيك أن نأخذ جمعاً من أشرافهم ونعطيهم لك، وتردّ جناحنا الذي كسرت ـ يريد: بني النضير ـ فرضي بذلك منهم. وها هم مرسلون إليكم، فاحذروهم، ولا تذكروا مما قلت لكم حرفاً.

ثم أتى غطفانَ، فأخبرهم بمثلِ ما أخبر به قريشاً، فأرسل أبو سفيان وفداً لقريظةَ يدعوهم للقتال غداً، فأجابوا: إنّا لا يمكننا أن نقاتل في السبت ـ وكان إرساله لهم ليلة السبت ـ ولم يُصِبنا ما أصابنا إلا من التعدّي فيه، ومع ذلك فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا إلى بلادكم، . . . .

قوله: (فقالوا له)؛ أي: قالت بنو قريظة لمحمد صلى الله عليه وسلم: أيرضيك. . . إلخ.

وقوله: (ونعطيهم لك)؛ أي: لتضرب أعناقهم.

وقوله: (وترد جناحنا الذي كسرت)؛ أي: ترجع بني النضير إلى ديارهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم: نعم، فإن بعثت إليكم يهود يطلبون منهم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم رجلاً واحداً، واحذروهم على أسراركم. اهـ. حلبي[1].

قوله: (فأرسل أبو سفيان وفداً): أرسل لهم عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز؛ أي: نقاتل محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه. اهـ. حلبي[2].

قوله: (ليلة سبت)؛ أي: في شوال كما في الخازن في تفسير سورة الأحزاب[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٠).

(٣) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤١٥).

فتحققت قريش وغطفان كلام نُعيم بن مسعود، وتفرقت القلوب، فخاف بعضُهم بعضاً، وكان عليه الصلاة والسلام قد ابتهل إلى الله الذي لا ملجأ إلا إليه، ودعاه بقوله: «اللهمّ مُنْزِلَ الكتاب، سريعَ الحساب، اهزم الأحزاب، اللهمّ اهزمْهم وانصرنا عليهم»[١].

قوله: (فتحققت قريش وغطفان. . .) إلخ؛ أي: ولم يردوا لهم جواباً، وجاء نعيم إلى بني قريظة، وقال لهم: كنت عند أبي سفيان، وقد جاءه رسولكم فقال: لو طلبوا مني عَناقاً ما دفعتها لهم، فاختلفت كلمتهم، وجاء حيي بن أخطب لبني قريظة، فلم يجد منهم موافقة له، وقالوا: لا نقاتل معهم حتى يضموا إلينا سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهناً عندنا. اهـ. حلبي[٢].

قوله: (وانصرنا عليهم)؛ أي: وزلزلهم كما في الحلبي نقلاً عن الصحيحين، قال: وقام في الناس فقال: «يا أيها الناس! لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإن لقيتم العدو فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[٣]؛ أي: السبب الموصل إلى الجنة عند الضرب بالسيف في سبيل الله تعالى.

ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله: «يا صريخ المكروبين! يا مجيب المضطرين! اكشف همي وغمي وكربي؛ فإنك ترى ما نزل بي وبأصحابي»[٤].

وقال له المسلمون: هل من شيء تقوله؛ فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال:

---

(١) رواه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، من حديث عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥١).

(٣) رواه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، من حديث عبدالله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٥٧).

وقد أجابَ الله دعاءه عليه الصلاة والسلام، فأرسل على الأعداء ريحاً باردة في ليلة مظلمة، فخاف العرب أن تتفق اليهود مع المسلمين، ويهجموا عليهم في الليلة المدلهمَّة، فأجَمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح. ولما سمع عليه الصلاة والسلام الضوضاء في جيش العدو، . . . .

«نعم، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا»[١].

فأتاه جبريل فبشره أن الله يرسل عليهم ريحاً وجنوداً، وأَعلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك، وصار يقول: «شكراً شكراً». اهـ. حلبي[٢].

قوله: (فأرسل الله عليهم ريحاً باردة. . .) إلخ: قال الحلبي: بعث الله تعالى ريحاً، فنقلت بيوتهم، وقطعت أطنابها، وكفأت قدورَهم على أفواهها، وصارت الريح تلقي الرجال على أمتعتهم، وأطفأت نيرانهم، وأرسل الله إليهم الملائكة زلزلتهم، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[الأحزاب: ٩]، ولم تقاتل الملائكة، بل نفثت في روعهم الرعب. اهـ[٣].

قوله: (ولما سمع عليه السلام الضوضاء. . .): إلخ لم أجد في الحلبية والدحلانية ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم سمع ذلك بنفسه، والذي في «سيرة ابن هشام»: فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم، وما فرق الله من جماعتهم؛ دعا حذيفةَ بنَ اليمان، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٤٨)، والخبر المذكور أورده القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ١٥٧).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥١).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ١٩٠).

قال لأصحابه: «لا بدّ من حادث، فمَن منكم ينظر لنا خبر القوم؟» فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً. وكان فيهم حُذيفة بن اليمان، فقال عليه الصلاة والسلام: «تسمع صوتي منذ الليلة ولا تجيب» فقال: يا رسول الله! البرد شديد، فقال: «اذهب في حاجة رسول الله، واكشف لنا خبر القوم»، فخاطر ـ رضي الله عنه ـ بنفسه في خدمة نبيِّه صلى الله عليه وسلم، حتى اطّلع على جليّة الخبر، . . . .

قوله: (فمن منكم ينظر خير القوم): تتمة الرواية كما في الحلبي: «ثم يرجع أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة»[1].

قوله: (فسكتوا)؛ أي: من شدة الخوف والجوع والبرد.

قوله: (فقال: يا رسول الله! البرد شديد) في الحلبي: فقلت: لا والذي بعثك بالحق! إن قدرت؛ أي: ما قدرت على ما بي من الجوع والبرد والخوف، فقال: «اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك، وعن يمينك وعن شمالك، حتى ترجع إلينا».

ثم قال: قال حذيفة: فمضيت كأني في حَمَّام، فلما وليت، دعاني فقال لي: «لا تُحدِثن شيئاً»، وفي رواية: «لا ترمِ بسهم ولا حجر، ولا تضربن بسيف حتى تأتيني»[2].

قوله: (على جَلِيَّة الخبر): ـ بفتح الجيم وكسر اللام وتشديد الياء ـ.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥١)، والحديث المذكور رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٢) من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٢)، والخبر المذكور رواه مسلم (١٧٨٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٦)، من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

وأن الأعداء عازمون على الرحلة[1].

هزيمة الأحزاب

وقد بلغ من خوفهم، أن كان رئيسهم أبو سفيان يقول لهم: ليتعرَّف كلٌّ منكم أخاه، وليمسكْ بيده حذراً من أن يدخل بينكم عدو، وقد حلّ عقَالَ بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل، . . . .

في «القاموس»: الجليّ؛ كغَنيّ: الواضح[2].

هزيمة الأحزاب

قوله: (كان رئيسهم أبو سفيان يقول. . .) إلخ: سمع هذا الكلام منه حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ، وتفصيل ذلك كما روي عنه قال: جئت إليهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناءً، فدخلت في غمارهم، فسمعت أبا سفيان يقول: يا معشر قريش! ليعرف كل امرئ جليسه، واحذروا الجواسيس والعيون، فأخذت بيد جليس لي على يميني وقلت: من أنت؟ قال معاوية بن أبي سفيان، وقبضت بيدي على من إلى يساري وقلت: من أنت؟ قال عمرو بن العاص، فعلت ذلك خشية أن يفطن بي، فقال أبو سفيان: يا معشر قريش! والله! إنكم لستم بدار إقامة، وقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، فارتحلوا فإني مرتحل، ووثب على جمله، فما حل عقاله إلا وهو قائم؛ أي: فإنه لما ركبه كان معقولاً، فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله، فقال له

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٢٨٩)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٢)، وخبر حذيفة ـ رضي الله عنه ـ رواه مسلم (١٧٨٨) من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: جلي).

فقال له صفوان بن أمية: إنَّك رئيس القوم، فلا تتركهم وتمضي، فنزل أبو سفيان وأذن بالرحيل، وترك خالدَ بنَ الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم، وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمّة التي تحزّب فيها الأحزاب من عرب ويهود على المسلمين، ولولا لطفُ الله وعنايتهُ بهذا الدين مِنَّةً منه وفضلاً، لساءت الحال[1].

عكرمة بن أبي جهل: إنك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس؟! فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل يقوده ويقول: ارحلوا، فجعل الناس يرحلون وهو قائم. اهـ. حلبي ودحلاني[2].

قوله: (فقال له صفوان بن أمية): الصواب: عكرمةُ بن أبي جهل؛ كما قدمناه آنفاً عن الحلبي والدحلاني[3].

قوله: (وترك خالد بن الوليد)؛ أي: وعمرو بن العاص أيضاً، ففي الحلبي والدحلاني: أن أبا سفيان بعد أن صار يقول للناس: ارحلوا، قال لعمرو بن العاص: تقيم في جريدة من الخيل بإزاء محمد وأصحابه، فإنا لا نأمن من أن نطلب، فقال عمرو: أنا أقيم، وقال لخالد بن الوليد: ما ترى يا أبا سليمان؟ فقال: أنا أيضاً أقيم، فأقام عمرو وخالد في مئتي فارس، وسار جميع العسكر، قال حذيفة ـ رضي الله عنه ـ: ولولا عهدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إليَّ حين بعثني أن لا أحدِث شيئاً، لقتلته ـ يعني: أبا سفيان ـ بسهم، وسمعت غطفان بما فعلت

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٢٨٩)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٢ ـ ٦٥٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٢٨ ـ ١٢٩).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٢٩).

وكان جلاء الأحزاب في ذي القعدة، وكان حقّاً على الله أن يسمّيه نعمة بقوله في سورة الأحزاب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ . . . . .

قريش، فاشتدوا راجعين إلى بلادهم.

قال حذيفة: ثم أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فوجدته قائماً يصلي، فخبرته، فحمِد الله تعالى وأثنى عليه[1].

قوله: (وكان جلاء الأحزاب في ذي القعدة): قال الحلبي: هو قول ابن سعد، وقيل: كان في شوال، وكان ذلك سنة خمس؛ أي: كما قاله الجمهور، قال الذهبي: وهو المقطوع به، وقال ابن القيم: إنه الأصح[2]، وقال الحافظ ابن حجر: هو المعتمد. اهـ[3].

قوله تعالى: (﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾): يعني: الأحزاب، وهم: قريش، وغطفان، ويهود قريظة والنضير.

وقوله: (﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾) يعني: الملائكة، ولم تقاتل الملائكة يومئذ، بل كبرت في جوانب العسكر، فقال طليحة بن خويلد الأسدي: أما محمد فقد بدأكم بالسحر، فالنجاءَ النجاءَ، فانهزموا من غير قتال.

(﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾): من التحصن بالخندق، والثبات على معاونة النبي صلى الله عليه سلم (﴿بَصِيرًا﴾) رائياً.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٢٩)، والخبر المذكور أورده ابن عبد البر في «الدرر» (ص: ١٧٧).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٦٩).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٤). وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (٧/ ٣٩٣).

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ﴾ ....

(﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾): من أعلى الوادي من قِبل المشرق بنو غطفان.

(﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾): من أسفل الوادي من قِبل المغرب قريش.

(﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾): مالت عن مستوى بصرها حيرة وشخوصاً.

(﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾): الأنواع من الظن، فظن المخلصون الثبت القلوب أن الله منجز وعده في إعلاء دينه، أو ممتحنهم، فخافوا الزلل، وضعف الاحتمال، والضعاف القلوب والمنافقون ما حكي عنهم، والألف مزيدة في أمثاله تشبيهاً للفواصل بالقوافي.

(﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾): اختُبروا، فظهر المؤمن من المنافق، والثابت من المتزلزل.

(﴿وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾) من شدة الفزع.

(﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾)؛ أي: ضعف اعتقاد.

(﴿إِلَّا غُرُورًا﴾): وعداً باطلاً.

(﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾)؛ أي: لا موضعَ قيامٍ لكم هاهنا.

(﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾): إلى منازلكم هاربين.

(﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾): غير حَصينة، وأصلُها الخَلَل، يقال: عور المكان: إذا بدا منه خلل يُخاف منه العدو والسارق، وقد كذبهم الله تعالى بقوله: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ﴾، بل هي حصينة.

﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١٣][1].

غزوة بني قُرَيْظة

ولما رجع عليه الصلاة والسلام بأصحابه، وأراد أن يخلع لباس الحرب، أمره الله باللحوق ببني قريظة، حتى يطهِّر أرضه من قوم لم تعد تنفع معهم العهود، ولا تربطهم المواثيق، ولا يأمن المسلمون جانبهم في شدة، . . . .

(﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾): وما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال. اهـ. بيضاوي ونسفي[2].

غزوة بني قريظة

قوله: (وأراد أن يخلع لباس الحرب. . .) إلخ: هذا سهو، والصواب: أنه خلع ذلك، قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمين، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر، أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أوقد وضعتَ السلاحَ يا رسول الله؟ قال: «نعم»، قال جبريل: فما وضعت الملائكةُ السلاح بعدُ، وما رجعتُ إلا من طلب القوم، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزِلٌ بهم. اهـ. ملخصاً[3].

وعبارة ابن القيم في «زاد المعاد»[4]، وكذا الحلبي والدحلاني صريحة أيضاً في أنهم كانوا قد وضعوا سلاحهم، وحينما أتى جبريل كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل في بيت عائشة، وقيل: في بيت زينبَ بنتِ جحش؛ كما بسطه الحلبي

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٢٨ ـ ٦٤١).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، و«تفسير النسفي» (٣/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ١٩٢).

(٤) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٧٤).

فقال لأصحابه: «لا يُصَلِّيَنَّ أحد منكم العصر إلا في بني قريظة»، فساروا مسرعين، وتبعهم عليه الصلاة والسلام راكباً على حماره، ولواؤه بيد علي ابن أبي طالب، وخليفته على المدينة عبدُالله بنُ أم مكتوم، وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف، وقد أدرك جماعة من الأصحاب صلاة العصر في الطريق، . . . .

والدحلاني(١)، ولا يغتسل إلا من وضعَ جميع أثوابه.

قوله: (لا يصلين أحد منكم العصر. . .) إلخ: في الحلبي: لما أمر صلى الله عليه وسلم بالإسراع إلى بني قريظة، أبرز مؤذناً ـ وهو بلال ـ، فأذن في الناس: «من كان سامعاً مطيعاً، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»(٢)، وفي رواية: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً: «يا خيل الله اركبي»(٣)؛ أي: يا فرسانَ خيل الله، ثم سار إليهم، قال: وقد لبس صلى الله عليه وسلم السلاح: الدرع والمِغْفَرَ والبيضة، وأخذ قناة بيده الشريفة، وتقلد السيف، وركب اللُّحيف، وقيل: ركب حماراً ـ وهو اليعفور ـ عرياناً، والناس حوله قد لبسوا السلاح، وركبوا الخيل، وهم ثلاثة آلاف، والخيل ستة وثلاثون فرساً.

ثم قال: ومر صلى الله عليه وسلم بثغر من بني النجار قد لبسوا السلاح، فقال: «هل مر بكم أحد»، قالوا: نعم، دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء ـ وفي رواية: على فرس أبيض ـ عليه اللأمة، وأمرنا بحمل السلاح، وقال لنا: رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلُع عليكم الآن، فلبسنا سلاحنا، وصففنا، فقال رسول الله

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٣٣).

(٢) رواه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠)، من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) أورده ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٤١٣)، وعزاه ابن عائذ عن قتادة.

فصلاّها بعضهم حاملين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم صلاتها على قصد السرعة، ولم يصلِّها الآخرون إلا في بني قريظة بعد مضيٍّ وقتها حاملين الأمر على حقيقته، فلم يُعنِّف فريقاً منهم.

صلى الله عليه وسلم: «ذاك جبريلُ عليه السلام بُعث إلى بني قريظة ليزلزل حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم». اهـ[1].

قوله: (فصلاها بعضهم...) إلخ: قال ابن القيم في «زاد المعاد»: إنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ: «لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة»[2]، فبادروا إلى امتثال أمره، ونهضوا من فورهم، فأدركتهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصليها إلا في بني قريظة كما أمرنا، فصلوها بعد عشاء الآخرة، وقال بعضهم: لم يرد منا ذلك، وإنما أراد سرعة الخروج، فصلوها في الطريق، فلم يعنف واحدةً من الطائفتين.

واختلف الفقهاء: أيهما أصوب؟ فقالت طائفة: الذين أخروها هم المصيبون، ولو كنا معهم، لأخرناها كما أخروها، ولما صليناها إلا في بني قريظة؛ امتثالاً لأمره، وتركاً للتأويل المخالف للظاهر.

وقالت طائفة أخرى: بل الذين صلوها في الطريق في وقتها حازوا قَصَبَ السبق وكانوا أسعدَ بالفضيلتين، فإنهم بادروا إلى امتثال أمره في الخروج، وبادروا إلى مرضاته في الصلاة في وقتها، ثم بادروا إلى اللحاق بالقوم، فحازوا فضيلة الجهاد، وفضيلةَ الصلاة في وقتها، وفهموا ما يراد منهم، وكانوا أفقه من الآخرين، ولا سيما تلك الصلاة؛ فإنها كانت صلاة العصر، وهي الصلاة الوسطى بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيح الصريح الذي لا مدفع له ولا مطعن

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٩)، والخبر المذكور أورده عبد الرزاق في «مصنفه» (٩٧٣٧)، وابن هشام في «السيرة النبوية» (٤/ ١٩٣).

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

فيه[١]، ومجيء السنة بالمحافظة عليها، والمبادرة إليها، والتبكير بها، وأن من فاتته فقدُ وتِرَ أهلهَ وماله[٢]، أو قد حبط عمله[٣]، فالذي جاء فيها أمر [لم][٤] يجيء مثلُه في غيرها.

وأما المؤخرون لها، فغايتهم أنهم معذورون، بل مأجورون أجراً واحداً؛ لتمسكهم بظاهر النصوص، وقصدِهم امتثالَ الأمر، وأما أن يكونوا هم المصيبين في نفس الأمر، ومن بادر إلى الصلاة وإلى الجهاد مخطئاً؛ فحاشا وكلاَّ.

والذين صلوا في الطريق جمعوا بين الأدلة، وحصلوا الفضيلتين، فلهم أجران، والآخرون مأجورون أيضاً ـ رضي الله عنهم ـ. اهـ[٥].

قوله: (ولما رأى بنو قريظة. . .) إلخ: قال ابن هشام: لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة، نزل على بئر من آبارها يقال لها: بئر أُنا، أو أَنَّى. اهـ[٦].

قال في الذيل نقلاً عن «القاموس»: أُنا؛ كهُنا، أو كحَتَّى، أو بكسر النون المشددة: بئر بالمدينة لبني قريظة، وواد بطريق حاج مصر. اهـ[٧].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٩٦)، ومسلم (٦٢٧)، من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) رواه البخاري (٥٥٣)، من حديث بريدة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) ما بين معكوفتين من «زاد المعاد».

(٥) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ١٣٠ ـ ١٣١).

(٦) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ١٩٣).

(٧) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: أني).

قوله: (وأرادوا التنصل من فعلتهم. . .) إلخ: لم أجد ما يفيد ذلك في ابن هشام و«زاد المعاد» والحلبي والدحلاني، وهم إنما تنصلوا من شيء آخر، وهو كما في الحلبية والدحلاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدَّم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ برايته إلى بني قريظة، فلما دنا عليٌّ ـ كرم الله وجهه ـ من الحصن، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، وغرزَ اللواءَ عند أصل الحصن؛ سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم وحقِّ أزواجِه، فسكت المسلمون وقالوا: السيف بيننا وبينكم.

فلما رأى عليٌّ ـ كرم الله وجهه ـ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً؛ أمر أبا قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن يلزم اللواء، ورجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! لا عليك أن تدنو من هؤلاء الأخابث، قال: «لعلك سمعت منهم لي أذى»، قال: نعم يا رسول الله، قال: «لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً».

فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال: «يا إخوان القردة! هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟!»، وفي رواية: نادى بأعلى صوته نفراً من أشرافهم حتى أسمعهم، وقال: «أجيبوا يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت: هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟! أتشتموني؟»، فجعلوا يحلفون ويقولون: ما قلنا، ويقولون: يا أبا القاسم! ما كنت جهولاً، وفي لفظ: ما كنت فاحشاً. اهـ[1].

فتبين أنهم إنما تنصلوا من شتمه صلى الله عليه وسلم لا من نقضهم العهد.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، والخبر المذكور أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (٤/ ١٩٣) عن ابن إسحاق.

وهي الغدر بمن عاهدوهم وقت الشغل بعدو آخر، ولكن أنَّى لهم ذلك وقد ثبت للمسلمين غدرُهم؟ فلما رأوا ذلك، تحصنوا بحصونهم، وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة، فلما رأوا أن لا مناص من الحرب، وأنهم إن استمروا على ذلك ماتوا جوعاً، طلبوا من المسلمين أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالأموال وترك السلاح، فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم، فطلبوا أن يجلوا بأنفسهم من غير مال ولا سلاح، فلم يرض أيضاً، بل قال: لا بدّ من النزول والرضا بما يحكم عليهم، خيراً كان أو شرًّا، فقالوا له: أرسل لنا أبا لُبابة نستشيره، وكان أوسيًّا من حُلفاء بني قريظة، له بينهم أولاد وأموال، فلما توجه إليهم، استشاروه في النزول على حكم الرسول، فقال لهم: انزلوا. . . . .

قوله: (طلبوا من المسلمين. . .) إلخ: كان الرسول نباشَ بنَ قيس.

قوله: (من غير سلاح)؛ أي: ولا مال، وعبارة الحلبي والدحلاني: فأرسلوا له ثانياً بأنهم لا حاجة لهم بشيء من الأموال، لا من الحلقة ولا من غيرها، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكمه، فعاد نباشٌ إليهم بذلك. اهـ[1].

قوله: (أبا لبابة): اسمه: رفاعة بن المنذر الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: (فقال لهم: انزلوا. . .) إلخ: سبب هذه الزلة منه ـ رضي الله عنه ـ أنه لما وصل إلى بني قريظة، قام إليه الرجال، وجهش ـ أي: أسرع ـ إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت ما لهم، فَرَقَّ لهم، وقالوا: يا أبا لبابة! أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٦٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٣٧)، وفيه: «شاس» بدل «نباش».

وأومأ بيده إلى حلقه، يريد: أن الحكمَ الذبْح، ويقول أبو لبابة: لم أبارح موقفي حتى علمتُ أني خنتُ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فنزل من عندهم قاصداً المدينة خجِلاً من مقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وربط نفسه في سارية من سواري المسجد حتى يقضي الله فيه أمره. ولما سأل عنه عليه الصلاة والسلام، أُخبر بما فعل، فقال: «أما لو جاءني لاستغفرت له، أما وقد فعل ما فعل، فنتركه حتى يقضي الله فيه»[١].

ثم إن بني قريظة لما لم يروا بُدّاً من النزول على حكم رسول الله، فعلوا، فأمر برجالهم فكُتِّفوا، فجاءه رجال من الأوس، وسألوه أن يعاملهم كما عامل بني قينقاع حلفاءَ إخوانهم الخزرج، . . . .

حلقه؛ أي: أنه الذبح[٢].

قوله: (وربط نفسه): في الحلبي: لما ربط نفسه قال: والله**!** لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت، أو يتوب الله عليَّ مما صنعت، وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبداً، ولا يُرى في بلد خان الله ورسوله فيه أبداً. اهـ. حلبي[٣].

قوله: (فأمر برجالهم فكتفوا): قال الدحلاني: كانوا ست مئة، وقيل: سبع مئة وخمسين مقاتلاً، وقيل: كانوا بين الثماني مئة والسبع مئة، وأخرج النساء والذراري من الحصون، وجعلوا ناحية، وكانوا ألفاً، واستعمل عليهم عبدالله بن سلام[٤].

قوله: (أن يعاملهم كما عامل بني قينقاع)؛ أي: حيث إنهم نزلوا على

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٥٢) عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٦٣).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٦٤).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٣٩).

فقال لهم: ألا يرضيكم أن يحكم فيهم رجل منكم؟ فقالوا: نعم. واختاروا سيدَهم سعدَ بنَ معاذ الذي كان جريحاً من السهم الذي أُصيب به في الخندق، وكان مقيماً بخيمة في المسجد معدّةٍ لمعالجة الجرحى، فأرسل عليه الصلاة والسلام مَنْ يأتي به، فحملوه على حماره، والتفّ عليه جماعة من الأوس يقولون له: أحسن في مواليك، ألا ترى ما فعل ابن أُبَيّ في مواليه؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ: لقد آن لسعد. . . . .

حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كلمه فيهم عبدُالله بن أبي ابنُ سلول، فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم. اهـ. دحلاني[1].

قوله: (بخيمة في المسجد)؛ أي: عند امرأة من أسلم يقال لها: رفيدة، كانت لها خيمة في المسجد.

وفي ابن هشام: أنها كانت تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. اهـ[2].

قوله: (أحسن في مواليك): المولى: يطلق على المالك والعبد، قال الشاعر:

ولن يستوي سادةٌ وعبيدُهم على أن أسماء الجميع موالي[3]

ويطلق على معان أُخر ذكرها في «القاموس»، منها: الحليف[4]، وهو المراد هنا.

قوله: (لقد آن لسعد. . .) إلخ: قال ذلك لما أكثروا عليه القول، ولما قاله

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٣٩).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ١٩٩).

(٣) أورده الدمياطي في «إعانة الطالبين» (٤/ ٣٢٣)، ولم يُسمِّ قائله.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: ولي).

ألّا تأخذه في الله لومةُ لائم[١].

ولما أقبل على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم جلوس، قال عليه الصلاة والسلام: «قوموا إلى سيّدكم فأنزِلوه»، ففعلوا، وقالوا له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاّك أمر مواليك لتحكم فيهم. وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: «احكم فيهم يا سعد»، فالتفت سعد للناحية التي ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: عليكم عهدُ الله وميثاقه أن الحكم كما حكمت؟ فقالوا: نعم، فالتفت إلى الجهة التي فيها الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: وعلى مَنْ هنا كذلك؟ ـ وهو غاضٌّ طرفهَ إجلالاً ـ، فقالوا: نعم، فقال: فإني أحكم أن تقتلوا الرجال، وتَسْبوا النساء والذرية، ....

قال بعضهم: وا قوماه. اهـ. دحلاني[٢].

قوله: (احكم فيهم يا سعد): لما قال له ذلك، قال: الله ورسوله أحقُّ بالحكم، قال: «قد أمرك الله أن تحكم فيهم»[٣].

قوله: (التي ليس فيها رسول الله)؛ أي: إلى بني قريظة.

قوله: (وتسبى النساء والذرية)؛ أي: وأن تكون الديار للمهاجرين دون الأنصار؛ كما في رواية: فقالت الأنصار: لنا معهم ـ أي: حصة ـ، فقال: إني أحببت أن يستغنوا عنكم[٤].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٦٥).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٠).

(٣) أورده ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٤١٢)، عزاه لابن عائذ عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٧) عن حميد بن هلال.

فقال عليه الصلاة والسلام: «لقد حكمتَ فيهم بحكم الله»[1]؛ لأن هذا جـزاءُ الخائن الغادر. ثم أمر بتنفيذ الحكم، فنفذ عليهم، وجُمعت غنائمهم، . . . .

قوله: (حكمتَ فيهم بحكم الله) قال الدحلاني: وفي رواية: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات»[2]، «فقد طرقني بذلك المَلَـك سَـحَراً». اهـ[3].

قوله: (فنفذ فيهم): تفصيل ذلك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمـر بالأسارى أن يكونوا في دار أسامة بن زيد، والنسـاء والذريـة فـي دار بنـت الحـارث النجارية، ثم غدا صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ثـم خـرج إلـى سـوق المدينـة، فخندق فيها خنادق؛ أي حفر فيها حفائر، ثـم جلس صـلى الله عليـه وسـلم ومعـه أصحابه، ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته، فبعث إليهم فجـاؤوا أرسـالاً تُضـرب أعناقهُم، ويلقـون في تلك الخنادق، وقـد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد: يا كعب! ما ترى ما يصنع بنا؟ قال: أنتم في كل موطن لا تعقلون، ألا تـرون أنـه من ذهب منكم لا يرجع، هو والله القتل، وقد دعوتكم إلى غير هذا، فـأبيتم علـيَّ، قالوا: ليس حين عتاب. اهـ.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤٣، ٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨)، من حديث أبي سعيد الخـدري ـ رضي الله عنه ـ مختصراً، وانظر: «المواهب اللدنية» للقسـطلاني (١/ ٢٩٨)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٦٦).

(٢) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» للهيثمي (٦٩٣)، من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢٥٧٠) بنحوه.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحـلان (٢/ ١٤٠)، والروايـة المـذكورة رواها أبو جعفر بن البختري كما في «مجموع فيـه مصـنفاته» (٣٩٨/ ١٥٣) مـن حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

فكانت ألفاً وخمس مئة سيف، وثلاث مئة درع، وألفي رمح، وخمس مئة ترس وحَجَفَةٍ، ووجد أثاثاً كثيراً، وآنية، وأَجمالاً نواضحَ، وشياهاً، فخمَّس ذلك كله مع النخل والسبي، للراجل ثلثُ الفارس، وأعطى النساء اللاتي يُمرضن الجرحى، ووجد في الغنيمة جِرار خمر فأُريقت. وبعد تمام هذا الأمر انفجر جرحُ سعد بن معاذ، فمات ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ. كان في الأنصار كأبي بكر في المهاجرين. . . . .

وقد أشار بقوله: (قد دعوتكم إلى غير هذا)، وهو نصيحته لهم بمتابعتهم له صلى الله عليه وسلم وتصديقهم له، فلم يسمعوا منه، وقد بسط ذلك الحلبي[1].

قوله: (وجحفة)[2]: صوابه: حَجَفة ـ بتقديم الحاء على الجيم ـ، وهي كما في «القاموس»: التروس من جلود بلا خشب ولا عقب[3].

قوله: (نواضح)؛ أي: يسقى عليها الماء.

قوله: (ثلث الفارس)؛ أي: أن للفرس سهمين، ولصاحبه سهماً، وقد كان معهم ست وثلاثون فرساً.

قوله: (وأعطى النساء اللاتي. . .) إلخ: قال الحلبي: ورضخ للنساء اللاتي حضرن القتال، وهن: صفيةُ عمتُه صلى الله عليه وسلم، وأم عمارة، وأم سليط، وأم العلاء، والسميراء بنت قيس، وأم سعد بن معاذ، وكبشة بنت رافع، ولم يسهم لهن. اهـ[4].

قوله: (وبعد تمام هذا الأمر انفجر جرح سعد): قال الدحلاني: إن الله

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٦٧).

(٢) كذا في الأصل، وقد تم التصويب في المتن المثبت في أعلى الصفحة.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حجف).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٦٦ ـ ٦٦٧).

وقد كان له العزم الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندقَ، وكان عليه الصلاة والسلام يحبه كثيراً، وبشّره بالجنة على عظيم أعماله.

وعقب رجوع المسلمين إلى المدينة تاب الله على أبي لُبابة بقوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢][1].

أقر عيني سعد بن معاذ بقتل بني قريظة. فإنه سأل الله لما أصيب بالسهم في الخندق، وقال: اللهم لا تُمِتني حتى تقرَّ عيني من بني قريظة، فاستجاب الله دعوته، وكان جرحه قارب البرء، فدعا الله وقال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحبّ إليّ أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك، وأخرجوه من وطنه، اللهم إني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان قد بقي من حرب قريش شيء، فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فافجرها ـ أي: الجراح ـ واجعل موتي فيها، فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك، فمات منها[2].

وفي رواية: أن عنزاً مرت به وهو مضطجع، فأصابت الجرح بظلفها، فانفجرت جراحته، وسال الدم حتى مات. اهـ. دحلاني باختصار[3].

قوله: (تاب الله على أبي لبابة) قال في الدحلانية: مكث أبو لبابة ـ رضي الله عنه ـ مربوطاً ست ليال لا يذوق طعاماً ولا شراباً، وتأتيه امرأته فتحله للصلاة،

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٥٧ ـ ٦٧٦).

(٢) رواه البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بنحوه.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، والرواية المذكورة رواها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٧٧) عن حميد بن هلال.

وبتمام هذه الغزوة أراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة، ولم يبقَ إلا بقية من كبارهم بخيبر وأهلها، وهم الذين كانوا السبب في إثارة الأحزاب. وسيأتي للقارئ قريباً اليوم الذي يعاقَبون فيه.

زواج زينب بنت جحش

وفي هذا العام تزوج عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش ـ وأمها أُميمة عمتُه ـ بعد أن طلقها مولاه زيد بنُ حارثةَ. وكان من أمر زواجها لزيد: أن الرسول صلى الله عليه وسلم خطبها له، فتأففَ أهلها من ذلك؛ لمكانها في الشرف العظيم؛ فإن العرب كانوا يكرهون تزويج بناتهم من الموالي، ويعتقدون أن لا كفؤ مِنْ سواهم لبناتهم، . . . .

ثم يعود فتربطه بالجذع ـ وقيل: مكث مربوطاً بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة، ثم يأمرهم بإعادة الربط، حتى خر مغشيّاً عليه ـ ، ثم أنزل الله توبته على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ . . .﴾ إلخ [التوبة: ١٠٢] الآية، فأطلق حينئذ[1].

زواج زينب بنت جحش

قوله: (وكان من أمر زواجها لزيد. . .) إلخ: زيد بن حارثة كان اشتراه صلى الله عليه وسلم بعكاظ في الجاهلية، وأعتقه وتبناه.

قال الحلبي: إن زيداً لما أراد أن يتزوج زينب، جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله! اخطب عليَّ، قال: «من؟» قال: زينب بنت جحش، قال: «لا أراها تفعل، إنها أكرم من ذلك نفساً»، فقال: يا رسول الله! إذا كلمتها

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٣٨)، والخبر المذكور أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (٤/ ١٩٧) عن بعض أهل العلم.

وزيد ـ وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم تبناه ـ ولكـن هـذا لا يُلْحِقـه بالأشراف، فلما نزل قوله تعالى في سـورة الأحـزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ . . . .

أنت، وقلتَ: زيد أكرمُ الناس عليَّ، فعلَتْ، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنها امرأة لسناء»[1]، فذهب زيد ـ رضي الله عنه ـ إلى عليّ ـ كرم الله وجهه ـ، فحمله أن يكلـم له النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلق معـه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكلمـه، فقال: «إني فاعل ذلك، ومرسلُك يا عليُّ إلى أهلهـا فـتكلمهم»[2]، ففعـل، ثـم عاد يخبره[3] بكراهتها وكراهة أخيها لذلك[4].

قـال فـي الخـازن: فـأنزل الله تعـالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ إلـخ [الأحزاب: ٣٦] الآية، فلما سمعت زينب وأخوها، رضيا وسلما، وجعلت أمرهـا بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنكحها زيـداً، ودخـل بهـا، وسـاق إليهـا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهمـاً، وخمـاراً، ودرعـاً، وملحفة، وخمسين مدًّا من الطعام، وثلاثين صاعاً من تمر[5].

قال الحلبي: أعطاه ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأولم عليهـا، وأطعم المساكين خبزاً ولحماً[6].

قوله تعالى: (﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾) إلخ: قال الفخر الرازي: الوجه

---

(١) في «السيرة الحلبية» (٢/ ٤٨٣): أي: فصيحة، وفي «تفسير مقاتل بن سـليمان» (٣/ ٤٧): «حسناء» بدل «لسناء».

(٢) أورده مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٧).

(٣) في الأصل: «بأمره»، والتصويب من «السيرة الحلبية».

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤، ٣/ ٤١١).

(٥) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤٢٧).

(٦) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤١٢).

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦] **لم يروا بُدًّا من القبول، فلما دخل عليها زيد، أَرَتْهُ من كبريائها وعظمتها ما لم يتحمله، فاشتكاها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمره باحتمالها، والصبر عليها إلى أن ضاقت نفسه، فأخبره بالعزم على طلاقها، وقرر ذلك، ولما كانت العِشْرَةُ بين مثل هذين الزوجين ضرباً من العبث، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج زينب بعد طلاقها؛ حسماً لهذا الشقاق من جهة، وحفظاً لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولًى من جهة أخرى، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم خشي من لوم اليهود والعرب له في زواجه بزواج ابنه، فقال لزيد: «﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾»[1]، وأخفى في نفسه ما أبداه الله، فَبَتَّ الله حكمه بإبطال هذه القاعدة، وهي: تحريمُ زوج المتبنَّى بقوله في سورة الأحزاب: . . . .**

أن يقال: إن الله تعالى لما أمر نبيه بأن يقول لزوجاته: إنهن مخيرات؛ فهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير، فمن كان ميله إلى شيء يمكِّنه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، ويترك النبي عليه السلام حق نفسه لحظ غيره، فقال في هذه الآية: لا ينبغي أن يظن ظانٌّ أن هوى نفسه متبعه، وأن زمام الاختيار بيد الإنسان كما في الزوجات، بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله، فما أراد الله هو المتبع، وما أراد النبي هو الحق، ومن خالفهما في شيء، فقد ضل ضلالاً مبيناً؛ لأن الله هو المقصد، والنبي هو الهادي الموصل، فمن ترك المقصد، ولم يسمع قول الهادي، فهو ضال قطعاً. اهـ[2].

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (٢/ ٣٣١ ـ ٣٣٢)، و«الشفا» للقاضي عياض (٢/ ١٨٩)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٤٨٤ ـ ٤٨٥).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٢٥/ ١٨٣).

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب: ٣٧]. **ثم إن الله حرم التبني على المسلمين؛ لما فيه من الأضرار، وأنزل فيه في سورة الأحزاب: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ . . . .**

قوله: (﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾)؛ أي: حاجة؛ بحيث ملها، ولم يبق له فيها حاجة، وطلقها، وانقضت عدتها.

وقيل: الوطر كناية عن الطلاق.

(﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾)؛ أي: أمر بتزويجها منه، أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد، ويؤيده: أنها كانت تقول لسائر [نساء][1] النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله تولى نكاحي، وأنتن زَوَّجكن أولياؤكن[2].

(﴿أَدْعِيَآئِهِمْ﴾): جمع الدعيّ، وهو المتبَنَّى.

قوله تعالى: (﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ . . .﴾) إلخ الآية: قال الخازن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب، قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[الأحزاب: ٤٠]؛ يعني: زيدَ بنَ حارثة، والمعنى: أنه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الطهر والنكاح. اهـ[3].

وقوله: (﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾): قال ابن عباس: يريد: لو لم أختم به النبيين، لجعلت له ابناً يكون بعده نبياً[4].

---

(١) ما بين معكوفتين من «تفسير الخازن» (٤/ ٣٧٧).

(٢) رواه البخاري (٧٤٢٠).

(٣) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤٢٩).

(٤) أورده الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٢٩).

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[الأحزاب: ٤٠]. ومن هذا الحين صار اسم زيد: زيدَ ابنَ حارثة بدل زيد بن محمد، وأبدل بذلك أن ذكر اسمه في القرآن يُتلى على مرِّ الدهور والأعوام[١].

يقول المؤرخون وذوو المقاصد السافلة منهم في هذه القصة أقوالاً لا تجوز إلا ممّن ضاع رشده، ولم يفْقَه حقيقة ما يقول؛ فإنهم يذكرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم توجه يوماً لزيارة زيد، فرأى زوجه مصادَفَةً؛ لأن الريح رفعت الستر عنها، فوقعت في قلبه، فقال: سبحان الله! فلما جاء زوجها، ذكرت له ذلك، فرأى من الواجب عليه فراقها، فتوجه وأخبر الرسول بعزمه، فنهاه عن ذلك... إلخ.

وعن ابن عباس قال: إن الله لما حكم أن لا نبيَّ بعدَه، لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً[٢].

وقوله: (﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾)؛ أي: دخل في علمه أنه لا نبي بعده.

قوله: (فإنهم يذكرون...) إلخ: تفصيل ما قيل في هذه القصة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد، مكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيداً ذات يوم لحاجة، فأبصر زينب في درع وخمار، وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش، وقعت في نفسه، وأعجبه حسنها، فقال: «سبحان الله مقلبِ القلوب»، وانصرف، فلما جاء زيد، ذكرتْ له ذلك، ففطن زيد، وأُلقي في نفسه كراهيتها في الوقت، وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال له: ما لك؟ أرابك منها شيء؟ قال: لا والله يا رسول الله! ما رأيت منها إلا خيراً، ولكنها تتعظم

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤١٢).

(٢) أورده الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٢٩).

. . . .

عليّ بشرفها، وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرك». اهـ. خازن[1].

ومثله في النسفي وغيره[2]، وقول المؤلف قبل ذلك: (ويقول جهال المؤرخين. . .) إلخ: الظاهر أنه عنى بهم كُتاب الإفرنج ومن حذا حذوَهم من ذوي المقاصد السافلة الذين جعلوا هذه القصة وسيلة للطعن ـ والعياذ بالله ـ في حضرة صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، وأما المفسرون المسلمون، فلم يكن لهم بذلك مقصد سافل، وقد صرحوا بأنه على فرض صحة هذه القصة[3] أن مثل ذلك لا يقدح في حال الأنبياء، مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء، وأنه رآها فجأة فاستحسنها، ومثل هذا لا نُكْرة فيه؛ لما طُبع عليه البشر من استحسان الحسن، ونظرة الفجأة معفوٌّ عنها ما لم يقصد مأثماً؛

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤٢٧)، والخبر المذكور أورده مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٧)، والثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٧) بلا إسناد، وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٤): «ذكره الثعلبي بغير إسناد، وأخرج الطبري معناه من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله»، والرواية التي أشار إليها ابن حجر رواها الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٣)، وهذه الرواية شديدة الضعف؛ لوجود علتين:

الأولى: أن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف؛ كما ذكر ابن حجر في «تقريب التهذيب» (ص: ٣٤٠).

والثانية: أن الرواية من قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، هو من أتباع التابعين، توفي سنة (١٨٢هـ)، ولم يذكر الواسطة التي روى عنها الخبر.

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٣٠٦).

(٣) العبارة للخازن.

وهذا مما يكذبه: أن نساء العرب لم تكن قبل ذلك تعرف ستر الوجوه، وزينب بنتُ عمته أسلمتْ قديماً ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة، فكيف لم يرها، وقد مضى على إسلامها نحو عشر سنوات، وهي بنت عمته، إلا حينما رفعت الريح الستر مصادفة، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم هو الذي زوجها زيداً؟! فلو كان له فيها رغبةُ حبّ أو عشق، لتزوجها هو، ولا مانع يمنعه من ذلك.

لأن الودَّ وميلَ النفس من طبع البشر[1].

قوله: (وهذا ما يكذبه: أن نساء العرب. . .) إلخ: للخازن تحقيقات بديعة وبحثٌ نفيس في هذه القصة، ويظهر أن ما كتبه المصنف هنا إنما استفاده من هذه التحقيقات، ونحن نذكر ما ذكره الخازن، وإن كان فيه طول؛ لما فيه من زيادة الفوائد على ما ذكره المصنف.

قال الخازن: فإن قلت: ما ذكروه في تفسير هذه الآية وسببِ نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما رآها، وإرادته طلاق زيد لها، فيه أعظمُ الحرج، وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم من مَدِّ عينيه لما نُهي عنه من زهرة الحياة الدنيا.

قلت: هذا إقدام عظيم من قائله، وقلةُ معرفة بحقِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم وبفضلهِ، وكيف يقال: (رآها فأعجبته) وهي بنت عمته، ولم يزل يراها منذ ولدت، ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم، وهو زَوَّجها لزيد، فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيداً بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها؛ كما ذُكر عن جماعة من المفسرين.

وأصحُّ ما في هذا الباب: ما روي عن سفيان بن عيينة عن عليِّ بنِ زيد بن

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤٢٨).

. . . .

جدعان قال: سألني زين العابدين علي بن الحسين قال: ما يقول الحسن في قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]؟ قلت: يقول: لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني أريد أن أطلق زينب؛ أعجبه ذلك، وقال: «أمسك عليك زوجك؛ واتق الله».

فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، فإن الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه، وأن زيداً سيطلقها، فلما جاء زيد قال: إني أريد أن أطلقها؛ قال له: «أمسك عليك زوجك»، فعاتبه الله تعالى، وقال: لم قلت: أمسك عليك زوجك، وقد أعلمتُك أنها ستكون من أزواجك؟! وهذا هو الأولى والأليقُ بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة؛ لأن الله تعالى أعلم أنه يُبدي ويُظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها[1] منه، فقال تعالى: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾، فلو كان الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها، أو إرادة طلاقها؛ لكان يظهر ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره، ثم يكتمه ولا يظهره، فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته، وإنما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيداً أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي[2].

وهذا قول حسنٌ مَرْضِيٌّ، وكم من شيء يتحفظ منه الإنسان، ويستحي من اطلاع الناس عليه، وهو في نفسه مباح متسع، وحلال مطلق، لا مقال فيه ولا عيب عند الله، وربما كان الدخول في ذلك المباح سلماً إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين، وهو إنما جعل الله طلاق زيد لها، وتزويجَ النبي صلى الله عليه وسلم إياها؛ لإزالة حرمة التبني، وإبطالِ سُنته؛ كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ

---

(١) في الأصل: «تزويجه»، والتصويب من «تفسير الثعلبي»، و«تفسير الخازن».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٤٨).

ومن منّا يتصور السيدَ الأكرمَ صلى الله عليه وسلم يقول لقومه: إنه مرسَل من ربه، ويتلو عليهم صباح مساء أمْرَ الله له بقوله في سورة الحِجْرِ المكية: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾[الحجر: ٨٨]. وفي سورة طه المكية أيضاً: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[طه: ١٣١]. ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متَّبعيه، وينظر إلى زوجه مصادفة، ثم يشتهي زواجَها؟! إن هذا الأمر عظيم، تشعر بذلك صدورُنا. ولو حدث أمر مثلُ ذلك من أقل الناس، لعيبَ عليه، فكيف بمن اجتمعت كلمةُ المؤرخين على أنه أحسنُ الناس خُلُقاً، وأبعدُهم عن الدنايا، وأشدُّهم ذكاء وفراسة، حتى مدحه الله بقوله في سورة نٓ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[نٓ: ٤]؟!، لا شك أن هذه الخرافة مما يلتحق بخرافة الغرانيق، وضعها أعداء الدين؛ ليصلوا بها إلى أغراضهم، . . . .

مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[الأحزاب: ٤٠]، وقال: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾[الأحزاب: ٣٧].

فإن قلت: فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيداً بإمساكها؟

قلت: هو أن الله تعالى أعلمَ نبيه أنها زوجته، فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به، فلما طلقها زيد، خشي قولَ الناس: يتزوج امرأة ابنه، فأمره الله تعالى بزواجها؛ ليباح مثل ذلك لأمته، اهـ[(١)].

قوله تعالى: (﴿أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾)؛ أي: أصنافاً من الكفرة.

(﴿زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾): زينتها وبهجتها، وانتصب على الذم، أو على إبداله من محل (به)، أو على إبداله من (أزواجاً) على تقدير ذوي زهرة. اهـ. نسفي[(٢)].

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤٢٧ ـ ٤٢٨).

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٧٢).

والحمدُ لله قد ناقضت النقل والعقل، فلم تبق شبهة في أن الحقيقة فيما نقلناه لك أولاً، وهو الذي يُستفاد من القرآن الشريف، قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[الأحزاب: ٣٧]**. والذي أبداه الله هو زواجُه بها، ولم يُبدِ غيرَ ذلك، وهذا القرآن أعظمُ شاهد**[١]**.**

الحجاب

وفيه نزلت آيةُ الحجاب، ....

قوله تعالى: (﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾)؛ أي: بالإسلام الذي هو النعمة.

(﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾) بالإعتاق والتبني، فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله. اهـ. نسفي[٢].

وقوله: (﴿فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾): يظهر أن الكلام على حذف مضاف؛ أي: نكاح أزواج أدعيائهم.

وقوله: (﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾)؛ أي: قضاءُ الله ماضياً وحكمهُ نافذاً، وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، اهـ. خازن[٣].

الحجاب

وُجد الحجابُ في بعض الأمم التي أتت قبل الأمة الإسلامية.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٤٨٤).

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ٣٠٦).

(٣) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤٢٨).

وهو خاصٌّ بنساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته يحبّه، ويذكره كثيراً، ويودّ أن ينزل فيه قرآن، وكان يقول: لو أُطَاع فيكن، ما رأتكنَّ عين، . . . .

قال فريد وجدي في كتابه «المرأة المسلمة» نقلاً عن «دائرة معارف القرن التاسع عشر»: كان أهم أعمال النساء بعد تدبير المنزل الغزل، وشغل الصوف، وكن مغالياتٍ في الحجاب؛ لدرجة أن القابلة كانت لا تخرج من دارها إلا مخفورة، وجهُها، ملثم باعتناء زائد، وعليها رداء طويل يلامس الكعبين، وفوق ذلك عباءة لا تسمح برؤية شكل قوامها. اهـ.

قوله: (ويذكره كثيراً): قال الطبري في «الرياض النضرة»: في الحديث: قال عمر: وافقت ربي ـ أو وافقني ـ في ثلاث: قلت: يا رسول الله! لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥]، وقلت: يدخل عليك البر والفاجر، فلو حجبتَ أمهاتِ المؤمنين، فأنزل الله آية الحجاب. وتمامُه فيه[١].

ثم قال: عن عائشةَ قالت: كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم حَيساً في قعب، فمر عمر فأكل، فأصابت أصبعه أصبعي، فقال: حِسّ أوه، لو أُطاع فيكن، ما رأتكن عين، فنزلت آية الحجاب. اهـ[٢].

الحس: هي ـ بكسر السين والتشديد ـ: كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما مَضَّه وأحرقه؛ كالجمرة والضربة ونحوها. اهـ[٣].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة» للمحب الطبري (٢/٢٨٨)، والخبر المذكور رواه البخاري (٤٠٢).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤١٩).

(٣) انظر: «الرياض النضرة» للمحب الطبري (٢/ ٢٩١).

فنزل في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فقال بعضهم: أَنُنْهى أن نكلم بناتِ عمّنا إلا من وراء حجاب؟ لئن مات محمد، لأتزوجن عائشةَ، فنزل بعد الآية المتقدمة: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣][١].

أما غيرُ أزواجه عليه الصلاة والسلام من المؤمنات، فأُمرن بغضّ الأبصار، وحفظ الفروج، كما أُمر بذلك الرجال، وأُمرن ألّا يبدين زينتهنّ للأجانب إلا ما ظهر منها؛ كالخاتم في الإصبع، والخِضاب في اليد، والكُحْل في العين، أما ما خَفي منها، فلا يحلّ إبداؤه؛ كالسوار للذراع، والدُّمْلُج للعضد، والخلخال للرِّجْل، والقِلادة للعنق، والإكليل للرأس، . . . .

قوله تعالى: (﴿مَتَاعًا﴾)؛ أي: عارِيَّة أو حاجة.

وقوله: (﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾)؛ أي: من الريبِ وخواطرِ الشيطان وعوارضِ الفتن.

قوله: (فقال بعضهم): قيل: هو طلحة بنُ عبيدالله. اهـ. خازن[٢].

قوله تعالى: (﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾) يعني: إيذاءه ونكاح نسائه.

(﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾)؛ أي: ذنباً عظيماً، وفيه تعظيم من الله لرسوله، وإيجاب لحرمته حيّاً وميتاً. اهـ. بيضاوي[٣].

قوله: (الدملج): هو ـ بضم الدال وسكون الميم وفتح اللام وضمها؛

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٦٢).

(٢) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٤٣٤).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٣٨٤).

والوشاح للصدر، والقُرط للأذن. والمراد بالزينة الظاهرة والخفية: موضعُها، وأُمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهنّ على الجُيوب؛ كيلا تبقى صدورُهنَّ مكشوفة؛ فإن النساء ـ إذ ذاك ـ كانت جيوبهنّ واسعة تبدو منها نحورُهنّ وصدورُهنّ وما حواليها، وكنّ يسدلن الخُمُر من ورائهنّ، ونُهين عن أن يضربن بأرجلهنّ ليُعلَم أنهنّ ذواتُ خلخال. وإذا كان النهي عن إظهار صوت الحلي بعدما نُهين عن إظهار الحلي، عُلِمَ بذلك: أن النهي عن إظهار مواضع الحلي أبلغُ وأبلغُ، قال تعالى في سورة النور: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ ....

كجندب في لُغَتيه، وكزنبور ـ: المِعضَد.

قوله تعالى: (﴿يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ﴾): قال النسفي: أُمِرْنَ بغض الأبصار، فلا يحل للمرأة أن تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبتيه، وإن اشتهت، غضت بصرها رأساً، ولا تنظر إلى المرأة إلا إلى مثلِ ذلك، وغض بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها[1].

قال الخازن: وفي إدخال (من) على غض البصر دون حفظ الفرج دلالةٌ على أن النظر أوسع، ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن وثديهن وأعضائهن وأقدامهن، وكذلك الجواري المستعرضات في البيع، والأجنبية يجوز النظر إلى وجهها وكفيها للحاجة إلى ذلك، وأما أمرُ الفروج، فمُضَيق، وكفاك أن أبيح النظر إلا ما استثنى منه، وحظر الجماع إلا ما استثنى منه.

وقدم غض البصر على حفظ الفرج؛ لأن النظر بريدُ الزنا، ورائدُ الفجور، والبلوى فيه أشد[2].

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٤٣).

(٢) انظر: «تفسير الخازن» (٣/ ٢٩٢).

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ . . . .

قوله: (﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾)؛ أي: إلا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره؛ وهو: الوجه، والكفان، والقدمان، ففي سترها حرج بيِّن؛ فإن المرأة لا تجد بدّاً من مزاولة الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها؛ خصوصاً في الشهادة والمحاكمة والنكاح، وتضطر إلى المشي في الطرقات وظهور قدميها، وخاصةً الفقيرات منهن[1].

(﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾): وليضعن؛ من قولك: ضربت بيدي على الحائط: إذا وضعتها عليه، والخُمُر: جمع خمار؛ أي: ليلقين بمقانعهن على جيوبهن؛ أي: موضع الجيب، وهو النحر والصدر؛ أي: ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن.

(﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾)؛ أي: مواضع الزينة الباطنة؛ كالصدور، والساق، والرأس، ونحوها.

وقوله: (﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾)؛ أي: المؤمنات من أهل دينهن، أراد به أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة، ولا يجوز للمرأة أن تتجرد من ثيابها عند الذميَّة أو الكافرة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿أَوْ نِسَآئِهِنَّ﴾، والذميَّة والكافرة ليست من نسائها، ولأنها أجنبية في الدنيا.

وقوله: (﴿أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾)؛ أي: أولي الحاجة إلى النساء، وهم: الشيوخ، والممسوحون، وقيل: البُلْه الذين يتبعون الناس

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٤٣).

﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١].

وكان النساء في أول الإسلام ـ كما كنّ في الجاهلية ـ متبذلاتٍ، تبرز المرأة في دِرْع وخمار، لا فرق بين الحُرّة والأَمَة، وكان الفتيان وأهل الشطارة يتعرضون للإماء إذا خرجن بالليل إلى مقاضي حوائجهنّ في النخيل والغيطان، وربما تعرضوا للحُرّة بعلَّة الأَمَة يقولون: حسبناها أَمَةً، فأُمرنَ أن يخالفن بزيهنّ زِيّ الإماء؛ بأن يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ليغطي الوجه والأعطاف ليحتشمن، ويُهَبْن، فلا يطمع فيهنّ طامع، . . . .

لفضل طعامهم، ولا يعرفون شيئاً من أمور النساء.

وقوله: (﴿لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾)؛ أي: لم يطلعوا؛ لعدم الشهوة، وقيل: الطفولية: اسم للصبي ما لم يحتلم.

وقوله: (﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ . . .﴾) إلخ: كانت المرأة تضرب الأرض برجليها إذا مشت لتسمع قعقعة خلخالها، فيعلم أنها ذات خلخال، فنَهُين عن ذلك؛ إذ سماعُ صوت الزينة كإظهارها.

(﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾): إن العبد لا يخلو عن سهو وتقصير في أوامره ونواهيه، وإن اجتهد، فلذا وصى المؤمنين جميعهم بالتوبة، وبتأميل الفلاح إذا تابوا. اهـ. نسفي وخازن[١].

قوله: (وأهل الشطارة) الشاطر: من أعيا أهلَه خبثاً، ويجمع على شُطَّار، وفي «اللسان»: وأُراه مولَّداً[٢]. اهـ. «أقرب الموارد»[٣].

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٣/ ١٤٣ ـ ١٤٤)، و«تفسير الخازن» (٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٢) انظر: «لسان العرب» لابن منظور (مادة: شطر).

(٣) انظر: «أقرب الموارد» لسعيد الخوري (مادة: شطر).

قال تعالى في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

أما حَجْبُ المرأة عمّن يريد خطبتها، فهو أمر لم يكن يُفعل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا في عهد السلف الصالح؛ فإن الشّارع الحكيم سنّ ذلك؛ ليكون الرجل على علم مما يُقدِم عليه، حتى يتم الوفاق والوئام بين الزوجين في أمر أجمعَ عليه أئمةُ الدين.

قوله تعالى: (﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾)؛ أي: يرخين ويغطين، والجلباب: ما يستر الكل؛ مثل الملحفة.

(﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ﴾)؛ أي: أولى وأجدر أن يعرفهن فلا يُتعرض لهن. اهـ.

قام في المدة الأخيرة بعض مَنْ لا أخلاقَ لهم من المصريين، وفي مقدمتهم شخص يقال له: قاسم بك أمين، ونادوا بعدم لزوم الحجاب للمرأة، وأن المرأة المسلمة لا ترقى ولا تتهذب ولا تجري في مضمار المدنية ما لم تُزل عن وجهها النقاب.

ولقاسم بك أمين في هذا الموضوع كتاب سماه: «تحرير المرأة» أو «المرأة الجديدة»، وحينما ظهر هذا الكتاب تصدى للرد عليه كثير من المصريين وغيرهم في الجرائد والمجلات، وألفوا في ذلك كتباً عديدة، وفي جملتهم الفاضل محمد فريد وجدي، فإنه ألف كتاباً سماه: «المرأة المسلمة»، وقد أحسن بذلك كل الإحسان، فجزاه الله عن الأمة الإسلامية خيراً.

وقد تتبعنا تراجم هؤلاء القائلين بلزوم السفور، فلم نجدهم على شيء من الدين، قد انغمسوا في حمأة المنكرات، وعكفوا على المعاصي والموبقات، ولم يردعوا النفس الخبيثة عن دنية من الدنيات، ومعظمهم ممن لم يتزوج؛ لاستغنائه بالحرام عن الحلال، ولم يعرف للغيرة معنًى، ولا للإسلامية معنًى، قد تربى في

قال حجة الإسلام الغزالي في «الإحياء»: وقد ندب الشرع إلى مراعاة أسباب الألفة، ولذلك استحبّ النظر، فقال: «إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة، فلينظر إليها؛ فإنه أحرى أن يؤدَم بينهما»[1] ـ أي: يؤلَّف بينهما ـ من وقوع الأَدَمَة على الأَدَمة، وهي الجلدة الباطنة، والبشرة: الجلدة الظاهرة، وإنما ذكر ذلك؛ للمبالغة في الائتلاف، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن في أعين الأنصار شيئاً، فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهنّ، فلينظر إليهنّ»[2]، قيل: كان في أعينهنَّ عمش. وقيل: صغر. وكان بعض الصالحين لا يُنكحون كرائمَهم إلا بعد النظر احترازاً من الغرور، وقال الأعمش: كل تزويج يقع على غير نظر، فآخرُه هَمّ وغَمّ[3].

المدارس الأجنبية، وتلقى فيها تلك المبادئ المخالفة للشريعة الغراء، ولذا أقدم على القول بهذا المنكر العظيم واستحله، ولا ريب أنه بذلك قد أصبح كافراً، خرج به عن عداد المسلمين؛ لإنكاره ما علم من الدين بالضرورة.

على أن هؤلاء الفسَقة الفجَرة الذين يسمون أنفسهم بالمتنورين لو تعمقوا في . . .[4] النساء وفساد أخلاقهن وأخلاق الرجال، وما يجره هذا القول من المفاسد والمصائب، وتعقلوا الأمر؛ لما ذهبوا إلى هذا الرأي الفاسد، ولا جنحوا إليه، ولكن من يضل الله فلا هادي له، وإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وما أحسن قول شاعر مصر حافظ إبراهيم من قصيدة له مشهورة:

---

(١) رواه الترمذي (١٠٨٧) من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ، وقال الترمذي: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٦ ـ ٣٩).

(٤) في الأصل كلمة غير واضحة.

. . . .

أنـا لا أقـولُ دعـوا النسـاءَ سَـوافراً | بـين الرجـال يَجُلْـن فـي الأسـواقِ
يَـدْرُجْنَ حيـث أردْنَ لا مـن وازعٍ | يحـذَرْنَ رِقْبَتَـهُ ولا مـن واقِ
يفعلْـن أفعـالَ الرجـال لواهيـاً | عـن واجبـاتِ نـواعسِ الأحـداقِ
فـي دُورِهِـنَّ شـؤونُهن كثيـرةٌ | كشـؤونِ ربِّ السـيفِ والمِـزْراقِ[1]

وهنا كلام نفيس للعلامة الشيخ حسين الجسر الطرابلسي في كتابه «الرسالة الحميدية»، ومما جاء فيه: أن المرأة محل الشهوة، ومطمع نظر الرجال، فلأجل سد باب الفتنة، وكفِّ دواعي الزنا الممقوت شرعاً وعقلاً، أمرتها الشريعة الإسلامية بالحجاب والستر، وكان ذلك من أشرف نعوتها، وأكرم مفاخرها، تتباهى به كلما استكمل فيها.

فالحجاب صيانة ومحافظة عليها؛ كالشيء النفيس الذي يُضَنُّ به على الأنظار، ويُحجب بالحُجُب والأستار، وليس هو كما يظن بعض الجهلاء أنه لسوء الظن بها؛ فإن ذلك يقال لو أمرت بكف بصرها عن رؤية الرجال في كل حال، وأمرت ـ أي: الشريعة ـ الرجالَ بالحجاب عن النساء، وليس أيضاً كما يزعم بعض الأغبياء أن حجابها هو حبس وتضييق عليها، وملاشاة لحريتها؛ فإن المرأة المسلمة تشب على الحجاب من أول نشأتها، وتألفه من بادي فطرتها، فتجده كاللازم لطبيعتها، وتعتاده اعتياداً محبوباً مألوفاً، وتعير من يتساهل فيه من النساء، وتنسبهن للطيش والوقاحة وقلة الحياء، على أنها تقبله بأنه حكم الشريعة الإلهية، فترجو به الثواب، ونوازلَ الأجر من الملك الوهاب، فكيف بعد جميع ما ذكر يقال: إن المرأة في الشريعة المحمدية مظلومة أو محبوسة؟! حاشا لله، ما عليها من الحيف أدنى شيء بمقتضى أحكام هذه الشريعة.

---

(١) انظر: «ديوان حافظ إبراهيم» (١/ ٢٧٠).

ولا يبعد أن يكون فساد الزمن، والابتعادُ عن التربية الدينية التي تسوق إلى مكارم الأخلاق قد حَسَّنا عند عامة المسلمين في العصور الأولى حجبَ المرأة مطلقاً؛ حسماً للمفاسد، ودَرْءاً للفتنة.

والصواب أن يقال: إنها في هذه الشريعة محفوظة مصانة من أنظار الفسقة، وأميال الفجار، وألسنة السفهاء، يُغار عليها من مرور النسيم.

على أنه لا يخلو الأمر من وجود امرأة غير كاملة في الآداب والتدين، فبالحجاب لا ترتاب النفوس بأمانتها على نسب ذريتها، ولا يدخل الشك على زوجها، فيعلم أن من تلده هو ولده، مطمئن القلب لذلك، ليس للشيطان عليه سبيل في الوسوسة التي يتوصل إليها فيما لو كانت المرأة تخرج غير مستترة، وتخالط الأجانب، ومع ذلك كله فالشريعة المحمدية قد أجازت للمرأة الخروج لبعض أمور ضرورية؛ من زيارة أرحامها، والتعلم لأحكام دينها إذا لم يعلمها الزوج، ونحو ذلك، مع التستر الذي يمنع نظر الفساق، وتهيج النفوس المغتلمة للتعرض لها بما يشين العرض والدين.

والذي يحكم به العقل السليم الخالي عن التعصب الدني: أن الحجاب للمرأة من أحسن الأحكام، وأنفع الأحكام لصالح الزوج والمرأة، بل لعموم الأمة، يقطع مادةَ الفساد من البلاد، ومن هنا ترى البلاد التي تحتجب نساؤها لا يهتم رجال السياسة فيها بتخصيص أماكن للزواني يردها الفساق؛ لأن شهوات فساقها غير مهيجة برؤية النساء، ولا طامحة لمنازعة أهل العرض في نسائهم.

وأما البلاد التي لا تحتجب نساؤها؛ فترى رجال السياسة فيها يرتكبون تخصيص أماكن للزواني، ولا يمنعون الفساق عنهن، حتى صار ـ والعياذ بالله تعالى ـ الأولاد النغول يقاربون [في العدد][1] أولاد النكاح هناك، ويحتج أولئك السياسيون لارتكاب هذا الأمر الفظيع بأنه حصن للحرائر، فلولا خشيتُهم،

---

(١) ما بين معكوفتين من «الرسالة الحميدية».

وفي هذا العام ـ على ما عليه الأكثرون ـ فرض الله على الأمة الإسلامية حج البيت من استطاع إليه سبيلاً، . . . .

وخشيةُ أهل العِرْض على نسائهم من منازعة الفساق الذين تتهيج شهواتهم برؤية النساء المتبرجات، وخوفهم أن يغلبوهم عليهن؛ لما ارتكبوا ذلك الأمر القبيح، فيا للعار، ويا للشنار على أولئك السياسيين! يسوسون بلادهم ويحصنون نساءهم بأعمال البهائم، فلو أخذوا بحجاب النساء؛ لكان يغنيهم عن ذلك الأمر الممقوت؛ فقد ظهر أن خروج المرأة غيرَ مستترة ضررٌ عظيم، ولو سلم أن الحجاب ضرر عليها؛ لكان عدمه أضرَّ، وارتكابُ أخفِّ الضررين هو الموافق للمعقول والمنقول، فما بالك وقد ظهر أنه لا ضرر عليها في الحجاب كما يحكم به ذوو الألباب؟!، اهـ[1].

فرض الحج

قوله: (على ما عليه الأكثرون): هذا خلاف الصواب، والصواب أن الحج فرض سنة تسع أو عشر كما ذكره ابن القيم في «زاد المعاد»، ثم قال ثمة: فإن قيل: فمن أين لكم تأخرُ نزولِ فرضه إلى التاسعة أو العاشرة؟

قيل: لأن صدر سورة آل عمران نزل عام الوفود، وفيه قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصالحَهم على أداء الجزية، والجزية إنما نزلت عام تبوك سنة تسع، وفيها نزل صدر سورة آل عمران، وناظر أهل الكتاب، ودعاهم إلى التوحيد والمباهلة، ويدل عليه: أن أهل مكة وجدوا في نفوسهم بما فاتهم من التجارة من المشركين لما أنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[التوبة: ٢٨]، فأعاضهم

---

(١) انظر: «الرسالة الحميدية» لحسين الجسر (ص: ١١٣ ـ ١١٦).

الله تعالى من ذلك بالجزية، ونزول هذه الآيات والمناداة بها إنما كان في سنة تسع، وبَعَثَ الصدِّيقَ يؤذِّنُ بذلك في مكة في مواسم الحج، وأردفه بعليّ ـ رضي الله عنه ـ، وهذا الذي ذكرناه قد قاله غير واحد من السلف. اهـ[1].

وفي «الدر المختار» للعلامة الحصكفي: فرض الحج سنة تسع، وإنما أخره عليه الصلاة والسلام لعشرٍ لعذرٍ، مع علمه ببقاء حياته؛ ليكمل التبليغ[2].

ونقل محشيه العلامة ابن عابدين عن حاشية الشِّلْبي على الزيلعي عن «الهدي» لابن القيم: أن الصحيح: أن الحج فرض في أواخر سنة تسع، وأن آية فرضه هي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾[آل عمران: ٩٧]، وهي نزلت عام الوفود أواخرَ سنة تسع، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يؤخر الحج بعد فرضه عاماً واحداً، وهذا هو اللائق بهديه وحاله صلى الله عليه وسلم، وليس بيدِ مَنِ ادعى تقدمَ فرض الحج سنة ست أو سبع أو ثمان أو تسع دليلٌ واحد، وغاية ما احتج به من قال: سنة ست: أن فيها نزل قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وهذا ليس فيه ابتداء فرض الحج، وإنما فيه الأمر بإتمامه إذا شرع فيه، فأين هذا من وجوب ابتدائه؟![3]. اهـ[4].

والحج ـ بفتح الحاء، وكسْرها لغةً ـ: القصدُ.

قال الشاعر:

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٠١ ـ ١٠٢).

(٢) انظر: «الدر المختار» للحصكفي (٢/ ٤٥٥).

(٣) في الأصل، و«حاشية ابن عابدين»: «إتمامه»، والتصويب من «حاشية الشلبي».

(٤) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٢/ ٤٥٥). وانظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٠١)، و«حاشية الشلبي» (٢/ ٣).

ليجتمع المسلمون من جميع الأقطار، فيتجهوا إلى الله، ويبتهلوا إليه أن يؤيدهم بنصره، ويُعينهم على اتباع دينه القويم. وفي ذلك من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين الفائدة العظمى[1].

يحجــون ســب الزِّبرقــان المزعفــرا[2]

أي: يقصدونه، والزبرقان: لقب الحُصَين بنِ بدر الصحابيّ، لقب به لجماله، أو لصفرة عمامته، أو لأنه لبس حُلة وراح إلى ناديهم فقالوا: زبرق حصين[3].

قوله: (ليجتمع المسلمون هناك): قال في «الرسالة الحميدية»: وذلك يدعو إلى التعارف والتآلف، فتراهم هناك أنواعاً منوعةً من عرب وترك وفرس وهنود وداغستان وقزاق وأفغانستان ومغاربة وبربر وسودان وجاوى، وغير ذلك من أمم البشر، كلهم على دين واحد، ومقصد واحد، وهو طلب الغفران من الرحيم الرحمن.

ومن حكم الأفعال التي يكلفون في إجرائها في تلك الأماكن تذكارُ ما جرى لرسل الله المكرمين وعبادِه الصالحين في تلك البقاع المشرفة؛ كتذكار ما جرى

---

(١) وهو خلاف قول الجمهور الذين يقولون: بأنه فرض في السنة السادسة. انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٢)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٧).

(٢) عجز بيت للمخبل السعدي، وصدره:

وأشــهد مــن عــوف حلــولاً كثيــرة

انظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٢١٩)، و«المخبل السعدي وما تبقى من شعره» لحاتم الضامن، وهو بحث منشور في «مجلة المورد العراقية» (٢/ ١٢٥)، الإصدار الأول، عام (١٩٧٣م).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: زبرق).

لسيدنا آدم أبي البشر وزوجته حواء ـ عليهما السلام ـ هناك بعد هبوطهما من الجنة، وما ألهمهما الله تعالى من الالتجاء إليه حتى تاب عليهما، وكتذكار ما جرى أيضاً هناك لسيدنا إبراهيم الخليل وولده إسماعيل ـ عليهما السلام ـ والسيدة هاجر ـ عليها الرضوان ـ مما يدل على ما لهم من الإطاعة لمولاهم، والصبر على ما به ابتلاهم، فلم يحيدوا عن كل ما يستوجب رضاه، وناهيك ما ابتلي به سيدنا إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ من أمره بذبح ولده وثمرة كبده، فأطاع ذلك الوالد الشفوق، وخضع للحكم ذلك الولدُ البار، مسلِّماً بإزهاق روحه، وسكنى ضريحه، وطرد الشيطان عنه لما حاول أن يوسوس له في وادي منى، فباء ذلك اللعين بالخسران، فأنعم الله على الوالد والولد بالفداء، وأبدل حزنهما بالهناء، إلى غير ذلك من الأعمال المَرْضِيةِ من أولئك الكاملين، وما أنعم عليهم رب العالمين.

فبتذكار أعمال أولئك الأخيار، وبمحاكاتها في تلك الديار، تنبعث الأنفس لتذكار بقية أفعالهم، وعباداتهم وسجاياهم، وإطاعتهم لمولاهم، فتشتاق للاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم في كل مُرْضٍ لخلاَّقهم، وترغب في الثناء عليهم، والدعاء لهم على ما سنوا وشرعوا من الأعمال المرضية، وما هدوا إليه من سبيل التوبة وطرق الإنابة ومكارم الأخلاق؛ من الصبر والرضا والتسليم والآداب مع رب الأرباب، وتمامه فيها[1].

وقال العلامة الدهلوي في كتابه «حجة الله البالغة»: واعلم: أن حقيقة الحج اجتماع جماعة عظيمة من الصالحين في زمانٍ يذكِّر حال المنعَم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، ومكانٍ فيه آيات بينات، قد قصده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله، متضرعين راغبين، وراجين من الله الخيرَ وتكفير الخطايا.

---

(١) انظر: «الرسالة الحميدية» لحسين الجسر (ص: ١٠٣ ـ ١٠٤).

. . . .

فإن الهمم إذا اجتمعت بهذه الكيفية لا يتخلف عنها نزولُ الرحمة والمغفـرة، وهـو قولـه صلى الله عليـه وسلم: «ما رئي الشيطان يوماً هو فيه أصغرُ ولا أدحرُ ـ من الدحر: وهو الدفع بعنف على الإهانة ـ ولا أحقـرُ ولا أغـيظُ منـه فـي يـوم عرفة. . .» الحديث[1].

وأصل الحج موجود في كل أمة، لا بد لهم من موضع يتبركون بـه لمـا رأوا من ظهور آيات الله فيه، ومن قرابين وهيئـات مـأثورة عـن أسـلافهم يلتزمونهـا؛ لأنها تذكر المقربين وما كانوا فيه.

وأحقُّ ما يحج إليه بيتُ الله، فيه آيات بينات، بناه إبراهيم صلوات الله عليه المشهودُ له بالخير على ألسنة أكثر الأمم بأمر الله ووحيه، بعد أن كانت الأرض قفـراً وعراً؛ إذ ليس غيره محجوج إلا وفيه إشراك، أو اختراع ما لا أصل له.

ومن باب الطهارة النفسانية الحلولُ بموضع لم يزل الصالحون يعظمونـه، ويحلون فيه، ويعمرونـه بـذكر الله؛ فـإن ذلـك يجلـب تعلـق همـم[2] الملائكـة السفلية، ويعطف عليه دعوة الملأ الأعلى الكلية لأهل الخير. . . إلـى أن قـال: وربما يشتاق الإنسان إلى ربه أشد شوق، فيحتاج إلى شيء يقضي به شوقه، فـلا يجده إلا بالحج.

وكما أن الدولة تحتاج إلى عرضةٍ بعد كل مدة؛ لتمييز الناصح من الغاشّ، والمنقاد من المتمرد، وليرتفع الصيت، وتعلـو الكلمـة، ويتعـارف أهلهـا فيمـا بينهم، فكذلك الملة تحتاج إلى حج؛ لتميز الموفق من المنافق، وليظهر دخـول الناس في دين الله أفواجـاً، وليرى بعضهم بعضاً، فيستفيد كـل واحـد مـا ليـس

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٤٢٢) من حديث طلحة بن عبيدالله بن كريـز مرسلاً.

(٢) في الأصل: «هم»، والمثبت من «حجة الله البالغة».

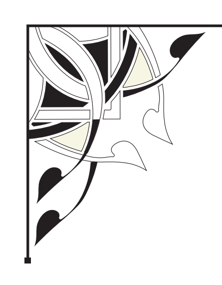
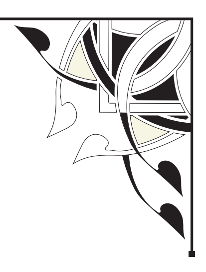
. . . .

عنده؛ إذ الرغائب إنما تكتسب بالمصاحبة والترائي.

وإذا جعل الحج رسماً مشهوراً؛ نفع عن عوائل الرسوم، ولا شيء مثله في تذكر الحالة كان فيها أئمة الملة، والتحضيض على الأخذ بها، ولما كان الحج سفراً شاسعاً، وعملاً شاقّاً لا يتم إلا بجهد الأنفس؛ كان مباشرته خالصاً لله مكفراً للخطايا، هادماً لما قبله بمنزلة الإيمان. اهـ[1].

❒ ❒ ❒

(١) انظر: «حجة الله البالغة» لولي الله الدهلوي (ص: ١٥٧ ـ ١٥٩).

السَّنة السَّادسَة

سرية [محمد بن مسلمة إلى القَرطاءِ]

ولعشرٍ خلوْن من محرم السنة السادسة، أرسل عليه الصلاة والسلام محمدَ بنَ مَسلمة في ثلاثين راكباً لشنِّ الغارة على بني بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية ضَرِيَّة، فسار إليهم يكمُن النهار، ويسير الليل حتى دهمهم، فقتل منهم عشرة، وهرب باقيهم، فاستاقت السريةُ النَّعَمَ والشياه، وعادوا راجعين إلى المدينة، وقد التقوا وهم عائدون بثُمامةَ بنِ أُثال الحنفيِّ، من عظماء بني حنيفة، . . . .

السنة السادسة

سرية

قوله: (سرية): يقال لهذه السرية: سرية القُرْطاء ـ بضم القاف وسكون الراء ـ، وهم من بطن من بني بكر بن كلاب. اهـ. دحلاني[1].

قوله: (شن الغارة) شن الغارة: هو تفرقها.

قوله: (ضريّة): بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء، وهي قرية لبني كلاب.

وقوله: (دهمهم)؛ أي: فاجأهم.

قوله: (ثمامة بن أثال): ثمامة: ـ بضم الثاء ـ، وأثال: ـ بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة ـ.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٦).

فأسروه وهم لا يعرفونه، فلما أتَوا به رسولَ الله، عرفه صلى الله عليه وسلم، وعامله بمنتهى مكارم الأخلاق، فإنه أطلق إساره بعد ثلاثٍ أبى فيها الانقيادَ للإسلام بعد أن عُرض عليه. ولما رأى ثمامة هذه المعاملة، وهذه المكارم، رأى من العبث أن يتبع هواه، ويترك ديناً عمادهُ المحامد، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلم غيرَ مكرَه، وخاطب الرسول بقوله: يا محمد! والله ما كان على الأرض من وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ الوجوه كلها إلي، والله ما كان على الأرض من دين أبغض إلي من دينك، فقد أصبح أحبّ الدين كله إليّ. والله! ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فقد أصبح أحبّ البلاد إليّ. . . . .

قوله: (فإنه أطلق إساره. . .) إلخ: تفصيل القصة كما في الدحلانية: أنهم لما أتوا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون من أخذتم؟ هذا ثمامة بن أثال الحنفي»، فربطوه بسارية من سواري المسجد بأمره صلى الله عليه وسلم لينظر حُسنَ صلاة المسلمين، واجتماعَهم عليها، فيرق قلبه.

فخرج صلى الله عليه وسلم فقال: «ماذا عندك يا ثمامة؟» قال: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال، فسل تُعطَ منه ما شئت، فتركه حتى كان الغد، ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلتُ لك، إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: عندي ما قلتُ لك، قال: أطلقوا ثمامة؟، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، ثم قال: والله يا محمد! ما كان على وجه الأرض. . . إلخ ما ذكره المؤلف هنا[1].

قوله: (أحب البلاد إليَّ): تتمة الحديث: وإن خيلك أخذتني وأنا أريد

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٧).

فسرّ عليه الصلاة والسلام كثيراً بإسلامه؛ لأن من ورائه قوماً يطيعونه. ولما رجع ثُمامة إلى بلاده، مَرَّ بمكة معتمراً، وأظهر فيها إسلامه، فأرادت قريش إيذاءه، فذكروا احتياجهم لحبوب اليمامة التي منها ثُمامة، فتركوه[1].

ومع ذلك، فقد حلف هو ألا يرسل إليهم من اليمامة حبوباً حتى يؤمنوا، فجهدوا جدًّا، ولم يرَوا بدًّا من الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم، فعاملهم عليه الصلاة والسلام بما جُبِل عليه من الشفقة والمرحمة، وأرسل لثمامة أن يُعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة، ففعل. . . . .

العمرة، فماذا ترى؟ فبشره النبي صلى الله عليه وسلم بخير الدنيا والآخرة، أو بالجنة، أو بمحو ذنوبه وتبعاته، وأمره أن يعتمر، فأتى مكة، وأظهر فيها إسلامه. اهـ. دحلاني[2].

ثم قال: ولذا قيل فيه:

ومِنَّا الذي لَبَّى بمكةَ معلِناً   برغمِ أبي سفيانَ في الأشهرِ الحرم[3]

قوله: (فلم يروا بداً من الاستغاثة. . .) إلخ: حيث كتبوا إليه صلى الله عليه وسلم: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، فكتب صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل[4].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٧)، والحديث المذكور رواه البخاري (٤٣٧٢)، ومسلم (١٧٦٤)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٧)، والبيت لبعض بني حنيفة كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٦/ ٥٢)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» للكلاعي (٢/ ٣١٣).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨)، والخبر المذكور رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٦/ ٥٢).

وقد كان لهذا الرجل الكريم الأصل قدمٌ راسخة في الإسلام عقبَ وفاة الرسول حينما ارتدّ أكثر أهل بلاده، فكان ينهى قومه عن اتباع مُسيلمة، ويقول لهم: إياكم وأمراً مظلماً لا نور فيه، وإنه لشقاء كتبه الله على من اتبعه، فثبت معه كثير من قومه ـ رضي الله عنه ـ[1].

غزوة بني لِحيان

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصمَ بنَ ثابت وإخوانَه، ولم يزل رسول الله حزيناً عليهم، متشوقاً للقصاص من عدوهم حتى ربيع الأول من هذه السنة، فأمر أصحابه بالتجهّز، ولم يُظهر مقصده كما هي عادتُه عليه الصلاة والسلام في غالب الغزوات. لتعمى الأخبار عن الأعداء، . . . .

قوله: (فكان ينهى قومه. . .) إلخ: قال الدحلاني: فقد جاء أنه قام مقاماً حميداً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾[غافر: ١ ـ ٣]، ثم قال لهم: فأين هذا من هذيان مسيلمة. فأطاعه، ثلاثة آلاف، وانحازوا إلى المسلمين ـ رضي الله عنه ـ. اهـ[2].

غزوة بني لحيان

قوله: (لحيان) هي ـ بكسر اللام وفتحها. قبيلة من هُذيل.

قوله: (من هذه السنة) قال الدحلاني: وقيل: سنة خمس، وقيل: أربع[3].

قوله: (ولم يظهر لهم مقصده): الذي في الحلبي والدحلاني أنه أظهر أنه

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٧١ ـ ١٧٢).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٨).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٩).

وولى على المدينة ابنَ أُم مكتوم، وسار في مئتي راكب معهم عشرون فرساً، ولم يزل سائراً حتى مقتل أصحاب الرجيع، فترحَّم عليهم، ودعا لهم، ولما سمع به بنو لحيان، تفرقوا في الجبال، فأقام عليه الصلاة والسلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحداً، ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عُسْفَان حتى يعلم بهم أهل مكة، فُيداخلهم الرعب، فذهبوا إلى كُرَاع الغميم، ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، وهو يقول: «آيبون، تائبون، لربنا حامدون، أعوذ بالله من وَعْثاء السفر، وكآبة المنقلَب، . . . .

يريد الشام ليصيبَ من القوم غرة[1].

قوله: (فأرسل بعضاً من أصحابه) هو أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ أرسله في عشرة فوارس.

قوله: (عُسفان)؛ كعثمان: موضعٌ على مرحلتين من مكة.

قوله: (كُراع الغميم): هو ـ بضم الكاف ـ.

قال المؤلف في الذيل: إنه جبل جنوب عسفان بثمانية أميال.

وفي الدحلانية: إنه واد أمام عسفان بثمانية أميال، يضاف كراع إليه، وكراع: جبل أسود بطرف الحرة ممتد إليه[2].

قوله: (وعثاء السفر): المشقة، و**(الكآبة)**: الغَمُّ وسوء الحال، وتتمة الحديث كما في الدحلاني: «اللهم بلغنا بلاغاً صالحاً ينظر إلى خير مغفرتك ورضوانك». اهـ[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٧٧)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٩).

(٣) أورده نور الدين الحلبي في «السيرة الحلبية» (٢/ ٦٧٧).

وسوء المنظر في الأهل والمال»[1].

غزوة الغابة

كان للنبي عليه الصلاة والسلام عشرون لِقْحَة ترعى بالغابة، فأغار عليها عُيينة بن حِصْن في أربعين فارساً، واستلَبها من راعيها، فجاءت الأخبار رسولَ الله عليه الصلاة والسلام، . . . .

وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة أربع عشرة ليلة. اهـ. منه[2].

غزوة الغابة

قوله: (الغابة) الغابة: الشجر الملتف، ويقال لهذه الغزوة: غزوة قَرَد ـ بفتح القاف والراء، وقيل بضمهما، وقيل: بضم الأول وفتح الثاني ـ: اسم ماء، والقرد في الأصل: الصوف الرديء. اهـ. حلبي[3].

قوله: (لقحة): في «المصباح»: اللِّقحة ـ بالكسر ـ: الناقة ذات لبن، والفتحُ لغةٌ، والجمعُ لِقَح؛ مثل سِدْرة وسِدَر، أو مثل قَصْعة وقِصَع، واللَّقوح ـ بفتح اللام ـ مثلُ اللقحة، والجمع لِقاح؛ مثل قلوص وقِلاص[4].

قوله: (من[5] راعيها): كان الراعي أبو ذر وزوجته وولده، قال أبو ذر: لما كان الليل، أحدق بنا عيينة بن حصن في أربعين فارساً، فصاحوا بنا وهم قيام على

---

(١) رواه مسلم (١٣٤٢) من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وانظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٧٧ ـ ٦٧٨).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٧٩).

(٤) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: لقح).

(٥) في الأصل: «و»، والتصويب من متن «نور اليقين».

والذي بلَّغه هو سَلَمَةُ بنُ الأكوع، أحدُ رماة الأنصار، وكان عَدّاءً، فأمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم ليشغلَهم بالنبل حتى يدركهم المسلمون، فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم، وجعل يرميهم بالنبل، فإذا وجّهت الخيل نحوه، رجع هارباً، فلا يُلْحَق، . . . .

رؤوسنا، فأشرف لهم ابني، فقتلوه، وكان معه ثلاثة نفر، فنجوا، وتنحيت عنهم، وشغلهم عني إطلاقُ عقل اللقاح، ثم صاحوا في أدبارها، فكان آخر العهد، ولما قدمتُ المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته تبسم. اهـ. حلبي(١).

قوله: (والذي بلغه سلمة بن الأكوع. . .) إلخ: الذي في الحلبية والدحلانية لا يفيد أن سلمة بن الأكوع بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وحده، وأنه أمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم، وخلاصة ما ذكروا: أن سلمة أشرف من سلع، فصرخ ثلاث صرخات: يا صباحاه! فأسمعَ ما بين لابتَي المدينة، فنودي في الناس: الفزع الفزع، ثم إنه خرج يشتد في آثار القوم، فكان مثل السبع، وكان يسبق الخيل في جريه(٢).

قوله: (وجعل يرميهم بالنبل)؛ أي: ويقول عند الرمي:

خذها وأنا ابن الأكوع ... واليومُ يومُ الرضَّع(٣)

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٧٩)، والخبر المذكور أورده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٥/ ٩٥)، وعزاه للواقدي.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٨١)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٥٢)، والخبر المذكور رواه البخاري (٣٠٤١)، ومسلم (١٨٠٦)، من حديث سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ مختصراً.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٤٣) عن عبدالله بن كعب بن مالك باللفظ المذكور. ورواه البخاري (٣٠٤١)، ومسلم (١٨٠٦)، من حديث سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

فإذا دخلت الخيل بعض المضايق، علا الجبل، فرمى عليها الحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والأبراد ليخفّفوا عن أنفسهم، حتى لا يلحقهم الجيش، ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا أصحابه فأجابوه، وأول من انتهى إليه المقداد بنُ عمرو، فقال له: «اخرج في طلب القوم حتى ألحقك»[1]، وأعطاه اللواء فخرج، وتبعته الفرسان حتى أدركوا أواخر العدو، فحصلت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان، . . . .

والرضع ـ بضم الراء وشد المعجمة ـ: جمع راضع، والمراد به: يومُ هلاك اللئام، من قولهم: لئيم راضع؛ أي: رضع اللؤم.

قوله: (بعد[2] المضايق): صوابه: بعض.

قوله: (حتى ألقوا كثيراً مما في أيديهم): قال الحلبي: ألقوا أكثر من ثلاثين رمحاً، وأكثر من ثلاثين بردة، ولا يلقون شيئاً من ذلك إلا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

قوله: (قتل فيها مسلم): هو محرز بن نضلة، ويقال له: الأخرم الأسدي، وكيفية قتله: أنه تقدم أمام الفرسان، فلقيه من الجبل سلمة بن الأكوع، فنزل إليه، وأخذ بعنان فرسه، وقال: احذر القوم لا يقتطفوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فقال: يا سلمة! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق وأن النار حق؛ فلا تَحُلْ بيني وبين الشهادة، فخليت عنه، فالتقى

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٤٤) عن عبدالله بن كعب بن مالك، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٨٢).

(٢) كذا في الأصل، وقد جاءت على الصواب في متن «نور اليقين» (ط الجامعة).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٨١).

واستنقذ المسلمون غالبَ اللقاح، وهرب أوائل القوم بالبقية، وطلب سلمة بن الأكوع من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسله مع جماعة في أثر القوم، ليأخذهم على غرّة، وهم نازلون على أَحد مياههم، فقال له عليه الصلاة والسلام: «مَلَكْتَ فَأَسْجِحْ»[١]، ثم رجع بعد خمس ليال[٢].

هو وعبد الرحمن بن عيينة، فعقر فرس عبد الرحمن، وطعنه عبد الرحمن فقتله، فلحق عبدَ الرحمن أبو قتادة ـ رضي الله عنه ـ، فعقر عبدُ الرحمن فرس أبي قتادة، فقتله أبو قتادة وتحول أبو قتادة ـ رضي الله عنه ـ إلى الفرس. اهـ. حلبي[٣].

ثم قال الحلبي: ولعل عبد الرحمن هذا هو حبيب بن عيينة، فيكون له اسمان، وقيل: إن الذي قتل محرز هو مسعدة الفزاري، وقاتل حبيب هو المقداد ابن عمرو بن الأسود[٤].

قوله: (ملكت فأسجح)؛ أي: قدرتَ عليهم فأحسنْ وارفُقْ، والسجاحة: السهولة؛ أي: لا تأخذ بالشدة، بل ارفُق وأحسنِ العفو؛ فقد حصلت النكاية في العدو فهزموا، وقتل رؤساهم، وسلبت منهم الرماح والبُرد. اهـ. دحلانية[٥].

وأَسْجِح: ـ بفتح الهمزة وكسر الجيم ـ.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٤١)، ومسلم (١٨٠٦)، من حديث سلمة بن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٧٩ ـ ٦٨٥).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٨٢).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٨٢ ـ ٦٨٣).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٤).

سرية [عكاشة بن محصن إلى الغَمْر]

كان بنو أسد الذين مَرّ ذكرهم كثيراً ما يؤذون مَنْ يمرّ بهم من المسلمين، فأرسل لهم عليه الصلاة والسلام عُكَّاشة بنَ مِحْصَن في أربعين راكباً ليُغير عليهم، ولما قارب بلادهم، علموا به فهربوا، وهناك وجدوا رجلاً نائماً فأمّنوه ليدلّهم على نَعَم القوم، فدلّهم عليها فاستاقوها، وكانت مئة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقَوْا كيداً[1].

سرية [محمد بن مسلمة إلى ذي القَصّة]

وفي ربيع الأول بلغه عليه الصلاة والسلام أن من بذي القَصّة . . . . .

سرية

قوله: (سرية) عنونَها السيد الدحلاني بسرية الغَمْر، وهو ـ بفتح الغين وسكون الميم ـ، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فَيْد ـ بفتح الفاء وسكون الياء ـ، وهي قلعة بطريق مكة[2].

قوله: (عُكاشة) هو ـ بضم العين ـ.

وقوله: (بن مِحْصَن): هو ـ بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد ـ.

قوله: (مئة بعير): صوابه: مئتي بعير كما في «زاد المعاد»، والدحلانية[3].

سرية

قوله: (إن من بذي القصة . . .) إلخ: القَصَّة: ـ بفتح القاف والصاد المشددة ـ.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٧٤).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٤).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٨٠)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٤).

يريدون الإغارة على نَعَم المسلمين التي ترعى بالهيفاء، فأرسل لهم محمدَ بنَ مسلمة في عشرة من المسلمين، فبلغ ديارهم ليلاً، وقد كَمَن المشركون حينما علموا بهم، فنام المسلمون، ولم يشعروا إلا والنبل قد خالطهم، فتواثبوا على أسلحتهم، ولكن تغلب عليهم الأعداء فقتلوهم، غيرَ محمدِ بن مسلمة تركوه؛ لظنهم أنه قُتِل، فعاد إلى المدينة، وأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام، فأرسل أبا عبيدةَ عامرَ بن الجراح في ربيع الآخر ليقتصَّ من الأعداء، فلما وصل ديارهم، وجدهم تشتتوا هاربين، فاستاق نَعَمَهم ورجع[1].

سرية [زيد بن حارثة إلى الجَمُوم]

عاكَسَ بنو سُلَيم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق المسلمين في سيرهم، ....

قوله: (غير محمد بن مسلمة): قال الدحلاني: إنه وقع جريحاً يضرب كعبه فلا يتحرك، فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا، فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه، فرآهم صرعى، فاسترجع، فتحرك له محمد بن مسلمة، فحمله حتى ورد به المدينة جريحاً، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة... إلخ ما ذكره المؤلف، وكان عدد من أرسل معه أربعين رجلاً[2].

سرية

قوله: (سرية) عنونها السيد الدحلاني بسرية زيد بن حارثة[3].

(سُلَيم) بضم السين وفتح اللام ـ.

وقوله: (كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق)؛ أي: حيث أتوا في سبع مئة رجل يرأسهم سفيانُ بن عبد شمس كما تقدم.

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٥).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٦).

فأرسل عليه الصلاة والسلام زيدَ بن حارثة في ربيع الآخر ليُغير عليهم في الجَمُوم، فلما بلغوا ديارهم، وجدوهم تفرقوا، ووجدوا هناك امرأة من مُزينة دلّتهم على منازل بني سُليم، أصابوا بها نَعَماً وشاءً، ووجدوا رجالاً أسروهم، وفيهم زوج تلك المرأة، فرجعوا بذلك إلى المدينة، فوهب الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المرأة نفسها وزوجها[1].

سرية [زيد بن حارثة إلى العيص]

بلغ الرسولَ صلى الله عليه وسلم أن عِيراً لقريش أقبلت من الشام تريد مكة، فأرسل لها زيدَ بنَ حارثة في مئة وسبعين راكباً ليعترضها، . . . .

قوله: (الجموم) ـ بفتح[2] الجيم ـ: ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة[3].

قوله: (امرأة من مزينة) قال الدحلاني: اسمها حليمة، وقال: لم يذكروا عدة الإبل والغنم والأسرى[4].

سرية

قوله: (سرية) عنونها السيد الدحلاني بسرية زيد بن حارثة أيضاً، وقال: قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بنَ حارثة في سرية إلا أمّره عليهم، ولو بقي لاستخلفه، أخرجه ابن أبي شيبة. اهـ[5].

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٧).

(٢) في الأصل: «بضم»، والتصويب من «معجم البلدان»(٢/ ١٦٣)، و«مراصد الاطلاع» (١/ ٣٤٧).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٦).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٦).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٦)، والخبر المذكور رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٠٧).

فأخذها وما فيها، وأسر مَن معها من الرجال، وفيهم أبو العاص بنُ الربيع، زوجُ زينبَ بنتِ رسول الله، وكان من رجال مكة المعدودين تجارة ومالاً وأمانةً، فاستجار بزوجه زينبَ فأجارته، ونادت بذلك في مجمع قريش، فقال عليه الصلاة والسلام: «المسلمون يد واحدة، يُجير عليهم أدناهم، وقد أَجَرنا مَنْ أجرتِ».

وهذا أبلغُ ما قيل في المساواة بين أفراد المسلمين. وردّ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ماله بأسره لا يُفقَدُ منه شيء، فذهب إلى مكة. فأدى لكل ذي حقَ حقَّه، ورجع إلى المدينة مسلماً، . . . .

قوله: (ونادت بذلك في مجمع قريش)؛ أي: وغيرهم.

قال الدحلاني: إنها نادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر، وفي رواية: حين كبر وكبر الناس معه نادت: أيها الناس! إني قد أجرت أبا العاص، فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة، أقبل على الناس فقال: «أيها الناس! هل سمعتم ما سمعتُ؟» قالوا: نعم، ثم قال: «والذي نفسُ محمد بيده! ما علمتُ بشيء من هذا حتى سمعتُ ما سمعتم، المؤمنون يد واحدة، يجير عليهم أدناهم، وقد أجرنا من أجارت»، ثم دخل صلى الله عليه وسلم منزله، فدخلت عليه زينب، فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه، فقبل، وقال: «أكرمي مثواه، ولا يخلص إليك، فإنك لا تحلين له». اهـ[1].

قوله: (ورد عليه الرسول ماله بأسره): قال الدحلاني: في رواية: أن زينب ـ رضي الله عنها ـ قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أبا العاص إن قرب فابنُ عم، وإن بعد فأبو ولد، وإني قد أجرته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧)، والخبر المذكور رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٠٣٨) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، ورواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٩٥) عن يزيد بن رومان.

فردّ عليه رسول الله زوجه[١] .

لأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ: «إن هذا الرجل مِنَّا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالاً، فإن تحسنوا وتردوا عليه الذي له، فإنا نحبُّ ذلك، وإن أبيتم، فهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فأنتم أحق به»، فقالوا: يا رسول الله! بل نردّهُ عليه، حتى إن الرجل ليأتي بالدلو، والرجل بالإداوة، حتى ردوا عليه ماله بأسره، لا يفقِد منه شيئاً.

ثم ذهب إلى مكة، فأدى إلى كل ذي مال ماله، ثم قال: هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا، قال: هل أوفيت ذمتي؟ قالوا: اللهم نعم، فجزاك الله خيراً، فقد وجدناك وفيّاً كريماً، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، والله! ما منعني من الإسلام عنده إلا تخوفاً أن تظنوا أني إنما أردت أن آكل أموالكم، فلما ردها الله عليكم، وفرغت منها، أسلمتُ، ثم خرج فقدم المدينة. اهـ[٢] .

قوله: (فرد عليه رسول الله زوجَه): قال الدحلاني: إنه بعد أن أسلم وهاجر رد النبي صلى الله عليه وسلم إليه زوجه زينبَ بالنكاح الأول، وقيل: بنكاح جديد، وهذا هو الذي عليه العمل؛ لأن الإسلام فرق بينهما، قال الله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠]، وقيل: هذه الآية متأخرة عن هذه الوقعة،

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٧٥ ـ ١٧٧).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٧)، والخبر المذكور رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ٢٠٩) عن عبدالله بن أبي بكر.

سرية [زيد بن حارثة إلى الطرف]

وفي جمادى الآخرة أرسل عليه الصلاة والسلام زيدَ بن حارثة في خمسة عشر رجلاً؛ للإغارة على بني ثعلبة، الذين قتلوا أصحاب محمد ابن مسلمة، وهم مقيمون بالطَّرِفِ. فتوجهت السرية لذلك، ولما رآهم الأعداء، ظنوهم طليعةً لجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهربوا، وتركوا نعَمهم وشاءهم، فاستاقها المسلمون، ورجعوا إلى المدينة بعد أربع ليالٍ[١].

سرية [زيد بن حارثة إلى وادي القرى]

وفي رجب أرسل عليه الصلاة والسلام زيدَ بن حارثة؛ . . . .

فلم يكن اختلاف الدينين مقتضياً للتحريم إلا بعد نزولها. اهـ[٢].

سرية

قوله: (سرية): عنونها الدحلاني بـ: سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرِف، قال: والطرف: ـ بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء؛ ككتف[٣]ـ.

سرية

قوله: (سرية): عنونها الدحلاني بـ: سرية زيد بن حارثة أيضاً[٤].

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٨)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٥٠١).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٥٨).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٠).

ليُغيرَ على بني فَزَارة؛ لأنهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة من الشام، فسلبوا ما معه، وكادوا يقتلونه، فلما جاء المدينة، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم الخبر، أرسله مع رجاله للقصاص من فَزارة؛ المقيمين في وادي القُرى. فساروا حتى دهموا العدو وأحاطوا بهم، وقتلوا منهم جمعاً كثيراً، وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة، فاستوهبها عليه الصلاة والسلام ممّن أسرها، وفدى بها أسيراً كان بمكة[1].

سرية [عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل]

وفي شعبان أرسل عليه الصلاة والسلام عبدَ الرحمن بنَ عوف مع سبع مئة من الصحابة لغزو بني كلب في دُومة الجَنْدل، وقد وصّاهم عليه الصلاة والسلام قبل السفر بقوله: «اغزوا جميعاً في سبيل الله، فقاتلوا مَنْ كفر بالله، ولا تَغُلُّوا ....

و(فزارة) ـ بفتح الفاء ـ: أبو قبيلة من غطفان[2].

سرية

قوله: (سرية): عنونها السيد الدحلاني بـ: سرية عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه[3] ـ.

قوله: (دومة الجندل) هي: ـ بضم الدال المهملة وبفتحها، وبفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال ـ.

قوله: (ولا تغلوا): في «القاموس»: غَلَّ غُلولاً: خان؛ كأَغل، أو خاصٌّ

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٩)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٥٠١).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٠).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٠).

ولا تغدروا ولا تمثِّلوا، ولا تقتلوا وليداً، فهذا عهدُ الله وسيرةُ نبيّه فـيكم»[١]، ثم أعطاه اللواء، فساروا على بركة الله حتى حلّوا بـديار العـدو، فـدعَوهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الأَصْبَغُ بنُ عمـرٍو النصراني، وأسلم معه جمع من قومه، وبقي آخرون راضين بإعطاء الجزيـة، فتزوج عبد الرحمن بنتَ رئيسهم، كما أمـره بـذلك عليـه الصـلاة والسـلام، وهذه أقرب واسطة لتمكين صلات الودّ بين الأمراء؛ بحيث يهمّ كلاًّ مـا يهـمّ الآخرَ، . . . .

بالفيء. اهـ[٢].

وفي «المصباح»: غلَّ غلولاً من باب قعد، وأغـل ـ بـالألف ـ: خـان فـي المغنم وغيره، وقال ابن السكيت: لم نسمع في المغنم إلا غـلَّ ثلاثيّـاً[٣]، وهـو متعدٍّ في الأصل، لكن أُميت مفعوله فلم يُنطَق به. اهـ[٤].

وقوله في الحديث: (ولا تغدروا)؛ أي: لا تتركوا الوفاء.

قوله: (وفي اليوم الرابع): صوابه: الثالث؛ كما في الحلبي والدحلاني[٥].

قوله: (وتزوج بنت رئيسهم اسمُها تماضر)، قال الـدحلاني: وقـدم بهـا المدينة، ففازت بشرف الصحبة ـ رضي الله عنها ـ.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٦١٧٥) من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. ورواه الترمذي (١٤٠٨) من حديث بريدة ـ رضي الله عنه ـ بنحوه، وقـال الترمـذي: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: غلل).

(٣) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٦٦).

(٤) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: غلل).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٤)، و«السيرة النبوية» لأحمـد ابن زيني دحلان (٢/ ١٦١).

فنِعما هي سياسة السلم والمحبة[١].

سرية [علي بن أبي طالب]

وفي شعبان أرسل عليه الصلاة والسلام عليَّ بنَ أبي طالب في مئة لغزو بني سعد بن بكر بفَدَك؛ لأنه بلغه أنهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابلَ تمر يُعطَونه من تمر خيبر، فسارت السرية، وبينما هم سائرون، التقَوا بجاسوس للعدوّ، وكانوا قد أرسلوه إلى خيبر ليعقد المعاهدة مع يهودها، فطلبوا منه أن يدلّهم على القوم وهو آمنٌ، فدلهم على موضعهم، فاستاق منه المسلمون نعَم القوم، وهرب الرعاةُ، فحذَّروا قومهم، فدَاخَلَهم الرعب، وتفرقوا، فرجع المسلمون ومعهم خمس مئة بَعير وألفا شاةٍ، وردّ الله كيدَ المشركين فلم يمدُّوا اليهود بشيء[٢].

ثم قال: وقد ولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة، وهو الحافظ الثقة كثير الحديث إمام العلماء، وهو من كبار التابعين، واسمه: عبدالله، وقيل: إسماعيل، توفي سنة (٩٤هـ)[٣].

سرية

قوله: (سرية): عنونها السيد الدحلاني بـ: سرية علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه[٤] ـ.

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٩)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٣).

(٢) انظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣٠٩).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦١).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٢).

قتل أبي رافع

وكان المحرّكَ لأهل خيبر على حرب المسلمين، وهو سيدُهم، أبو رافع سَلاّم بنُ أبي الحُقَيق الملقبُ بتاجر أهل الحجاز؛ لما كان له من المهارة في التجارة، وكان ذا ثروة طائلة يُقَلِّبُ بها قلوبَ اليهود كما يريد، فانتدب له عليه الصلاة والسلام مَنْ يقتله، فأجاب لذلك خمسة رجال من الخزرج، رئيسُهم عبدُالله بن عَتِيْك؛ ليكون لهم مثلُ أجر إخوانهم من الأوس الذين قتلوا كعبَ بن الأشرف؛ . . . .

قال الحلبي: وفدك هي خراب الآن، وفي «الصحاح»: فدك: قرية بخيبر. اهـ[1].

قتل أبي رافع

قوله: (قتل أبي رافع) عنون الحلبي والدحلاني في هذه الحادثة بـ: سرية عبدالله بن عتيك[2].

وعَتيك: ـ بفتح العين وكسر التاء وسكون الياء ـ.

قوله: (سلام بن أبي الحقيق): سلام: ـ بشد اللام ـ، والحُقَيق: ـ بضم الحاء وفتح القاف مصغراً ـ.

قوله: (فانتدب له عليه السلام من يقتله . . .) إلخ: قال الحلبي: لما قتلت الأوس كعبَ بن الأشرف؛ تذاكر الخزرج: من يشابه كعبَ بنَ الأشرف في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فذكروا أبا رافع سلامَ بنَ أبي الحقيق؛

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٥). وانظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: فدك).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٥١)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٦٣).

فإن من نِعم الله على رسوله صلى الله عليه وسلم أن كـان الأوس والخـزرج يتفاخرون بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله صلى الله عليه وسـلم، فـلا تعمل الأوسُ عملاً إلا اجتهد الخزرجُ في مثله، فأمرهم الرسـول صـلى الله عليه وسلم بذلك بعد أن وصَّاهم ألّا يقتلوا وليـداً ولا امـرأة، فسـاروا حتـى أتوا خيبر، فقال عبدالله لأصحابه: مكانَكم؛ فإني منطلقٌ للبوّاب ومتلطِّـف لـه لعلّي أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنَّع بثوب كأنـه يقضـي حاجتـه، وقد دخل الناس، فهتف به البوّاب: ادخل يا عبدالله. . . . .

لأنه كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن أعان غطفان وغيـرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي حَزَّب الأحـزاب يوم الخندق؛ لأن الأوس والخزرج كانا يتنافسان فيما يقرب إلـى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم، لا تفعل الأوس شيئاً مـن ذلـك إلا فعلـت الخزرج نظيره، وبالعكس، ويقولون: والله! لا يذهبون بهذا فتيلاً علينا فـي الإسـلام، فانتدب لقتله خمسة من الخزرج، واستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـي ذلك، فأذن لهم، وأمَّر عليهم عبدَالله بن عتيك، وتمامه فيه[١].

وبهذا يعلم أن الخزرج هم الذين انتدبوا أنفسهم، واستأذنوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأذن لهم؛ خلافاً لما تفيده عبارة المؤلف من أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي انتدبهم.

قال الدحلاني: والأربعة الباقون هم: عبدالله بن أنيس، وأبـو قتـادة الحـارث ابن ربعي، والأسود بن خزاعي، ومسعود بن سنان الأسلمي[٢].

قوله: (ادخل يا عبدالله): قال في الحلبي نقلاً عن الصحيح: ناداه بذلك

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٤).

إن كنت تريد الدخول؛ فإني أُريد أن أُغلق الباب، فدخل وكَمَن حتى نام البوَّاب، فأخذ المفاتيح، وفتح ليسهُل له الهرب، ثم توجه إلى بيت أبي رافع، وصار يفتح الأبواب التي تُوصل إليه، وكلما فتح باباً، أغلقه من الداخل حتى انتهى إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، فلم يمكنه تمييزه، فنادى: يا أبا رافع! قال: من؟ فأهوى بالسيف نحو الصوت، فلم يغن شيئاً، وعند ذلك قالت امرأته: هذا صوت ابن عتيك، فقال لها: ثكلتك أُمُّكِ، وأين ابنُ عتيك الآن؟ فعاد عبدالله للنداء مُغيِّراً صوته، قائلاً: ما هذا الصوت الذي نسمعه يا أبا رافع؟ قال: لأمك الويل! إن رجلاً في البيت ضربني بالسيف، فعمد إليه فضربه أخرى لم تُغنِ شيئاً، فتوارى ثم جاءه كالمُغيث وغَيَّر صوته، فوجده مستلقياً على ظهره، فوضع السيف في بطنه، وتحامل عليه حتى سمع صوت العظم، ثم خرج من البيت، وكان نظره ضعيفاً، فوقع من فوق السُّلَّم، فكسرت رجله، فعصَبها بعمامته، ثم انطلق إلى أصحابه، وقال: النجاة، قتِل والله أبو رافع، فانتهوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فحدَّثوه، ثم قال لعبدالله: «ابسط رجلك»، فمسحها علَيه الصلاة والسلام فكأنه لم يشتَكِها قطّ، وعادت أحسنَ ما كانت[1]، . . . .

كما ينادي الشخص شخصاً لا يعرفه، وهو يظن أنه من أهل الحصن[2].

قوله: (حتى نام البواب)؛ أي: وذهب عن أبي رافع أهلُ سمره؛ لأنه كان

---

(١) رواه البخاري (٤٠٣٩) من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ، وانظر: «المواهب اللدنية» للقسطلاني (١/ ٣١٢)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٥٤).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٥٣).

فانظر ـ رعاك الله ـ إلى ما كان عليه المسلمون من استسهال المصاعب ما دامت في إرضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

سرية [عبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ إلى أسير بن رزام]

ولما قُتل كعبٌ، ولّى اليهودُ مكانه أُسَيرَ بنَ رِزام، فأرسل عليه الصلاة والسلام مَنْ يستعلم له خبره، فجاءته الأخبار بأنه قال لقومه: سأصنع بمحمد ما لم يصنعه أحدٌ قبلي، أسير إلى غطفان فأجمعُهم لحربه، . . . . .

يسمر عنده. اهـ. منه[1].

سرية

قوله: (سرية): عنونها الحلبي بـ: سرية عبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنه ـ إلى أُسَير[2].

وكانت في شوال سنة ست[3].

و**(أسير)**: ـ بضم الهمزة وفتح السين ـ، و(رزام)؛ ككتاب.

قوله: (فأرسل له عليه السلام. . .) إلخ: قبل أن يرسله في ثلاثين من الأنصار أرسله في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرّاً ليستكشف له الخبر، فسأله عن خبره وغرته ـ أي: غفلته ـ، فأخبر بذلك، وذلك أنه أتى ناحية خيبر، فدخل في الحوائط، وفرق الثلاثة في ثلاثة من حصونها، فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره، ثم خرج بعد ثلاثة أيام، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان، فأخبره بكل ما رآه وسمعه، وقدم عليه أيضاً خارجة بن حُسَيل، فاستخبره صلى الله عليه وسلم ما وراءه، فقال: تركت أسير بن رزام يسير إليك في كتائب

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٥٣).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٦).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٦).

وسعى في ذلك. فأرسل عليه الصلاة والسلام عبدَالله بنَ رواحةَ الخزرجيَّ في ثلاثين من الأنصار لاستمالته، فخرجوا حتى قدموا خيبر، وقالوا لأسير: نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له؟ قال: نعم، ولي مثلُ ذلك، فأجابوه، ثم عرضوا عليه أن يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويترك ما عزم عليه من الحرب، فيولِّيه الرسول صلى الله عليه وسلم على خيبر، فيعيش أهلها بسلام، فأجاب إلى ذلك، وخرج في ثلاثين يهوديًّا كلُّ يهودي رديفٌ لمسلم، وبينما هم في الطريق، ندم أُسَير على مجيئه، وأراد التخلّص مما فعل بالغدر بمن أمَّنوه، فأهوى بيده إلى سيف عبدالله بن رواحة، فقال له: أغدراً يا عدو الله؟ ....

يهود، فندب صلى الله عليه وسلم الناس له، فانتدب له ثلاثون رجلاً، فبعث عليهم عبدالله بن رواحة[1].

قوله: (فأجاب إلى ذلك): قبل أن يجيب إلى ذلك استشار يهود في ذلك، فأشاروا عليه بعدم الخروج، وقالوا: ما كان محمد ليستعمل رجالاً من بني إسرائيل، قال: بلى، قد مل الحرب. اهـ. حلبي[2].

ثم قال: قال في «النور»: هذا الكلام لا يناسب أن يقال قبل فتح خيبر، فالذي يظهر أنها بعد فتح خيبر، وأقول: يجوز أن يكون المراد باستعماله على خيبر: المصالحةَ وترك القتال، ومن ثم أجاب بقوله: إنه صلى الله عليه وسلم قد مل الحرب. اهـ[3].

قوله: (أغدراً يا عدو الله): قالها له ثلاثاً كما في الحلبي[4].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٦).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٦ ـ ١٨٧).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٧).

ثم نزل وضربه بالسيف فأطاح عامّة فخذه، ولم يلبث أن هلك، فقام المسلمون على مَن معه من اليهود، فقتلوهم عن آخرهم. وهذه عاقبة الغدر[1].

قوله: (فأطاح عامة فخذه...) إلخ: قال في الحلبي: وكان بيده مخدش[2] من شوحط[3]، فضربني به على رأسي، فشجني مأمومة، وملنا على أصحابه فقتلناهم إلا رجلاً واحداً أعجزنا جرياً، ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحدثناه الحديث، فقال: «قد نجاكم الله من القوم الظالمين»، وبصق في شَجَّتي، فلم تقح عليَّ ولم تؤذني[4].

وقطع لي قطعة من عصاه، فقال: «امسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها؛ فإنك تأتي يوم القيامة متخصراً»، فلما دفن عبدُالله، جُعلت معه على جلده دون ثيابه[5]. اهـ.

ثم قال: لكن ربما تتشوف النفس للسؤال عن حكمة تخصيصه بهذه المنقبة دون بقية الصحابة[6].

وقد أجاب عن ذلك السيد الدحلاني حيث قال: والشارع إذا خص بعض صحبه بشيء لا يُسأل لمَ لم يفعله مع بقية الصحابة[7]؟

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٦ ـ ١٨٧).

(٢) في هامش الأصل: «الخادشة: كل شجر له شوك».

(٣) في هامش الأصل: «شجر تتخذ منه القِسيّ».

(٤) أورده ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٩٢). ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٩٤) عن الزهري بنحوه، وفيهما: «مخرش» بدل «مخدش».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٦٠) من حديث عبدالله بن أنيس ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

(٦) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٨٧).

(٧) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٨).

قصة عُكْل وعُرَيْنَة

قدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوّال جماعة من عُكْـل وعُرَيْنَة، فأظهروا الإسلام، وبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا سِقاماً، مصفرةً ألوانُهم، عظيمةً بطونُهم، فلم يوافقهم هواء المدينة، فأمر لهم عليه الصلاة والسلام بذَوْدٍ من الإبل معها راعٍ، . . . .

قصة عكل وعرينة

قوله: (عكل وعرينة) عكل: بوزن قُفْل، وهم حيّ من قضاعة، وعُرَينة ـ بوزن جُهينة ـ: حي من بجيلة، وهي سرية كرز بن جابر الفهري، وكُرْز: بوزن قفل.

قوله: (جماعة) هم سبعة أو ثمانية. اهـ. دحلاني[1].

قوله: (عظيمة بطونهم): قال في «زاد المعاد»: كانوا مصابين بداء الاستسقاء[2].

قوله: (فلم يوافقهم هواء المدينة): في الدحلاني: فقالوا: يا رسول الله! إنا كنا أهل ضرع ـ بكسر الضاد؛ أي: ماشية وإبل ـ ولم نكن أهل ريف ـ الريف: الأرض التي فيها زرع وخصب ـ، وكرهنا الإقامة بالمدينة، فلو أذنت لنا فخرجنا إلى الإبل، فأمر لهم عليه السلام بذود من الإبل ـ والذود بفتح الذال: وهي من الثلاثة إلى العشرة ـ معها راع. . . إلخ ما ذكره المؤلف، والراعي كان عبداً للنبي صلى الله عليه وسلم، واسمه يسار[3].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٩).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٤/ ٤٦).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٦٩).

وأمرهم باللحوق بها في مرعاها ليشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا، ولما تم شفاؤهم، جازوا الإحسانَ كفراً، فقتلوا الراعي، ومَثَّلُوا به، واستاقوا الإبل، فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، أرسل وراءهم كُرْزَ بن جابر الفِهري في عشرين فارساً، فلحقوا بهم، وقبضوا على جميعهم، ولما جيء بهم إلى المدينة، أمر عليه الصلاة والسلام أن يمثل بهم كما مَثَّلُوا بالراعي، فقُطعت أيديهم وأرجلُهم، وسُمِّرَتْ أعينُهم، وأُلقوا بالحرّة حتى ماتوا، فهكذا يكون جزاءُ الخائن الذي لا يُنتظر منه صلاح، وعَمَلُ هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الأصل، ولؤم العشيرة، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك عن المُثْلَة.

قوله: (وأمرهم باللحوق بها)؛ أي: إلى ناحية الحرة.

قوله: (وألقوا بالحرة حتى ماتوا): قال أنس ـ رضي الله عنه ـ: فلقد رأيتهم يكدِم ـ بضم الدال وكسرها؛ أي: يعضّ ـ بعضُهم الأرض بفيه حتى ماتوا[1]، وفي رواية: كانوا يستسقون فلا يُسقَوْن[2]؛ لأنهم ارتدوا، فلا حرمة لهم، وأنزل الله في هؤلاء: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[المائدة: ٣٣] الآية، وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا. اهـ. دحلاني[3].

ثم قال: وفي القصة دلالة على مشروعية الطب، والتداوي بألبان الإبل وأبوالها، وأن كل جسد يطب بما اعتاد، وقتل الجماعة بالواحد، والمماثلة في القصاص[4].

---

(١) رواه البخاري (٥٦٨٥)، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٢٣٣)، ومسلم (١٦٧١)، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٠).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٠).

سرية [عمرو بن أمية الضَّمْرِي لقتل أبي سفيان]

جلس أبو سفيان بنُ حرب يوماً في نادي قومه، فقال: ألا رجلٌ يذهب لمحمد فيقتله غدراً؛ فإنه يمشي بالأسواق لنستريحَ منه؟ فتقدم لـه رجـل، وتعهد له بما أراد، فأعطاه راحلةً ونفقةً، وجهّـزه لـذلك. فخـرج الرجـل حتى وصل إلى المدينة صُبْحَ سادسةٍ من خروجـه، فسـأل عـن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، فَدُلَّ عليه وهو بمسجد بني عبد الأشـهل، فلمـا رآه عليه الصلاة والسلام قال: «إن هـذا الرجـل لَيريـدُ غـدراً، وإن الله مـانعي منه»، فذهب لينحني على الرسول صلى الله عليه وسلم، فجذبـه أُسَـيد بـن حُضَير من إزاره، وهنالك سقط الخنجر، فندم الرجلُ على فعلته، ثـم سـأله عليه الصلاة والسلام عن سبب عمله، فصَدَقَه بعـد أن توثّـق مـن حفـظ دمـه، فخلّى عليه الصلاة والسلام سبيله. فقال الرجـل: والله يـا محمـد! مـا كنـت أخافُ الرجال، فما هو إلا أَنْ رأيتك، فذهب عقلي، وضعفت نفسي، . . .

سرية

قوله: (سرية) عنونها الدحلاني بـ: سرية عمرو بن أمية الضَّمْرِي[1]، وهي ـ بفتح الضاد وسكون الميم ـ نسبة لبني ضَمْرة.

قوله: (فتقدم له رجل. . .) إلخ: في الدحلانية: أتى أبا سفيان رجل مـن الأعراب في منزله، فقال: قد وجدتَ أجمعَ الرجال قلباً، وأشدهم بطشاً، وأسـرعهم شدّاً ـ أي: جرياً ـ فإن أنت قويتني، خرجتُ إليه حتـى أغتالـه، ومعـي خنجـر مثـل خافية النسر، فأسوره، ثم آخذه في عيـر، فأسـير وأسـبق القـوم عَـدْواً؛ فـإني هـاد بالطريق، فقال: أنت صاحبنا، فأعطاه بعيراً ونفقة وقال: اطو أمرك[2].

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٠).

ثم إنك اطّلعت على ما هَممتُ به مما لم يعلمه أحد، فعرفتُ أنك ممنوع، وأنك على حق، وأن حزب أبي سفيان حزبُ الشيطان، ثم أسلم. وعند ذلك أرسل عليه الصلاة والسلام عَمْرَو بنَ أمية الضَّمْرِيَّ، وكان رجلاً جريئاً فاتكاً في الجاهلية، وأصحَبَه برفيق؛ ليقتلا أبا سفيان غيلةً جزاء اعتدائه، فلما قدما مكة، توجها ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما أرسلا له، فعرف عَمْراً أحدُ رجال مكة، فقال: هذا عمرو بن أُميّة ما جاء إلا بِشَرّ، فلما رآهم علموا به، لم يجد مناصاً من الهرب، فاصطحب معه رفيقَه، ورجعا إلى المدينة[1].

فأسوره: يظهر أن معناها: التسلق عليه، في «القاموس»: سُرْتُ الحائطَ سَوْراً، وتسوَّرتُه: تسلَّقته[2].

قوله: (ثم أسلم): قال الدحلاني: أقام الرجل أياماً، ثم استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج، فأذن له، فخرج ولم يُسمع له بذكر، ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل. اهـ[3].

قوله: (فاتكاً) الفتك: القتل على غفلة.

قوله: (غيلة): ـ بكسر الغين ـ، يقال: قتله غِيلة؛ أي: خدعه، فذهب به إلى موضع فقتله.

قوله: (توجها ليطوفا...) إلخ. في الدحلانية: لما دخل مكة ليلاً، قال جبار لعمرو: لو أنا طفنا بالبيت، وصلينا ركعتين، فقال عمرو: إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم، وإنهم إن رأوني عرفوني؛ فإني أَعرَفُ بمكة من الفرس الأبلق،

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٣٣٣ ـ ٣٣٥) عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري، وعبد الواحد بن أبي عون، بنحوه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سور).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧١).

وكأَنَّ الله سبحانه أراد أن يعيش أبو سفيان حتى يُسَلِّمَ بيده مفاتيحَ الكعبة للمسلمين، ويعتنق الدين الحنيفي القويم.

غزوة الحُدَيْبِيَة

رأى عليه الصلاة والسلام في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلِّقين رؤوسَهم ومقصِّرين، فأخبر المسلمين أنه يريد العمرة، . .

فقال: كلا إن شاء الله، فقال عمرو: فأبى أن يطيعني، فطفنا بالبيت وصلينا، ثم خرجنا نريد أبا سفيان، فوالله! إنا لنمشي بمكة، إذ نظر إليَّ رجل من أهلها فعرفني، فقال: عمرو بن أمية، فوالله! إنْ قدمها إلا لشرّ، فقيل: إن هذا الرجل الذي أبهمه هو معاوية بن أبي سفيان، وقيل غيرُه، فأخبر أبا سفيان وقريشاً بوجود عمرو بمكة، فخافوه وطلبوه، فهرب هو وجبار بن صخر، وعادا إلى المدينة. اهـ[1].

وبه يعلم أنهما بعد أن طافا توجها ليقوما بما أرسلا إليه؛ خلافاً لما توهمه عبارة المؤلف.

غزوة الحديبية

قوله: (غزوة الحديبية) ـ بتخفيف الباء وتشديدها ـ، وهي بئر يسمى المكان باسمها، وقيل شجرة، وقيل قرية أكثرها في الحرم على تسعة أميال من مكة.

قوله: (فأخبر المسلمين) لما أخبرهم فرحوا، ثم أخبرهم أنه يريد الخروج للعمرة.

قال الدحلاني: كان خروجه يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة[2].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧١).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٣).

واستنفر الأعراب الذين حول المدينة ليكونوا معه؛ حذراً من أن تردّهم قريش عن عمرتهم، ولكن هؤلاء الأعراب أبطؤوا عليه؛ لأنهم ظنوا ألّا ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً، وتخلَّصوا بأن قالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا، فاستغفرْ لنا، فخرج عليه الصلاة والسلام بمن معه من المهاجرين والأنصار تبلغ عدّتهم ألفاً وخمس مئة، وولى على المدينة ابنَ أُم مكتوم، وأخرج معه زوجَه أم سلَمةَ، وأخرج الهَدْيَ؛ ليعلم الناس أنه لم يأت محارباً، ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح إلا السيوف في القُرُب؛ . . . .

قوله: **(واستنفر الأعراب الذين حول المدينة)**؛ أي: ممن أسلم منهم، وهم غفار ومزينة وجهينة، وأسلمُ القبيلةُ المعروفة.

قوله: **(أبطؤوا عليه)**: وقالوا: أنذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة، وقتلوا أصحابه فنقاتلهم؟ واعتلُّوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم، وأنه ليس لهم من يقوم بذلك، فأنزل الله يكذبهم في اعتذارهم بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[الفتح: ١١].

قوله: **(وأخرج الهدي. . .)** إلخ: قال الحلبي: كان الهدي سبعين بدنة، وجللها، وأشعر منها عدةً وهي موجهاتٌ للقِبلة في الشق الأيمن من سنامها، ثم أمر ناجية بنَ جندب، فأشعر ما بقي منها، وقلدهن نعلاً نعلاً، وأشعر المسلمون بُدْنَهم وقلدوها.

والإشعار: جرح بصفحة سنامها، والتقليد: أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية؛ ليعلم أنه هدي، فيكف الناس عنه[1].

قوله: **(ولم يكن مع أصحابه شيء من السلاح)** قال الحلبي: قال له عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: أتخشى يا رسول الله من أبي سفيان وأصحابه، ولم

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٨٩).

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرضَ أن يحملوا السيوف مجردةً وهم معتمرون، ثم سار الجيش حتى وصل عُسْفان، فجاءه عينُه يخبره أن قريشاً أجمعتْ رأيها أن يصدّوا المسلمين عن مكة، وألّا يدخلوها عليهم عَنْوةً أبداً. وتجهزوا للحرب، وأعدّوا خالدَ بنَ الوليد في مئتي فارس طليعةً لهم ليصدّوا المسلمين عن التقدم، فقال عليه الصلاة والسلام: «هل من رجل يأخذ بنا على غير طريقهم؟» فقال رجل من أَسلمَ: أنا يا رسول الله. . . . .

تأخذ للحرب عدتها؟ فقال: «لست أحب أن أحمل السلاح معتمراً»[1].

قوله: (عسفان): هو كعثمان.

قوله: (فجاءه عينه) قال الحلبي: هو بشر بن سفيان العتكي، جاءه صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! هذه قريش قد سمعت بخروجك، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش، وأجلبت ثقيف معهم، ومعهم النساء والصبيان، وفي لفظ: خرجوا ومعهم العوذ المطافيل ـ أي: النياق ذوات اللبن التي معها أولادها؛ ليتزودوا ولا يرجعون خوف الجوع، أو العُوذ المطافيل من النساء معهم أطفالهم: أي: أنهم خرجوا بنسائهم معهم أولادهن؛ ليكون أدعى لعدم الفرار ـ وقد لبسوا جلود النمور ـ أي أظهروا العداوة والحقد ـ وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله أن لا يدخلنها عليهم عنوة أبداً. اهـ. ملخصاً[2].

قوله: (وأعدوا خالد بن الوليد. . .) إلخ؛ أي: في موضع يقال له: الغميم، وهو قريب من مكة.

قوله: (فقال رجل من أسلم): هو حمزة بن عمرٍو الأسلمّي.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٨٩ ـ ٦٩٠)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٧٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٠)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٧٥).

فسار بهم في طريق وعرة، ثم خرج بهم إلى مستوٍ سهل يملك مكة من أسفلها، فلما رأى خالدٌ ما فعل المسلمون، رجع إلى قريش، وأخبرهم الخبر. ولما كان عليه الصلاة والسلام بثنيّة المُرَار، بركت ناقته. فزجروها فلم تقم، فقالوا: خلأَتِ القَصْوَاء، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما خلأت، وما ذلك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابسُ الفيل، والذي نفسُ محمد بيده! لا تدعوني قريش لِخَصْلَة فيها تعظيمُ حرماتِ الله، . . . .

قوله: (فزجروها): حيث قالوا لها: حل حل، وهي كلمة تقال للناقة إذا تركت السير[1].

وقوله: (قالوا: خلأت القصواء)؛ أي: حرنت وبركت من غير عِلَّة، والخِلاء ـ بكسر الخاء وبالمد ـ للإبل كالحِران للخيل[2].

قوله: (حبسها حابس الفيل)؛ أي: منعها الله عن دخول مكة؛ أي: علم صلى الله عليه وسلم أن ذلك صَدٌّ له من الله عن مكة أن يدخلها قهراً. اهـ. حلبي[3].

قال الدحلاني: ومناسبة ذلك التشبيه: أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة، وصدتهم قريش، لوقع القتال المُفضي إلى سفك الدماء ونهبِ الأموال؛ كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه، لكن سبق في علم الله أنهم لا يدخلون الآن؛ لأنه سيُدخل في الإسلام خلقاً منهم، [و] يستخرج من أصلابهم ناساً يسلمون ويجاهدون، وتمامه فيه[4].

قوله: (فيها تعظيم حرمات الله)؛ أي: من تركِ القتال في الحرم، والجنوحِ

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٦).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٦).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٣).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٦)، وما بين معكوفتين منه.

إلا أجبتُهم إليها»[1].

مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت، لظفروا بهم، ولكن كَفَّ الله أيديَ المسلمين عن قريش، وكَفَّ أيديَ قريش عن المسلمين؛ كيلا تُنتهك حُرمات البيت الذي أراد الله أن يكون حرماً آمناً، ويوطد المسلمون من جميع الأقطار دعائمَ أخوتهم فيه. ثم أمرهم عليه الصلاة والسلام بالنزول أقصى الحديبية، وهناك جاء بُدَيلُ بنُ وَرْقَاءَ الخُزاعيُّ رسولاً من قريش، يسأل عن سبب مجيء المسلمين، فأخبره عليه الصلاة والسلام بمقصده، فلما رجع بُديلٌ إلى قريش، وأخبرهم بذلك، . . . .

إلى السلم، والكفِّ عن إراقة الدماء.

قوله: (ثم أمرهم عليه السلام بالنزول في أقصى الحديبية): قال الدحلاني: لما قال للناس: «انزلوا»؛ قالوا: يا رسول الله! ما بالوادي ماء ننزل عليه، وكان فيه حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلاً قليلاً، فأخذوه حتى نزحوه، وشكَوْا إليه العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فنزل ناجيةُ بنُ الأعجم، وقيل غيرُه، فوضعه في البئر، قال: فوالله! ما زال يجيش ـ أي: يفور الماء ـ حتى صدروا عنه رِواءً بعد ورودهم[2].

قوله: (فأخبره عليه السلام بمقصده): في الدحلانية: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيباً لبديل: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، فإن شاؤوا مادَدْتهم ـ أي: جعلت بيني وبينهم مدة نترك الحرب فيها ـ ويُخلوا بيني وبين الناس من كفار العرب وغيرهم، فإن أظهرْ،

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ، ومروان بن الحكم، بنحوه.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٦)، والخبر المذكور أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (٤/ ٢٧٧) عن ابن شهاب.

لم يثقوا به؛ لأنه من خزاعة الموالية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما كانت كذلك لأجداده، وقالوا: أيريد محمدٌ أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب أنه قد دخل علينا عَنوةً، وبيننا وبينهم من الحرب ما بيننا؟ والله! لا كان هذا أبداً. . . . .

فإن شاؤوا الدخولَ فيما دخل فيه الناس، فعلوا، وإلا، فقد جَمُّوا»[1] ـ بفتح الجيم وشد الميم المضمومة؛ ـ يعني ـ استراحوا من القتال.

وفي رواية: «فإن ظهر الناس عليَّ، فذلك الذي يبتغون»[2].

وفي رواية: «وإن لم يفعلوا، قاتلوا وبهم قوة، وإن هم أبوا، فوالذي نفس محمد بيده! لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي»[3]، وهي صفحة العنق، كنى بذلك عن القتل؛ أي: حتى أموت، وأبقى منفرداً في قبري. اهـ. ملخصاً[4].

ثم قال: وفي هذا تصريح بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من القوة والثبات في تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره.

وبُديلٌ أسلم يوم الفتح، وشهد حنيناً والطائف وتبوك، وكان من كبار مسلمة الفتح[5].

قوله: (لأنه من خزاعة الموالية لرسول الله): وقد تقدم أن خزاعة كانت عَيبةَ نصح للنبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ، ومروان، بنحوه.

(٢) أوردها ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٣٣٨)، وعزاها لابن عائذ عن الزهري.

(٣) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنهما ـ، ومروان، بنحوه.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٨).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٧٨).

ومنا عَيْن تَطْرِف. ثم أرسلوا حُلَيْسَ بنَ علقمة سَيِّد الأحابيش، وهم حلفاء قريش، فلما رآه عليه الصلاة والسلام، قال: «هذا مِنْ قوم يعظّمون الهدْي، . .

قوله: (ومنا عين تطرِف)؛ أي: ما دمنا أحياء، وتطرِف: بكسر الراء.

قوله: (ثم أرسلوا حليس بن علقمة) هو من بني كنانة.

وقوله: (وكان سيد الأحابيش)؛ أي: القبائل التي تجمَّعت من غير قريش. اهـ. دحلاني[1].

وقبل أن يرسلوه أرسلوا مكرزَ بنَ حفص، وقد أهمل ذكره المؤلف هنا، وذكره الحلبي والدحلاني وابن هشام وابن القيم[2].

قال الحلبي: ثم بعثوا إليه صلى الله عليه وسلم مكرز بن حفص، وهو من بني عامر، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً، قال: «هذا الرجل غادر»[3]، وفي رواية: «فاجر»[4]، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبديل، فرجع إلى قريش، وأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعثوا إليه الحليسَ ابنَ علقمة. . . إلخ ما ذكره المؤلف[5].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٥)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٨٣)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٧٩)، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٢٩٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٢٤) من حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنهما ـ، ومروان.

(٤) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنهما ـ، ومروان.

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٥).

ابعثوه في وجهه حتى يراه»، ففعلوا، واستقبله الناس يُلَبُّون، فلما رأى ذلك حُلَيْس، رجعَ، وقال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا. أتحجُّ لخم وجذام وحِمْير، ويُمنع عن البيت ابن عبد المطلب؟ هلكَت قريش، وربِّ البيت إن القوم أَتَوا معتمرين[١].

فلما سمعت قريش منه ذلك قالوا له: اجلسْ إنما أنت أعرابي لا علم لك بالمكايد، ثم أرسلوا عُرْوَةَ بن مسعود الثقفي سيدَ أهل الطائف، فتوجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا محمد! قد جمعتَ أوباشَ الناس، ثم جئت إلى أهلك وعشيرتك. . . . .

قوله: (ابعثوه في وجهه)؛ أي: أثيروه دفعة واحدة؛ ليعتبر برؤيتها، ويتحقق أنهم لا يريدون حرباً، فيعينهم على دخول مكة لنُسُكِهم. اهـ. دحلاني[٢].

قوله: (إنما أنت أعرابي لا علم لك بالمكائد) في الدحلانية: لما قالوا له ذلك، غضب وقال: يا معشر قريش! والله! ما على هذا عاهدناكم، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له؟! والذي نفس الحليس بيده! لتخلن بين محمد وما جاء له، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به[٣].

قوله: (أوباش الناس)؛ أي: أخلاط الناس.

وقوله: (ثم جئت إلى أهلك. . .) إلخ: العبارة في الحلبي: ثم جئت بهم إلى بيضتك؛ أي: أصلك وعشيرتك لتفضها بهم[٤].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٨٥٥) عن عروة بن الزبير، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٦ ـ ٦٩٧).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨٢).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨٣).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٧).

لِتَفُضَّها بهم! إنها قريش قد خرجت تعاهد الله ألا تدخلها علـيهم عَنْـوة أبـداً. وايمُ الله! لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك. فنال منه أبو بكـر، وقـال: نحـن ننكشف عنه؟ ويحك! وكان عروة يتكلم وهو يمسّ لحية رسول الله صـلى الله عليه وسلم، . . . .

وهي أولى من عبارة المؤلف، ومعنى (لتفضها بهم): لتكسرها بهم.

في «المصباح»: فضضت الختم فضّاً من باب قتل: كسرته[1].

قوله: (قد انكشفوا عنك)؛ أي: انهزموا غداً. حلبي[2].

قوله: (فنال منه أبو بكر)؛ أي: حيث قال له: اعضضْ بَظْرَ اللات[3].

والبظر ـ بفتح الباء ـ: هو الفرج، وقيل: قطعة تبقى بعد الختان[4].

قال الدحلاني: قال العلماء: وهذا مبالغة من أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ في سب عروة؛ فإنه أقام معبودَ عروة ـ وهو صنمه ـ مقام امرأة تحقيراً لمعبـوده، وعـادة العرب الشتم بذلك، فقال عروة: من هذا يا محمد؟ واستفهم عنه لجلوسه خلف النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسـلم: «هـذا أبـو بكـر»، فقال عروة مخاطباً لأبي بكر: أما والذي نفسي بيده! لولا يـدٌ لـك عنـدي ـ أي: نعمة سابقة ـ لم أكافئك بها، لأجبتك، ولكن هذه بها؛ أي: جعلـت عـدم إجابتـك عن شتمي جزاءً ليدك التي كنتَ أحسنتَ إليَّ بها[5].

---

(١) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: فضض).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٧).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنـور الـدين الحلبـي (٢/ ٦٩٧)، ورواه البخـاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديـث المسور بن مخرمـة ـ رضي الله عنهما ـ، ومـروان، وفيـه: «امصص» بدل «اعضض».

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٧).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨٠)، والخبر المذكور =

فكـان المغيرة بن شعبـة يقرع يده إذا أراد ذلك، ثم رجع عروة وقـد رأى ما يصنع بالرسول أصحابه، لا يتوضأ وضُوءاً إلا كادوا يقتتلون عليه يتمسـحون به، وإذا تكلموا، خَفَضوا أصواتهم عنده، ولا يُحِدُّون النظر إليه. فقـال: والله يا معشر قريش! جئتُ كسرى في ملكه، وقيصرَ في عظمته، فمـا رأيـتُ مَلِكاً في قومه مثلَ محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشـيء أبداً، فانظروا رأيكم؛ فإنـه عرض عليكم رشداً، فاقبلوا مـا عـرض علـيكم؛ فإني لكم ناصح، مع أني أخاف ألا تنصروا عليه. . . . .

قوله: (فكان المغيرة يقرع يده)؛ أي: يضرب يده بنعل السيف، وهو ما يكون أسفل القِراب من فضـة أو غيرهـا، وفعـل المغيرة ذلك إجـلالاً وتعظيمـاً للنبـي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول لعروة: أخِّرْ يدَك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه لا ينبغي لمشرك أن يمسها، يقول عروة: ما أفظك وما أغلظك!

وقد كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمـه، ولا سـيما عنـد الملاطفة، يريدون بذلك التحية والتواصل، وفي الغالب إنمـا يصـنع ذلـك النظيـر، بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي صلى الله عليه وسلم، ومـا علـم حينئذ أنه لا نظير له، فاللائق منعه، فلذا كان المغيرة ـ رضي الله عنه ـ يمنعه[1].

قوله: (وقد رأى ما يصنع بالرسول أصحابه): قال الدحلاني: فكـان فـي فعلهم ذلك ردٌّ لما ظنه من فرارهم، فكأنهم قالوا بلسان الحال: مـن نحبـه هـذه المحبة، ونعظمه هذا التعظيم كيف يُظَن بنا أن نفر عنه ونُسلمه لعدوه؟![2].

= رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، والإمام أحمد في «المسـند» (٤/ ٣٢٤)، مـن حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنهما ـ، ومروان.

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨١).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨٢).

فقالت قريش: لا تتكلم بهذا، ولكن نردّه عامنا، ويرجع إلى قابل ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم اختار عثمان بنَ عفان رسولاً من عنده إلى قريش حتى يعلمهم مَقْصِده، فتوجَّه، وتوجَّه معه عشرة استأذنوا الرسول صلى الله عليه وسلم في زيارة أقاربهم، وأمر عليه الصلاة والسلام عثمان أن يأتي المستضعفين من المؤمنين بمكة، فيبشرهم بقرب الفتح، وأنَّ اللّه مُظِهر دينه، فدخل عثمان مكة في جوار أبَان بن سعيد الأموي، فَبَلَّغ ما حمل، فقالوا: إن محمداً لا يدخلها علينا عَنْوة أبداً. ثم طلبوا منه أن يطوف بالبيت، فقال: لا أطوف ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ممنوع، . . . .

قوله: (فقالت قريش: لا تتكلم بهذا. . .) إلخ: لما قالوا له ذلك قال: ما أراكم إلا ستصيبيكم قارعة، ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف. اهـ. حلبي(١).

قوله: (ثم إن الرسول اختار عثمان بن عفان رسولاً): قبل أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان، دعا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله! إني أخاف قريشاً على نفسي، وما بمكة من بني عديِّ بنِ كعب أحد يمنعني، وقد عرفتْ قريش عداوتي إياها، وغلظي عليها، ولكن أدلك على رجل أعز بها مني: عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ؛ فإن بني عمه يمنعونه، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان، وكتب له كتاباً إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت إلا زائراً لهذا البيت ومعظماً لحرمته. اهـ. دحلاني، حلبي(٢).

قوله: (أَبان) هو كسحاب.

قوله: (فقال: لا أطوف ورسول الله ممنوع): قال الدحلاني: وقال

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٠٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨٤ ـ ١٨٥)، و«السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٠٠).

ثم إنهم حبسوه، فشاعَ عند المسلمين أن عثمان قُتِلَ، فقال عليه الصلاة والسلام حينما سمع ذلك: «لا نبرح حتى نُناجزهم الحرب»[١].

بيعة الرضوان

ودعا الناسَ للبيعة على القتال، فبايعوه تحت شجرة هناك ـ سميت بعدُ بشجرة الرضوان ـ على الموت، فشاعَ أمرُ هذه البيعة في قريش، فداخلهم منها رعبٌ عظيم، ....

المسلمون الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم: قد خلص عثمان إلى البيت فطاف به دوننا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون»، قالوا: وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص إليه؟ قال: «ذاك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكث كذا وكذا سنة»، فلما رجع عثمان، وقيل له في ذلك؛ أي: قالوا له: طفتَ بالبيت؟ فقال: والذي نفسي بيده! لو مكثت بها معتمراً كذا وكذا سنة، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية، ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ[٢].

قوله: (حتى نناجزهم الحرب)؛ أي: نقاتلهم.

بيعة الرضوان

قوله: (ودعا الناس للبيعة...) إلخ: بايعوه على عدم الفرار، وأنه إما الفتح وإما الشهادة، وبايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان، فوضع يده على يده؛ أي: وضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال: «اللهم إن هذه عن عثمان؛ فإنه في

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٤/ ٢٨٣) عن عبدالله بن أبي بكر.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٨٥)، والخبر المذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٣٤) عن عروة بن الزبير.

وكانوا قد أرسلوا خمسين رجلاً عليهم مكرزُ بن حفص ليطوفوا بعسكر المسلمين لعلهم يصيبون منهم غِرَّة، فأسرهم حارس الجيش محمد بن مسلمة، . . . .

حاجتك وحاجة رسولك»[1]، وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أنتم خير أهل الأرض»[2]، وقيل لها: بيعة الرضوان؛ لأنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة» رواه مسلم. اهـ. حلبي[3].

وأنزل الله تعالى في حقهم سورة الفتح: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح: ١٨]، والشجرة كانت من أشجار السَّمُر ـ بفتح السين وضم الميم ـ.

قال في هوامش «القاموس»: هو اسمُ جمعٍ واحدتُه سَمُرة، وتجمع سَمُرات، وهو شجر الطلح، ويسمى: أم غيلان[4].

قال الحلبي والدحلاني: وصارت تلك الشجرة يقال لها: شجرة الرضوان، وبلغ عمر ـ رضي الله عنه ـ في خلافته أن ناساً يصلون عندها، ويطوفون بها، فخاف ـ رضي الله عنه ـ من اتساع الأمر وظهور البدعة، وأن تُعبد كالأصنام، فأمر بها فقُطعت. اهـ[5].

---

(١) رواه الترمذي (٣٧٠٢) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) رواه البخاري (٤١٥٤) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٠٢ ـ ٧٠٤)، والحديث المذكور رواه مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم بشر ـ رضي الله عنها ـ بنحوه.

(٤) انظر: «تاج العروس» للزبيدي (مادة: طلح، سمر).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧١٧)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٠٠).

وهرب رئيسهم، ولما علمت بذلك قريش، جاء جمع منهم، وابتدؤوا يناوشون المسلمين حتى أُسر منهم اثنا عشر رجلاً، وقُتل من المسلمين واحد.

صلح الحُدَيبية

وعند ذلك خافت قريش، وأرسلت سهيلَ بنَ عَمْرٍو للمكالمة في الصلح، فلما جاء قال: يا محمد! إن الذي حصل ليس من رأي عقلائنا، بل شيء قام به السفهاء منّا، فابعث بمن أسرت، فقال: حتى ترسلوا مَنْ عندكم. وعندئذٍ أرسلوا عثمان والعشرةَ الذين معه، ثم عرض سهيل الشروط التي تريدها قريش، وهي:

قوله: **(وقتل من المسلمين واحد)**: هو ابن زنيم، أصابه سهم. اهـ. حلبي[1].

صلح الحديبية

قوله: **(وعند ذلك)**: الإشارة إلى البيعة.

قال الحلبي: لما علمت قريش بهذه البيعة خافوا، وأشار أهل الرأي بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل، فيقيم ثلاثاً معه سلاح الراكب؛ السيوف في القرب، والقوس[2].

قوله: **(وأرسلت سهيلَ بنَ عمرو)**؛ أي: ثانياً، ومعه مكرزُ بنُ حفص، وحُوَيطب بنُ عبد العزى.

قوله: **(إن الذي حصل)**؛ أي: من حبس عثمان ومن معه، وإرسالهم مكرزَ بنَ حفص مع خمسين رجلاً.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٠٥).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٠٥).

١ ـ وضع الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات.

٢ ـ من جاء المسلمين من قريش يردّونه، ومن جاء قريشاً من المسلمين لا يُلْزمون بردّه.

٣ ـ أن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم من غير عُمرة هذا العام، ثم يأتي العام المقبلَ، فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش، فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيفُ في القراب والقوس.

٤ ـ من أراد أن يدخل في عهد محمد صلى الله عليه وسلم من غير قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه.

فقبل عليه الصلاة والسلام كل هذه الشروط. أما المسلمون، فداخلهم منها أمر عظيم وقالوا: سبحان الله! كيف نَرُدُّ إليهم من جاءنا مسلماً، ولا يردّون مَنْ جاءهم مُرْتدًّا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إنه من ذهب منّا إليهم، فأبعدَه الله، ومن جاءنا منهم فرددناه إليهم، فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً»[(١)].

أما الأمر الثالث: وهو صدُّ المسلمين عن الطواف بالبيت، فكان أشدَّ تأثيراً في قلوبهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبرهم أنه رأى في منامه أنهم دخلوا البيت آمنين، وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك، فقال ـ رضي الله عنه ـ: وهل ذكر أنه في هذا العام؟

قوله: (أربع سنوات): قال الحلبي: وقيل: سنتان، وقيل: عشر، وصحح الحاكم ما ذكره المؤلف[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (١٧٨٤) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٠٩ ـ ٧١٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٠٨).

ثم كتبت شروط الصلح بين الطرفين، وكان الكاتب علي بن أبي طالب، فأملاه عليه الصلاة والسلام: «بسم الله الرحمن الرحيم». فقال سُهيل: اكتب: باسمك اللهمّ، فأمره الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، ثم قال: «هذا ما صالح عليه محمد رسولُ الله» فقال سهيل: لو نعلم أنك رسولُ الله ما خالفناك، اكتبْ: محمد بن عبدالله. فأمر عليه الصلاة والسلام عليّاً بمحو ذلك، وكتابةِ: محمد بن عبدالله، فامتنع، فمحاها النبي بيده[1].

وكتبت نسختان: نسخة لقريش، ونسخة للمسلمين.

قوله: (فامتنع)؛ أي: وهو يبكي استعظاماً لهذه الشروط.

قوله: (وكتبت نسختان): قال الحلبي: لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح، أُشهد عليه رجال من المسلمين، وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد ابن مسلمة، ومن المشركين: حويطب بن عبد العزى، ومكرز بن حفص[2].

وما تم هذا الصلح إلا بعد توقف كثير من المسلمين فيه، وصاروا يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم ويسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط، لا سيما عمر؛ فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيراً، ومن مراجعته أنه قال له: ألستَ نبي الله حقّاً؟ قال: «بلى»، قال: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى»، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: «بلى»، قال: فلمَ نعطي الدنية ـ أي الخسيسة ـ في ديننا، ونرجع ولم يحكم الله بيننا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني رسوله، ولست أعصيه، وهو ناصري»، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: «أفأخبرتُكَ أنا نأتيه هذا العام؟» قال:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٤٢) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧١٢).

وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جَنْدَلِ بنُ سُهيل يَحْجِلُ في قيوده، وكان من المسلمين الممنوعين من الهجرة، فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه، فقال عليه الصلاة والسلام: «اصبر واحتسب؛ فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرَجاً ومخرجاً، إنَّا قد عقدنا بين القوم صُلحاً، وأعطيناهم وأعطونا على ذلك عهداً، فلا نغدر بهم»[١].

هذا، وقد دخلت قبيلة خُزاعةَ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، . .

لا، قال صلى الله عليه وسلم: «فإنك آتيه، ومطوف به»، وتمامه فيه[٢].

قوله: (جاءهم أبو جندل يحجل في قيوده) ـ بكسر الجيم ـ؛ أي: يتريث في مشيه على رجله، واسمه: العاص، وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك، فحبسه أبوه، ومنعه من الهجرة، وأوثقه بالقيود، فحين سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية احتال على نفسه حتى خرج من السجن، وتنكب الطريق، وركب الجبال حتى هبط على المسلمين. اهـ. قاموس ودحلاني[٣].

قوله: (فقال عليه السلام: اصبر واحتسب)؛ أي: بعد أن طال الجدال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أبيه سهيل في شأنه، وتلطف به كثيراً فأبى، فحينئذ قال له: «اصبر واحتسب»، وقد بسط الكلام على ذلك الحلبي والدحلاني[٤].

---

(١) أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٩٥).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٩٣)، والخبر المذكور رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنهما ـ، ومروان.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حجل)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٩٢).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧١٠)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ١٩٢).

ودخل بنو بكر في عهد قريش.

ولما انتهى الأمر، أمر عليه الصلاة والسلام أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم، وينحروا الهدْي ليتحلَّلوا من عمرتهم، فاحتمل المسلمون من ذلك همَّاً عظيماً، حتى إنهم لم يبادروا بالامتثال، فدخل عليه الصلاة والسلام على أُم المؤمنين أُم سلمة، وقال لها: «هلك المسلمون؛ أمرتهم فلم يمتثلوا»، فقالت: يا رسول الله! اعذرهم؛ فقد حمَّلت نفسك أمراً عظيماً في الصلح، ورجع المسلمون من غير فتح، فهم لذلك مكروبون، ولكن اخرجْ يا رسول الله، وابدأهم بما تريد، فإذا رأوْكَ فعلتَ تبعوك، فقام عليه الصلاة والسلام إلى هَدْيِهِ فنحرها، ودعا بالحلاّق فحلق رأسه، فلما رآه المسلمون، تواثبوا على الهدي فنحروه وحلقوا[1].

قوله: (حتى إنهم لم يبادروا بالامتثال)؛ أي: لأنهم كانوا يرجون النسخ، فأخروا متأولين لذلك.

قوله: (فقام إلى هديه فنحرها)؛ أي: وأراهم بذلك أنه بادر إلى امتثال ما أمر به، وأنه لم يؤخر كتأخيرهم، وأن اتباعهم له وطاعتهم توجب اقتداءهم، وأنه حكم مستقر غير منسوخ، هذا ما أجاب به بعضهم، لكن لم يرتض ابن القيم هذا الجواب، وبحث فيه[2].

قوله: (ودعا بالحلاق): بخراش الخزاعي.

قال الحلبي: لما حلق رأسه، رمى شعره على شجرة، فأخذه الناس وتحاصُّوه، وأخذت أم عمارة ـ رضي الله عنها ـ طاقاتٍ منه، فكانت تغسلها

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٣٠) من حديث المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ. ومروان بن الحكم، بنحوه.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

ثم رجع المسلمون إلى المدينة، وقد أَمن كلُّ فريق الآخرَ. ولما قرَّ قرارهم، جاءتهم مهاجرةً أُم كلثوم بنتُ عقبة بن أبي مُعَيط، أخت عثمان لأمه، فطلبها المشركون فقالت: يا رسول الله! إني امرأة، وإن رجعتُ إليهم فتنوني في ديني، فأنزل الله في سورة الممتحنة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ....

للمريض، وتسقيه فيبرأ[١].

قوله: (فطلبها المشركون): لما هاجرت، خرج أخواها عمارةُ والوليدُ في ردِّها بالعهد، فقالا: يا محمد! أوف لنا بما عاهدتنا عليه، فقالت: يا رسول الله! أنا امرأة، وحالُ النساء الضعف، أفتردني إلى الكفار يفتنوني في ديني ولا صبر لي؟ فنزل القرآن بأن النساء المؤمنات لا يرجعن، وأن الشرط في الرجال فقط، فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشاً، فرضُوا بذلك، ولم يكن لأم كلثوم زوج بمكة، فلما قدمت المدينة تزوجها زيدُ بنُ حارثة ـ رضي الله عنه[٢] ـ.

قوله تعالى: (﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾) قال البيضاوي: اختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقةُ قلوبهن لسانَهن في الإيمان[٣].

قال الدحلاني: وكان الامتحان أن تُستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزاً، ولا هاجرت إلا لله ورسوله[٤]، وستأتي صورته.

وقوله تعالى: (﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾)؛ أي: إلى أزواجهن الكفرة؛

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧١٣).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧١٧ ـ ٧١٨).

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٣٢٩).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠١).

لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[الممتحنة: ١٠] . . . .

لقوله: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾، والتكرير للمطابقة والمبالغة؛ أي: لأن الله لم يُبح مؤمنةً لكافر.

وقوله: (﴿وَءَاتُوهُم﴾): يعني: أزواجَهن (﴿مَّآ أَنفَقُوا۟﴾)؛ أي: عليهن من المهر الذي دفعوه إليهن.

وقوله: (﴿أُجُورَهُنَّ﴾)؛ أي: مهورَهن، أباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات من دار الحرب إلى دار الإسلام، وإن كان لهن أزواجٌ في دار الحرب؛ لأن الإسلام فرق بينهن وبين أزواجهن الكفار.

وقوله تعالى: (﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾) العصمة: ما يعتصم به من عقد وسبب، ونهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات، يقول الله تعالى: وإن كانت له امرأة كافرة بمكة، فلا يعتد بها؛ فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما.

قال الزهري: لما نزلت هذه الآية، طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا بمكة. اهـ. خازن[1].

وقوله: (﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾)؛ أي: من المهر؛ يعني: إن لحقت امرأة منكم بالمشركين مرتدةً فاطلبوا ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ممن تزوجها منكم.

(﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟﴾) يعني: المشركين الذين لحقت أزواجهم بكم، (﴿مَآ أَنفَقُوا۟﴾) من المهر ممن تزوجها منكم[2].

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» (٤/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣)، والخبر المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٧٢).

(٢) انظر: «تفسير الخازن» (٤/ ٢٨٣).

فكانت المرأة المهاجرة تُستحلَف أنها ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، ولا من بغض زوج، ولا لالتماس دنيا، ولا لرجل من المسلمين، وما خرجت إلا حبًّا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ومتى حلفت، لا ترد، بل يُعطى لزوجها المشرك ما أنفقه عليها، فيجوز للمسلم تزوجُها. وفي الآية تحريم إمساك الزوجة الكافرة، بل تُرد إلى أهليها بعد أن يُعطَوا ما أنفقوا عليها.

وقد تمكن أبو بصير عتبةُ بنُ أسيد الثقفيُّ ـ رضي الله عنه ـ من الفرار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأرسلت قريش في أثره رجلين يطلبان تسليمه، فأمره عليه الصلاة والسلام بالرجوع معهما، فقال: يا رسول الله! أتردّني إلى الكفار يفتنوني في ديني بعد أن خلّصني الله منهم؟ فقال: «إن الله جاعل لك ولإخوانك فرجاً»، فلم يجد بدًّا من اتّباعه، فرجع مع صاحبيه، ولما كان بذي الحُلَيفة، عدا على أحدهما فقتله، وهرب منه الآخر، . . . . .

قوله: (فرجع مع صاحبيه): لما أراد الرجوع معهما، صار المسلمون يقولون له: الرجل يكون خيراً من ألف رجل، يريدون بذلك إغراءه على من معه، حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار ومعه صاحباه، فقال أبو بصير لأحد صاحبيه ومعه سيفه: أصارم سيفُك هذا يا أخا بني عامر؟ فقال: نعم، انظر إليه إن شئت، فاستله العامري ثم هزه، فقال له أبو بصير: ناولنيه أنظر إليه، فناوله، فلما قبض عليه، ضربه به حتى برد؛ يعني: مات، ثم طلب الثاني فهرب، وأتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه قال: «إن هذا الرجل قد رأى فزعاً»، فلما انتهى إليه قال له: «ما لك؟» قال: قتل صاحبكم صاحبي، وأفلتُّ منه، ولم أكذب إني لمقتول، واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنه، فإذا أبو بصير أناخ بعيرَ العامري بباب المسجد، ودخل متوشحاً السيف، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: وفَتْ ذمتُك وأدى الله عنك، أسلمتني بيد القوم، وقد امتنعت بديني

فرجع إلى المدينة وقال: يا رسول الله! وفَتْ ذمتُك، أما أنا فنجوتُ، فقال له: «اذهب حيث شئت، ولا تُقِمْ بالمدينة»، فذهب إلى محلّ بطريق الشام تمرّ به تجارة قريش، فأقام به، واجتمع معه جمعٌ ممّن كانوا مسلمين بمكة ونَجَوا، وسار إليه أبو جندل بنُ سهيل، واجتمع إليه جمع من الأعراب، وقطعوا الطريق على تجارة قريش حتى قطعوا عنهم الأمداد، فأرسل رجال قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيثون به في إبطال هذا الشرط، ويعطونه الحقَّ في إمسَاك من جاءه مسلِماً، فقبل منهم ذلك، وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمّة التي لم يتمكنوا من تحمّلها في الحديبية حينما أمرهم عليه الصلاة والسلام بردّ أبي جندل[1].

أن أفتن فيه، فقال: «اذهب حيث شئت». اهـ. دحلاني[2].

قوله: (فقبل منهم ذلك)؛ أي: وحينئذ كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي جندل وأبي بصير أن يقدما عليه، وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم، ولا يتعرضوا لأحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم، فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما، وأبو بصير مشرفٌ على الموت لمرض حصل له، فمات وكتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه، فيدفنه أبو جندل مكانه، وجعل عند قبره مسجداً، وقدم أبو جندل مع ناس من أصحابه، ورجع باقيهم إلى أهليهم، وأمنت قريش على غيرهم. اهـ. دحلاني[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه ومروان ابن الحكم بنحوه. وأورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠١ ـ ٢٠٢)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨). ورواه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٦/ ٣٩ ـ ٤٠) عن المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ ومروان، بنحوه.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣).

وعلموا أن رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضلُ وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمنٌ تسبب عنه اختلاطُ الكفار بالمسلمين، فخالطت بشاشةُ الإسلام قلوبهم، حتى قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: ما كان فتحٌ في الإسلام أعظمَ من فتح الحديبية، ولكن الناس قصر رأيهم عمّا كان بين محمد وربِّه، والعبادُ يَعْجَلُون، واللهُ لا يَعْجَلُ لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد[1].

قوله: (وعلموا أن رأي رسول الله أفضل. . .) إلخ: قال ابن القيم ما خلاصته: من الحِكَم التي تضمنتها هذه الهدنة: أنها كانت مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسولَ الله وجنده، ودخل الناس به في دين الله أفواجاً، فكانت هذه الهدنة باباً له، ومفتاحاً ومؤذناً بين يديه.

ومنها: أن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح؛ فإن الناس أَمِنَ بعضُهم بعضاً، واختلط المسلمون بالكفار، وبادؤوهم بالدعوة، وأسمعوهم القرآن، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان متخفياً بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل، ولهذا سماه الله: ﴿فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾[الفتح: ١]، والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان [باباً] مسدوداً مغلقاً حتى فتحه الله، وكان من أسباب فتحه: صدُّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابِه عن البيت، وكان في الصورة الظاهرة ضيماً وهضماً للمسلمين، وفي الباطن عزّاً وفتحاً ونصراً، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى ما وراءه من الفتح العظيم والعز والنصر من وراء ستر رقيق، وكان يعطي المشركين كل ما سألوه من الشروط التي لم يحتملها أكثر الصحابة ورؤوسهم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم ما في ضمن هذا المكروه من محبوب، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[البقرة: ٢١٦].

فكان يدخل على تلك الشروط دخولَ واثق بنصر الله وتأييده، وأن العاقبة له، وأن تلك الشروط واحتمالها هو عين النصرة، وهو من أكبر الجند الذي أقامه

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٢١).

وفي رجوعه عليه الصلاة والسلام من الحديبية نزلت عليه سورة الفتح، وقال سبحانه في أولها: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾[الفتح: ١] وفي تسمية هذه الغزوة بالفتح المبين تصديقٌ لما قدّمنا لك عن الصدِّيق.

مكاتبة الملوك

بعد رجوع المسلمين من الحديبية. . . . .

المشترطون ونصبوه لحربهم وهم لا يشعرون، فذلوا من حيث طلبوا العز، وقهروا من حيث أظهروا القدرة والفخر والغلبة، وأطال الكلام في ذلك[1].

وفي الدحلانية: لما كانت الهدنة ووضع الحرب، وأمن الناسُ بعضُهم بعضاً، والتقوا وتفاوضوا الحديث والمنازعة، لم يكلِّم أحدٌ ذو عقل في تلك المدة بالإسلام إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثلُ من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر، ويدل عليه: أنه صلى الله عليه وسلم خرج في الحديبية في ألف وأربع مئة، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف[2].

وقال قبل ذلك: كانت إقامته بالحديبية بضعة عشر يوماً، وقيل: عشرين يوماً، وقال بعضهم: كانت مدة غزوته هذه كلها شهراً ونصفاً. اهـ[3].

قوله: (وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية) في الدحلانية: أنزل الله سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم، وقال ابن إسحاق: نزلت وهو بضجنان ـ بفتح الضاد ـ: جبل على بريد من مكة[4].

مكاتبة الملوك

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٩٩).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٩٧).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ١٩٨).

قوله: (في أواخر سنة ست) قال في «زاد المعاد»: بعث صلى الله عليه وسلم ستة نفر في يوم واحد في المحرم سنة سبع.

١ ـ عمرو بن أمية الضمري: بُعث إلى النجاشي، واسمه: أصحمة بن أبجر.

٢ ـ دحية بن خليفة الكلبي: بُعث إلى قيصر ملك الروم، واسمه: هرقل.

٣ ـ عبدالله بن حذافة السهمي: بُعث إلى كسرى، واسمه: أبرَوِيْز بن هُرمُز ابن أنوشروان.

٤ ـ حاطب بن أبي بلتعة: بعث إلى المُقوْقِس ملكِ الإسكندرية، واسمه: جريج بن مينا.

٥ ـ شجاع بن وهب الأسدي: بُعث إلى الحارث بن أبي شِمْر الغَسَّاني، ملكِ البلقاء.

٦ ـ سَليط بن عمرو: بُعث إلى هَوذةَ بن عليٍّ الحنفيِّ باليمامة.

وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة سنة ثمان إلى جَيفَر وعبدالله ابنَي الجُلَنْدَي. الأزديَّين بعُمَانَ، وبعث العلاء بنَ الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملكِ البحرين قبل منصرفه من عمرة الجعرانة، [و] كانت سنة ثمان من شوال، وقيل: قبل الفتح. اهـ. ملخصاً[(١)].

والمصنف ذكر الكتب الثمانية، إلا أنه ذكر الكتابين الأخيرين قبل الكتاب الذي أرسل إلى هوذةَ بنِ علي الحنفي، وكان الأَولى تأخيرُه عنهما؛ لتكون الكتب التي أرسلت في أواخر سنة ست، أو في المحرم سنة سبع تلوَ بعضها، وأن ينبه على أن إرسال الكتابين اللذين أُرسلا إلى ملكَي عمان، وإلى ملك البحرين كان سنة ثمان.

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (١/ ١٢٠ ـ ١٢٣).

كاتبَ عليه الصلاة والسلام ملوكَ الأرض يدعوهم إلى الإسلام، واتخـذ ـ إذ ذاك ـ خاتماً من فضـة يختم بـه خطاباتـه، وكان نقشه: محمد رسول الله، فوجَّه دِحْيَةَ الكلبي بكتاب إلى قيصر ملكِ الروم، وأمره أن يدفعه إلـى عظـيم بُصرى ليوصله إلى الملك.

كتاب قيصر

وكان في الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبدالله ورسوله إلى هِرَقْلَ عظيمِ الروم، سلامٌ على من اتّبع الهُدى، . . . .

قوله: (واتخذ ـ إذ ذاك ـ خاتماً من فضة): سبب اتخاذه صلى الله عليه وسلم للخاتم: أنه لما أراد أن يكتب للملوك، قيل له: يا رسـول الله! إنهـم لا يقـرؤون كتاباً إلا إذا كان مختوماً، والغرضُ من ذلك: أمنُ التزوير؛ لبعده مع الختم، فاتخـذ صلى الله عليه وسلم خاتماً من فضة، وكان نقش خاتمه ثلاثـة أسـطر: (محمـد) سطر، و(رسول) سطر، و(الله) سطر[1]، و(محمد) آخر الأسطر، و(رسول) فـي الوسط، و(الله) فوق، وختم صلى الله عليه وسلم بذلك الخاتم الكتـب، وكـان فـي يده الشريفـة، ثم في يد أبي بكر، [ثم في يد عمر][2]، ثم في يد عثمـان ـ رضـي الله عنهم ـ، حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضـي الله عنـه، فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه. اهـ. حلبي ملخصاً[3].

كتاب قيصر

قوله: (سلام على من اتبع الهدى)؛ أي: ومن لم يتبع الهدى فلا سلامَ عليه.

---

(١) رواه البخاري (٣١٠٦، ٧١٦٢)، ومسلم (٢٠٩٢)، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) ما بين معكوفتين من «السيرة الحلبية».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨١).

أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلمْ تسلَمْ يؤتِك الله أجرك مرتين، فإن تولَّيتَ، فإنما عليك إثمُ الأريسيين: و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ . . . .

وقوله: (**بدعاية الإسلام**)؛ أي: بالكلمة الداعية للإسلام، وهي كلمة التوحيد.

وقوله: (**أسلم تسلم**)؛ أي: في دنياك بإقرارك على ملكك، وفي آخرتك بالنجاة من عذاب النار.

وقوله: (**يؤتك الله أجرك مرتين**)؛ أي: لإيمانك بعيسى، ثم محمد صلى الله عليه وسلم، أو لإيمان أتباعك لسبب إيمانك.

وقوله: (**الأريسيين**)؛ أي: فلاحي القرى، وخص هؤلاء بالذكر؛ لأنهم أسرعُ انقياداً من غيرهم؛ لأن الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين، والمراد: عليك مع إثمك إثمُ رعاياك؛ لأنه إذا أسلم أسلموا، وإذا امتنع امتنعوا، فهو متسبب في عدم إسلامهم، والفاعل لمعصية المتسبب لارتكاب غيره لها عليه الإثمُ من جهتين: جهة فعله، وجهة تسببه.

وقوله: (**و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾**) الواو عاطفة على مقدر معطوف على قوله: (أدعوك)، والتقدير: أدعوك بدعاية الإسلام، وأقول لك ولأتباعك: يا أهل الكتاب!. اهـ. حلبي[1].

وقوله: (**﴿سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾**)؛ أي: لا يختلف فيها الرسل والكتب، وتفسيرها ما بعدها.

وقوله: (**﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾**)؛ أي: عن التوحيد.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٧).

﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ٦٤][1].

حديث أبي سفيان

ولما وصل هذا الكتاب قيصر، قال: انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه، وكان أبو سفيان بنُ حرب بالشام مع رجال من قريش في تجارة، فجاءت رُسُل قيصر لأبي سفيان، ودَعَوه لمقابلة الملك فأجاب، ولما قدموا عليه في القدس، قال لترْجُمانه: سَلْهُمْ أيّهم أقربُ نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فقال أبو سفيان: أنا؛ لأنه لم يكن في الركب من بني عبد مناف غيرهُ، فقال قيصر: ادنُ مني، ثم أمر أصحابه فجُعِلوا خلفَ ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه: إنما قدّمت هذا أمامكم؛ لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، وقد جعلتكم خلفه كيلا تخجلوا من ردّ كذبه عليه إذا كذب، ثم سأله: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسب. . . . .

(﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾)؛ أي: لزمتكم الحجةُ، فاعترفوا بأنا مسلمون دونكم، أو اعترفوا بأنكم كافرون بما نطقت به الكتب، وتطابقت عليه الرسل. اهـ. بيضاوي[2].

حديث أبي سفيان

قوله: (من بني عبد مناف غيره)؛ أي: لأن عبد مناف الجدُّ الرابعُ للنبي صلى الله عليه وسلم، وكذا لأبي سفيان، وهو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف.

قوله: (كيلا تخجلوا من رد كذبه. . .) إلخ؛ أي: وحينئذ قال أبو سفيان في نفسه: فوالله! لولا الحياء يومئذ أن يردوا عليَّ كذباً، لكذبت، ولكن استحييت،

---

(١) رواه البخاري (٧) من حديث أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٢/ ٤٨).

قال: هل تكلَّم بهذا القول أحدٌ منكم قبله؟ قال: لا. قال: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. قال: فهل كان من آبائه من ملك؟ قال: لا. قال: فأشرافُ الناس يَتَّبِعُونه أم ضعفاؤهم؟ قال: بل ضعفاؤهم. قال: فهل يزيدون أم ينقصون؟ قال: بل يزيدون. قال: هل يرتدّ أحد منهم سَخْطة لدينه؟ قال: لا. قال: هل يغدر إذا عاهد؟ قال: لا، ونحن الآن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال: فهل قاتلتموه؟ قال: نعم. قال: فكيف حربكم وحربه؟ قال: الحرب بيننا وبينه سِجَال، . . . .

فصدقت وأنا كاره[١]، وفي رواية: لولا مخافة أن يؤثَر عني الكذبُ، لكذبتُ[٢].

وبه يعلم أن الكذب من القبائح جاهليةً وإسلاماً. اهـ. حلبي[٣].

قوله: (فأشراف الناس يتبعونه. . .) إلخ: المراد بأشراف الناس: أهل النخوة وأهل التكبر، فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة ـ رضي الله عنهم ـ ممن أسلم قبل هذا السؤال، وهو محمول على الأكثر، والأغلب أن أتباعه صلى الله عليه وسلم ضعفاء. اهـ. منه[٤].

قوله: (سخطة لدينه)؛ أي: كراهةً له وعدمَ رضاء به بعد أن يدخل فيه، ولا ينقض بما وقع لعبدالله بن جحش حيث ارتدَّ ببلاد الحبشة؛ لأنه لم يرتد كراهية للإسلام، بل لغرض نفساني. اهـ. منه[٥].

و**(سخطة)**: ـ بفتح السين، وجوز بعضهم ضمها ـ.

---

(١) رواه البخاري (٧) بلفظ: فوالله! لولا الحياء من أن يأثروا عليَّ كذباً، لكذبت عنه.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٥).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٥).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٥).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٥).

مرة لنا، ومرة علينا. قال: فَبِمَ يأمُركم؟ قال: يقول: «اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، وينهى عمّا كان يعبد آباؤنا، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة».

فقال الملك: إني سألتك عن نسبه، فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسُلُ تُبْعث في نسب قومها، وسألتك: هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فزعمتَ أنْ لا، فلو كان أحدٌ قال هذا القول قبله لقلتُ: رجلٌ يأْتَمُّ بقولٍ قيل قبله، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمتَ أنْ لا، فقلتُ: ما كان ليذرَ الكذبَ على الناس ويكذبَ على الله، وسألتك: هل كان من آبائه من ملك؟ فقلتَ: لا، فلو كان من آبائه ملك، لقلت: رجل يطلب مُلك أبيه، وسألتك: أأشرافُ الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ . . . . .

قوله: (مرة لنا ومرة علينا): المرة التي له: يوم أحد، والمرة التي عليه: يوم بدر. اهـ. منه[1].

قوله: (والعفاف)؛ أي: ترك المحارم وخوارم المروءة. اهـ. منه[2].

قوله: (وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها)؛ أي: لأن شرف النسب يكون أدعى لقبول الدعوة وجمعِ الناس حوله، ونفوذِ الكلمة وسماعها؛ إذ يكون له بذلك موضع للاحترام في قلوبهم، والإجلالِ في نفوسهم، فتتلقى كلماته بالقبول، وتكون مؤثرة، وأما من رديء الأصل، أو مجهولِ النسب، فإن الناس لما يرون من رداءة الأصل، أو لجهلهم بنسبه، لا تكون له في نفوسهم حرمة، ولا في قلوبهم هيبة، فلا يسمعون له إذا قال، ولا يلتفون حوله، ولا يذعنون لأوامره إذا أمر، تلك سنة الله في خلقه، ولا عبرة بالنادر. فإنه لا حكم له.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٥).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٦).

فقلتَ: بل ضعفاؤهم، وهم أتباعُ الرسل، وسألتك: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلت: بل يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك: هل يرتدّ أحد منهم سَخْطة لدينه؟ فقلت: لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وسألتك: هل قاتلتموه؟ فقلت: نعم، وإن الحرب بينكم وبينه سِجَال، وكذلك الرُّسُل تُبتلى، ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك: بماذا يأمر؟ فزعمتَ أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أنْ لا، وكذلك الرسل لا تغدر، فعلمتُ أنه نبيٌّ، وقد علمتُ أنه مبعوث، ولم أظن أنه فيكم، وإن كان ما كلّمتني به حقًّا، فسيملك موضعَ قدميَّ هاتين، ولو أعلم أني أخلُصُ إليه، لتكلفت ذلك، قال أبو سفيان: فَعَلَتْ أصواتُ الذين عنده، وكثر لَغَطُهم، فلا أدري ما قالوا، وأُمر بنا فأُخرجنا.

فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال: لقد بلغ أمرُ ابنِ أبي كبشة أن يخافه ملكُ بني الأصفر.

قوله: (وقد علمت أنه مبعوث)؛ أي: لأن هذه المعلومات كانت عنده في الكتب القديمة، وكان حزاء أيضاً؛ أي: عالماً بعلوم النجوم.

قوله: (أَخلُص إليه)؛ أي: أصل إليه.

قوله: (فعلَت أصوات الذين عنده)؛ أي: وذلك بعد أن قضى مقالته، وفرغ من الكتاب.

قوله: (ابن أبي كبشة) تكنية أبي سفيان له بأبي كبشة؛ لأن جد وهبٍ لأمه أبا آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة، أو لأن أبا سلمى أم جده عبد المطلب كان يكنى أبا كبشة، أو لأن زوج مرضعته صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة[1].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٨).

ولما سار قيصر إلى حمص، أَذِن لعظماء الروم في دَسْكَرة له، ثم أمر بأبوابها فأُغلقت، ثم قال: يا معشر الروم! هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت مُلككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصةَ حُمُرِ الوحش إلى الأبواب، فوجدوها مغلقة، فلما رأى قيصر نفرتهم، قال: ردّوهم عليَّ، فقال لهم: إني قلت مقالتي أختبر بها شدّتكم على دينكم، فسكتوا له، ورضوا عنه[1].

فغلبه حُبُّ مُلكه على الإسلام، فذهب بإثمه وإثم رعيته كما قال عليه الصلاة والسلام، ولكنه ردّ دحيةَ ردّاً جميلاً.

كتاب أمير بُصرى

وأرسل عليه الصلاة والسلام الحارثَ بنَ عُمير الأزديَّ بكتاب إلى أمير بُصرى، فلما بلغ مؤتةَ، وهي قرية من عمل البلقاء بالشام، . . . .

قوله: (في دَسْكَرة له) ـ بفتح الدال والكاف والراء وسكون السين ـ، وهو بناء كالقصر حوله بيوت.

قوله: (فحاصوا حَيصة)؛ أي: جالوا جولة يطلبون الفرار، والمحيص: المهرب والمحيد. اهـ. «نهاية»[2].

قوله: (ورد دحية ردّاً جميلاً): حيث أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم هدية، وقبل صلى الله عليه وسلم هديته، وقسمها بين المسلمين.

كتاب أمير بصرى

قوله: (إلى أمير بصرى) الذي في «السيرة الحلبية»: أنه أرسل بكتاب إلى

---

(١) رواه البخاري (٧) من حديث أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٤٦٨).

تعرّض له شُرَحْبيل بنُ عمرٍو الغسانيُّ، فقال له: أين تريد؟ قال: الشام. قال: لعلّك من رُسُل محمد؟ قال: نعم، فأمر به، فضُرِبَتْ عنقه. ولم يُقتل لرسول الله عليه الصلاة والسلام رسول غيره، وقد وَجَدَ لذلك وَجْداً شديداً[1].

كتاب الحارث بن أبي شَمِر

ووجّه عليه الصلاة والسلام شجاعَ بنَ وهبٍ إلى أمير دمشق......

هرقل عظيم الروم[2].

وفي الدحلانية: أرسل بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل، وهو الحارث ابن أبي شمر الغساني[3].

والعبارة في «زاد المعاد»: أنه أرسل بكتاب إلى ملك الروم أو بصرى[4]، فلم يجزم بواحد منهما.

وبصرى ـ: بضم الباء؛ كحبلى ـ، ومؤتة ـ بضم الميم وبالهمزة ساكنة، وبترك الهمزة ـ، وهو موضع معروف عند الكرك.

وقوله: (تعرض له شرحبيل) هو: ـ بضم الشين وفتح الراء ـ.

قال الحلبي: وهو من أمراء قيصر على الشام[5].

قوله: (فضربت عنقه)؛ أي: وتسبب على قتله غزوة مؤتة التي ستأتي.

كتاب الحارث بن أبي شمر

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٦).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨٣).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٥٧).

(٤) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٨١).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٦).

ـ من قِبَلَ هِرَقْل ـ الحارثِ بن أبي شَمِر، وكان يقيم بغوطتها، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله، وصدق، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له، يبقى لك ملكُك» فلما قرأ الكتاب، رمى به، وقال: من ينزعُ مُلكي منّي[(١)].

واستعدّ ليرسلَ جيشاً لحرب المسلمين، وقال لشجاع: أخبر صاحبك بما ترى، ثم أرسل إلى قيصر يستأذنه في ذلك، وصادف أن كان عنده دحيةُ، فكتب قيصرُ إليه يثنيه عن هذا العزم، ويأمره أن يُهيِّئ بإيلياء ما يلزم لزيارته؛ . . . .

قوله: (أبي شمر) هو: ـ بكسر الشين ـ.

قوله: (وكان يقيم بغوطتها) هو موضع بالشام كثير الماء والشجر.

قوله: (يبقى لك ملكك) الصواب: يبقَ لك ملكُك كما في الحلبية والدحلانية[(٢)].

قوله: (من ينزع مني ملكي؟): تتمة العبارة: وأنا سائر إليه، ولو كان باليمن جئته[(٣)].

قوله: (واستعد ليرسل جيشاً): حيث قال: عليَّ بالناس، فلم يزل جالساً يعرض عليه حتى الليل، وأمر بالخيل أن تنعل. اهـ. حلبي[(٤)].

---

(١) أورده الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٣١) عن ابن إسحاق. ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» من حديث عمرو بن عثمان بن عبدالله الجحيشي عن أبيه.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٤)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٣/ ٧٥).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٣٠٥).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٣٠٥).

فإنه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها، فلما رأى الحارثُ كتاب قيصر، صرفَ شجاعَ بنَ وهب بالحسنى، ووصَلَهُ بنفقة وكسوة[1].

كتاب المُقَوْقِس

ووجّه عليه الصلاة والسلام حاطبَ بن أبي بَلْتعة بكتاب إلى المقوقس أميرِ مصرَ من جهة قيصر، وكان فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على مَن اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلمْ تَسْلَم يُؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليتَ فإنما عليك إثم القبط، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ . . .﴾[آل عمران: ٦٤]»، فأوصله له حاطب بإسكندرية، فلما قرأه قال: ما منعه إن كان نبيّاً أن يدعو على مَن خالفه وأخرجه من بلده؟ فقال حاطب: . . . .

قوله: (نذر زيارتها)؛ أي: ماشياً من حمص، وقيل: من قسطنطينية إلى بيت المقدس؛ شكراً لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس[2].

قوله: (بنفقة وكسوة) وصله الحارث بمئة مثقال ذهباً، ووصله حاجبه بنفقة وكسوة، وقد كان يجتمع به، وأسلم الحاجبُ وحسن إسلامه[3].

كتاب المقوقس

قوله: (المقوقس) هو لقب لكل من ملكَ القبط، وهم أهل مصر والإسكندرية، وليسوا من بني إسرائيل، ومعنى المقوقس: المطول للبناء، واسمه: جريج بن مينا. اهـ. دحلاني وحلبي[4].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٣٠٥).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٣٠٥).

(٤) انظر: «السيرة النبويـة» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٦٦)، و«السيرة الحلبية» =

ألستَ تشهدُ أن عيسى ابن مريم رسولُ الله؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألّا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟ قال: أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم. ثم قال: إني قد نظرتُ في أمر هذا النبي، فوجدتُ أنه لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهى عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضّالّ، ولا الكاهن الكذاب، ووجدتُ معه آلة النبوّة: إخراج الغائب المستور، والإخبار بالنجوى، وسأنظر.

ثم كتب ردّ الجواب يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم: . . . .

قوله: (أنت حكيم جاء من عند حكيم): قال الحلبي: بعد أن قال له ذلك قال له حاطب ـ رضي الله عنه ـ: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلى ـ يعني: فرعون ـ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه، فاعتبرْ بغيرك، ولا يعتبر غيرك بك، إن هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس، فكان أشدهم عليه قريش، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى، ولعمري! ما بشارةُ موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام إلا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، وكل نبي أدرك قوماً فهم أمته، فالحق عليهم أن يطيعوه، فأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام، ولكنا نأمرك به، فقال: إني قد نظرت في أمر هذا النبي. . . إلخ ما ذكره المؤلف هنا[1].

قوله: (لا يأمر بمزهود فيه. . .) إلخ؛ أي: بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة، والعقولُ السليمة، وينهى عما يُرغَب عنه.

وقوله: (الإخبار بالنجوى)؛ أي: الإخبار بالمغيبات.

= لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٩٥).

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٩٦).

لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيمِ القبط، سلام عليك، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمتُ ما ذكرتَ فيه وما تدعو إليه، وقد علمتُ أن نبيًّا قد بقي، وكنتُ أظن أنه يخرجُ بالشام، وقد أكرمتُ رسولك، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط، وبثياب، وأهديت إليك بغلة تركبها. والسلام. وإحدى الجاريتين مارية التي تسرّى بها عليه الصلاة والسلام، وجاء منها بولده إبراهيم، والأخرى أعطاها لحسان بن ثابت. ولم يُسلم المقوقس[1].

كتاب النّجاشي

ووجه عليه الصلاة والسلام عَمرَو بنَ أمية الضّمْرِيَّ بكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، . . . .

قوله: (وبثياب)؛ أي: وهي عشرون ثوباً من قباطي مصر.

وفي رواية: وأرسل له عمائم وقباطي وطيباً وعوداً وندًّا ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب، ومع قدح من قوارير، وفي رواية أنه أهدى له غير ذلك[2].

قوله: (ولم يسلم المقوقس): قال حاطب ـ رضي الله عنه ـ: ذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «ضَنَّ الخبيث بملكه، ولا بقاء لملكه»[3]، فكان كما قال.

كتاب النجاشي

قوله: (النجاشي) ـ بتشديد الياء، وبتخفيفها أفصح، وتكسر نونها، أو هو

---

(١) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٩٥ ـ ٢٩٧).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٩٧).

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٦١).

من محمد رسول الله، إلى النجاشي عظيمِ الحبشة. سلم. أما بعد: فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابنَ مريم روحُ الله، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ البتولِ الطيبة الحصينة، فحملَتْ بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني، وتوقن بالذي جاءني؛ فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودَك إلى الله عزّ وجلّ، وقد بلّغتُ ونصحتُ، فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى»[1].

ولما وصله الكتاب، احترمه غاية الاحترام، وقال لعمرو: إني أعلم ـ والله ـ أن عيسى بشَّرَ به، ولكنَّ أعواني بالحبشة قليل، فأنظرني حتى أُكَثِّر الأعوانَ، وألين القلوب[2].

أفصح ـ، واسمه: أصحمة.

قوله: (سلم): سقط بعدها في الطبع كلمة: أنت؛ أي: أنت سالم.

و**(القدوس)**: البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانه.

و**(السلام)**: ذو السلامة من كل نقص وآفة.

و**(المؤمن)**: واهب الأمن.

و**(المهيمن)**: الرقيب الحافظ لكل شيء.

وقوله: (البتول)؛ أي: المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم، أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها.

قوله: (احترمه غاية الاحترام)؛ أي: فإنه وضعه على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم، ودعا بحُقّ من عاج ـ وهو عظم الفيل ـ

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠٩) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٩٤).

وقد عرض عمرٌو على مَنْ بقي من مهاجري الحبشة الرجوعَ إلى رسول الله بالمدينة، وكان من المهاجرين أُمُّ حبيبةَ بنتُ أبي سفيان زوجُ عبيدالله بن جحش الذي كان أسلم وهاجر بها، ولكن قد غلبت عليه الشقاوة فتنصّر، فتزوج عليه الصلاة والسلام أُمّ حبيبة وهي بالحبشة، والذي زوّجها له النجاشي بتوكيل منه عليه الصلاة والسلام.

كتاب كسرى

ووجّه عليه الصلاة والسلام عبدَالله بنَ حذافةَ السهميَّ بكتاب إلى كسرى، ملكِ الفرس، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتَّبَعَ الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله؛ فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيّاً، ويحقّ القول على الكافرين، أسلمْ تسلمْ، فإن أبيتَ، فإنما عليك إثم المجوس»، فلما وصله الكتاب، مَزَّقَهُ استكباراً، ....

وجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم[1].

كتاب كسرى

قوله: (مزقه استكباراً) سبب ذلك: أنه دعا من يقرؤه، فقرأه، فإذا فيه: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، فأغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه، وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، وأمر بإخراج حامل ذلك الكتاب، فأُخرج، فلما رأى ذلك، قعد على راحلته وسار، فلما ذهب عن كسرى سورةُ

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٩٧)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٥٩).

ولما بلغه عليه الصلاة والسلام ذلك، قال: «مزَّق الله مُلكه كُلَّ ممزَّق»[1].

وقد فعل، فكانت مملكته أقربَ الممالك سقوطاً، وقد بدأ هذا الشقي بالعدوان، فأرسل لعامِله باليمن أن يوجّه إلى الرسول مَن يأتي به إليه، فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه، وقَتْلِهِ له، ثم أرسل لعامله في اليمن ينهاه عمّا أمره به أبوه.

غضبه، بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده. اهـ. دحلانية[2].

قوله: (لعامله باليمن): اسمه: باذان، كتب إليه: بلغني أن رجلاً من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي، فسر إليه واستتبه، فإن تاب، وإلا فابعثْ إليَّ برأسه، يكتب إليَّ هذا الكتاب وهو عبدي!. وفي رواية: أن تكفيني رجلاً خرج بأرضك يدعوني إلى دينه، وإلا فعلتُ فيك كذا، يتوعده، فابعث إليه برجلين جَلْدَين فيأتياني به، فبعث باذان بكتاب كسرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع رجلين يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى، فخرجا، فلما قدما المدينة، قالا له: شاهنشاه ملكُ الملوك كسرى بعث إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتي بك، وقد بعثَنا إليك، فإن أبيتَ هلكتَ وأهلكتَ قومك وخربت بلادك، فقال لهما: «ارجعا حتى تأتياني غداً»، وأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه يقتله في شهر كذا في ليلة كذا.

فلما كان الغد، دعاهما، وأخبرهما الخبر، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى باذان: «إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى يوم كذا»، فلما أتى الكتاب، توقف وقال: إن كان نبيّاً، فسيكون ما قال، فقُتل كسرى في اليوم الذي قال

---

(١) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٨٦) وعزاه للواقدي من حديث الشفاء بنت عبدالله ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٦٣).

كتاب المنذر بن ساوى

ووجّه عليه الصلاة والسلام العلاءَ بنَ الحضرميِّ بكتاب إلى المنذر ابنِ ساوَى ملكِ البحرين يدعوه إلى الإسلام، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أسلم أنت، فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلّا هو. أما بعد: فإنّ منْ صلى صلاتنا، واستقبل قِبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ذمةُ الله وذمّةُ الرسول، مَنْ أحبّ ذلك من المجوس، فإنه آمن، . . . .

رسول الله صلى الله عليه وسلم[١]، على يد ولده شيرويه، وقدم على باذان كتاب ولد كسرى شيرويه، فيه: أما بعد: فقد قتلتُ كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لفارس؛ فإنه قتل أشرافَهم، فتفرق الناس، فإذا جاءك كتابي هذا، فخذ لي الطاعة ممن قِبَلَك، وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب إليك فيه، فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه.

فبعث باذان بإسلامه وإسلامِ من معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ. حلبي ملخصاً[٢].

كتاب المنذر بن ساوى

قوله: (وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم. . .) إلخ: قال الحلبي: لم أقف على ذلك الكتاب، ولا على حامله، والظاهر أنه العلاء المذكور[٣].

وقال الدحلاني: قال في «شرح المواهب»: ولم نر أحداً ذكر لفظ ذلك الكتاب. اهـ[٤].

---

(١) أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (١/ ١٩١) عن الزهري.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٠).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٦٩).

ومن أبى، فإن عليه الجزية»، فأسلمَ، وكتب في رد الجواب: أما بعدُ يا رسول الله! فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحبَّ الإسلام وأعجبه ودخل فيه، ومنهم مَنْ كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إليّ في ذلك أمرك. فكتب إليه عليه الصلاة والسلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمدُ الله إليك الذي لا إله إلّا هو، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإني أذكرك الله عزّ وجلّ؛ فإنه مَنْ ينصح، فإنما ينصح لنفسه، وإنه من يُطعْ رُسُلي، ويتّبع أمرهم، فقد أطاعني، ومن نصح لهم، فقد نصح لي، وإن رُسلي قد أثنوا عليك خيراً، وإني قد شفَّعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، . . . .

ولا أدري عن أي كتاب نقل المؤلف هنا نص هذا الكتاب، وحبذا لو عزاه إلى الكتاب الذي نقل عنه[1].

قوله: (قد أثنوا عليك خيراً)؛ أي: من قولك الحق، وانقيادك للإيمان. اهـ. دحلاني[2].

قوله: (فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه)؛ أي: من مال وزوجات أربع

---

(١) التحقيق أن الكتاب الذي أورده المؤلف الخضري ـ رحمه الله ـ هنا هو جزء من ردِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما جاء في كتاب المنذر بن ساوى إليه، نتبين ذلك من نص الكتاب الذي أورده الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٤٥): بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

فإن كتابك جاءني ورسلك، وإنه من صلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا: واستقبل قبلتنا، فإنه مسلم، له ما للمسلمين، وعليه ما على المسلمين، ومن أبى فعليه الجزية.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧٠).

وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلحْ فلن نَعْزِلَكَ عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته، فعليه الجزية».

كتاب مَلِكَيْ عُمَان

ووجّه عليه الصلاة والسلام عَمرَو بنَ العاص بكتاب إلى جَيْفَر وعبدٍ ابنَي الجُلندَى ملكَي عُمَانَ، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى جَيْفَر وعبدٍ ابنَي الجُلَنْدَى، سلام على من اتبع الهدى، . . . .

يحل نكاحهن.

وقوله: (وعفوت عن أهل الذنوب)؛ أي: المتقدمة منهم في الكفر.

وقوله: (فلن نغيرك[1]) هذا سهو، والصواب: فلن نعزلك كما في الحلبي والدحلاني[2].

كتاب ملكي عمان

كان إرسال الكتاب إليه في ذي القعدة سنة ثمان، والذي كتب الكتاب أُبَيٌّ ابن كعب ـ رضي الله عنه ـ. اهـ. دحلاني[3].

قوله: (عمان) ـ بضم العين وتخفيف الميم ـ: بلدة باليمن، سميت باسم عمان ابن سبأ، وأما عَمَّان ـ بفتح العين وشد الميم ـ، فبلدة بالشام. اهـ. دحلاني[4].

قوله: (جيفر) على وزن جعفر.

---

(١) كذا في الأصل، وقد تم التصويب في المتن المثبت في أعلى الصفحة.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٠)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٣/ ٧٠).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧١).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧١).

أما بعد: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أسلما تسلما؛ فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأنذر من كان حيّاً، ويحقّ القول على الكافرين، وإنكما إن أقررتما بالإسلام، ولّيتكما، وإن أبيتما أَن تقرّا بالإسلام، فإن مُلككما زائل، وخيلي تحلّ بساحتكما، وتظهر نبوتي على ملككما»[1]، فلما دخل بناديهما عمرو، سأله عبدُ بنُ الجُلَنْدى عمّا يأمر به الرسول وينهى عنه، فقال: يأمر بطاعة الله عزّ وجلّ، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبرّ، وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسنَ هذا الذي يدعو إليه! ولو كان أخي يتابعني، لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدّق به، ولكن أخي أَضنُّ بمُلْكه من أن يدعه ويصير تابعاً. قال عمرو: إن أسلم أخوك، مَلَّكَه رسول الله على قومه، فأخذَ الصدقةَ من غنيهم، فردّها على فقيرهم، فقال عبد: إن هذا لخُلقٌ حسن. وما الصدقة؟ فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الأموال، ولما ذكر المواشي، قال: يا عمرو! يؤخَذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه؟ قال: نعم، فقال عبد: والله! ما أرى قومي على بعد دارهم وكثرةِ عددهم يطيعون بهذا. . . . .

قوله: (ويحق القول على الكافرين)؛ أي: وتجب كلمة العذاب على المُصِرين على الكفر.

قوله: (فلما حل بناديهما): في الحلبية والدحلانية: قال عمرو: لما قدمت عُمان، عمدت إلى عبد، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً، فقلت: إني رسول رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إليك وإلى أخيك بهذا الكتاب، فقال عبد: أخي جيفر هو المقدم عليَّ بالسن والملك، وأنا أوصلك إليه حتى نقرأ كتابك عليه،

---

(١) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٩٨).

ثم إن عبداً أوصل عَمْراً لأخيه جيفر، فتكلم معه عمـرو بمـا ألانَ قلبـه حتـى أسلم هو وأخوه، ومَكَّناهُ من الصدقات.

ثم دار بينهما حديث طويل من جملة ما ذكره المؤلف هنا[١].

قوله: (ثم إن عبداً أوصـل عمـراً لأخيـه جيفـر. . .) إلـخ: فـي الحلبيـة والدحلاني: قال عمرو: مكثت ببابه أياماً وهو يصل إلى أخيه فيخبره خبري، ثم إنه دعاني يوماً لأدخل معه على أخيه، فدخلت عليه، فأخذ أعوانه بضـبعي، فقـال: دعوه، فذهبت لأجلس، فأبوا أن يدعوني أجلس على عادة ملوك العجـم فـي أن رسول شخص، ولـو ملكـاً، لا يجلس عند الملك، فنظرت إليه، فقـال: تكلـم بحاجتك، فدفعت إليه الكتاب مختوماً، ففض ختمـه، فقـرأه حتـى انتهـى إلـى آخره، ثم دفعه إلى أخيه، فقرأه مثل قراءته، إلا أني رأيت أخـاه أرقَّ منـه، فقـال جيفر: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت؟ فقلت: تبعوه إما راغب في الـدين، وإما مقهور بالسيف، قال: ومن معه؟ قلت: الناس قد رغبوا في الإسلام واختـاروه على غيره، وعرفوا بعقولهم مع هدى الله أنهم كانوا في ضلال، فما أعلـم أحـداً بقي غيرك في هذه الحرجة ـ وهي الشجر الملتف ـ ، وإن لم تسلم اليـوم وتتبعـه يوطئك الخيل، ويبيد خضراءك ـ أي: جماعتك ـ ، فأسلم تسلم، ويستعملك علـى قومك، فتبقى على ملكك مع الإسلام، ولا تدخل عليك الخيل والرجال، وفـي هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال. اهـ[٢].

قال الدحلاني: وفي هذا دليل على قوة نفس عمـرو ـ رضـي الله عنـه ـ، وشدة شكيمته؛ حيث خاطبه بهذا الخطاب، وأنذره بالحرب والهلاك في محل

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠١)، و«السيرة النبوية» لأحمـد ابن زيني دحلان (٣/ ٧١ ـ ٧٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣)، و«السيرة النبويـة» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧٢ ـ ٧٣).

كتاب هَوْذَة بن علي

ووجّه عليه الصلاة والسلام سَلِيْط بنَ عمرٍو العامريَّ بكتاب إلى هَوْذة ابن علي ملكِ اليمامة، وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هَوْذة بن علي، سلام على من اتبع الهدى، واعلم أن ديني سيظهر . . . . .

ملكه بحضرة أعوانه، مع أنه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس، ومع ذلك حمى الله رسول نبيه صلى الله عليه وسلم، فلم يؤذه جيفر ولا بكلمة، بل خاطبه باللين حيث قال: دعني يومي هذا وارجعْ إليّ غداً، قال عمرو: فرجعت إلى أخيه، فقال: يا عمرو! إني أرجو أن يسلم أخي إن لم يَضنَّ بملكه، حتى إذا كان الغد، أتيت إليه، فأبى أن يأذن لي، فانصرفت إلى أخيه، فأخبرته أني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: إني فكرت فيما دعوتني إليه، فإذا أنا أضعف العرب إن ملكت رجلاً ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله هاهنا ـ أي: لبعد الدار ـ ، وإن بلغت خيله هاهنا، وجدتَ قتالاً ليس كقتال من لاقى.

قال عمرو: قلت: وأنا خارج غداً، فلما أيقن بمخرجي، خلا به أخوه، فقال له: ما نحن فيما ظهر عليه، وكل من أرسل إليه أجابه، فأصبح فأرسل إلي، فأجاب للإسلام هو وأخوه جميعاً، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم، وخليا بيني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا عوناً على من خالفني، وأسلم معهما خلق كثير، ووضعت الجزية على من لم يسلم. اهـ[1].

كتاب هوذة بن علي

قوله: (وجه عليه السلام سَليط): هو ـ بفتح السين ـ، وسبب اختياره صلى الله عليه وسلم سليطاً: أنه كان يختلف إلى اليمامة، وهي بلاد بالمشرق كثيرةُ النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة. اهـ. حلبي ودحلاني[2].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧٣).

(٢) انظر: «السيرة الحلبيـة» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٣)، و«السيـرة النبويـة» =

إلى منتهى الخُفِّ والحافرِ، فأسلمْ تسلمْ، وأجعلُ لك ما تحت يديك»، فلما جاءه الكتاب، كتب في ردّه: ما أحسنَ ما تدعو إليه وأجملهُ! وأنا شاعرُ قومي وخطيبهم، والعرب تهاب مكاني، فاجعل لي بعض الأمر أتبعْك.

ولما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو سألني قطعة من الأرض ما فعلتُ، بادَ وباد ما في يديه»[1].

فلم يلبث أن مات مُنصَرَفَ الرسول صلى الله عليه وسلم من فتح مكة. وكان عليه الصلاة والسلام يولّي على كل قوم قبلوا الإسلام كبيرَهم.

قوله: (إلى منتهى الخف والحافر)؛ أي: حيث تقطع الإبل والخيل.

قوله: (فاجعل لي بعض الأمر أتبعك): قال الدحلاني: كأنه أراد الشركة في النبوة، أو الخلافةَ بعده صلى الله عليه وسلم[2].

قوله: (باد وباد ملكه)؛ أي: هلك، وهو خبر أو دعاء. اهـ. دحلاني[3].

قوله: (منصرف الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة): أخبره جبريل عليه السلام بأن هوذة قد مات على كفره، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما إن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يُقتل بعدي»، فكان كذلك[4]، فظهر بها مسيلمة ـ لعنه الله ـ، وقُتل.



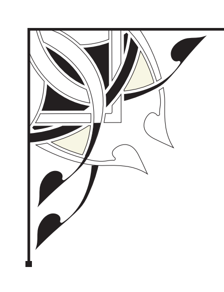
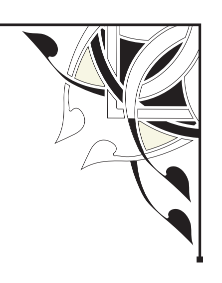
= لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧٣ ـ ٧٤).

(١) أورده ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٦٣).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧٤).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٧٤).

(٤) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٤٠٣)، وعزاه للواقدي.

السَّنَة السَّابعة

غزوة خَيبر

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه الصلاة والسلام بالتجهّز لغزو يهود خيبر، الذين كانوا أعظم مُهَيِّجٍ للأحزاب ضدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق، والذين لا يزالون مجتهدين في محالفة الأعراب ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قدّمنا ذلك في قصة كعب بن الأشرف. وقد استنفر رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لذلك مَنْ حوله من الأعراب الذين كانوا معه بالحديبية، وجاء المخلَّفون عنها ليؤذَن لهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تخرجوا معي إلا رغبة في الجهاد، أما الغنيمة، فلا أعطيكم منها شيئاً»، وأمر منادياً ينادي بذلك[1].

السنة السابعة

غزوة خيبر

قال الدحلاني: خيبر بوزن جعفر، وهي مدينة كبيرة ذاتُ حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية بُرد من المدينة إلى جهة الشام[2].

قوله: (وقد استنفر رسول الله مَنْ حوله...) إلخ: في الدحلانية: كان معه عليه الصلاة والسلام ألف وأربع مئة راجل، ومئتا فارس[3].

قوله: (فقال عليه السلام: لا تخرجوا معي إلا رغبة في الجهاد)؛ أي: لأن

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ١١٤) عن عدد من شيوخه.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠٤).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠٤).

ثم خرج عليه الصلاة والسلام بعد أن ولَّى على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ الغِفاريَّ. وكان معه من أزواجه أُمُّ سلمة، ولما وصل جيش المسلمين إلى خيبر التي تبعد عن المدينة نحو مئة ميل من الشمال الغربي، رفعوا أصواتهم بالتكبير والدعاء، فقال عليه الصلاة والسلام: «ارفقوا بأنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم»[1].

وكانت حصون خيبر ثلاثة، منفصلاً بعضُها عن بعض، وهي: حصون النَّطَاة، . . . .

مجيئهم كان رغبة في الغنيمة، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك.

قوله: (سباع بن عرفطة): سباع؛ ككتاب، وعرفطة: ـ بضم العين والفاء بينهما راء ساكنة وفتح الطاء ـ.

قوله: (ارفقوا بأنفسكم) لفظ الحديث كما في الحلبية والدحلانية: «اربعوا على أنفسكم»[2]، وقالا في تفسيره: أي: ارفقوا بأنفسكم[3].

فالمؤلف هنا ذكر لفظ الحديث بما فُسر به.

وفي «القاموس»: رفق به وعليه ـ مثلثة[4] ـ.

قوله: (النطاة): بفتح النون ـ. «قاموس»[5].

---

(١) رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٤٢٠٥)، ومسلم (٢٧٠٤)، من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٣٩)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٠٦).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: رفق).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: نطو).

وحصون الكَثيبة، وحصون الشَّق، والأولى ثلاثة: حصن ناعم، وحصن الصَّعْب، وحصن قُلَّةٍ، والثانية حصنان: حصن أُبيّ، وحسن البريء، والثالثة ثلاثة حصون: حصن القَمُوص، وحصن الوَطِيْح، وحصن السُّلالِم، . . .

و**(الكثيبة)** يظهر أنه ـ بفتح الكاف وكسر الثاء ـ مؤنث كثيب، وهو التل من الرمل[1].

وقوله: (الشّق): ـ بكسر الشين وفتحها ـ.

في «القاموس»: الشَّق: موضع[2] بخيبر، أو وادٍ به، ويفتح، أو الصواب الفتحُ في اللغة[3].

وقوله: (وحصن قلة) ـ بضم القاف ـ؛ لأنه كان يقال: جبل، ويعبر عن هذا بقلة الزبير؛ لأنه صار في سهمه بعد ذلك. اهـ. حلبي[4].

وقوله: (حصن أبى) يظهر أنه على وزن (حتى).

وقوله: (القَموص): ـ بفتح القاف ـ.

في «القاموس»: القموص: جبل بخيبر عليه حصن أبي الحُقَيق اليهودي[5].

و**(الوَطيح)** ـ على وزن (شريف): ـ حصن بخيبر كما في «القاموس»[6].

و**(السلالم)**: ـ بضم السين ـ كما في الحلبية[7].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: كثب).

(٢) في الأصل: «عين»، والتصويب من «القاموس المحيط» (مادة: شقق).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شقق).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٤٢).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قمص).

(٦) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: وطح).

(٧) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٤٤).

فبدأ عليه الصلاة والسلام بحصون النَّطاة، وعسكرَ المسلمون شرقيها بعيداً عن مدى النبل، وأمر عليه الصلاة والسلام أن يَقْطَع نخلهم ليرهبهم حتى يُسلموا، فقطع المسلمون نحو أربع مئة نخلة. ولما رأى عليه الصلاة والسلام تصميم اليهود على الحرب، نهى عن القطع، ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالمراماة، وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين، فلم يصنع في ذلك اليوم شيئاً، وفيه مات محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة، وصار عليه الصلاة والسلام يغدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة، . . .

قوله: (وعسكر المسلمون شرقيه بعيداً عن مدى النبل)؛ أي: بعد أن نزل صلى الله عليه وسلم قريباً من حصون النطاة ابتعد عنها.

قال الدحلاني: كان النبي صلى الله عليه وسلم نزل قريباً من حصون النطاة، فجاء الحُباب بنُ المنذر ـ رضي الله عنه ـ فقال: يا رسول الله! إنك نزلت منزلك هذا، فإن كان عن أمر أمرت به، فلا نتكلم، وإن كان هو الرأي، تكلمنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هو الرأي»، فقال: يا رسول الله! إن أهل النطاة لي بهم معرفة، ليس قوم أبعد مَدًى منهم، ولا أعدل رميةً منهم، وهم مرتفعون علينا، وهو أسرع لانحطاط نبلهم، ولا نأمن من بياتهم، يدخلون في حمر النخل ـ أي: النخل المجتمع بعضُه على بعضه ـ، تحوَّلْ يا رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أشرت بالرأي، إذا أمسينا إن شاء الله تحولنا»، وتحول لما أمسى، وأمر الناس بالتحول[1].

قوله: (وفيه مات محمود بن مسلمة): الأولى التعبير بِقُتل.

قال الحلبي: في ذلك اليوم قُتل محمود بن مسلمة برحًى أُلقيت عليه من ذلك الحصن، ألقاها عليه مرحب اليهودي، وقيل: كنانة بن الربيع اليهودي،

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠٧)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ١٢٠).

ويخلّف على العسكر أحدَ المسلمين، حتى إذا كانوا في الليلة السادسة، ظفر حارس الجيش، وهو عمر بن الخطاب، بيهودي خارج في جوف الليل، فأتى به رسولَ الله عليه الصلاة والسلام، . . . .

وكان ـ رضي الله عنه ـ حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح، وكان الحر شديداً، فانحاز إلى ظل ذلك الحصن، فألقى عليه حجر الرحى، فهشم البيضة على رأسه، ونزلت جلدةُ جبينه على وجهه، وندرت عينُه، فأدركه المسلمون، فأتوا به النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فسوى الجلدة إلى مكانها، وعصبه بخرقة، فمات ـ رضي الله عنه ـ من شدة الجراحة.

فجاء أخوه محمد بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن اليهود قتلوا أخي محمود، فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية؛ فإنكم لا تدرون ما تُبتلَون به، فإذا لقيتموهم، فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم، ونواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما يقتلهم أنت، ثم الزموا الأرض جلوساً، فإذا غشوكم، فانهضوا وكبروا». اهـ[1].

قوله: (أحد المسلمين) هو عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ كما في الحلبية والدحلانية[2].

قوله: (حارس الجيش)؛ أي: في تلك الليلة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم يناوب بين أصحابه في حراسة الليل، فلما كانت الليلة السادسة من السبع، استعمل عمر ـ رضي الله عنه ـ، فطاف عمر بأصحابه حول المعسكر وفرقهم، فأتى برجل من يهود خيبر . . . إلخ ما ذكره المؤلف.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٣٢)، والحديث المذكور رواه الطبراني في «الدعاء» (١٠٧٢) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٣٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٠٨).

ولما أدرك الرجل الرعب قال: إن أَمَّنْتُموني أدلّكم على أمر فيه نجاحكم. فقالوا: دُلَّنَا فقد أَمَّنَّاك، فقال: إن أهل هذا الحصن أدركهم الملال والتعب، وقد تركتهم يبعثون بأولادهم إلى حصن الشَّق، وسيخرجون لقتالكم غداً، فإذا فتح عليكم هذا الحصن غداً، فإني أدلكم على بيت فيه منجنيق ودبابات ودروع وسيوف، يسهل عليكم بها فتح بقية الحصون، فإنكم تنصبون المنجنيق، ويدخل الرجال تحت الدبابات، فينقبون الحصن، فتفتحه من يومك، فقال عليه الصلاة والسلام لمحمد بن مسلمة: «سأُعطي الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسولَه ويحبّانه»، . . . .

قوله: (إن أهل هذا الحصن)؛ أي: حصن النطاة.

قوله: (فتفتحه من يومك) قال الدحلاني: ثم قال: يا أبا القاسم! احتقن دمي، قال: «أنت آمِن» قال: ولي زوجة فهبها لي، قال: «هي لك»، ثم دعاه إلى الإسلام، فقال: أنظرني أياماً[(١)].

قوله: (فقال عليه السلام لمحمد بن مسلمة. . .) إلخ: تعبيره بالفاء يفيد أنه عليه السلام قال لمحمد بن مسلمة ذلك عقب كلام اليهودي، وليس كذلك، فقد قال في الدحلاني بعد انتهاء حديث اليهودي: وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة في بعض تلك الأيام، فيبعث أناساً من أصحابه، فلم يكن فتح، ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة ـ رضي الله عنه ـ: «لأعطينَّ الراية غداً. . .» إلخ ما ذكره المؤلف هنا[(٢)].

قوله: (يحب الله ورسوله): تتمة الحديث: «لا يولي الدُّبر، يفتح الله عز وجل

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ١٢٣).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٠٩).

فبات المهاجرون والأنصار كلهم يتمنّونها، حتى قال عمر بن الخطاب: ما تمنيت الإمارة إلا ليلتئذ، فلما كان الغد، سأل عليه الصلاة والسلام عن عليِّ بنِ أبي طالب، فقيل له: إنه أَرمدُ، فأرسل مَنْ يأتيه به، ولما جاء، تَفَلَ في عينيه، فشفاهما الله كأن لم يكن بهما شيء، ثم أعطاه الراية[1].

فتوجه مع المسلمين للقتال، وهناك وجدوا اليهود متجهزين، فخرج يهودي يطلب البِرَاز، فقتله عليٌّ، ثم خرج مَرْحَبٌ، وهو أشجعُ القوم، . . .

على يديه، فيمكنه الله من قاتل أخيك»[2].

قوله: (كأن لم يكن بهما شيء): في الحلبية: قال علي ـ رضي الله عنه ـ: فما رمدت بعد يومئذ[3].

قوله: (ثم خرج مَرْحَب) هو: ـ بفتح الميم والحاء وسكون الراء ـ.

في الحلبية والدحلانية أنه خرج وهو يرتجز ويقول:

قد علمَتْ خيبرُ أنـي مَرْحَبُ ... شاكي السلاح بطلٌ مجرَّبُ

إذا الحروبُ أقبلت تَلَهَّبُ

---

(١) رواه البخاري (٣٧٠١)، ومسلم (٢٤٠٦)، من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ. ورواه مسلم (٢٤٠٥) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) أورده نور الدين الحلبي باللفظ المذكور في «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٣٣). ورواه الحاكم في «المستدرك» (٤٣٤٢)، من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ، دون قوله: «فيمكنه الله من قاتل أخيك». ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ١٢٣) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، دون قوله: «لا يولي الدبر».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٣٥)، والخبر المذكور رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/ ١٢٣) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

فألحقَه برفيقه، فخرج أخوه ياسر، فقتله الزبيرُ بنُ العوّام، ثم حملَ المسلمون على اليهود حتى كشفوهم عن مواقفهم، وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة، وانهزم الأعداء إلى الحصن الذي يليه، وهو حصن الصَّعْبِ، وغنم المسلمون من حصن ناعم كثيراً من الخبز والتمر، ثم تتبعوا اليهودَ إلى حصن الصَّعْب، فقاتل عنه اليهودُ قتالاً شديداً حتى رُدَّ عنه المسلمون، ولكن ثبت الحُباب بن المنذر ومن معه، وقاتلوا قتالاً شديداً حتى هزموا اليهود، فتبعوهم حتى افتتحوا عليهم الحصن، فوجدوا فيه غنائم كثيرة من الطعام، فأمر عليه الصلاة والسلام منادياً يقول: . . . .

فبرز له علي ـ رضي الله عنه ـ وهو يقول:

أنا الذي سَمَّتني أمي حَيْدَرَهْ كلَيثِ غاباتٍ كريهِ المنظرَهُ

وقيل بدله:

ضرغامِ آجامٍ وليثٍ قَسْوَرَهْ

وحيدرة: من أسماء الأسد، والحيدرة الغليظ القوي[1].

والضرغام والليث والقسورة من أسماء الأسد أيضاً.

قوله: (حتى دخلوا الحصن)؛ أي: حصن ناعم، وهو أول حصن من حصون النطاة.

قوله: (وثبت الحباب بن المنذر) الحباب: ـ بضم الحاء ـ.

قال الدحلاني: وكان صلى الله عليه وسلم دفع اللواء للحباب بن المنذر، وندب الناس، ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٣٧ ـ ٧٣٨)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢١١).

«كلوا واعلفوا دوابكم، ولا تأخذوا شيئاً»[1].

ثم إن الذين انهزموا من هذا الحصن ساروا إلى حصن قُلَّةٍ، فتبعهم المسلمون، وحاصروهم ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحُه، وفي اليوم الرابع دلَّهم يهوديّ على جداول الماء التي يستقي منها اليهود، فمنعوها عنهم، فخرجوا، وقاتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم إلى حصون الشَّقِّ، فتبعهم المسلمون، وبدؤوا بحصن أُبَيّ، فخرج أهله، وقاتلوا قتالاً شديداً أبلى فيه أبو دُجانةَ الأنصاريُّ بلاءً حسناً حتى تمكن من دخول الحصن عَنْوةً، ووجد المسلمون فيه أثاثاً كثيراً، ومتاعاً وغنماً وطعاماً، وهرب المنهزمون منه إلى حصن البريء، فتمنَّعوا به أشدَّ التمنُّع، وكان أهله أشدَّ اليهود رمياً بالنبل والحجارة حتى أصاب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعض منه، فنصب المسلمون عليه المنجنيق، فوقع في قلب أهله الرعب، وهربوا منه من غير عناء شديد، . . . .

أن أقاموا على محاصرته يومين[2].

قوله: (ولا تأخذوا شيئاً)؛ أي: لا تخرجوا به إلى بلادكم.

قوله: (دلهم يهودي): في الحلبية: جاء رجل من اليهود وقال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا أبا القاسم! تؤمني على أن أدلك على ما تستريح به؛ فإنك لو مكثت شهراً لا تقدر على فتح هذا الحصن؛ فإن به دبولاً، وهي الأنهر الصغيرة تحت الأرض، يخرجون ليلاً فيشربون منها، فإن قطعتَ عنهم شربهم، أهلكتَهم، فأمنه صلى الله عليه وسلم، وسار إلى دبولهم فقطعها، فعند ذلك

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» للهيثمي (٦٧٢) من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢١٦).

فوجد فيه المسلمون أواني لليهود من نحاس وفخار، فقال عليه الصلاة والسلام: «اغسلوها واطبخوا فيها»[1].

ثم تتبّع المسلمون بقايا العدو إلى حصون الكثيبة، وبدؤوا بحصن القَموص، فحاصروه عشرين ليلة، ثم فتحه الله على يد علي بن أبي طالب، ومنه سُبيت صفيةُ بنتُ حُييّ بنِ أخطبَ، ثم سار المسلمون لحصار حصنَي الوَطيح والسُّلالِم، فلم يقاوم أهلهما، بل سلّموا طالبين حقنَ دمائهم، وأن يخرجوا من أرض خيبر بذراريهم، لا يصطحب الواحد منهم إلا ثوباً واحداً على ظهره، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، وغنم المسلمون من هذين الحصنين مئة درع، وأربع مئة سيف، وألف رمح، وخمس مئة قوس عربية، ووجدوا صحفاً من التوراة، فسلّموها لطالِبيها.

خرجوا وقاتلوا أشد القتال، وفتح ذلك الحصن[2].

قوله: (فلم يقاوم أهلها) يشعر أنهم سلموا حين وصول المسلمين إليهم، وليس كذلك، فإنهم سلموا بعد حصار أربعةَ عشرَ يوماً، لكنهم في هذه المدة لم يخرج أحد منهم، فهم صلى الله عليه وسلم أن يجعل عليهم المنجنيق، فلما أيقنوا التهلكة، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن الدماء... إلخ ما نقله المؤلف[3].

---

(1) روى البخاري (٥٤٧٨)، ومسلم (١٩٣٠)، من حديث أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: «أما ما ذكرت أنك بأرض أهل كتاب؛ فلا تأكلوا في آنيتهم، إلا أن لا تجدوا بدّاً، فإن لم تجدوا بدّاً، فاغسلوها وكلوا».

(2) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٤٢ ـ ٧٤٣)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (١/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

(3) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٤٤).

وقد أمر عليه الصلاة والسلام بقتل كنانةَ بنِ الربيع بنِ أبـي الحُقَيـق؛ لأنه أنكر حُلِيَّ حُيَيّ بن أخطب، وقد عثر عليها المسلمون، فوجدوا فيهـا أساور ودمالج وخلاخيل وقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجـواهر والزمـرد، وغير ذلك.

هذا، والذين استشهدوا من المسلمين بخيبر خمسةَ عشرَ رجلاً، وقُتـل من اليهود ثلاثة وتسعون رجلاً، . . . .

قوله: (لأنه أنكر حُليَّ حيي بن أخطب): فـي الدحلانيـة: روى البيهقـي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه صلى الله عليه وسـلم أتـى بكنانـةَ وأخيـه الربيعِ وابنِ عمهما، فقال: «أين آنيتكم التي كنتم تعيرونها أهل مكة؟» قـالوا: هربنـا فلم تزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى، فذهب منا كل شيء، فقال: «إن كتمتماني شيئاً، فاطلعت عليه، استحللتُ دماءكما وذراريكما»، فقالا: نعم، فدعا رجـلاً من الأنصار، فقال: اذهب إلى نخل كذا وكذا، فانظر نخلة مرفوعة، فـأتني بمـا فيها، فجاء بالآنية والأموال، فقومت بعشرة آلاف دينار، فضرب عنقهما، وسبى أهليهما بالنكث الذي نكثاه. اهـ[١].

قـولـه: (وأن يخرجـوا من أرض خيبـر . . .) إلخ: لـم يخـرجهـم النبـي صلى الله عليه وسلم من أرضهم وقتئذ، بل أبقاهم فيها، تفصيل ذلك حلبي[٢].

قال في «زاد المعاد»: أراد النبي صلى الله عليـه وسـلم أن يُجلـيهم عنهـا، فقالوا: يا محمد! دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فنحن أعلم بها منكم، ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأصحابه غلمان يقومون

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زينـي دحـلان (٢/ ٢١٦)، والخبـر المـذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٤٤).

وفي هذه الغزوة أهدت إحدى نساء اليهود كُرَاعَ شاة مسمومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ منها مضغة، ثم لَفَظَها حيث أُعلم أنها مسمومة، . . . .

عليها، وكانوا لا يفرغون يقومون عليها، فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل زرع وكل ثمر ما بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقرهم. اهـ[1].

وفي الدحلانية في آخر غزوة خيبر: ثم دفع صلى الله عليه وسلم لأهل خيبر الأرض ليعملوا فيها ما يخرج منها من ثمر أو زرع، وقال لهم: إنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم، ثم استمروا على ذلك إلى خلافة عمر ـ رضي الله عنه ـ، ووقعت منهم خيانة وغدر ببعض المسلمين، فأجلاهم إلى الشام بعد أن استشار الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في ذلك. اهـ[2].

قوله: (إحدى نساء اليهود) هي زينبُ بنتُ الحارث امرأةُ سلامِ بن مشكم.

قوله: (حيث علم أنها مسمومة): قال في الدحلانية: وفي رواية: أرسل صلى الله عليه وسلم إلى اليهودية، فقال: «هل سممتِ هذه الشاة؟» فقالت: من أخبرك؟ قال: «هذه في يدي» مشيراً للذراع، قالت: نعم، قال لها: «ما حملك على ذلك؟» قالت: إن كنتَ نبيّاً يُطلعك الله على ذلك، وإن كنت كاذباً فأريحُ الناس منك، وقد استبان لي أنك صادق، وأنا أُشهدك ومن حضرك أني على دينك، وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها. اهـ[3].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٢٦).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢١).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩)، والخبر المذكور رواه أبو داود (٤٥١٠) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

وأكل منها بِشْرُ بنُ البراء، فمات لوقته، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجيء له بالمرأة التي فعلت هذه الفعلة، فسألها عن سبب ذلك، فأجابت: قلت إن كان نبيّاً لن يضرّه، وإن كان كاذباً، أراحنا الله منه، فعفا عنها عليه الصلاة والسلام.

زواج صفية

وبعد تمام الظفر والنصر تزوج عليه الصلاة والسلام صفيةَ بنتَ حييّ، سيدِ بني النضير، وأصدَقَهَا عِتْقَهَا، وقد أسلمت ـ رضي الله عنها ـ. فشرفت بأُمومة المؤمنين.

قوله: (وأكل منها بشر البراء، فمات لوقته): قال في الدحلانية: وجاء أن بشر بن البراء مات بعد حول مِن تلك الأكلة بسبب ذلك السم، فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لأوليائه، فقتلوها فيه[1].

وبهذا يُجمَع بين الروايات المختلفة؛ فإن في بعضها: أنه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية، وفي بعضها: أنه قتلها[2]، فيحمل على قتلها قصاصاً في بشر بن البراء، وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه، بل يعفو ويصفح. اهـ[3].

زواج صفية

قوله: (فشرفت بأمومة المؤمنين): قال الحلبي: وفي زمن خلافة عمر

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٠٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٨١٤) من طريق معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، بنحوه، وفيه: قال الزهري: فأسلمت، فتركها النبي صلى الله عليه وسلم، قال معمر: وأما الناس فيقولون: قتلها النبي صلى الله عليه سلم.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢١٩).

ونهى عليه الصلاة والسلام ـ وهو بخيبر ـ عن نكاح المتعة، وهي: النكاح لأَجَلٍ وقد كان حلالاً في الجاهلية، واستُعمل في بدء الإسلام حتى حرّمه الشرع في هذه السنة، . . . .

ـ رضي الله عنه ـ أتت جارية لها إلى عمر، فقالت له: يا أمير المؤمنين! إن صفية تحب السبت، وتصل اليهود، فسألها عمر ـ رضي الله عنه ـ، فقالت: أما السبت، فإني لا أحبه[1] منذ أبدلَني الله به الجمعةَ، وأما اليهود، فإن لي بهم رحماً، فأنا أصلها، ثم قالت للجارية: ما حملَكِ على ما صنعتِ؟ قالت: الشيطان، قالت: اذهبي فأنت حرة.

قال الحافظ الدمياطي: ماتت سنة خمسين، ودفنت بالبقيع، وخلفت ما قيمته مئة ألف درهم، وأوصت لابن أخيها بثلثها، وكان يهودياً. اهـ[2].

النهي عن نكاح المتعة

قوله: (ونهى عليه السلام ـ وهو بخيبر ـ عن نكاح المتعة. . .) إلخ: قال في «زاد المعاد» ما ملخصه: لم يحرم المتعة يوم خيبر، وإنما كان تحريمها عام الفتح، هذا هو الصواب، وقد ظن طائفة من أهل العلم أنه حرمها يوم خيبر[3].

وبعد أن ساق أدلة من قال ذلك، قال: جاء في «مسند الإمام أحمد» بإسناد صحيح: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر، وحرم متعةَ النساء[4].

---

(١) في الأصل: «لأحبه» بدل «لا أحبه»، والتصويب من «السيرة الحلبية».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤١٦).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٤٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٤٢) من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. ورواه مسلم (١٤٠٧).

. . . .

وفي لفظ: حرم متعةَ النساء، وحرم لحومَ الحُمر الأهلية يومَ خيبر، هكذا رواه سفيان بن عيينة مفصلاً مميزاً[1]، فظن بعض الرواة أن يومَ خيبر زمنٌ للتحريمين، فقيدهما به، ثم جاء بعضهم فاقتصر على أحد المحرمين، وهو تحريم الحمر، وقيده بالظرف، فمن هاهنا نشأ الوهم.

وقصة خيبر لم يكن فيها الصحابة يتمتعون باليهوديات، ولا استأذنوا في ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، ولا نقله أحد قط في هذه الغزوة، ولا كان للمتعة فيها ذكر البتة، لا فعلاً ولا تحريماً؛ بخلاف غزاة الفتح؛ فإن قصة المتعة كانت فيها فعلاً وتحريماً مشهورة، وهذه الطريقة أصح الطريقتين[2].

وقال في «بداية المجتهد» ما ملخصه: إنه قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحريمه، إلا أنها اختلفت في الوقت الذي وقع فيه التحريم، ففي بعض الروايات أنه حرمها يوم خيبر[3].

وساق بقية الأقوال، ثم قال: وأكثر الصحابة وجميع فقهاء الأنصار على تحريمها، واشتهر عن ابن عباس تحليلُها، رواه عنه ابن جُريح، وعَمْرو بن دينار[4].

وعن عطاء قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، ونصفاً من خلافة عمر، ثم نهى عنها عمرُ الناسَ. اهـ[5].

---

(١) رواه الترمذي (١٧٩٤) من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٤٤ ـ ٣٤٥).

(٣) انظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (٢/ ٤٣)، وتقدم تخريج الرواية المشار إليها.

(٤) رواه القاسم بن سلام في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ١١٩) من طريق ابن جريج، ولم نقف عليه من طريق عمرو بن دينار.

(٥) انظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (٢/٤٣ ـ ٤٤)، والخبر المذكور رواه أبو عوانة =

. . . .

ولا بأس أن نورد هنا حكاية تاريخية تتعلق بنكاح المتعة ذكرها ابن خلكان في «تاريخه» في ترجمة القاضي يحيى بن أكثم، قال: حدث محمد بن منصور قال: كنا مع المأمون في طريق الشام، فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال يحيى ابن أكثم لي ولأبي العيناء: بكرا غداً إليه، فإن رأيتما للقول وجهاً، فقولا، وإلا فاسكتا إلى أن أدخل.

قال: فدخلنا عليه وهو يستاك، ويقول وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، وأنا أنهى عنهما؟! ومن أنت يا جعل ـ الرجل الأسود الدميم ـ حتى تنهى عما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ؟ فأومأ أبو العيناء إلى محمد ابن منصور، وقال: رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن، فأمسكنا.

فجاء يحيى بن أكثم، فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: ما لي أراك متغيراً؟ فقال: هو غمّ يا أمير المؤمنين لِما حدث في الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟! قال: نعم، المتعة زنا، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله عز وجل، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾[المؤمنون: ١ ـ ٧]، يا أمير المؤمنين! زوجة المتعة ملك يمين، قال: لا، قال: فهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث، وتلحق الولد، ولها شرائطها، قال: فقد صار متجاوزُ هذين من العادين، وهذا الزهري ـ يا أمير

= في «مسنده» (٤٠٩٨)، وابن شاهين في «ناسخ الحديث ومنسوخه» (ص: ٣٦٧) من طريق أبي الزبير عن جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

ونهى كذلك عن أكل لحوم الحُمُر الأهلية، فأكفأ المسلمون قُدورَها بعد أن نَضِجت، ولم يَطْعَموها.

المؤمنين ـ روى عن عبدالله وحسن ابنَي محمدِ ابنِ الحنفية، عن أبيهما، عن علي بن أبي طالب قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها.

فالتفت إلينا المأمون فقال: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ فقلنا: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة، منهم: مالك ـ رضي الله عنه ـ، فقال: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة، فنادَوْا بها.

قال أبو إسحاق إسماعيلُ بنُ حمادٍ القاضي الفقيه المالكيُّ البصري، وقد ذكر يحيى بن أكثم، فعظم أمره، وقال: كان له يوم في الإسلام لم يكن لأحد مثلُه، وذكر هذا اليوم. اهـ[1].

قوله: (ونهى كذلك عن أكل لحوم الحمر الأهلية): سببه: أن الصحابة أصابهم جوع، فوجدوا الحُمُر الأهلية، وكانت ثلاثين خرجت من بعض الحصون، فأخذها رهط من المسلمين وذبحوها، وجعلوا لحومها في القدور والبرام، وجعلوا يطبخونها للأكل، فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم، فسألهم عما في القدور والبرام، قالوا: لحوم الحمر الأنسية، فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن أكلها، حتى إن القدور أُكفئت وإنها لَتفور.

وفي مسلم: فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا طلحة فنادى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر الأهلية؛ فإنها رجس. اهـ. حلبي ملخصاً[2].

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ١٤٩ ـ ١٥١).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٥٢ ـ ٧٥٣).

رجوع مهاجري الحبشة

وحين رجوع المسلمين من خيبر قدِم من الحبشة جعفرُ بنُ أبي طالب ومعه الأشعريون: أبو موسى وقومُه، بعد أن أقاموا فيها نحواً من عشر سنين آمنين مطمئنين، وفرح عليه الصلاة والسلام بمقدمهم فرحاً عظيماً، وأعطى للأشعريين من مغانم الحصون المفتوحة صلحاً، . . . .

رجوع مهاجري الحبشة

قوله: (وقدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب. . .) إلخ: في الدحلانية: لما قدم جعفر، تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل جبهته، وعانقه وقام له، ثم قال: «والله! ما أدري بأيهما أفرح؛ بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟»[(1)]، وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر ـ رضي الله عنه ـ: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي»[(2)].

قوله: (وفرح بمقدمهم فرحاً عظيماً): في الحلبية: وقبل قدومهم إليه صلى الله عليه وسلم قال: «يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوباً»، فقدم الأشعريون[(3)].

وفي كلام بعضهم ما يفيد أنه صلى الله عليه وسلم قال في حقهم: «أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوباً، وأرقُّ أفئدة، الفقهُ يمانٍ، والحكمة يمانية»[(4)].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢٤٩) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢١٩)، والحديث المذكور رواه البخاري (٢٦٩٩) من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٩٣)، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٥٦)، والحديث المذكور رواه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وكان مع جعفر أُمُّ حَبيبة بنتُ أبي سُفيان أُمّ المؤمنين. وقدم في هذا الوقت على النبي عليه الصلاة والسلام الدوسيون إخوانُ أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وهو معهم، فأعطاهم أيضاً رسولُ الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: (وكان مع جعفر أم حبيبة بنتُ أبي سفيان أم المؤمنين): في الحلبية ما ملخصه: كان صلى الله عليه وسلم عقد عليها وهي بالحبشة؛ فإنها كانت ممن هاجر الهجرة الثانية للحبشة مع زوجها عبيدالله[1] بن جحش، فارتد عن الإسلام هناك وتنصر، ومات على ذلك، وبقيت هي على إسلامها، وقد أرسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري في المحرم افتتاح سنة سبع إلى النجاشي ليزوجها منه صلى الله عليه وسلم ـ أي: وكله بذلك ـ وهي أرسلت بالوكالة إلى خالد بن سعيد ـ رضي الله عنه ـ، فزوجها النجاشيُّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبل خالد بن سعيد ذلك، وأصدقها النجاشيُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مئة دينار[2].

قوله: (إخوان أبي هريرة، وهو معهم): في الدحلانية: قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتاً من دَوْس، فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة ـ رضي الله عنه ـ، فأخبرنا أن النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر، فزودنا سباع، ثم جئنا خيبر وهو محاصر لكثيبة[3]، فأقمنا حتى فتح الله عليه. اهـ[4].

---

(١) في الأصل: «عبد الله» وهو سهو، والصواب ما تمَّ إثباته.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٥٨ ـ ٧٥٩)، والخبر المذكور رواه أبو داود (٢١٠٧) من حديث أم حبيبة ـ رضي الله عنها ـ مختصراً، وفيه: «أربعة آلاف درهم» بدل «أربع مئة دينار».

(٣) كذا في الأصل، وفي «مراصد الاطلاع» (٢/ ١١٤٩): «(كتيبة) بالفتح ثم الكسر، بلفظ القطعة من الجيش: حصن من حصون خيبر، وهي في كتاب الأموال لأبي عبيد بالثاء المثلثة».

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢٠)، والخبر المذكور =

فتح فَدَك

وبعد تمام الفتح، أرسل عليه الصلاة والسلام مَنْ يطلب من يهودِ فَـدَك الانقيادَ والطاعة، فصالحوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على أن يحقـن دماءهم، ويتركوا الأموال. وكانت أرض فدك هذه لرسول الله صلى الله عليـه وسلم خاصّة، يُنفق منها على نفسه، ويعول منها صغير بن هاشم، . . . . .

فتح فدك

قوله: (وبعد تمام الفتح أرسل عليه الصلاة السلام. . .) إلخ: هكذا فـي «السيرة الهشامية»، وفي «السيرة الحلبية» ما يفيد أنه كان ذلك قبل الفتح، وكـان الرسول إليهم مُحَيصةَ بنَ مسعود ـ رضي الله عنه ـ. اهـ[١].

وأجلاهم عمر ـ رضي الله عنه ـ لما أجلى أهل خيبر.

قوله: (وكانت أرض فدك لرسول الله. . .) إلخ: في الحلبية: ولما مـات صلى الله عليه وسلم وولي أبو بكر الخلافة، سألته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ أن يجعلهـا لها، فأبى، وروى لها: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إنا ـ معاشرَ الأنبياء ـ لا نـورث، ما تركناه صدقة»[٢]، ولما صارت الخلافة لعمر بن العزيز ـ رضي الله عنـه ـ قيـل له: إن مروان اقتطعها ـ أي: جعلها إقطاعاً له ـ فقال: أرأيـتم أمـراً منعـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم فاطمةَ ـ أي: بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا نورث، ما تركنـاه صدقة» ـ ليس لي بحق، وإني أشهدكم أني قد رددتها على مـا كانـت علـى عهـد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ أي: صدقة على المسلمين. اهـ[٣].

= رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٥) بنحوه.

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشـام (٤/ ٣٠٨)، و«السـيرة الحلبيـة» لنـور الـدين الحلبي (٢/ ٧٦٠).

(٢) رواه البخاري (٤٢٤١، ٤٢٤٠)، ومسلم (١٧٥٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٦٠).

ويزوج منها أَيِّـمَهُمْ.

صلح تيماء

ولما بلغ يهودَ تيماء ما فعله المسلمون بيهود خيبر، صالحوا على دفع الجزية، ومكثوا في بلادهم آمنين مطمئنين.

فتح وادي القُرى

ثم دعا عليه الصلاة والسلام يهودَ وادي القرى إلى الاستسلام. . . .

قوله: (أيمهم): الأيم: العزب، رجلاً كان أو امرأة. مصباح[1].

صلح تيماء

قوله: (لما بلغ يهود تيماء. . .) إلخ: الذي في الحلبية والدحلانية: أن ذلك كان بعد فتح وادي القرى[2]، وذكر ذلك في «زاد المعاد» أيضاً[3] كما سيأتي قريباً.

فتح وادي القرى

قوله: (ثم دعا عليه السلام يهود وادي القرى): قال الحلبي: ثم منصرفَه صلى الله عليه وسلم من خيبر أتى وادي القرى، وأهلُه يهود، فدعاهم إلى الإسلام، فامتنعوا من ذلك وقاتلوا[4].

وبسطَ الكلام على ذلك ابنُ القيم في «زاد المعاد»، ثم قال ابن القيم: وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي القرى أربعة أيام، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، وترك الأرض والنخل بأيدي اليهود، وعاملهم عليها، فلما بلغ يهودَ تيماء ما واطأ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهل خيبر وفدك

---

(١) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: أيم).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٧٥)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٢٢).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٥٥).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٧٥).

فأبوا وقاتلوا، فقاتلهم المسلمون، وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً، وغنموا منهم مغانم كثيرة، خَمَّسها عليه الصلاة والسلام، وترك الأرض في أيـدي أهلها يزرعونها بشطر ما يُخرجون منها، وكذلك صنع بأرض خيبر، وكان يرسل إليهم عبدَالله بنَ رواحةَ لتقدير الثمر، وكان تقديره شـديداً علـيهم، فأرادوا أن يرشوه، فقال لهم: يا أعداء الله! تعطوني السُّـحت؟ والله! لقـد جئتكم من عند أحبّ الناس إليّ، ولأنتم أبغضُ إليّ من القردة والخنازير، ولا يحملني بغضي إيّاكم وحبيّ إياه على ألّا أعدل[1].

هذا وبانقياد جميع اليهود المجاورين للمدينة ارتاح المسلمون مـن شـر عدو كان يتربص بهم الدوائر، مهما كان بين الفريقين من العهود والمواثيـق. ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين.

إسلام خالد ورفيقيه

وأعقب هذه الغزوةَ وهذا الفتَح المبين إسلامُ ثلاثـةٍ طالمـا كانـت لهـم اليد الطولى في قيادة الجيوش لحـرب المسـلمين، وهـم: خالـد بـن الوليـد المخزوميّ، وعمرو بن العاص السهميّ، وعثمان بن طلحة العبدريّ، . . . .

ووادي القرى، صالحوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأقاموا بأموالهم، فلما كان زمن عمر بن الخطاب أخرج يهود خيبر وفدك، ولم يخرج أهل تيماء ووادي القرى؛ لأنهما داخلتـان فـي أرض الشـام، ويـرى أن مـا دون وادي القـرى إلـى المدينة حجاز، وإن ما وراء ذلك من الشام. اهـ[2].

إسلام خالد ورفيقيه

قوله: (وأعقب هذه الغزوَة إسلامُ خالد. . .) إلخ: هـذا قول، وبعـد أن

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٢٣٠).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٥٥).

فسُرّ بهم عليه الصلاة والسلام سروراً عظيماً، وقال لخالد: «الحمد لله الذي هداك، قد كنتُ أرى لك عقلاً رجوتُ ألّا يُسلمك إلا إلى خير» فقال: يا رسول الله! ادعُ الله لي أن يغفر تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك، فقال عليه الصلاة والسلام: «الإسلام يقطع ما قبله»[١].

سرية [عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تربة]

وفي شعبان بلغه عليه الصلاة والسلام أن جمعاً من هوازن بتُربَة يُظهرون العداوة للمسلمين، فأرسل لهم عمرَ بنَ الخطاب في ثلاثين رجلاً، فسار إليهم. ولما بلغهم الخبر، تفرقوا، . . . .

نقله الحلبي قال: وقيل: كان إسلامهم بعد عمرة القضاء، وكان سببَ إسلامه: كتابٌ كتبه له أخوه الوليد بن الوليد بعد أن جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة لعمرة القضاء، ومما جاء فيه: ولقد سألني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أين خالد؟» فقلت: يأتي الله به، فقال: «ما مثلُه يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيراً»، ولقد مناه على غيره، قال خالد: فلما جاءني كتابه، نشطت للخروج، ووافق عثمان [بن][٢] طلحة، وتوجها إلى المدينة، فلقيا عمرو بن العاص في طريقهما، فتوجهوا جميعاً إلى المدينة، وأعلنوا إسلامهم. وقد بسط ذلك الحلبي والدحلاني، فارجع إليه[٣].

سرية

قوله: (بتربة) هو ـ بضم التاء وفتح الراء ـ: محل بينه وبين مكة أربع ليال

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٥١) من حديث خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) ما بين معكوفتين من «السيرة الحلبية».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٧٧ ـ ٧٧٨)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).

فلم يجد بها عمر أحداً، فرجع[1].

سرية [بشير بن سعد ـ رضي الله عنه ـ إلى بني مرة]

ثم أرسل بشيرَ بنَ سعدٍ الأنصاريَّ لقتال بني مرّة بناحية فَـدَك، فلمـا ورد بلادهم، لم يرَ منهم أحداً، فأخذ نَعَمَهم، وانحدر إلـى المدينـة، أمـا القوم، فكانوا في الوادي، فجاءهم الصريخ، . . . .

بطريق صنعاء. اهـ. حلبي[2].

فقول المؤلف في الذيل: (موضع صنعاء ومكة) صوابه: بين صنعاء ومكة.

قوله: (فلم يجد بها عمر أحداً فرجع): قال الحلبي: لما أرسل صـلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، أرسل معه دليلاً من بني هلال، ولما انصرف راجعاً إلى المدينة، ووصل إلى محل بينه وبين المدينة ستة أميـال، قـال لـه الدليل: هل لك في جمعٍ آخرَ من خثعم؟ فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: لم يـأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم، أمرني بقتال هوازن. اهـ[3].

وهذا يرشدك إلى لزوم اتباع المأمور أمرَ الآمر، والوقوف عند ذلك الحد.

سرية

قوله: (سرية) عنونها الحلبي والدحلاني بـ: سرية بشير بن سعد الأنصاري، وكان معه ثلاثون رجلاً[4].

قوله: (فكانـوا في الـوادي): الصـواب: فكانـوا في بواديهـم، كمـا في

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩١).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩١).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٢)، و«السيرة النبوية» لأحمـد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٢٤).

فأدركوا بشيراً ليلاً وهو راجع، فتراموا بالنبل، ولما أصبح، اقتتل الفريقان قتالاً شديداً حتى قُتِل غالبُ المسلمين، وجُرِحَ بشير جرحاً شديداً حتى ظن أنه مات، ولما انصرف عنه العدو، تحامل حتى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر[1].

سرية [غالب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ إلى الميفعة]

وفي رمضان أرسل عليه الصلاة والسلام غالبَ بنَ عبدالله الليثيَّ إلى أهل المِيْفَعَة في مئة وثلاثين رجلاً، فساروا حتى هجموا على القوم، فقتلوا بعضاً، وأسروا آخرين، وفي أثناء الحرب طارد أُسامةُ بنُ زيد رجلاً من المشركين، ولما رأى المشرك الموت في يد أُسامة، تشهَّد، فظن أُسامة أن عدوه إنما قال ذلك تخلصاً، فقتله.

الحلبي والدحلاني[2].

قوله: (حتى ظن أنه مات): حيث ضربت كعبه اختباراً لحياته، فلم يتحرك، فقيل: مات.

قوله: (حتى جاء إلى رسول الله): قال الحلبي: إنه استمر بين القتلى إلى الليل، فلما أمسى، تحامل حتى انتهى إلى فدك، فأقام بفدك عند يهودي أياماً حتى قوي على المشي، وجاء إلى المدينة. اهـ[3].

سرية

قوله: (طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين): اسمه: مرداس بن نهيك.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٢)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٢٤) وفيه: «نواديهم» بدل «بواديهم».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٢).

ولما رجع المسلمون إلى المدينة، وأُخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعلة أُسامة، قال: «أقتلته بعد أن قال: لا إله إلّا الله؟! فكيف تصنع بلا إله إلّا الله؟» قال: يا رسول الله! إنما قالها متعوذاً من القتل، قال عليه الصلاة والسلام: «فهلاّ شققتَ عن قلبه، فتعلمَ أصادق هو أم كاذب؟» فقال: يا رسول الله! استغفر لي. قال عليه الصلاة والسلام: «فكيف بلا إله إلّا الله؟» فما زال يكررها حتى تمنى أُسامة أنه لم يُسْلم قبل ذلك اليوم، وأنزل الله في ذلك في سورة النساء: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾[النساء: ٩٤]، . . . .

قوله: (أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟!): استفهام إنكاري؛ أي: لأن ذلك مخالفة لقوله صلى الله عليه وسلم: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[1].

قوله: (فكيف تصنع بلا إله إلا الله): تتمة الحديث كما في الحلبي: «إذا جاءت يوم القيامة»[2]؛ أي: أن المقتول يطالبك يوم القيامة بدمه بعد أن أعلن إسلامه بقول: لا إله إلا الله.

قوله: (حتى تمنى أسامة أنه لم يسلم قبل ذلك اليوم)؛ أي: لأن الإسلام يجبُّ ما قبله. اهـ. دحلاني[3].

قوله تعالى: (**﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا . . .﴾**)

---

(١) رواه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢)، من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٣)، والحديث رواه مسلم (٩٧) من حديث جندب بن عبدالله البجلي ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢٥).

ثم أمر عليه الصلاة والسلام أُسامة أن يعتق رقبة كفارةً؛ لأنه قتل خطأً.

سرية [عيينة بن حصن رضي الله عنه إلى يمن وجبار]

وفي شوال بلغه عليه الصلاة والسلام أن عُيينةَ بنَ حصن واعدَ جماعة من غطفان كانوا مقيمين قريباً من خيبر بأرض اسمها: . . . .

إلـخ: قـال الحلبي: الذي في «الكشاف» في تفسير هذه الآية: أصله أن مـرداس ابن نهيك رجل من أهل فـدك أسلمَ، ولم يُسلم من قومـه غيُره، فغـزتهم سريـة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عليها غالب بنُ فضـالةَ الليثـيُّ رضـي الله عنه ـ، فهربوا، وبقي مرداس؛ لثقته بإسلامه، فلما رأى الخيل، ألجأ غنمـه إلـى عاقول من الجبل وصَعِد، فلما تلاحقوا وكبروا، كبر ونزل وقـال: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، السلام عليكم، فقتله أسامة واستاقَ غنمه، فـأخبر رسـول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فوجد وجداً شديداً، وقال: «قتلتموه إرادةَ ما معه»، ثم قرأ الآية على أسامة، فقال: يا رسول الله! استغفر لي، قال: «فكيف بـلا إلـه إلا الله»، فما زال يكررها حتى وددت أني لم أكن أسـلمتُ إلا يومئـذ، ثـم استغفر لي، وقال: «أعتق رقبة». اهـ[1].

سرية

قوله: (سرية) عنونها الحلبي والدحلاني بـ: سرية بشير بن سعد أيضاً[2].

قوله: (عيينة بن حصن): تقدم معنا أنـه كان يقال لـه: الأحمق المطاع؛

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٣ ـ ١٩٤). وانظر: «الكشاف» للزمخشري (١/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥)، والخبـر المذكـور رواه الطبـري فـي «تفسيره» (٥/ ٢٢٤) عن السدي.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٤)، و«السيرة النبوية» لأحمـد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٢٥).

يمن وجبار للإغارة على المدينة، فأرسل لهم بشير بن سعد في ثلاث مئة رجل، فساروا إليهم يكمنون النهار، ويسيرون الليل حتى أتوا محلَّتهم، فأصابوا نَعَماً كثيرة، وتفرق الرِّعاء، فأخبروا قومهم، ففزعوا ولحقوا بعُلْيا بلادهم، ولم يظفر المسلمون إلا برجلين أسلما، ثم رجعوا بالغنائم إلى المدينة.

عمرة القضاء

لما حالَ الحولُ على عمرة الحديبية، . . . .

لأنه كان يتبعه عشرة آلاف قناة، ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: (يمن): بفتح الياء، وقيل بضمها، ويقال: أمن بالهمزة مفتوحةً وسكون الميم. اهـ. حلبي[1].

وفي «القاموس»: يُمْن ـ بضم الياء وسكون الميم ـ: ماء. اهـ[2].

قال الحلبي: وجبار ـ بفتح الجيم ـ: واد قريب من خيبر، والرعاء: ـ بكسر الراء والمد ـ، والعُليا: ـ بضم العين[3] ـ.

عمرة القضاء

قوله: (عمرة القضاء): قال الدحلاني: اختلف الناس في تسمية هذه العمرة عمرة القضاء، فقال مالك والشافعي والجمهور: لأنه قاضى قريشاً سنة الحديبية، فالمراد بالقضاء: الفصل الذي وقع عليه الحكم، لا لأنها قضاء عن العمرة التي صُدَّ عنها؛ لأنها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها، بل كانت تامةً.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: يمن).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

خرج عليه الصلاة والسلام بمن صُدّ معه فيها ليقضي عمرتـه، واسـتخلف على المدينة أبا ذر الغفاري، وساق معه الهدي ستين بَدَنَـةً، وأخـرج معـه السلاح حذراً من غدر قريش، وكان معه مئة فرس عليها محمدُ بـنُ مسـلمة، وعلى السلاح بشيرُ بن سعد، وأحرم عليه الصلاة والسلام من بـاب المسـجد المدني، ولما انتهى إلى ذي الحُلَيفة، قدَّم الخيل أمامه، فقيل: يا رسول الله! حملت السلاح، وقد شرطوا ألّا تحمله؟ فقال عليه الصـلاة والسـلام: «لا ندخل الحرم به، ولكن يكون قريباً منَّا، فإن هاجَنا هائج، فزعنا له»، . . . .

وقال أبو حنيفة، وأحمد في رواية عنـه: إن مـن صُـدَّ عـن البيـت، فعليـه القضاء، فتسميتُها قضاءً على ظاهره. اهـ[١].

قوله: (خرج عليه السلام بمن صَدَّ معه): قال الدحلاني: أمـر عليـه السـلام أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، وخرج معهم غيرهم أيضاً، فكانوا ألفـين سوى النساء والصبيان. اهـ[٢].

قوله: (عليها بشير بن سعد): هذا سهو، والصواب: أن عليها محمدَ بـن مسلمة، وبشيرُ بن سعد كان على السلاح؛ كما في الحلبي والدحلاني[٣].

قوله: (ذي الحليفة): هو موضع[٤] على ستة أميال من المدينة، وهو مـاء لبني جُشَم، ميقات للمدينة والشام. اهـ. قاموس[٥].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢٦).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٠)، و«السيرة النبوية» لأحمـد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٢٦).

(٤) في الأصل: «عين»، والتصويب من «القاموس المحيط».

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حلف).

فلما كان بمرِّ الظَّهران قابله نفرٌ من قريش، ففزعوا من هذه العدّة، وأسرعوا إلى قومهم فأخبروهم، فجاءه فِتيانٌ منهم وقالوا: . . . .

قوله: (فلما كان بمر الظهران): ظاهره يفيد أن الضمير في (كان) يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والقصة ليست كذلك.

قال الدحلاني: ومضى محمد بن مسلمة في الخيل إلى مر الظهران، فوجد بها نفراً من قريش، فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل، فقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غداً إن شاء الله تعالى، فأتوا قريشاً فأخبروهم، ففزعوا وقالوا: والله! ما أحدثنا حدثاً، وإنا على كتابنا ومدتنا، ففيم يغزونا محمد في أصحابه؟ وبعثوا مكرزَ بنَ حفص في نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج في أصحابه، والهدي والسلاح قد تلاحق، فقالوا: والله! ما عُرفت صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح في الحرم على قومك، وقد شرطتَ لهم أن لا تدخل إلا بسلاح المسافر! فقال: «إني لا أدخل عليهم بالسلاح»، فقال مكرز: هو الذي تعرف به البر والوفاء، ثم رجع بأصحابه إلى مكة فقال: إن محمداً على الشرط الذي شرط لكم، ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران. اهـ[1].

فالذي أتى مر الظهران أولاً، وقابله نفر من قريش هو محمد بنُ مسلمة، لا النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وإنما أتى النبي صلى الله عليه وسلم مر الظهران بعد ذلك كما علمت.

و**(مر الظهران)** ـ بفتح الميم في (مر) مضافاً إلى (الظهران) ـ: وهو وادٍ قرب مكة، كما في «القاموس»[2].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢٦)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ١٨٧ ـ ١٨٨).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: مرر).

والله يا محمد! ما عُرفت بالغدر صغيراً ولا كبيراً، وإنّا لم نحدث حَدَثاً، فقال: «إنّا لا ندخل الحرم بالسلاح»، ولما حان وقت دخوله مكة، خرج أهلوها كارهين رؤيةَ المسلمين يطوفون بالبيت، فدخل عليه الصلاة والسلام وأصحابه متوشحين سيوفهم من ثَنِيَّة كَدَاء، وأمامه عبدُ الله بن رواحة يقول: لا إله إلّا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحدَه.

قوله: (وأمامه عبد الله بن رواحة)؛ أي: وهو آخذ بزمام راحلته يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله	اليوم نضربكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهامَ عن مقيله	ويُذهلُ الخليلَ عن خليله
قد أنزلَ الرحمنُ في تنزيله	بأن خير القتل في سبيله

إلى أبيات أخر، ولما أنشد ذلك، قال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: يا ابنَ رواحة! أبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حرم الله تقول الشعر؟ فقال له صلى الله عليه وسلم: «خَلِّ عنه يا عمر، فلَهي فيهم أسرعُ من نَضْح النبل»[1]، ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة: «قل: لا إله إلا الله وحده...» إلخ ما ذكره المؤلف، فقالها ابن رواحة، ثم قالها الناس[2]، وفي أمره بذلك زيادة إغاظة

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٤٧) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أورده ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٢١ ـ ١٢٢). ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨/ ٩٧) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الترمذي (٢٨٤٧) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ مختصراً، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

وطاف عليه الصلاة والسلام بالبيت وهو على راحلته، واستلم الحجر بِمِحْجَنِه، وأمر أصحابه أن يسرعوا ثلاثة أشواط إظهاراً للقوة؛ لأن المشركين قالوا: سيطوف اليوم بالكعبة قوم نهكتهم حُمَّى يثربَ، فقال عليه الصلاة والسلام: «رحم الله امرأً أراهم من نفسه قوة»[1]، واضطبعَ عليه الصلاة والسلام بردائه، وكشف عضدَه اليمنى شأن الفتوّة، وفعل مثله المسلمون. وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلِّقين رؤوسهم ومقصِّرِين كما رأى عليه الصلاة والسلام في منامه[2].

للكفار؛ لتأديبهم بها أكثر من الشعر المذكور، لا سيما وقد قالوها كلهم معلنين بها. اهـ. دحلاني[3].

قوله: (واستلم الحجر بمحجنه): المحجن كمنبر: العصا المعوجة. «قاموس»[4].

قوله: (أن يسرعوا ثلاثة أشواط)؛ أي: وهو المسمى بالرمَل.

قال الحلبي: وإنما لم يأمرهم بالرمل في الأشواط كلها رفقاً بهم[5].

ولم يزل الرمل عند الحنفية.

قوله: (واضطبع عليه السلام): الاضطباع: أن يجعل قبل شروعه في

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٨) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. ورواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٢٨١٩) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ: «أروهم ما يكرهون».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨١ ـ ٧٨٢).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢٧).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حجن).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨١).

زواج ميمونة

وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونةَ بنتَ الحارث الهلاليةَ زوجَ عمه حمزةَ بنِ عبد المطلب شهيدِ أُحُد، وخالةَ عبدالله بن العباس ـ وهي آخر نسائه زواجاً ـ ولم يدخل بها إلا بعد الخروج من مكة . . . .

الطواف رداءه تحت إبطه الأيمن ملقياً طرفه على كتفه الأيسر، وهو سنة. اهـ. طحطاوي[1].

زواج ميمونة

قوله: (وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ميمونة)، وقوله: (ولم يدخل بها إلا بعد الخروج من مكة): ظاهره يفيد أنه تزوجها وهو محرِم، وبنى بها وهو حلال، وهو ما رواه البخاري في «صحيحه» عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرِم، وبنى بها وهو حلال[2].

قال في «بداية المجتهد»: واختلفوا في نكاح المحرم، فقال مالك، والشافعي، والليث، والأوزاعي: لا ينكح المحرم ولا ينكح، فإن نكح، فالنكاح باطل، وهو قول عمر، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر، وزيد بن ثابت.

وقال أبو حنيفة والثوري: لا بأس بأن ينكح المحرم وأن ينكح.

والسبب في اختلافهم اختلافُ الآثار في ذلك، فأحدها: ما رواه مالك من حديث عثمان بن عفان: أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَنْكِح المحرم ولا يُنْكَح، ولا يخطب»[3]، والحديث المعارض لهذا حديث ابن عباس:

---

(١) انظر: «حاشية الطحطاوي» (ص: ٤٧٩).

(٢) رواه البخاري (٤٢٥٨)، ومسلم (١٤١٠).

(٣) رواه مسلم (١٤٠٩) من حديث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محرم، خرجه أهل الصحيح[(١)]، إلا أنه عارضته آثار كثيرة عن ميمونة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجها وهو حلال، رويت عنها من طرق شتى عن أبي رافع[(٢)]، وعن سليمان بن يسار، وهو مولاها[(٣)]، وعن زيد بن الأصم[(٤)].

وقال ابن القيم في «زاد المعاد»: وأما قول ابن عباس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال[(٥)]؛ فمما استُدرك عليه، وعُدَّ من وهمه.

قال سعيد بن المسيب: وهمَ ابنُ عباس، وإن كانت خالتَه، ما تزوجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلا بعدما حل[(٦)]، ذكره البخاري[(٧)].

وقال زيد بن الأصم عن ميمونة: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسَرِف، رواه مسلم[(٨)].

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) رواه الترمذي (٨٤١) من حديث سليمان بن يسار عن أبي رافع، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٤/ ٣٧)، وقال: وحديث سليمان بن يسار من هذا الوجه مرسَل.

(٤) انظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٢٤٢)، والخبر المشار إليه رواه مسلم (١٤١١) من حديث ميمونة ـ رضي الله عنها ـ.

(٥) تقدم تخريجه قريباً.

(٦) رواه أبو داود (١٨٤٥).

(٧) تقدم تخريجه عند البخاري (٤٢٥٨)، وهو يشير إلى حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: تزوج النبي صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو محرم، وبنى بها وهو حلال.

(٨) رواه مسلم (١٤١١) بنحوه. وورواه أبو داود (١٨٤٣) باللفظ المذكور.

حيث كان بِسَرِف. ولما خرج عليه الصلاة والسلام، أمر الذين كان تركهم لحراسة الخَيل بالذهاب ليطوفوا، ففعلوا، ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة فرحاً مسروراً بما حَبَاه الله من تصديق رؤياه.

وقال أبو رافع: تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهو حلال، وبنى بها وهو حلال، وكنتُ الرسولُ بينهما[١]، صح ذلك عنه.

وقال سعيد بن المسيب: هذا عبدالله بن عباس يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح ميمونة وهو محرم، وإنما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وكان الحِلُّ والنكاح جميعاً، فشُبِّه ذلك على الناس[٢]، وتمامه فيه[٣].

قوله: (سرف): سرف ككَتِفٍ.

قال في «زاد المعاد»: وقدر الله أن يكون قبر ميمونة بسرف حيث بنى فيها[٤].

قوله: (ولما خرج عليه السلام): قال الحلبي: أقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثلاثة أيام، فلما تمت الثلاثة التي هي أمدُ الصلح، جاء حويطب بن عبد العزى، ومعه سهيل بن عمرو ـ رضي الله عنهما؛ فإنهما أسلما بعد ذلك ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرانه بالخروج هو وأصحابه من مكة، فقالوا: نناشدك الله والعقد إلا ما خرجتَ من أرضنا، فقد مضت الثلاث، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه منها. اهـ[٥].



---

(١) رواه الترمذي (٨٤١) وقال: حديث حسن.

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ٣٣٦).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٧٢ ـ ٣٧٣).

(٤) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٧٢).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨١).



السَّنَة الثامِنَة

سرية [غالب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ إلى بني الملوح]

وفي صَفَر أرسل عليه الصلاة والسلام غالبَ بنَ عبدالله الليثيَّ إلى بني المُلَوِّح، وهم قوم من العرب يسكنون بالكَدِيد، فسار القوم حتى إذا كانوا بقُدَيدٍ، التقوا بالحارث بن مالك الليثي المعروف بابن البرصاء، وكان خصماً لدوداً، فأسروه، فقال لهم: ما جئت إلا للإسلام، فقالوا له: إن تكن مسلماً لن يضرك رباط ليلة، وإلا استوثقنا منك، ثم ساروا حتى وصلوا محلة بني الملوّح، فاستاقوا النَّعَم والشاء، . . . .

السنة الثامنة

سرية

قوله: (بني الملوح): ـ بضم الميم وفتح اللام وتشديد الواو مكسورة ـ.

وقوله: (الكديد): ـ بفتح الكاف وكسر الدال ـ.

قوله: (وإلا استوثقنا منك): قال الدحلاني: فشدوه وثاقاً، وخلفوا عليه رجلاً من أصحابهم أسود، وقالوا له: إن نازعك فاحتز رأسه[1].

قوله: (حتى وصلوا محلة بني الملوح): قال الحلبي: وكان ذلك عند غروب الشمس، وكمنوا في ناحية الوادي، قال جندب الجهني: وأرسلني القوم جاسوساً لهم، فخرجت حتى أتيت تلًّا مشرفاً على الحاضر ـ أي: القوم المقيمين في محلهم ـ، فلما استويت على رأسه انبطحت عليه لأنظر إذ خرج رجل منهم، فقال لامرأته: إني لأنظر على هذا الجبل سواداً ما رأيته قبل، انظري إلى أوعيتك

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٢٩).

وخرج الصريخ إلى القوم، فجاءهم ما لا قِبَل لهم به، ولكن منّ الله على المسلمين، فأرسل سيلاً شديداً حالَ بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نَعَمَهم تُساق وهم لا يقدرون على ردّها.

سرية [غالب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ إلى بني مرة بفدك]

ولما رجع غالب إلى المدينة ظافراً، أرسله عليه الصلاة والسلام في مئتي رجل ليقتصّ من بني مرّة بفدك ـ وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد ـ فساروا حتى إذا كانوا قريباً من القوم، خطب غالبٌ فيمن معه، . . . .

لا تكون الكلاب جرت منها شيئاً، فنظرت فقالت: والله! ما فقدت من أوعيتي شيئاً، فقال: ناوليني قوسي ونبلي، فناولته قوسه وسهمين، فأرسل سهماً، فوالله! ما أخطأ بين عيني، فانتزعته وثبتّ مكاني، فأرسل آخر فوضعه في منكبي، فانتزعته وثبت مكاني، فقال لامرأته: والله! لو كان جاسوساً لتحرك، لقد خالطه سهمان لا أبالك ـ أي: لا كافل لك غير نفسك، وهو بهذا المعنى يذكر في معرض المدح، وربما يذكر في معرض الذم، وفي معرض التعجب، لا بهذا المعنى ـ فإذا أصبحت فانظريهما لا تمضغهما الكلاب، ثم دخل، فلما اطمأنوا، شننا عليهم الغارة، واستقنا النعم. . . إلخ ما ذكره المؤلف[1].

سرية

قوله: (سرية): عنونها الحلبي والدحلاني بـ: سرية غالب بن عبدالله الليثي أيضاً[2].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٦)، والخبر المذكور رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٧) من حديث جندب بن مكيث الجهني ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٧)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٣٤).

فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد: فإني أُوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له، وأن تطيعوني، ولا تخالفوا لي أمراً؛ فإنه لا رأي لمن لا يُطاع. ثم آخى بين الجند، فقال: يا فلان أنت وفلان، ويا فلان أنت وفلان، لا يفارق أحد منكم زميله، وإيّاكم أن يرجع الرجل منكم فأقولَ له: أين صاحبك؟ فيقول: لا أدري، فإذا كبَّرت فكبّروا، فلما أحاطوا بالعدو وكبّر، كبّروا، وجرّدوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد، واستاقوا نَعَمَهُمْ، فكان لكل واحد من الغزاة عشرة أبعِرة.

قوله: (أما بعد. . . إلخ): قال الحلبي: وفي رواية: لا تعصوني؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من يطع أميري فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني[1]، وإنكم متى تعصوني، فإنكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم». اهـ[2].

قوله: (فإنه لا رأي لمن لا يطاع) يعني: أن القوم الذين لا يطيعون أمر أميرهم، فإن رأي أميرهم لا تظهر ثمراته، ولا تنجح مساعيه، بل تكون آراؤه وتدابيره وبالاً عليه وعليهم، أو أن من كان في شك في إخلاص قومه إليه وطاعتهم له، فإنه يكون متردداً في رأيه، ولا يكون ذا عزيمة، وحينئذ تفسد آراؤه، ونتيجة ذلك الخذلان.

قوله: (فلم يفلت من عدوهم أحد) عبارة الدحلاني: وقتلوا منهم قتلى، وأصابوا منهم نَعَماً وشاءً وذرية[3].

---

(١) روى البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٧)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٢٦) من حديث حويصة بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣٥).

سرية [كعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ إلى ذاتِ أطلاح]

وفي ربيع الأول أرسل عليه الصلاة والسلام كعبَ بنَ عُميرٍ الغفـاريَّ إلى ذات أطلاح ـ من أرض الشام ـ في خمسة عشر رجلاً، فوجدوا جمعـاً كثيراً، فدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبـوا، وقـاتلوا، وكـانوا أكثـر عـدداً، فاستشهد المسلمون عن آخرهم إلا رئيسهم كعب بن عمير؛ فإنه نجا، وأتى بالخبر إلى رسول الله، فَشَقَّ عليه، وأراد أن يبعث إليهم من يقتص مـنهم، فبلغه أنهم تحوَّلوا من منزلهم، فعدل عن ذلك[١].

غزوة مُؤْتَة

جهَّز عليه الصلاة والسلام في جمادى الأولى . . . .

وهي صريحة في أنهم لم يستأصلوهم.

سرية

قوله: (سرية) عنونها الحلبي والدحلاني بـ: سرية كعب بن عمير الغفاري ـ رضي الله عنه[٢] ـ.

قال الحلبي: لم أقف على السبب الذي اقتضى البعث إلى ذلك المحل. اهـ[٣].

غزوة مؤتة

قوله: (مؤتة) هي: ـ بضم الميم وسكون الواو ـ، وهي من عمل البلقـاء، وهي مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس. اهـ. دحلاني[٤].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٨)، و«السيرة النبوية» لأحمـد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٣٥).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٨).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣٦).

. . . .

وقال المصنف في الهامش: (هي قريبة من الكرك، وهي مشارف الشام).

أقول: هذا سهو منه؛ حيث جعلها نفس مشارف الشام، ففي «سيرة ابن هشام»: فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء، لقيتهم جموعُ هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها: مشارف، ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة، فالتقى الناس عندها. اهـ[1].

وهي صريحة في أن مشارف قرية، ومؤتة قرية أخرى، والصواب أن مشارف الشام اسم لقرًى متعددة.

قال في «القاموس»: مشارف الشام: قرى من أرض العرب تدنو من الريف، منها السيوف المشرفية[2].

وقال في «معجم البلدان»: المشارف: جمع مشرف، قرًى قرب حوران، منها بصرى من الشام، ثم من أعمال دمشق، إليها تنسب السيوف المشرفية، رد إلى واحده ثم نسب إليه.

ثم قال: وقال أبو عبيدة: سِيفُ البحر: شطُّه، وما كان عليه من المدن يقال لها: المشارف، تنسب إليها السيوف المشرفية.

ثم قال: ومشارف الأرض: أعاليها[3].

وبعد أن أورد عبارة ابن هشام التي قدمناها قال: فهذا قد جعلها قرية بعينها[4].

أي: والصواب ما قدمه في صدر عبارته حيث قال: هي قرًى قرب حوران،

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٧).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شرف).

(٣) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ١٣١).

(٤) انظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٥/ ١٣١).

جيشاً للقصاص ممن قتلوا الحارثَ بنَ عُمير الأزديَّ، رسولَه إلى أمير بُصرى، وأمَّر عليهم زيدَ بن حارثة، وقال لهم: «إن أُصيب، فالأمير جعفر ابن أبي طالب، فإن أُصيب، فعبدالله بن رواحة»[1]. وكان عدّة الجيش ثلاثة آلاف، فساروا، وشيَّعهم عليه الصلاة والسلام، وكان فيما وصّاهم به: «اغزوا باسم الله، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين، فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة، ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً، ولا تقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناءً»[2].

وعبارة «القاموس» صريحة في ذلك أيضاً، ويزول السهو لو قال: وهي من مشارف الشام.

قوله: (ممن قتلوا الحارث بن عمير): قال الحلبي: ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسولٌ غيرُه، فلما بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ذلك، اشتد الأمر عليه، فجهز جمعاً من أصحابه، وعدتهم ثلاثَة آلاف. اهـ[3].

قوله: (وقال لهم: إن أصيب، فالأمير جعفر بن أبي طالب...) إلخ: قال الحلبي: وقد حضر ذلك المجلس رجل من يهود، فقال: يا أبا القاسم! إن كنت نبيّاً يصاب جميع من ذكرت؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من بني إسرائيل كان الواحد منهم إذا استعمل رجلاً على القوم وقال: إن أصيب فلان؛ لا بد أن يصاب، ولو عد مئة؛ أصيبوا جميعاً، ثم صار يقول لزيد: اعهد، فلن ترجع إلى محمد أبداً إن كان نبيّاً، وزيد يقول: اشهد أنه نبي. اهـ[4].

---

(١) رواه البخاري (٤٢٦١) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٩١) من حديث خالد بن زيد.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٦).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٧)، والخبر المذكور رواه =

ولم يزالوا سائرين حتى وصلوا مُؤْتة مقتل الحارث بن عمير، وهناك وجدوا الروم قد جمعوا لهم جمعاً عظيماً، منهم ومن العرب المتنصِّرة. فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه: أيرسلون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون منه مَدداً، أم يقدمون على الحرب؟ فقال عبدالله بن رواحة: يا قوم والله! إن الذي تكرهون هو ما خرجتم له، خرجتم تطلبون الشهادة، ونحن ما نقاتل بعدد ولا بقوة ولا بكثرة، ما نقاتل إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به، فإنما هي إحدى الحسنيين: إما الظهور وإما الشهادة، فقال الناس: صدق ـ والله ـ ابنُ رواحة. ومضوا للقتال، فلقوا هذه الجموع المتكاثرة، فقاتل زيد بن حارثة ـ رضي الله عنه ـ حتى استشهد، فأخذ الراية جعفرُ بن أبي طالب وهو يقول:

قوله: (وجدوا الروم مجمعين لهم جمعاً): كان الروم في مئة ألف، وانضم إليه من قبائل العرب المتنصرة من بني بكر ولخم وجذام مئة ألف، وفي رواية: كانوا مئتي ألف من الروم، وخمسين ألفاً من العرب، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين. اهـ. حلبي[1].

قوله: (فقال الناس: صدق ـ والله ـ ابن رواحة): قال الدحلاني: وفي هذا دليلٌ على فرط شجاعة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وقوة قلوبهم، وتوكلهم على ربهم، وعدم مبالاتهم بأنفسهم باعوها لله تعالى إذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مئتي ألف أصحاب حروب وشدة، وهذا إنما هو لما وقر في قلوبهم، واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[غافر: ٥١]، وقوله: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصافات: ١٧٣]، وقوله:

= الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٠٧) عن عمر بن الحكم.

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٧).

يــا حبَّــذا الجَنَّــةُ واقْتِرَابُهــا

طيِّـــــبَةٌ وبـــاردٌ شَـــرابُها

والــرومُ رومٌ قــد دَنَـا عــذابُها

كـــافرةٌ بعيـــدةٌ أنســـابُها

علــيَّ إذ لاقيتُهــا ضِـــرابُها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد ـ رضي الله عنه ـ، فأخذ الرايـة عبدُالله ابن رواحة فتقدم، ثم تردد بعضَ التردّد، فقال يخاطب نفسه:

أقســمتُ يــا نفــسُ لَتنزِلنَّــهْ

طائعــــــةً أو لَتُكْرَهِنَّـــــــهْ

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم: ٤٧]. اهـ[١].

قوله: (ولم يزل يقاتل حتى استشهد): قال الدحلاني: لما أخذ اللواء، قاتل قتالاً شديداً، فقطعت يمينه، فأخذه بيساره، فقطعت يساره، فاحتضنه بعضديه حتى قتل ـ رضي الله عنه ـ، ووجد فيه بضع وسبعون ضربة بسيف وطعنة برمح، ليس فيها شيء في دبره ولا ظهره؛ أي: ليس منها شيء في حال الإدبار، بل كلها في حال الإقبال، لمزيد شجاعته. اهـ[٢].

قوله: (طائعة أو لتكرهِنَّه): في ابن هشام والدحلاني: لتنزلن أو لتكرهنه[٣].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣٨).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣٨).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٩)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣٨).

إن أجلبَ الناسُ وشـدّوا الرَّنَّـهْ

مـا لـي أراكِ تكـرهين الجنَّـهْ؟

قد طال مـا قـد كنـتِ مُطمئنَّـهْ

هل أنـتِ إلا نُطفـة فـي شَـنَّهْ؟

ثم اقتحم بفرسه المعمعة، ولم يزل يقاتـل ـ رضـي الله عنـه ـ حتـى استشهد[1].

وقوله: (إن أجلب الناس): في «القاموس»: أجلب القوم: تجمعوا[2].

و**(الرنة)**: الصوت[3].

قوله: (نطفة في شنة): النطفة: القليل من الماء، والشنة ـ بفتح الشين ـ: السقاء البالي، فيوشك أن تهراق النطفة، أو ينخرق السقاء، ضرب ذلك مـثلاً لنفسه في جسده. اهـ. سهيلي على ابن هشام[4].

قوله: (ولم يزل يقاتل حتى استشهد): في الدحلاني: أن ابن عم [له][5] أتاه عندئذ بعرق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده، ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في الناس، فقال: وأنت

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٨) عن يحيى بن عباد بـن عبـدالله ابن الزبير، عن أبيه عباد قال: حدثني أبي الذي أرضعني وكان أحد بني مـرة بـن عوف. . . فذكره.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: جلب).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: رنن).

(٤) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ١٢٦).

(٥) ما بين معكوفتين من «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان.

فهمَّ بعض المسلمين بالرجوع إلى الوراء، فقال لهم عقبة بن عامر: يا قوم! يُقتل الإنسان مقبلاً خيرٌ من أن يقتل مُدبراً، فتراجعوا، واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد بن الوليد، وبهمَّته ومَهارته الحربية حمى هذا الجيش من الضياع؛ إذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمئة وخمسين ألفاً؟ فإنه لما أخذ الراية، قاتل يومه قتالاً شديداً، وفي غده خالف ترتيب العسكر، فجعل الساقة مقدمة، والمقدمة ساقة، والميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، فظنَّ الروم أن المَدَد جاء للمسلمين، فرعبوا.

في الدنيا! ثم ألقاه من يده، وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل ـ رضي الله عنه[1] ـ.

روي عن سعيد بن منصور: أنهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيداً وجعفراً وعبدالله بن رواحة ـ رضي الله عنهم[2] ـ.

قوله: (فتراجعوا) يفيد أن بعض المسلمين انهزموا، وهذا ينافي قوله قبل هذا: (وهَمَّ بعض المسلمين بالرجوع)، والعبارة في الحلبي: وأراد بعض المسلمين الانهزام، فجعل قطبة[3] بن عامر ـ رضي الله عنه ـ يقول: يا قوم! يقتل الإنسان مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً. اهـ[4].

وليس فيها بعد ذلك (فتراجعوا).

قوله: (واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد بن الوليد): قال الدحلاني: بعد قتل عبدالله بن رواحة أخذ اللواء ثابت بن أقرم ـ رضي الله عنه ـ، وكان من

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥١) عن عبدالله بن الزبير.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣٩).

(٣) في الأصل: «عقبة»، والتصويب من «المغازي».

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٨)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢١٢).

ثم أخذ خالد الجيش وصار يرجع إلى الوراء حتى انحاز إلى مُؤتة، ثم مكث يناوش الأعداء سبعة أيام، ثم تحاجز الفريقان؛ لأن الكفار ظنوا أن الأمداد تتوالى للمسلمين، وخافوا أن يجرّوهم إلى وسط الصحارى حيث لا يمكنهم التخلّص، وبذلك انقطع القتال. وقد نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرُهم، فقال: «أخذ الراية زيد فأُصيب، ثم أخذها جعفر فأُصيب، . . . .

أهل بدر، وقال: يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلحوا على خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه[1] ـ.

وفي رواية: أن ثابتاً مشى باللواء إلى خالد، وقال: أنت أعلم بالقتال مني[2]، فلم يقبل خالد اللواء، وقال: أنت أحق به مني؛ لأنك ممن شهد بدراً، فنادى ثابت: يا معشر المسلمين! فاجتمع الناس على خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ وسلموه اللواء، فأخذه. اهـ[3].

أقول: انظر إلى هذه الأخلاق العالية؛ فإن ثابتاً لما آنس من نفسه أنه لا يصلح لقيادة الجيش وفي القوم من هو أعرفُ منه بالقتال، وأصلحُ لأن يستلم القيادة؛ لم يرغب في الإمارة، مع عظيم موقعها واستشرافِ النفوس إليها، وترك الأمر لمن هو أهله. وانظر إلى خالد ـ رضي الله عنه ـ حيث اعترف بمزية ثابت، ولم يقبل الإمارة إلا بعد أن اجتمع رأي القوم على ذلك، وارتضوه أن يكون قائدهم، وقايسْ بين أخلاقهم وأخلاقنا من تهافت الناس على الوظائف، وطلبهِم لها ولو كانوا غيرَ أهل لها.

قوله: (وبذلك انقطع القتال)؛ أي: وعاد خالد بالجيش إلى المدينة.

---

(١) رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥١) عن عبدالله بن الزبير.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٦٤٥) عن أبي اليسر بن عمرو الأنصاري.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٣٩).

ثم أخذها ابنُ رواحة فأصيب ـ وكانت عينا رسول الله تذرفان، ثم قال ـ : حتى أخذ الراية سيفٌ من سيوف الله حتى فتح الله عليهم»[1].

وجاءه رجل فقال: يا رسول الله! إن نساء جعفرٍ يبكين، فأمره أن ينهاهنّ، فذهب الرجل ثم أتى فقال: قد نهيتهنّ فلم يُطِعْنَ، فأمره فذهب ثانياً، ثم جاء فقال: والله! لقد غلبننا، فقال له عليه الصلاة والسلام: «احْثُ في أفواههنّ التراب».

قال ابن هشام: لما أخذ خالد الراية دافع القوم وخاشى بهم[2]، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس، اهـ[3].

قوله: (حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله)؛ أي: وهو خالد ـ رضي الله عنه ـ، ومن يومئذ سُمي خالدٌ: سيفَ الله.

قوله: (حتى فتح الله عليهم): قال الحلبي: قال بعضهم: وكون هذا نصراً وفتحاً واضح؛ لإحاطة العدو بهم، وتكاثرهم عليهم؛ لأنهم كانوا مئتي ألف، والصحابة ثلاثة آلاف، وكان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية. اهـ[4].

قوله: (فقال عليه السلام: أحث في أفواههن التراب. . .): الحديث في الحلبي هكذا: جاء إليه صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله! إن النساء عيين وفتن، قال: «فارجع إليهن فأسكتهن»، فذهب، ثم رجع فقال له مثل

---

(١) رواه البخاري (٤٢٦٢) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية» (٢/ ٣٥): وفي حديث خالد: أنه لما أخذ الراية يوم مؤتة دافع الناس وخاشى بهم؛ أي: أبقى عليهم وحذر فانحاز، خاشى: فاعل من الخشية، يقال: خاشيت فلاناً؛ أي: تاركته.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٣٠).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٨٩).

ولما أقبل الجيش إلى المدينة، قابلهم المسلمون يقولون لهم: يا فُـرّار، فقال عليه الصلاة والسلام: «بل هم الكُرَّار».

ظن المقيمـون بالمدينـة أن انحيـاز خالـد بـالجيش هزيمـة، ولكـن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراهم أن ذلك من مكايد الحـرب، وأثنـى على خالد في مهارته.

الأول، وقال: نهيتهن فلم يطعنني، فقال: [اذهب فأسكتهن»، فـذهب ثـم رجـع فقال له مثل الأول، وقال: نهيتهن فلم يطعنني، فقال][1]: «اذهب فأسكتهن، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب». اهـ[2].

وروى ابن هشام هذا الحديث على نحو ما هنا[3]، فيكون في عبـارة المؤلـف تسامح؛ حيث ترك قوله صلى الله عليه وسلم: «اذهب فأسكتهن، فإن أبين: فاحـث في أفواههن التراب»[4].

قوله: (ولما أقبل الجيش إلى المدينة. . .) إلخ: قال الحلبي: ولمـا دنـا الجيش من المدينة، تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، ولقيهم الصبيان ينشدون.

ثم قـال: وصـار المسلمـون يحثـون في وجوههم التراب ويقولون لهـم: يا فرارون! فررتم في سبيل الله، فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بل

---

(١) ما بين معكوفتين من «السيرة الحلبية».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٩٠)، والحديث المـذكور رواه البخـاري (١٢٩٩)، ومسلـم (٩٣٥)، مـن حـديث عائشـة ـ رضـي الله عنهـا ـ بنحوه.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٣١ ـ ٣٢).

(٤) تقدم تخريجه.

سرية [عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ إلى ذات السلاسل]

وفي جمادى الآخرة بلغه عليه الصلاة والسلام أن جمعاً من قضاعة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القُرى ليُغيروا على المدينة، . . . .

هم الكرارون»[1].

ثم قال: ولقد لقوا من أهل المدينة لما رجعوا شرّاً، حتى إن الرجل يجيء إلى أهل بيته يدق عليهم بابه، فيأبون يفتحون له، ويقولون: هلا تقدمت مع أصحابك فقتلت، حتى إن نفراً من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ جلسوا في بيوتهم استحياء، كلما خرج واحد منهم، صاحوا به، وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل إليهم رجلاً رجلاً، ثم يقول: «أنتم الكرارون في سبيل الله»[2]، ويعنون بالفرار: انحيازهم مع خالد ـ رضي الله عنه ـ حين انحاز العدو عنهم، وإنما انحاز خالد ـ رضي الله عنه ـ لترتيبه العسكر، وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم خالداً ـ رضي الله عنه ـ على ذلك وأثنى عليه. اهـ[3].

سرية

قوله: (سرية): عنونها الحلبي والدحلاني بـ: سرية عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ إلى ذات السلاسل، وقالا: سميت بذلك؛ لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وقيل: سميت بذلك؛ لأن بها ماء يقال له: السلسل، وقيل: سمي المكان بذلك؛ لأنه كان به رمل بعضه على بعض

---

(١) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٨/ ٣٥٤) من حديث النعمان بن بشير ـ رضي الله عنهما ـ، ولم يعزه لأحد.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣١١) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «أنتم الكرارون، وأنا فئة كل مسلم».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٧٩٢ ـ ٧٩٣).

فأرسل لهم عمرَو بنَ العاص في ثلاثمائة رجل من سَراة المهاجرين والأنصار، ثم أمدّه بأبي عبيدة بن الجراح في مئتين من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، فلحقوا عَمْراً قبل أن يصل إلى القوم، . . . .

كالسلسلة. اهـ[1].

والسلاسل: ـ بفتح السين الأولى وبضمها ـ، ففيها لغتان، وبينها وبين المدينة عشرة أيام.

قوله: (فأرسل لهم عمرو بن العاص): في الحلبي: عن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: بعث إليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي ـ وكان ذلك بعد إسلامه بسنة ـ، فقال: «يا عمرو! إني أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمك الله ويسلمك»، فقلت: إني لم أسلم رغبة في المال، قال: «نِعْمَ المالُ الصالحُ للرجل الصالح»[2].

قوله: (ثم أمده بأبي عبيدة. . .) إلخ: سبب الإمداد: أن عمراً لما قرب من القوم، بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث رافعَ بنَ كعب الجهنيَّ ـ رضي الله عنه ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في مئتين من سراة المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر وعمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ، وعقد له لواء، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا، فلحق بعمرو، وأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: إنما قدمت عليَّ مدداً، وأنا الأمير، وعند ذلك قال جمع من المهاجرين الذين مع أبي عبيدة لعمرو: أنت أمير أصحابك، وهو أمير أصحابه، فقال عمرو: أنتم مدد لنا، فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف قال:

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٤٤).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٩)، والحديث المذكور رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠٢) بنحوه.

وقد أراد رجال من الجيش إيقاد نار، فمنعهم عمرو، فأنكر عليه عمرُ بن الخطاب، فقال أبو بكر: إنما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا رئيساً؛ لمعرفته بالحرب أكثر منّا، فلا تعصه، فامتثل.

ولما حلُّوا بساحة القوم، حملوا عليهم، فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الأعداء منهزمين، فجمعوا غنائمهم، وأرادوا اتباع أثرهم، فمنعهم قائدهم، ثم رجعوا إلى المدينة ظافرين، وبينما هم في الطريق، . . . .

لتعلمْ يا عمرو أن آخر شيء عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال: «إن قدمتَ على صاحبك، فتطاوعا ولا تختلفا»، وإنك ـ والله ـ إن عصيتني لأطيعنك، قال: فإني الأمير عليك، قال: فدونك. اهـ[1].

قوله: (أراد رجال من الجيش إيقاد نار)؛ أي: ليصطلوا عليها من البرد.

وقوله: (فمنعهم عمرو)؛ أي: وقال: لهم كل من أوقد ناراً لأقذفنه فيها، فشق عليهم ذلك؛ لما فيه من شدة البرد، فكلمه بعض سراة المهاجرين في ذلك، فغالظه عمرو في القول، وقال له: قد أُمرتَ أن تسمع لي وتطيع، قال: نعم، قال: فافعل[2].

ولما بلغ ذلك عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ غضب، وهمَّ أن يأتيه، فمنعه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب، فسكت. اهـ. حلبي[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٩٩)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢١٨). ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٢٥ ـ ٢٦) عن عروة بن الزبير، بنحوه.

(٢) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢١٨).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٠٠)، والخبر المذكور رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٣٥٧) من حديث بريدة ـ رضي الله عنه ـ.

أدركت عمرَو بنَ العاص جنابة في ليلة باردة، فلما أصبح قال: إنْ أنا اغتسلتُ هلكت، والله يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة: ١٩٥]، ثم تيمم وصلى، ثم أمر بالسير حتى إذا وصلوا إلى المدينة، قام رسول الله عليه الصلاة والسلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته، فأخبروه بما نقموه من عمرو بن العاص من نهيهم عن إيقاد النار، ونهيهم عن اتباع العدو، وصلاته جنباً، فسأله عليه الصلاة والسلام عن ذلك، فقال: منعتُهم من إيقاد النار لئلا يرى العدو قلّتهم، فيطمع فيهم، ونهيتهم عن اتباع العدو؛ لئلا يكون له كمين، وصلّيت جنباً لأن الله يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وإن أنا اغتسلت هلكت، فتبسم عليه الصلاة والسلام، وأثنى على عمرٍو خيراً.

قوله: (والله يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾): هذه رواية.

وفي «زاد المعاد»: أن الصحابة ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عمرو! صليت بأصحابك وأنت جنب؟» فأخبره بالذي منعه من الاغتسال، وقال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[النساء: ٢٩]، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقل شيئاً. اهـ[1].

ونحو هذا في «بداية المجتهد»[2]، فعلى هذا يكون في الاستدلال روايتان.

ويظهر أن الذي أنكر على عمرو صلاته وهو جنب كان لا يرى التيممَ للجنابة، ولذا أعتقدَ أن عمراً صلى بهم وهو جنب.

قال في «بداية المجتهد»: اتفق العلماء على أن هذه الطهارة ـ أي: التيمم ـ

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٨٨)، والخبر المذكور رواه أبو داود (٣٣٤) من حديث عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٤٨).

هي بدل من الطهارة الصغرى، واختلفوا في الكبرى، فروي عن عمر وابن مسعود: أنهما كانا لا يريانها بدلاً من الكبرى، وكان عليّ وغيره من الصحابة يرون أن التيمم يكون بدلاً من الطهارة الكبرى، وبه قال عامة الفقهاء. اهـ[1].

سرية

قوله: (سرية): عنونها الحلبي والدحلاني بـ: سرية الخبط[2].

قال في «القاموس»: الخبط ـ محركة ـ: ورق ينفض بالمخابط، ويجفف ويطحن، ويخلط بدقيق أو غيره، ويوخف بالماء، فتوجَرُه الإبل، وموضع لجهينة على خمسة أيام من المدينة، ومنه سرية الخبط من سراياه صلى الله عليه وسلم إلى حي من جهينه، أو لأنهم جاعوا حتى أكلوا الخبط. اهـ[3].

قال الحلبي: الخبط: ورق السمر[4].

وفي الدحلانية: هو ورق السلم[5].

قال في «المصباح»: السلم: شجر العضاه[6].

والسَّمُر ـ وِزان رَجُل وسَبُع ـ: شجر الطلح، وهو نوع من العضاة، الواحدة

---

(١) انظر: «بداية المجتهد» لابن رشد (١/ ٤٦).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٠١)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٤٥).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خبط).

(٤) في الأصل: «السلم»، والمثبت من «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/٢٠١).

(٥) في الأصل: «السمر»، والمثبت من «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٤٦).

(٦) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: سلم).

وفي رجب أرسل عليه الصلاة والسلام أبا عبيدة عامرَ بنَ الجراح في ثلاث مئة فارس لغزو قبيلة جُهَينة التي تسكن ساحل البحر، وزوّد عليه الصلاة والسلام هذا الجيش جراباً من التمر، فساروا حتى إذا وصلوا الساحل، أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو، وقد فني زادُهم حتى أكلوا الخَبَط، وهو ورق السَّمُر، يبلُّونه بالماء ويأكلونه إلى أن تقرّحت أشداقهم، . . . .

سَمُرة. اهـ[١].

قوله: (وفي رجب)؛ أي: من هذه السنة، وهي سنة ثمان.

(أرسل عليه السلام أبا عبيدة. . .) إلخ: قال في «زاد المعاد»: وهو عندي وهم[٢].

ونقل عن الصحيحين من حديث جابر: أنهم أرسلوا لرصد عير لقريش[٣]، وبعد أن ذكر الحديث بتمامه قال: وهذا السياق يدل على أن هذه الغزوة كانت قبل الهدنة، وقبل عمرة الحديبية؛ فإنه من حين صالح أهل مكة بالحديبية لم يكن يرصد لهم عيراً، بل كان زمن أمن وهدنة إلى حين الفتح، ويبعد أن تكون سرية الخبط على هذا الوجه مرتين: مرة قبل الصلح، ومرة بعده. اهـ[٤].

لكن نقل الدحلاني أنها كانت في رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد، وقبل فتح مكة، وأن هذه السرية أرسلت لتلقى عيراً لقريش[٥]، والله أعلم.

---

(١) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: سمر).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٨٩).

(٣) رواه البخاري (٤٣٦١)، ومسلم (١٩٣٥).

(٤) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣٩٠).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٤٦).

وكان في القوم الكريمُ ابنُ الكريم قيسُ بنُ سعد بنِ عبادة، فنحر لهم ثلاث جزر، في كل يوم جزور. وفي اليوم الرابع أراد أن ينحر، فنهاه رئيسه أبو عبيدة؛ لأن قيساً كان أخذ تلك الجُزُر بدينٍ على أبيه، فخاف أبو عبيدة ألّا يفي له أبوه بما استدان، فقال قيس: أترى سعداً يقضي ديون الناس، ويطعم في المجاعة، ولا يقضي ديناً استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله؟ ولما يئسوا من لقاء عدوهم، رجعوا إلى المدينة، فقال قيس بن سعد لأبيه: كنت في الجيش فجاعوا، فقال: انحر، قال: نحرت، . . . .

قوله: (وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد. . .) إلخ: سبب التسمية كما في الحلبي: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ما فعل قيس فقال: «إنه في بيت جود، إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت»[1].

ومن ثم قال بعضهم: لم يكن في الأوس والخزرج مطعمون يتوالدون في بيت واحد إلا قيس، وأبوه سعد، وأبوه عبادة، وأبوه دليم، كان في كل يوم يقف شخص على أطم ينادي: من يريد الشحم واللحم، فعليه بدار أبي دُلَيم، وكان أصحاب الصفَّة إذا أمسوا، انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة، وأما سعد، فينطلق بالثمانين. اهـ[2].

قوله: (لأن قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه): سببه كما في الدحلاني: أنهم لما أصابهم جوع شديد، قال قيس: من يشتري مني تمراً بالمدينة بجزر تجزر هنا؟ فقال رجل من جهينة: من أنت؟ فانتسب، فعرفه الجهني، فقال:

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٤١٥) من حديث رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ، دون قوله: «إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت»، وهذه الزيادة أوردها الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ١٧٨) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ، وعزاها لابن خزيمة.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤).

قال: ثم جاءوا، قال: انحر، قال: نحرت، قال: ثم جاءوا، قال: انحر، قال: نحرت، قال: ثم جاءوا، قال: انحر، قال: نُهيت[1].

عرفت نسبك، فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق، وأشهد له نفراً من الصحابة، وامتنع عمر ـ رضي الله عنه ـ؛ لكون قيسٍ لا مال له، فقال الأعرابي: ما كان سعد ليقصر بابنه، وأرى وجهاً حسناً وفعلاً شريفاً، فأخذ قيس الجزر، فنحر لهم ثلاثة، كل يوم جزور، فلما كان اليوم الرابع، نهاه أميره، فقال: عزمتُ عليك ألا تنحر، أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟ فقال قيس: يا أبا عبيدة! أترى أبا ثابت ـ يعني: أباه ـ يقضي ديون الناس، ويحمل الكَلَّ، ويطعم في المجاعة، ولا يقضي عني تمر القوم المجاهدين في سبيل الله؟! فكاد أبو عبيدة يلين، وجعل عمر يقول: اعزِم، فعزم عليه، فبقيت جزوران، فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليهما، وبلغ سعداً مجاعة القوم، فقال: إن يكن قيس كما أعرف، فسينحر لهم، فلما لقيه قال: ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت، قال: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نهيت، قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري، قال: ولم؟ قال: زعم أنه لا مال لي، وإنما المال لأبيك، فقال: لك أربعُ حوائط أدناها تجدُّ منه خمسين وسقاً، وقدم الجهني مع قيس، فأَدّاه أوسقه، وحمله وكساه.

فبلغ النبيَّ صلى الله عليه وسلم فعلُ قيس، فقال: «إن الجود من سمة أهل ذلك البيت»[2].

وقيل: إن قيساً نحر قبل الثلاث ستّاً مما كان معه من الظهر، ثم ثلاثاً من

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٠١ ـ ٢٠٢).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٤١٤) من حديث رافع بن خديج ـ رضي الله عنه ـ بنحوه، وفيه: «إنه في بيت جود» بدل «إن الجود من سمة أهل ذلك البيت».

غزوة الفتح الأعظم

إذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه، وأزال موانعه؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام يعلم أنه لا تذلُّ العرب حتى تذلَّ قريش، ولا تَنقاد البلاد حتى تنقادَ مكة، فكان يَتَشَوَّف لفتحها، ولكن كان يمنعه من ذلك العهودُ التي أعطاها قريشاً في الحديبية، وهو سيدُ من وَفَّى، . . . .

التي اشتراها من الجهني. اهـ[1].

وفي الحلبي: ويذكر أن سعداً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من عذيري من ابن الخطاب يبخِّل عليِّ ابني؟ اهـ[2].

أقول: لا تستغرب ـ رعاك الله ـ بعد وجود هذه السجايا العالية، وتلك المزايا الكريمة في هذه الأمة أن تكون خير أمة أخرجت للناس، وأن تفوق الأمم وتسودَها وتستولي عليها، وتُخضعها لسلطانها، وتجعلها[3] تدخل في دين الله أفواجاً، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

غزوة الفتح الأعظم

قوله: (غزوة الفتح الأعظم): عنون (فتحُ مكة): بـ (الفتح الأعظم)؛ لأنه صار سبباً لإشراق شمس الإسلام، وسطوع أنواره، ودخول الناس في دين الله أفواجاً؛ لأن قريشاً أشرفُ القبائل وأعظمها، وأشدها شكيمة، والناس في جزيرة العرب لهم تبع، يقومون لقيامهم، ويقعدون لقعودهم وينقادون لهم، وهم موضع احترامهم، فسببَ هذا الفتحُ خضوعَ جميع جزيرة العرب وإسلامها، فأصبح

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٠٤)، والخبر المذكور أورده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٦/ ١٧٨).

(٣) في الأصل: «ونجعلها»، والصواب المثبت.

ولكن إذا أراد الله أمراً هيأ أسبابه؛ فقد علمتَ أن قبيلة خُزاعة دخلت في عهد رسول الله، وقبيلة بني بكر دخلت في عهد قريش، . . . .

أهلها كتلة واحدة مجتمعين بعد الشتات، متحدين بعد التفرق، وصاروا كالبنيان المرصوص، ونشأ عن اتحاد قواهم وجمعِ كلمتهم فتحُ الممالك المجاورة لهم، وخضوعُها لسلطانهم، ونشرُ دينهم ولغتهم في أهلها، فكان لهذا الفتح تأثير عظيم في انتشار هذا الدين المبين، وإشراق نوره في الآفاق، وظهوره على الدين كله، فلا غرابة إذاً إذا سماه المصنف: (الفتح الأعظم)، فهو جدير بذلك، وحقيق بما هنالك.

قوله: (أن قبيلة خزاعة دخلت في عهد رسول الله): سبب دخولها في العهد: أن عبد المطلب بن هاشم جدَّ النبي صلى الله عليه وسلم كانت في يده ساحات وأفنية، فأخذها منه عمه نوفل بن عبد مناف، فاضطرب عبد المطلب واستنهض قومه، فلم ينهض معه أحد منهم، وقالوا: لا ندخل بينك وبين عمك، وكتب إلى أخواله بني النجار، فجاءه منهم سبعون راكباً، فأتوا نوفلاً، وقالوا له: وربِّ البنية! لتردنَّ على ابن أختنا ما أخذتَ، وإلا ملأنا منك السيف، فرده، ثم حالفَ خزاعةَ بعد أن حالف نوفلٌ بني أخيه عبد شمس، وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بذلك الحلف؛ فإنهم أوقفوه على كتاب عبد المطلب، وقرأه عليه أبيُّ بنُ كعب بالحديبية[1].

وبعد أن ساق الحلبي صورة العهد قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أعرفني بحقكم وأنتم على ما أسلفتم[2] عليه من الحلف»[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣ ـ ٤).

(٢) في «المغازي» للواقدي: «أسلمتم».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٢٨).

وكان بين خزاعة وبني بكر دماء في الجاهلية كمنت نارُها بظهور الإسلام، فلما حصلت الهدنة، وقف رجل من بني بكر يتغنى بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم على مسمع من رجل خزاعي، فقام هذا وضربه، فحرّك ذلك كامنَ الأحقاد، وتذكر بنو بكر ثأرهم، فشدّوا العزيمة لحرب خصومهم، واستعانوا بأوليائهم من قريش، فأعانوهم سرّاً بالعُدّة والرجال، ثم توجهوا إلى خزاعة وهم آمنون، فقتلوا منهم ما يربو على العشرين، ولما رأى ذلك حلفاءُ السيد الأمين صلى الله عليه وسلم، . . . .

قوله: (وكان بين بني خزاعة وبكر دماء. . .) إلخ: شروع في بيان سبب نقض العهد.

ونقل الدحلاني سبباً آخر لذلك، قال: إنه قد كان بين بني بكر بن عبد مناة ابن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى في الجاهلية، وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الإسلام، فلما كانت الهدنة، خرج نوفل بن معاوية الديلي من بني بكر ومعه جماعة من قبيلة بني الديل حتى بيَّت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى: الوتير بأسفل مكة، فأصاب منهم رجلاً يقال له: منبه، واستيقظت لهم خزاعة، فاقتتلوا إلى أن دخلوا الحرم، ولم يتركوا القتال، فلما انتهوا إلى الحرم قالت بنو بكر: يا نوفل! إنا قد دخلنا الحرم، إلهك إلهك، فقال كلمة عظيمة وهي قوله: لا إله له اليوم يا بني بكر، أصيبوا ثأركم، فلعمري! إنكم لتسرفون في الحرم، أفلا تصيبون ثأركم فيه. اهـ[1].

قوله: (فأعانوهم سرّاً بالعدة والرجال. . .) إلخ: من الرجال: صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، وعكرمة بن أبي جهل، وشيبة بن عثمان، وسهيل ابن عمرو، وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك ـ رضي الله عنهم ـ.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٥١).

أرسلوا منهم وفداً برياسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل بهم بنو بكر وقريش، فلما حَلُّوا بين يديه، وأخبروه، قال: «والله! لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه».

قوله: (أرسلوا منهم وفداً): كان الوفد في أربعين راكباً من خزاعة، فيهم بديلُ بن ورقاء الخزاعي.

قال الحلبي: ولما قدم الوفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودخل المسجد؛ وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد بين الناس، وقال من أبيات:

يـا ربّ إنـي ناشـدٌ محمـدَا

حلـفَ أبينـا وأبيـه الأتلَـدَا

إن قريشـاً أخلفـوكَ الموعِـدا

ونقضـوا ميثاقَـك المؤكَّـدا

هـم بيَّتُونـا بـالوتير هُجَّـدَا

وَقتَّلونـا رُكَّعـاً وسُـجَّدا

فقال صلى الله عليه وسلم: «نُصرت يا عمرو بن سالم»[1]، ثم قال له ولأصحابه: «ارجعوا وتفرقوا في الأودية»[2]، فرجعوا وتفرقوا، وذهبت فرقة إلى الساحل، وفرقة لزمت الطريق، وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم إخفاء مجيئهم إليه[3].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٣/ ٥٢٠) عن المسور بن مخرمة ـ رضي الله عنه ـ، ومروان بن الحكم.

(٢) أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٣٤).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٥ ـ ٦).

أما قريش، فإنهم لما رأوا أن ما عملوه نقضٌ للعهود التي أُخذت عليهم، ندموا على ما فعلوا، وأرادوا مداواة هذا الجرح، فأرسلوا قائدَهم أبا سفيان بن حرب إلى المدينة ليشدّ العَقْد، ويزيدَ في المدّة، فركب راحلته، وهو يظن أنه لم يسبقه أحد، حتى إذا جاء المدينة، نزل على أم المؤمنين أم حبيبةَ بنتهِ، وقد أراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطوته عنه فقال: يا بنيّة! أرغبتِ به عني، أم رغبتِ بي عنه؟ فقالت: ما كان لك أن تجلس على فراش رسول الله وأنت مشرك نجس، . . . .

قوله: (فأرسلوا قائدهم أبا سفيان. . .) إلخ: هذا بعد خلاف طويل مبسوط في الحلبي والدحلاني، وأخيراً اتفقوا على هذا[1].

قوله: (ليشد ويزيد في المدة): هذا من كلامه صلى الله عليه وسلم، ففي الحلبي: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدوم أبي سفيان: «كأنكم بأبي سفيان قد جاءكم ليشدَّ العقدَ ويزيدَ في المدة، وهو راجع بسخطه»[2].

قوله: (أرغبتِ به) الضمير للفراش؛ كما هو مصرح في الحلبي، [و] في ابن هشام، وغيره[3].

قوله: (فقالت: ما كان لك. . .) إلخ: العبارة في ابن هشام[4]: هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت رجل مشرك نجس، ولم أحب أن تجلس

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤ ـ ٦)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٢) أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٤٩)، وابن حزم في «جوامع السيرة» (ص: ٢٢٤).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥٠).

(٤) في الأصل: «إبراهيم» بدل «ابن هشام»، والصواب المثبت.

فقال: لقد أصابك بعدي شر. ثم خرج من عندها، وأتى النبيَّ في المسجد، وعرض عليه ما جاء له، فقال له عليه الصلاة والسلام: «هل كان من حَدَث؟» قال: لا، فقال عليه الصلاة والسلام: «فنحن على مدتنا وصلحنا». ولم يزد عن ذلك. فقام أبو سفيان، ومشى إلى أكابر المهاجرين من قريش لعلّهم يساعدونه على مقصده، فلم يجد منهم مُعيناً، . . . .

على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لقد أصابك يا بنيةُ بعدي شر. اهـ[1].

قوله: (لقد أصابك بعدي شر) في الدحلاني: لما قال لها ذلك قالت له: بل هداني الله للإسلام، فأنت يا أبت سيدُ قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام، وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر[2]؟! وا عجباً منك يا أبت! فقال: أنا أترك ما كان يعبد آبائي، وأتبع دينَ محمد![3].

قوله: (ومشى إلى أكابر المهاجرين. . .) إلخ؛ أي: والأنصار أيضاً؛ فإنه لما قام أبو سفيان من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما أنا بفاعل، وفي رواية قال له: تكلم محمداً، أو تجير بين الناس؟ فقال: جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى عمر ـ رضي الله عنه ـ، فقال: أنا أشفع لكم؟ والله! لو لم أجد إلا الذرَّ لجاهدتكم به.

وفي رواية: قال له: ما كان من حلفنا جديداً فأخلفه الله، وما كان متيناً فقطعه الله، وما كان منه مقطوعاً، فلا وصله الله، فقال أبو سفيان: جوزيت من ذي رحم شرّاً، ثم دخل على عليّ، فكان ملخص جوابه كذلك ـ وهو مبسوط في

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٥٥).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ١٥١) عن هشام الكعبي.

وكلهم قالوا: جِوارنا في جِوار رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

فرجع إلى قومه ولم يصنع شيئاً، فاتهموه بأنه خانهم واتَّبعَ الإسلام، فتنسّك عند الأوثان لينفي عن نفسه هذه التهمة.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتجهز للسفر، وأمر أصحابه بذلك، وأخبر الصدّيقَ بالوجهة، فقال له: يا رسول الله! أوَ ليس بينك وبين قريش عهد؟ قال: «نعم، ولكن غدروا ونقضوا»[2].

الحلبي والدحلاني ـ، ثم أتى سعدَ بنَ عبادة الأنصاريَّ ـ رضي الله عنه ـ، فقال: يا أبا ثابت! إنك سيد هذه البحيرة، فأجرْ بين الناس، وزد في المدة، فقال سعد: جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما يجير أحد عليه[3].

قوله: (فاتهموه بأنه خانهم)؛ أي: لأن غيبته كانت قد طالت، فاتهمته قريش أشد التهمة، وقالوا: قد صبأ واتبع محمداً سرّاً وكتم إسلامه[4].

قوله: (فتنسك عند الأوثان): قال الدحلاني: أعلمته زوجته هند ليلة مجيئه بتهمة قريش له، فلما أصبح، حلق رأسه عند إساف ونائله، وذبح لهما، ومسح بالدم رؤوسهما، وقال: لا أفارق عبادتكما حتى أموت[5]، وأراد بذلك

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦) عن حزام بن هشام بن حبيش عن أبيه.

(٢) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٣٨) عن محمد بن جبير بن مطعم.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٧)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٥٥)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧)، ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٠) عن موسى بن عقبة.

(٤) أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٣٧).

(٥) أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٣٧).

ثم استنفر عليه الصلاة والسلام الأعراب الذين حول المدينة، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة»، فقدم جمع من قبائل أسلمَ وغِفارٍ ومُزَيْنةَ وأشجعَ وجُهينةَ[١].

وطوى عليه الصلاة والسلام الأخبار عن الجيش كيلا يشيع الأمر، فتعلمَ قريش فتستعدَّ للحرب، والرسولُ عليه الصلاة والسلام لا يريد أن يُقيم حرباً بمكة، بل يريد انقياد أهلها مع عدم المساس بحُرمتها، فدعا مولاه ـ جلّ ذكرهُ ـ، وقال: «اللهمّ خُذِ العيونَ والأخبار عن قريش حتى نبغَتَها في بلادها»[٢]، فقام حاطبُ بنُ أبي بلتعة أحدُ الذين شهدوا بدراً، . . . .

أن تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم: إنه صبأ. اهـ[٣].

قوله: (لا يريد أن يقيم حرباً بمكة)؛ أي: حرمةً لها، وإبقاءً لنفوس قريش الذين هم قومه، ورجاء أن يُسْلِموا ويُخرج الله منهم النسلَ الكثير، ويكونوا عوناً له على نشر هذا الدين، وقد حقق الله آماله.

قوله: (حتى نبغتها)؛ أي: نأتيها بغتةً؛ أي: على غفلة من أهلها.

قال الحلبي: وفي رواية: قال: «اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة، ولا يسمعون بنا إلا فجأة»[٤]، وأخذ بالأنقاب ـ أي: الطرق؛ أي: أوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها ـ وقال لهم: «لا تدعوا أحداً يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه»[٥].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٣٢٢) عن سعيد بن عطاء بن أبي مروان. وانظر: «المغازي» للواقدي (٢/ ٢٤٠).

(٢) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥٢).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٥٦).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١١) عن موسى بن عقبة.

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠)، والخبر المذكور أورده =

وكتب كتاباً لقريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرسله مع جارية لتوصله إلى قريش على جُعْلٍ، فأعلم الله رسولَه ذلك، فأرسل في أثرها علياً والزبير والمقداد، وقال: «انطلقوا حتى تأتوا رَوْضَةَ خاخ؛ فإن بها ظَعِينة معها كتاب، فخذوه منها». فانطلَقوا حتى أتوا الروضةَ، فوجدوا بها المرأة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقالوا: لتُخْرِجِنَّ الكتاب، أو لنُلقينَّ الثياب، فأخرجته من عِقَاصِها، فأتوا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا حاطب! ما هذا؟» قال: يا رسول الله! لا تعجل عليّ، إني كنت حليفاً لقريش، ولم أكن من أَنْفُسِها، وكان مَنْ معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعله ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، . . . . .

قوله: (يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. . .) إلخ: كان في الكتاب: من حاطب بن أبي بلتعة إلى سهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، أما بعد: يا معشر قريش! فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل، فوالله! لو جاءكم وحده لنصره الله، وأنجز له وعده، فانظروا لأنفسكم، والسلام. اهـ. دحلاني[1].

قوله: (ولم أكن من أنفُسِها): بضم[2] الفاء وكسر السين.

قال الدحلاني: وفي رواية: ولكني كنت امرأً ليس لي في القوم أصل

= الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٣٨).

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٥٨)، والخبر المذكور أورده السهيلي في «الروض الأنف» (٤/ ١٥١).

(٢) في الأصل: «بفتح»، والمثبت يقتضيه ما في اليونينية، قال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٥/ ١٤٢): (أنفُسها) بضم الفاء في اليونينية، وفي الفرع: بفتحها مصلحاً.

فقال عليه الصلاة والسلام: «أَمَا إنه قد صدقكم». فقال عمر: دعني يا رسولَ الله أضربْ عنقَ هذا المنافق، فقال: «إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعلّ الله اطَّلع على من شهد بدراً، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم»، وفي ذلك أنزل الله في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم . . . .

ولا عشيرة، وكان لي بين أظهُرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه[1].

قوله: (أما إنه قد صدقكم) ـ بفتح الهمزة والتخفيف، وبفتح همزة (أن) ـ، وهي هنا بمعنى حقّاً كما في «مغني اللبيب»[2].

قوله: (اعملوا ما شئتم . . .) إلخ: لما قال ذلك، فاضت عينا عمر ـ رضي الله عنه ـ. اهـ. نسفي[3].

قوله تعالى: (﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾): حال من الضمير في ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، والتقدير: لا تتخذوهم أولياء ملقين إليهم بالمودة.

وقوله: (﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾)؛ أي: بأسباب المحبة، وقيل: معناه: تلقون إليهم أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم، فيكون مفعول ﴿تُلْقُونَ﴾ محذوفاً. اهـ. نسفي وخازن[4].

وقوله: (﴿وَقَدْ كَفَرُوا . . .﴾) إلخ: حال من ﴿لَا تَتَّخِذُوا﴾، أو من ﴿تُلْقُونَ﴾؛ أي: لا تتولوهم أو توادوهم وهذه حالهم.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٥٨)، والخبر المذكور رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥٤) عن عروة بن الزبير وغيره.

(٢) انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٧٨ ـ ٧٩).

(٣) انظر: «تفسير النسفي» (٤/ ٢٣٦).

(٤) انظر: «تفسير النسفي» (٤/ ٢٣٦)، و«تفسير الخازن» (٤/ ٢٨٠).

﴿مِنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١][1].

ثم سار عليه الصلاة والسلام بهذا الجيش العظيم في منتصف رمضان بعد أن ولّى على المدينة ابنَ أُم مكتوم، . . . .

وقوله: (﴿مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾)؛ أي: القرآن.

وقوله: (﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم.

وقوله: (﴿أَن تُؤْمِنُوا۟﴾)؛ أي: لأن تؤمنوا، فهو تعليل لـ ﴿يُخْرِجُونَ﴾؛ أي: يخرجونكم من مكة لإيمانكم.

وقوله: (﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ﴾) متعلق بـ ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾؛ أي: لا تتولوا أعدائي إن كنتم أوليائي.

وقوله: (﴿جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى﴾) مصدر في موضع الحال؛ أي: إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيلي.

وقوله: (﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ . . .﴾) إلخ: استفهام إنكاري، والمعنى: أي طائل لكم في إسراركم، وقد علمتم أن الإخفاء والإعلان سِيَّانِ في علمي، وأنا مُطْلِعٌ رسولي على ما تسرون؟!

وقوله: (﴿وَمَن يَفْعَلْهُ﴾)؛ أي: هذا الإسرار وإلقاء المودة إليهم.

(﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾) فقد أخطأ طريق الحق والصواب. اهـ. نسفي[2].

قوله: (في منتصف رمضان) في الدحلانية: خرج عليه السلام من المدينة

---

(١) رواه البخاري (٣٠٠٧، ٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤)، من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٤/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

وكانت عدّة الجيش عشرةَ آلاف مجاهد، ولما وصل الأبواءَ، لقيه اثنان كانا من أشدّ أعدائه، وهما: ابنُ عمه أبو سفيانَ بنُ الحارث بنِ عبد المطلب شقيقُ عبيدةَ بنِ الحارث شهيدِ بدر، وصهرهُ عبدالله بن أبي أمية بن المغيرة شقيقُ زوجه أُم سلمة، وكانا يريدان الإسلام، فقبلهما عليه الصلاة والسلام، وفرح بهما شديد الفرح، وقال: «﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ . . .

لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان، وقيل: لليلتين، وقيل: لست عشرة، وقيل: ثمان عشرة، قال «النور»[1]: لا أعلم خلافاً في أن ذلك في شهر رمضان؛ أي: وإنما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج[2].

قوله: (وهما: ابن عمه أبو سفيان. . .) إلخ: في الدحلانية: وكان كل منهما من أشد الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعرض عنهما لما لقياه؛ لما كان يلقى منهما من شدة الأذى والهجو، فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم، فكلمته أم سلمة في شأنهما، فلم يأذن لهما، وبين لها ما كان يلقاه منهما، فلما خرج إليهما الخبر، قال أبو سفيان: والله! ليأذنن لي، أو لآخذنَّ ابني هذا ـ يعني: ولده جعفراً ـ ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً.

فلما بلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم، رق لهما، ثم أذن لهما، فدخلا عليه وأسلما. اهـ. ملخصاً[3].

قوله تعالى: (﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾)؛ أي: لا لوم عليكم.

---

(١) في الأصل و«السيرة النبوية» لدحلان: «النووي»، والتصويب من «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٣)، والمقصود: «نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس» لسبط ابن العجمي.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٦١)، والخبر المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٥٦) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف: ٩٢]». ولما وصل عليه الصلاة والسلام الكَدِيد، رأى أن الصوم شقَّ على المسلمين، فأمرهم بالفطر، وأفطر هو أيضاً، وقد قابل عليه الصلاة والسلام في الطريق عمَّه العباسَ بنَ عبد المطلب مهاجراً بأهله وعياله، فأمره أن يعود معه إلى مكة ويرسل عياله إلى المدينة.

ولما وصل عليه الصلاة والسلام مرّ الظهران، أمر بإيقاد عشرة آلاف نار، . . . .

قوله: (الكديد): قال الدحلاني: هو ـ بفتح الكاف ـ: موضع بين قديد وعسفان[1].

قوله: (وأفطر هو أيضاً. . .) إلخ: قال الدحلاني: لم يزل مفطراً رفقاً بالمسلمين حتى انسلخ الشهر؛ لأنه وإن قدم مكة قبل تمام الشهر، لكنه كان في أهبة القتال وبعث السرايا، ولم ينو الإقامة، ولذا كان يقصر الصلاة. اهـ[2].

قوله: (وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس): في الدحلانية: لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجُحْفَة، وكان إسلامه قديماً، وكان يكتمه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأمره بالإقامة بمكة؛ ليكتب له أخبار قريش، وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين، وما أظهر إسلامه لأهل مكة إلا يوم الفتح، وكان مقيماً على سقايته، وكان ينفع المستضعفين بمكة، ولما لقيه قال: «هِجْرَتُك يا عم آخر هجرة؛ كما أن نبوتي آخرُ نبوة». اهـ[3].

قوله: (أوقد عشرة آلاف نار)؛ أي: لتراها قريش، أو تسمع بها، فترعب من كثرتها.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

وكانت قريش قد بلغهم أن محمداً زاحف بجيش عظيم لا تـدرَى وجهتُـه، فأرسلوا أبا سفيان بنَ حرب، وحكيمَ بن حزام، وبُدَيل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبلوا يسيرون حتى أتـوا مَـرَّ الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عَرَفـة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنهـا نيران عَرَفة، فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سـفيان: عمـرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسولَ الله، فأسلم أبو سفيان، . . . .

قوله: (نيران بني عمرو)؛ أي: خزاعة.

قوله: (فرآهم ناس من حرس رسول الله) كان على الحرس تلك الليلـة عمـر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: (فأسلم أبو سفيان): تفصيل ذلـك كمـا فـي ابـن هشـام: أن النبـي صلى الله عليه وسلم لما نزل مر الظهران قال العباس بن عبد المطلـب: فقلـت: وا صباح قريش! والله! لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، قال: فجلست على بغلة رسـول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء، فخرجت عليها حتى جئت الأراك، فقلت لعلـي: أجد بعض الحطابة، أو صاحب لبن، أو ذا حاجـة يـأتي مكـة فيخبـرهم بمكـان رسول الله صلى الله عليـه وسلم ليخرجـوا إليـه فيستأمنـوه قبل أن يدخلهـا عليهم عنوة، قال: فوالله! إني لأسير عليها، وألتمس ما خرجت لـه، إذ سـمعت كـلام أبي سفيان وبديـل بن ورقـاء وهمـا يتراجعـان، وأبـو سفيـان يقـول: مـا رأيـت كالليلـة نيراناً قط ولا عسكراً، قال: يقول بديل: هذه والله خزاعة حمشها الحـرب ـ أي: جمعها، وفي السهيلي: وقول بديل: (حمشتهم الحرب)، يقال: حمـش الرجل: إذا أغضبته، وحمشت النار: إذا أوقدتها، ويقال: حمست بالسين[1] ـ

---

(١) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ١٥٦).

. . . .

قال: يقول أبو سفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، قال: فعرفتُ صوته، فقلت: يا أبا حنظلة! فعرف صوتي، فقال: يا أبا الفضل![1]، قال: قلت: نعم، قال: ما لك فداك أبي وأمي؟ قال: قلت: ويحك يا أبا سفيان! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس، وا صباح قريش والله! قال: فما الحيلة؟ قال: قلت: والله! لئن ظفر بك، ليضربن عنقك، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتيَ بك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك، قال: فركب خلفي، ورجع صاحباه.

قال: فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا: عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته[2].

ثم قال: ولما دخلت به على النبي صلى الله عليه وسلم، قال لي: «اذهب به يا عباس إلى رحلك، فإذا أصبحت، فأتني به»، فلما أصبح، غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك! والله! لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عني شيئاً، قال: ويحك يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! أما هذه والله! فإن في النفس منها حتى الآن شيئاً، فقال له العباس: ويحك أسلمْ واشهدْ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك، قال: فشهد شهادة الحق، فأسلم.

قال العباس: قلت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجل يحب هذا الفخر،

---

(١) كذا في الأصل، وفي «السيرة النبوية» لابن هشام: «فقال: أبو الفضل؟».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥٨ ـ ٥٩).

فلما سار قال للعباس: «احبس أبا سفيان عند خَطْم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين»، فحبسه العباس. . . . .

فاجعل له شيئاً، قال: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن»[1].

قوله: (عند خطم الجبل): قال في «النهاية»: وفي حديث الفتح قال للعباس: «احبس أبا سفيان عند حطم الجبل»[2]، هكذا جاءت في كتاب أبي موسى، وقال: حُطِم الجبل: الموضع الذي حطم منه؛ أي: ثُلم فبقي منقطعاً، قال: ويحتمل أن يريد عند مضيق الجبل حيث يزحم بعضهم بعضاً.

ورواه أبو نصر الحميدي في كتابه بالخاء المعجمة، وفسرها في «غريبه» فقال: الخطم والخطمة: رعن الجبل، وهو الأنف النادر منه.

والذي جاء في كتاب البخاري وهو أخرج الحديث فيما قرأناه ورأيناه من نسخ كتابه: «عند حطم الخيل»[3]، هكذا مضبوطاً، فإن صحت الرواية به، ولم يكن تحريفاً من الكتبة؛ فيكون معناه ـ والله أعلم ـ: أنه يحبسه في الموضع[4]

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٥٩ ـ ٦٠)، والخبر المذكور رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، وأبو داود (٣٠٢٢)، من حديث ابن عباس عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه البغوي في «شرح السنة» (١١/ ١٤٩) عن عروة بن الزبير.

(٣) رواه البخاري (٤٢٨٠) من حديث عروة بن الزبير، وقال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٦/ ٣٩٠): (حطم الخيل): ـ بالحاء والطاء الساكنة المهملتين ـ، و(الخيل) ـ بالخاء المعجمة بعدها تحتية ـ؛ أي: ازدحامها، وللأصيلي وأبي ذر عن المستملي: (خطم): ـ بالخاء المعجمة ـ، (الجبل) ـ بالجيم والموحدة ـ؛ أي: أنف الجبل؛ لأنه ضيق فيرى الجيش كله، ولا يفوته رؤية أحد منه.

(٤) في الأصل: «المواضع»، والتصويب من «النهاية في غريب الحديث».

فجعلت القبائل تمرّ كتيبةً كتيبة على أبي سفيان، وهو يسأل عنها ويقـول: ما لي ولها؟ حتى إذا مرّت به قبيلة الأنصار، وحامِلُ رايتها سعدُ بن عبادة، فقال سعد: يا أبا سفيان! اليوم يوم الملحمة، اليومَ تُستَحلُّ الكعبة. فقال أبـو سفيان: يا عباس! حبذا يومُ الذِّمار. ثم جاءت كتيبة، وهي أقلُّ الكتائب. . .

المتضايق الذي تتحطم فيه الخيل؛ أي: يدوس بعضـها بعضـاً، ويـزحم بعضـها بعضاً، فيراها جميعها، وتكثر في عينه بمرورها في ذلك الموضع الضيق.

وكذلك أراد بحبسه عند خطم الجبل على ما شرحه الحميدي؛ فإن الأنف النادر من الجبل يضيق الموضع الذي يخرج فيه. اهـ[1].

وقوله: (كتيبة كتيبة): الكتيبة: القطعة من الجيش.

قوله: (يقول: مالي ولها؟)؛ أي: ما كان بيني وبينهم حرب. اهـ. «شرقاوي على مختصر البخاري».

قوله: (اليوم يوم الملحمة)؛ أي: الحرب والقتال.

قوله: (حبذا يوم الذمار)؛ أي: حبذا يوم الهلاك، تمنى أبو سفيان أن يكون له قوة، فيحمي قومه ويدفع عنهم، وقيل: معناه: هذا يوم الغضب للحـريم والأهـل، والانتصار لهم لمن قدر عليه، قال ذلك غلبة وعجزاً. اهـ. دحلاني[2].

قوله: (وهي أقل الكتائب) قال الحلبي: وفـي روايـة الحميـدي: (وهـي أجـل الكتائـب) ـ بالجيـم[3] ـ، قـال في الأصـل[4]: وهـي أظهـر مـن روايـة:

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٤٠٤).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٠).

(٣) انظر: «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (٣/ ٣٢٦)، ورواه البخاري (٤٢٨٠) من حديث عروة بن الزبير بلفظ: وهي أقل الكتائب.

(٤) المراد بـ (الأصل): «عيون الأثر» لابن سيد الناس، فقد قال نور الدين الحلبي =

فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وحاملُ الراية الزبيرُ بنُ العوام، . . . .

(أقل)[1]؛ لأنها كانت خاصة المهاجرين، فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ[2].

ويشهد لهذه الرواية أيضاً: ما ذكره الدحلاني: أن الناس كانوا يمرون على أبي سفيان، وهو يقول عند مرور كل قبيلة: ما مر محمد؟ فيقول العباس: لا، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها؛ إذ في كل بطن فيها لواء، وهم في الحديد لا يُرى منهم إلا الحدق، فيهم ألفا دارع، وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة[3].

ثم قال: وفي رواية: قال أبو سفيان: سبحان الله يا عباس! من هؤلاء؟ قال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأنصار، فقال: ما لأحد بهؤلاء طاقة، والله يا أبا الفضل! لقد أصبح ملكُ ابن أخيك اليوم عظيماً، فقال: يا أبا سفيان! إنها النبوة، قال: نعم إذن[4].

وقد ذكر الدحلاني قبل ذلك عدد كل قبيلة، ولم تجاوز قبيلة منهم

= في مقدمة كتابه «السيرة الحلبية» (١/ ٥): وحيث أقول: قال في الأصل، أو ذكر في الأصل، أو نحو ذلك، فالمراد به «عيون الأثر».

(١) انظر: «عيون الأثر» لابن سيد الناس (٢/ ١٨٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٣) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦) عن أبي عمرو بن حماس. ورواه البخاري (٤٢٨٠) من حديث عروة بن الزبير بنحوه.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠)، والخبر المذكور رواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨) عن ابن عباس، عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ.

فأخبر أبو سفيان رسولَ الله بمقالة سعد. فقال عليه الصلاة والسلام: «كذبَ سعد، ولكن هذا يومٌ يُعظِّم الله فيه الكعبةَ، ويومٌ تُكسى فيه الكعبة». ثم أمر عليه الصلاة والسلام أن تركز رايتُه بالحَجُون، وأمر خالدَ بن الوليد أن يدخل من أسفل مكة من كُدًى، ودخل هو من أعلاها من كَدَاء[1]، ونادى مناديه: «مَن دخل داره وأغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن»[2].

الألف[3]، فتكون الكتيبة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والتي كان فيها ألفا دارع أجلَّ الكتائب، لا أقلَّها.

قوله: (فأخبر أبو سفيان رسول الله): قال الدحلاني: وقيل: إن الذي سمع مقالة سعد هما عثمان، وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهما ـ، فقالا: يا رسول الله! ما نأمنُ أن تكون لسعد صولة في قريش، فقال لعلي: «أدركْهُ فخذِ الراية منه»[4]، ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه[5].

قوله: (ودخل هو من أعلاها من كداء): في الدحلاني: لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح؛ رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخُمُر، فتبسم والتفت إلى أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وقال: «يا أبا بكر! كيف قال حسان؟»، فأنشده قوله:

---

(١) رواه البخاري (٤٢٨٠) من حديث عروة بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ، وفيه: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَداء، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم من كُدا.

(٢) رواه أبو داود (٣٠٢٢) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٤) أورده ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٦٦).

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٠).

وهذه أعظم منّة له، واستثنى من ذلك جماعةً عظُمت ذنوبُهم، وآذَوا الإسلام وأهلَه عظيمَ الأذى، فأهدر دمهم ـ وإن تعلقوا بأستار الكعبة ـ منهم: عبدالله بن سعد بن أبي سَرْح الذي أسلم، وكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، ثم ارتدّ، وافترى الكذب على الأمين المأمون، فكان يقول: إن محمداً كان يأمرني أن أكتب: عليم حكيم، فأكتب: غفور رحيم، فيقول: كلٌّ جيد.

عدمتُ بنيتي إن لم تروها ... تثير النقعَ موعدُها كَداءُ

يُنازِعْنَ الأعنَّةَ مُسْرَجاتٍ ... يلطِّمُهنَّ بالخُمُرِ النساءُ

فقال صلى الله عليه وسلم: «أدخلوها من حيث قال حسان». اهـ[1].

قوله: (الذي أسلم)؛ أي: قبل الفتح، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي، وكان صلى الله عليه وسلم إذا أملى عليه: سميعاً بصيراً؛ كتب: عليماً حكيماً، وإذا أملى عليه: عليماً حكيماً؛ غفوراً رحيماً، وكان يفعل مثل هذه الخيانات، حتى صدر عنه أنه قال: إن محمداً لا يعلم ما يقول، فلما ظهرت خيانته، لم يستطع أن يقيم بالمدينة، فارتدَّ وهرب إلى مكة، ولما كان يوم الفتح، وعلم بإهدار النبي صلى الله عليه وسلم دمه؛ لجأ إلى عثمان بن عفان أخيه من الرضاعة، فاستأمن له، ثم أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه، فصار عثمان يقول: يا رسول الله! أمنته؟ والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه، ثم قال: «نعم»، فبسط يده فبايعه، وتمامه في الحلبي[2].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٢)، والخبر المذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦٦)، من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١٠): إسناده حسن.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٦ ـ ٣٧).

قال السهيلي: ثم أسلم وحسن إسلامُه، وعُرف فضلُه وجهاده، وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح إفريقية سنة سبع وعشرين، وغزا الأساود من النوبة، ثم هادنهم، فلما خالف محمد بن أبي حذيفة على عثمان؛ اعتزل الفتنة، ودعا الله أن يقبضه، فقبضت نفسه وهو في الصلاة بعد التسليمة الأولى، وكانت وفاته بعسفان. اهـ. ملخصاً[1].

قوله: (ومنهم: عكرمة بن أبي جهل): قال الحلبي: إنما أمر بقتله؛ لأنه كان أشدَّ الناس هو وأبوه أذية للنبي صلى الله عليه وسلم، ولما بلغه أنه أهدر دمه، فر إلى اليمن، فاتبعته امرأته بنتُ عمه أمُّ حكيم بنتُ الحارث بن هشام بعد أن أسلمت، واستأمنت له، فردته إلى مكة بعد أن قالت له: يا ابنَ عم! جئتك من عند أوصلِ الناس، وأبرِّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك؛ فقد استأمنتُ لك، فجاء معها فأسلم وحسن إسلامه، وقُتل ـ رضي الله عنه ـ في اليرموك في قتال الروم. اهـ. ملخصاً[2].

قوله: (وصفوان بن أمية): سيأتي في كلام المصنف أنه استأمن له عُمَيرُ ابن وهب، وأنه طلب مهلة شهرين لينظر في أمر نفسه، وأمهله النبي صلى الله عليه وسلم أربعة أشهر.

قال الحلبي بعد ذكره ذلك بنحو ما ذكره المصنف هناك: ثم خرج صفوان مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ولما فرق صلى الله عليه وسلم غنائمها بالجعرانة؛ رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعباً ملآناً نعماً وشاءً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعجبك هذا؟» قال: نعم، قال: «هو لك وما فيه»، فقبض

---

(١) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ١٧٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٩)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٧٦) عن عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

صفوان ما في الشعب، وقال: ما طابت نفسُ أحدٍ بمثل هذا إلا نبي، فأسلم(١).

قوله: (وهبار): ضبطه في «القاموس» ـ بفتح الهاء وتشديد الباء(٢)ـ، وقد أسلم ـ رضي الله عنه ـ كما سيأتي.

قال الحلبي: وإنما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله؛ لأنه كان عرض لزينبَ بنتِ رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفهاء قريش حين بعث بها زوجُها أبو العاص إلى المدينة، فأهوى إليها هبار، ونخس بعيرَها.

وفي رواية: ضربها بالرمح، فسقطت من على الجمل على صخرة، وكانت حاملاً، فألقت ما في بطنها، وأهرقت الدماء، ولم يزل بها مرضُها ذلك حتى ماتت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن لقيتم هباراً فاحرقوه»، ثم قال: «إنما يعذب بالنار ربُّ النار، فإن ظفرتم به، فاقطعوا يده ورجله، ثم اقتلوه»(٣)، فلم يوجد يوم الفتح، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. اهـ(٤).

وسيأتي في كلام المصنف في الفصل الآتي ما قاله للنبي صلى الله عليه وسلم حين إسلامه.

قوله: (والحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية): قال الدحلاني: وأما الحارث بن هشام المخزومي، وهو أخو أبي جهل شقيقه؛ فإنه كان شديداً على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وكذا زهير بن أبي أمية المخزومي أخو

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٣)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٧٩) عن عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: هبر).

(٣) رواه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٦/ ٤٤٤ ـ ٥٥٦) عن ابن أبي نجيح بمعناه، وقال: وهذا منقطع.

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٨ ـ ٣٩).

أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ. فإنه كان شديداً في كفره، فأهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، فهربا واختفيا في بيت أم هانئ بنتِ أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ، فأجارتهما، فأجاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جوارها، ثم جاءت بهما فأسلما، وحسن إسلامهما.

روى الإمام أحمد وغيره عن أم هانئ ـ رضي الله عنها ـ قالت: لما كان يوم الفتح، فرَّ إليَّ رجلان من أحمائي من بني مخزوم ـ أي: من أقارب زوجي؛ لأنها كانت تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي ـ، فدخل عليَّ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ فقال: والله! لأقتلنهما، فأغلقتُ عليهما بيتي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآني قال: «مرحباً وأهلاً بأم هانئ، ما جاء بك؟»، فأخبرتُه خبر الرجلين، وخبرَ علي ـ رضي الله عنه ـ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ»[1].

والمشهور أن إسلام أم هانئ ـ رضي الله عنها ـ كان عام الفتح، وقيل: أسلمت قديماً، وكانت تكتم إسلامها.

وعن الحارث بن هشام ـ رضي الله عنه ـ قال: لما أجارتني أم هانئ ـ رضي الله عنها ـ، وأجاز النبي صلى الله عليه وسلم جوارها؛ صار لا يتعرضني أحد بعد ذلك، وكنت أخشى عمر بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فمر عليَّ وأنا جالس، ولم يتعرض لي، وكنت أستحي أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لما أذكر برؤيته إياي ما كنت أفعله في كل موطن مع المشركين، فلقيته وهو داخل المسجد، فلقيني بالبشر، ووقف حتى جئته فسلمتُ عليه، وشهدت شهادة الحق، فقال: «الحمد لله الذي هداك، ما كان مثلك يجهل الإسلام»[2]، ثم صار بعد ذلك

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٤٢) بنحوه. ورواه البخاري (٣٥٧)، ومسلم (٣٣٦) بنحوه.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٢١٠) مختصراً.

من فضلاء الصحابة. اهـ[1].

قوله: (وكعب [بن] زهير) سيعقد المصنف له فصلاً على حدة.

قوله: (ووحشي قاتل حمزة): قال الدحلاني: وأما وحشيُّ بنُ حرب، فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه، لكونه قتل عمَّه حمزةَ ـ رضي الله عنه ـ، فلما فتحت مكة، هرب إلى الطائف، قال: فكنت بالطائف، فلما خرج وفدُ الطائف ليسلموا، ضاقت عليّ المذاهب، فقلت: ألحقُ بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد، فوالله! إني لفي ذلك من همي، إذ قال لي رجل: ويحك! والله! إنه ما يقتل أحداً يدخل في دينه، فخرجت حتى قدمت عليه، فلم يرعه إلا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق، فلما رآني قال: «وحشي؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة»، فحدثته، فلما فرغت قال: «ويحك! غَيِّبْ وجهَك عني»، فكنت أتنكب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيث كان؛ لئلا يراني حتى قبضه الله.

ثم خرج وحشي مع مَنْ خرج لقتال أهل الردة في خلافة أبي بكر ـ رضي الله عنهم ـ، فقتل مسيلمةَ الكذاب بحربته التي قتل بها حمزة ـ رضي الله عنه ـ، فكان يقول: أرجو أن تكون هذه بتلك؛ أي: هذه تكفر تلك. اهـ[2].

قوله: (وهند بنت عتبة): قال الدحلاني: وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوجُ أبي سفيان وأمُّ ابنه معاويةَ ـ رضي الله عنهم ـ؛ فإنما أهدر صلى الله عليه وسلم دمها؛ لأنها مثلت بعمه حمزة ـ رضي الله عنه ـ يوم أحد، فلما كان يوم الفتح، اختفت في بيت أبي سفيان، ثم أسلمت، وأتته صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٨٨)، والخبر المذكور رواه البخاري (٤٠٧٢) بنحوه.

بالأبطح، وقالت: الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه، لتمسني رحمتُك يا محمد، إني امرأة مؤمنة بالله، مصدقة به، فقال صلى الله عليه وسلم: «مرحباً بك»[1].

وجاء أنها لما أسلمت، عمدت إلى صنم كان في بيتها، فجعلت تضربه بالقدوم وتقول له: كنا منك في غرور، وتمامه فيه[2].

قوله: (وقليل غيرهم): قال الدحلاني: جميع من أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم خمسةَ عشرَ شخصاً ما بين رجل وامرأة[3].

وقد ذكر المصنف هنا تسعة، والستة الباقون هم: عبدالله بن خَطَل، وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، وسارة؛ وهي مولاة لبني المطلب، والحويرث بن نقيد، ومِقْيَس بن صبابة.

أما عبدالله بن خطل، فإنه إنما أمر بقتله؛ لأنه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة، وأسلمَ، وكان اسمُه عبدَ العزى، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم: عبدالله، وبعثه لأخذ الصدقة، وأرسلَ معه رجلاً من الأنصار يخدمه، فنزل منزلاً، وأمر أن يذبح له تيساً ويصنع له طعاماً ونام، ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئاً وهو نائم، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً، وكان شاعراً، فجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم في شعره، وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه، وقد جاء أنه يوم فتح مكة ركب فرسه، ولبس درعه، وأخذ بيده قناة، وصار يقسم: لا يدخلها محمد عنوة، فلما رأى خيل الله، دخله الرعب، فانطلق إلى الكعبة، فنزل عن فرسه، وألقى سلاحه، ودخل تحت أستارها، فأخذ رجل

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٧٦) عن عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٥).

. . . .

سلاحه، وركب فرسه، ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون، فأخبره، فأمره بقتله.

وقيل: لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل: هذا ابنُ خطل متعلقاً بأستار الكعبة، فقال: اقتلوه؛ فإن الكعبة لا تعيذ عاصياً، ولا تمنع من إقامة حد واجب، فقتله سعيدُ بن حريث، وأبو برزة الأسلمي، وقيل: الزبير، وقيل: سعيد بن ذؤيب، وقيل: سعد بن زيد[1]، والظاهر أنهم اشتركوا في قتله جميعاً، وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه، فقتلت إحداهما، واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للأخرى، فأمنها[2].

وأما سارة، فإنما أهدر دمها؛ لأنها كانت مغنية تغني بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم، وهي التي كان معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة، وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة، فقال لها صلى الله عليه وسلم: «ما كان في غنائك ما يغنيك؟» فقالت: إن قريشاً منذ قُتل من قُتل منهم ببدر تركوا الغناء، فوصلها، وأوقر لها بعيراً طعاماً، فرجعت إلى مكة[3].

وكان ابن خطل يلقي إليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتغني به، فاختفت عند فتح مكة، ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاءته وأسلمت، وحسن إسلامها[4].

وأما الحويرث بن نُقَيد ـ بنون وقاف مصغراً ـ ابن وهب بن عبد بن قصيّ،

---

(١) في الأصل: «سعيد»، والتصويب من «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٦).

(٣) انظر: «المغازي» للواقدي (٢/ ٢٨٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٨٤).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٨٤).

ونهى عن قتل أحد سوى هؤلاء إلا من قاتل، فأما جيشُ خالد بن الوليد، فقابله الذُّعرُ من قريش يريدون صدّه، فقاتلهم وقتل منهم أربعة وعشرين، . . . .

فإنما أهدر صلى الله عليه وسلم دمه؛ لأنه كان يُعظِم القولَ فيه صلى الله عليه وسلم، وينشر الهجاء فيه، ويكثر أذاه وهو بمكة، وكان العباس ـ رضي الله عنه ـ حمل فاطمة وأم كلثوم ـ رضي الله عنهما ـ بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة، فنخس الحويرث بهما الجمل، فرمى بهما الأرض، وشارك هبارَ بنَ الأسود في نخس جمل زينبَ ـ رضي الله عنها ـ لما هاجرت، فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه، فقتله عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ، وذلك أنه سأل عنه وهو في بيته، وقد أغلق عليه بابه، فقيل: هو في البادية، فتنحى عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ عن بابه، فخرج يريد أن يهرب من بيت إلى آخر، فتلقاه عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ، فضرب عنقه.

وأما مِقْيَسُ بنُ صُبابة، فإنه كان أسلم، ثم أتى على أنصاري فقتله، وكان الأنصاري قتل أخاه هشامَ بنَ صبابة خطأً في غزوة ذي قَرَد، ظنه من العدو، فجاء مقيسٌ فأخذ الديةَ، ثم قتل الأنصاريَّ، ثم ارتدَّ ورجع إلى قريش، فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه، فقتله غيلةُ بنُ عبدالله الليثي. اهـ. دحلاني[1].

ومِقْيَس كمنبر. «قاموس»[2].

قوله: (فقابله الذعر): صوابه: الزعر ـ بالزاي ـ؛ أي: أهل الشراسة.

قوله: (وأما جيش خالد): قال الدحلاني: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في قبائل منها قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم، وأمره أن يدخل من أسفل مكة، فاندفع خالد حتى دخل مكة من هذه الجهة، وقد

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قيس).

وقُتل من جيشه اثنان، ودخلها عَنْوة من هذه الجهة، وأما جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يصادف مانعاً، وهو عليه الصلاة والسلام راكبٌ راحلتَه، منحنٍ على الرحل تواضعاً لله، وشكراً له على هذه النعمة حتى تكاد جبهتُه تَمَسُّ الرَّحْل، وأسامةُ بن زيد رديفُه، وكان ذلك صبحَ يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان حتى وصل الحَجُون موضع رايته، وقد نُصبتْ له هناك قبة فيها أُمّ سلمة وميمونةُ، فاستراح قليلاً، . . . .

تجمع بها ناس من بني بكر، وبني الحارث بن عبد مناف، وناس من هُذيل الذين استنصرت بهم قريش، فقاتلوا خالداً، ومنعوه الدخول، وشهروا السلاح في وجهه، ورموه بالنبل، وقالوا: لا تدخلها عنوةً، فصاح خالد في أصحابه، فقاتلهم، فانهزموا أقبح الانهزام، وقتل من بني بكر نحو أربعة وعشرين رجلاً، ومن هذيل أربعة، حتى انتهى بهم القتال إلى الحَزْوَرَة، وكانت سوقاً بمكة، ثم دخلوا الدور، وارتفعت طائفة منهم على الجبال هرباً، وتبعهم المسلمون، فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان: يا معشر قريش! علام تقتلون أنفسكم؟ من دخل داره فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن، فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها، ويطرحون السلاح في الطرق، فيأخذه المسلمون. اهـ. ملخصاً[1].

قوله: (وقتل من جيشه اثنان) قال الدحلاني: هما حُبيش بنُ الأشعر الخزاعي أخو أم معبد، وكرزُ بن جابر الفهري[2].

قوله: (راكب راحلته): قال الدحلاني: روى البخاري عن عبدالله بن عمر: أنه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مُردِفاً أسامةَ بنَ زيد خلفه[3].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٣).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٤).

(٣) رواه البخاري (٢٩٨٨).

ثم سار وبجانبه أبو بكر يحادثه، وهو يقرأ سورة الفتح، حتى بلغ البيت، وطاف سبعاً على راحلته، واستلم الحجر بمحجنه، وكان حول الكعبة إذا ذاك ثلاث مئة وستون صنماً، فجعل عليه الصلاة والسلام يطعنها بعودٍ في يدِه، ويقول: «جاء الحقُّ وزَهَقَ الباطِلُ، وما يُبْدِئُ الباطِلُ وما يُعيدُ»، ثم أمر بالآلهة فأُخرجت من البيت! وفيها صورة إسماعيل وإبراهيم في أيديهما الأزلام، فقال عليه الصلاة والسلام: «قاتلهم الله! لقد علموا ما استقسما بها قطّ»[1].

ثم قال: وفي رواية: ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ـ وفي رواية: عمامة سوداء خرقانية ـ واضعاً رأسه الشريف على رحله تواضعاً لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله، وكثرةِ المسلمين، وهو يقول: «اللهم إن العيش عيش الآخرة»، اهـ[2].

قوله: (فجعل عليه السلام يطعنها بعود في يده. . .) إلخ: قال الحلبي: جاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب، فجعل يهوي به إلى كل صنم منها، فيخر لوجهه، وفي لفظ: لقفاه، وفي لفظ: فما أشار لصنم من ناحية وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار لقفاه إلا وقع على وجهه من غير أن يمسه بما في يده، يقول: «﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء: ٨١]»، حتى مر عليها كلها[3].

قوله: (في أيديهما الأزلام): في «القاموس»: هي سهام كانوا يستقسمون

---

(١) رواه البخاري (٤٢٨٨) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٧٢)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٥٨) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٦٣) عن عبدالله بن أبي بكر.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٨)، والخبر المذكور رواه البخاري (٤٢٨٧)، ومسلم (١٧٨١)، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

وهذا أول يوم طُهّرت فيه الكعبة من هذه المعبودات الباطلة وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها من هذه الأدناس سقطت عبادة الأوثان من جميع بلاد العرب إلا قليلاً. ويوشك أن نذكر للقارئ اختفاء آثارها، ومحوَ عبادتها بالكلية.

العفو عند المقدرة

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة، وكبَّر في نواحيها، . . .

بها في الجاهلية[1].

وفي «المصباح»: الزُّلَم ـ بفتح اللام، وتضم الزاي[2] وتفتح ـ: القدح: وجمعهُ أزلام، وكانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الأمر والنهي، وتضعها في وعاء، فإذا أراد أحدهم أمراً، أدخل يدَه، وأخرج قدحاً، فإن خرج ما فيه الأمر، مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي، كَفَّ[3].

والقِدْح ـ بالكسر ـ: اسمُ السهم قبل أن يُراش ويركب نصلُه. اهـ[4].

العفو عند المقدرة

قوله: (دخل الكعبة)؛ أي: وصلَّى بها ركعتين بين العمودين اليمانيين، وفي لفظ: المقدمين، وبينه وبين الجدار ثلاثة أذرع. اهـ. حلبي[5].

قال السهيلي: وأما دخوله عليه السلام، وصلاته فيها؛ فحديثُ بلال

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: زلم).

(٢) في الأصل: «اللام»، والتصويب من «المصباح المنير».

(٣) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: زلم).

(٤) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: قدح).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣١).

ثم خرج إلى مقام إبراهيم، وصلّى فيه ركعتين، ثم شرب من زمزم، وجلس في المسجد، والناس حوله، والعيون شاخصة إليه، ينتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه، وأخرجوه من بلاده وقاتلوه، ولكن هنا تظهر مكارم الأخلاق، التي يلزم أن يتعلم منها المسلم: أن يكون رضاه وغضبه لله، لا لهوى النفس، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، . . . .

أنه صلى فيها[1]، وحديث ابن عباس أنه لم يصل فيها[2]، وأخذ الناس بحديث بلال؛ لأنه أثبتَ الصلاةَ، وابنُ عباس نفى، وإنما يؤخذ بشهادة المثبِت، لا بشهادة النافي، وتمامه فيه[3].

قوله: (ثم خرج إلى مقام إبراهيم وصلى فيه)؛ أي: ركعتين.

قال الحلبي: وكان المقام ملاصقاً للكعبة، ثم أخره[4].

قوله: (ثم شرب من ماء زمزم): قال الحلبي: ثم انصرف صلى الله عليه وسلم إلى زمزم، فاطلع فيها، وقال: «لولا أن تُغلب بنو عبد المطلب ـ أي: يغلبهم الناس على وظيفتهم، وهي النزعُ من زمزم ـ لنزعتُ منها دلواً»[5]، وانتزع له العباس ـ رضي الله عنه ـ، فشرب منه وتوضأ، فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم، وفي لفظ: لا تسقط قطرة إلا في يد إنسان إن كان قدر ما يشربها شربها، وإلا، مسح بها جلده، والمشركون يقولون: ما رأينا ولا سمعنا ملكاً قط بلغ هذا. اهـ[6].

---

(١) رواه البخاري (١١٦٧)، ومسلم (١٣٢٩).

(٢) رواه البخاري (١٦٠١)، ومسلم (١٣٣٠).

(٣) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ١٧٢).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٢).

(٥) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

(٦) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٢).

أخ كريم، وابنُ أخ كـريم، فقـال عليـه الصـلاة والسـلام: «اذهبـوا فـأنتم الطُّلقاء». ويرحم الله الإمام البوصيري حيث قال:

وإذا كـــان القَطْــعُ والوصـــلُ لله تســـاوى التَّقريـــبُ والإقصـــاء

وســـواءٌ عليـــه فيمـــا أَتـــاهُ مَـــنْ سَـــرَّهُ المـــلامُ والإطـــراءُ

قوله: (أخ كريم وابن أخ كريم): القائل: سهيل بن عمرو، والعبـارة فـي الحلبي هكذا: لما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبـة يـوم الفـتح، وضـع يـده على عضاتي الباب ثم قال: «ماذا تقولون؟ ماذا تظنون أنـي فاعـل فـيكم؟» قـالوا: خيراً، فقال سهيل بن عمرو: ونقول خيـراً، ونظـن خيـراً، أخ كـريم، وابـن أخ كريم، قد قدرت، فقال: «أقول كما قال أخـي يوسـف: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ﴾ [يوسف: ٩٢]، اذهبوا فأنتم الطلقاء»[١]؛ أي: الذين أُطلقوا فلم يُسترقوا ولم يؤسروا، والطليق في الأصل: الأسير إذا أُطلق.

فخرجوا، فكأنما نُشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام. اهـ[٢].

وما نقلناه عن الحلبي من قوله صلى الله عليه وسلم: «ماذا تقولـون؟ مـاذا تظنون؟» هو من جملة خطبته الطويلة التي سيذكر المصنف بعضها بعد أسطر.

قوله: (التقريب)؛ أي: للأقارب والبعداء.

وقوله: (الإقصاء)؛ أي: الإبعاد للأقارب والبعداء، ولـم يميـز بأحـدهما قريب ولا أجنبي؛ لأن النظر لرضا الله وامتثال أمره.

وقوله: (عليه)؛ أي: الذي تقريبه وإقصاؤه لله لا غير.

وقوله: (الملام)؛ أي: السب والتنقيص.

وقوله: (والإطراء)؛ أي: المبالغة في المدح حتى بغير الواقع.

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشـام (٥/ ٧٣ ـ ٧٤) عـن بعـض أهل العلم بنحوه. ورواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦١) عن قتادة بنحوه.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٩).

ولــو أنَّ انتقامــه لهــوى النفـــ ـــسِ لــدامتْ قطيعـــةٌ وجفـــاءُ

قــام لله فــي الأمــور فأرضــى اللهَ منـــــه تَبــــايُنٌ ووفـــــاءُ

فِعْـــلُه كلُّــه جميــلٌ وهــل يَنْـــ ـــضَحُ إلا بمــا حَــواهُ الإنــاءُ[1]

وقوله: (قطيعة)؛ أي: للرحم.

وقوله: (وجفاء)؛ أي: إبعاد لها.

وقوله: (تباين) فاعل لـ (أرضى) أي تباين لأعداء الله.

وقوله: (ووفاء)؛ أي: لأولياء الله تعالى من غير تعويل على حظ سوى رضا ربه.

وقوله: (كله جميل)؛ أي: لصدوره على أمتن قوانين الاعتدال، وأحقِّ موازين الكمال.

وقوله: (ينضح)؛ أي: يسيل مما فيه على ظاهره؛ أي: لا ينضح الإناء إلا بما فيه، فمن امتلأ إناء قلبه خيراً، كانت أفعاله المشبهة بما ينضحه الإناء كلها خيراً، ومن امتلأ إناء قلبه شرّاً، كانت أفعاله كلها شرّاً، وهذا من التذييل، وهو أن يأتي بُعيدَ تمام الكلام بجملة تشتمل على معناه تجري مجرى المثل لتوكيد الكلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾[سبأ: ١٧]، ومنه قول النابغة الذبياني:

ولَسْـــتَ بمســـتبقٍ أخـــاً لا تَلُمُّـــه على شَـعَثٍ أيُّ الرجـال المهـذب[2]

وفيه التلميح إلى المثل السائر، وهو: وكل إناء بما فيه ينضح. اهـ. ابن حجر على «شرح الهمزية»[3].

---

(١) انظر: «المنح المكية في شرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي (ص: ٥٥).

(٢) انظر: «ديوان النابغة الذبياني» (ص: ٧٤).

(٣) انظر: «المنح المكية بشرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي (ص: ٤٦٥ ـ ٤٦٨).

ثم خطب عليه الصلاة والسلام خطبةً أبان فيها كثيراً من الأحكام الإسلامية، منها: ألّا يُقتَل مسلم بكافر، ولا يتوارث أهل ملَّتين مختلفتين، ولا تُنكَح المرأة على عمتها أو خالتها، والبينةُ على مَن ادّعى، واليمينُ على من أنكر، ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع ذي محرم، ولا صلاة بعد الصبح والعصر، ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر، ثم قال: «يا معشر قريش! إن الله قد أذهب عنكم نَخْوة الجاهلية وتَعَظُّمَهَا بالآباء، والناسُ من آدم، وآدمُ من تراب، ثم تلا هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ . . . .

قوله: (ثم خطب عليه السلام خطبة. . .) إلخ: قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: فحدثني بعض [أهل العلم][1]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة، فقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كلُّ مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانةَ البيت وسقايةَ الحاج، ألا وقتيلُ[2] الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة؛ مئة من الإبل، أربعون منها في بطونها أولادُها.

(يا معشر قريش! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية. . . إلخ) ما ذكره المصنف[3].

قال في «مختصر النهاية»: النخوة: الكِبْر والعُجْب والأَنفة والحمية[4].

قوله: (﴿مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾)؛ أي: من آدم وحواء، وكل واحد منكم من أب

---

(١) ما بين معكوفتين من «السيرة النبوية» لابن هشام.

(٢) في الأصل: «وإلا قتيل»، بدل «ألا وقتيل»، والمثبت من «السيرة النبوية» لابن هشام.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٧٣).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٣٣).

وأم، فما منكم من أحد إلا وهو يُدلي بمثل ما يدلي به الآخر سواء بسواء، فلا معنى للتفاخر والتفاضل في النسب. اهـ. نسفي[1].

قال الواحدي في «أسباب النزول»: قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس، وقوله في الرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من الذاكر فلانة؟» فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال: «انظر في وجوه القوم»، فنظر، فقال: «ما رأيت يا ثابت؟» فقال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: «فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى»، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2].

وقال مقاتل: لما كان يوم فتح مكة، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً حتى أذن على ظهر الكعبة، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمد غيرَ هذا الغراب الأسود مؤذناً؟ وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل عليه السلام النبيَّ صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا، فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقروا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب، والتكاثر بالأموال، والازدراء بالفقراء. اهـ[3].

قوله تعالى: (﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾): الشعوب: جمع شَعْب ـ بفتح الشين ـ، وهي رؤوس القبائل؛ مثل: ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شعوباً؛ لتشعب القبائل منهم، وقيل: لتجمعهم.

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٤/ ١٦٧).

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٤/ ٢١٧).

(٣) انظر: «أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٩٤ ـ ٣٩٥). وانظر: «تفسير مقاتل ابن سليمان» (٣/ ٢٦٣).

﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[الحجرات: ١٣][١].

ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام، . .

والشعب: الطبقة الأولى من الطبقات الستِّ التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعَمارة ـ بفتح العين ـ، والبطن، والفخد، والفصيلة.

فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل، وخزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب؛ لأن القبائل تشعبت منها.

وبعد الفصيلة العشائر، واحدتها عشيرة، وليس بعد العشيرة شيء يوصف.

وقيل: الشعوب للعجم، والقبائل للعرب، والأسباط من بني إسرائيل.

وقوله تعالى: (﴿لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾)؛ أي: ليعرف بعضُكم بعضاً في قرب النسب وبُعده، لا للتفاخر بالأنساب.

ثم بين الخَصْلة التي بها يفضل الإنسان على غيره، ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى، فقال:

(﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾): في الحديث: «من سره أن يكون أكرم الناس، فليتق الله»، وقيل: أكرمُ الكرم التقوى، وألأمُ اللؤم الفجور. اهـ. نسفي وخازن[٢].

قوله: (ثم شرع الناس يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم): في

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٧٤) عن بعض أهل العلم. وروى أبو داود (٥١١٦)، والإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٦١) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ نحوه.

(٢) انظر: «تفسير النسفي» (٤/ ١٦٧)، و«تفسير الخازن» (٤/ ١٨٤).

الحلبية: وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على الصفا يبايع الناس، فجاءه الكبار والصغار، والرجال والنساء يبايعهم على الإسلام؛ أي: على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً[١].

قوله: (ومن أسلم في هذا اليوم: معاوية)؛ أي: أظهر إسلامَه.

قال في الحلبية: روي عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: لما كان عام الحديبية، وقع الإسلام في قلبي، فذكرت ذلك لأمي، فقالت: إياك أن تخالف أباك فيقطعَ عنك القوت، فأسلمتُ وأخفيت إسلامي، فقال لي يوماً أبو سفيان: أخوك خير منك، هو على ديني، فلما كان يوم الفتح، أظهرت إسلامي، ولقيته صلى الله عليه وسلم، فرحب بي، وكتبتُ له؛ أي: بعد أن استشار فيه جبريلَ عليه السلام، فقال: «استكتبه؛ فإنه أمين»[٢].

وأردفه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً خلفه، فقال: «ما يليني منك؟» قلت: بطني، قال: «اللهم املأه حلماً وعلماً»[٣].

وعن العرباض بن ساريةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب، وقِهِ العذاب»[٤]، وتمامه فيها[٥].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٣).

(٢) رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٣٣١) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٨٨) من حديث معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) رواه الآجري في «الشريعة» (١٩١٠).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٣ ـ ٤٤).

وأبو قُحافةَ والد الصدِّيق ـ رضي الله عنهما ـ، وقد فرح الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً بإسلامه.

وجاء رجل يرتعد خوفاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هَوِّنْ عليك؛ فإني لستُ بملِك، . . . .

قوله: (وممن أسلم: أبو قحافة والدُ الصديق): في الحلبية: لما جلس رسول الله في المسجد، والناس حوله، خرج أبو بكر وجاء بأبيه ـ رضي الله عنه ـ يقوده، وقد كان كُفَّ بصرُه، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال: «هلا تركتَ الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه»، فقال أبو بكر: يا رسول الله! هو أحقُّ أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، فأجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: «أسلم تسلم»، فأسلم[1].

وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر بإسلام أبيه، وعند ذلك قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ للنبي صلى الله عليه وسلم: والذي بعثك بالحق! لإسلامُ أبي طالب كان أقرَّ لعيني من إسلامه، وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقرَّ لعينك[2]، كذا في «الشفاء». اهـ[3]، وتمامه فيها[4].

قوله: (يرتعد)؛ أي: يضطرب، والاسم الرعدة ـ بالكسر والفتح ـ. «قاموس»[5].

وقوله: (هون عليك)؛ أي: سَهِّل عليك وخفف.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٣٤٩) من حديث أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦/ ٣٢٧).

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٢٢).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٢ـ ٣٣).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: رعد).

إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[1].

أما الذين أهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمهم، فقد ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت، فمنهم من حقّت عليه كلمة العذاب فقُتِل، ومنهم من أدركته عناية الله فأسلم، فعبدُالله بنُ سعد بن أبي سرح لجأ إلى أخيه من الرضاع عثمانَ بنِ عفان، وطلب منه أن يستأمن له رسولَ الله، فغيبه عثمان حتى هدأ الناس، ثم أتى به وقال: يا رسول الله! قد أمنتُه فبايعْه، فأعرض عنه عليه الصلاة والسلام مراراً، ثم بايعه، فلما خرج عثمان وعبدُالله قال عليه الصلاة والسلام: «أعرضتُ عنه ليقومَ إليه أحدُكم فيضرب عنقَه»، فقالوا: هلاّ أشرتَ إلينا؟ فقال: «لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنةُ الأعين»[2].

وأما عكرمة بن أبي جهل، فهربَ، فخرجتْ وراءه زوجتُه وبنتُ عمه أُمّ حكيم بنتُ الحارثِ بنِ هشام، وكانت قد أسلمتْ يوم الفتح، وقد أخذت له أماناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحقته، وقد أراد أن يركب البحر، فقالت: جئتك من عند أبرّ الناس، وخيرِهم، لا تهلِكْ نفسَك، وإني قد استأمنته لك، فرجع، ولما رآه عليه الصلاة والسلام، . . . .

في «القاموس»: هوَّنه الله: سهَّله وخفَّفه[3].

و**(القديد)**: اللحم المملوح المجفف في الشمس، فعيل بمعنى مفعول. اهـ. «نهاية»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٦٠) من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٢٦٨٣) من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: هون).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٢٢).

وثـب قائماً فرحاً بـه، وقال: «مرحباً بمن جاءنا مهاجراً مسلماً»، ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له كل عداوة عاداه إيّاها، فاستغفر له[١]، وكان ـ رضي الله عنه ـ بعد ذلـك مـن خيرة المسلمين، وأغيرِهم على الإسلام.

وأما هبَّار بنُ الأسود فهرب، واختفى، حتى إذا كان رسول الله صـلى الله عليه وسلم بالجِعِرَّانة، جاءه مسـلماً، وقـال: يـا رسـول الله! هربـتُ منـك وأردتُ اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمّن جهـل عليك، وكنا يا رسول الله أهلَ شرك، فهدانا الله بـك، وأنقـذنا مـن الهلكـة، فاصفح الصفح الجميل، فقال عليه الصلاة والسلام: «قد عفوتُ عنك»[٢].

وأما الحارث بن هشام، وزهيرُ بن أبي أمية المخزومي، فأجارتهمـا أم هانىء بنتُ أبي طالب، فأجاز عليه الصلاة والسلام جِوارها، ولما قابل رسولُ الله الحارثَ بنَ هشام مسلماً، قال له: «الحمد لله الذي هداك، ما كـان مثلُك يجهل الإسلام»[٣]، وقد كان بعد ذلك من فُضَلاء الصحابة.

وأما صفوان بن أمية، فاختفى، وأراد أن يذهب ويلُقي نفسه في البحر، فجاء ابن عمه عُميرُ بن وهب الجُمحيُّ وقال: يا نبي الله! . . . .

قوله: (ثـم ذكـرتُ عائـدتَك): العائـدة: المعـروف والصـلة، والعطـف والمنفعة. اهـ. «قاموس»[٤].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٦٢ ـ ٦٤) عن الزهري.

(٢) أورده ابن حجر في «الإصابة» (٦/ ٥٢٦)، وعزاه للواقدي من حديث جبيـر بـن مطعم ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٢١٠) من حديث عبدالله بن عكرمة.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عود).

إن صفوانَ سيد قومه، هرب ليقذف نفسه في البحر، فَأَمِّنْهُ، فإنك قد أمّنت الأحمر والأسود، فقال عليه الصلاة والسلام: «أدركِ ابنَ عمك، فهو آمنٌ» فقال: أعطني علامة، فأعطاه عِمامته، فأخذها عُميرٌ حتى إذا لقي صفوان، قال له: فداك أبي وأمي، جئتك من عند أفضل الناس، وأبرّ الناس، وأَحلم الناس، وخير الناس، وهو ابنُ عمك، وعزُّه عزُّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال صفوان: إني أخاف على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، وأراه العمامة علامةَ الأمان، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال له: إن هذا يزعم أنك أمَّنتني؟ قال: «صدق» قال: أمهلني بالخيار فيه شهرين، قال: «أنت بالخيار فيه أربعة أشهر»، ثم أسلم ـ رضي الله عنه ـ، وحسن إسلامه[1].

وأما هند بنتُ عتبةَ، فاختفت، ثم أَسلمت، وجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحبَ بها، وقالت له: واللهِ يا رسول الله! ما كان على ظهر الأرض أهلُ خباء أحبّ إليّ أن يذلُّوا من أهل خبائك، ثم ما أَصبح اليوم أهلُ خباء أحبّ إليّ أن يعزُّوا من أهل خبائك[2].

وفود كعب بن زهير

وأما كعبُ بنُ زهير، فلما ضاقت به الأرض، . . . .

وفود كعب بن زهير

قوله: (وفود كعب بن زهير): هو كعب بنُ زهير بنِ أبي سُلْمى ـ بضم السين ـ بن رِياح ـ بكسر الراء وفتح الياء المثناة ـ، وينتهي نسبه إلى معد بن

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٦) عن الزهري.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٢٥) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

. . . .

عدنان. كان كعب من فحول شعراء العرب المجيدين، وكذلك أخوه بُجَبير، لكن كان كعبَ أشعرَ من بُجير، وكان زهير أبوهما أشعر منهما.

وكان لكعب ابنان شاعران جليلان؛ أحدهما: عقبة، والآخر: العوام، وكان كعب ممن هجا النبي صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام، فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة، خرج ناس هاربين، ومن جملتهم كعبٌ وأخوه بجير، فخرجا من مكة، حتى أتيا إلى أبرق العَزَّاف ـ رملة بالحجاز لبني سعد، وقيل: ماء لبني أسد بين المدينة والربذة على عشرين ميلاً من المدينة الشريفة ـ، فلما وصلا لذلك المكان، قال بجير لكعب: اثبت في الغنم هنا حتى آتي هذا الرجل فأسمع كلامه، وأعرف ما عنده، هل هو مما يستملح ويلوحُ صدقُه فأتبعه، أم لا فأتركه، فأقام كعب هناك، ومضى بجير، فأتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة، فسمع كلامه وآمن به، وأقام عند النبي صلى الله عليه وسلم، فبلغ ذلك لأخيه كعب، فشق عليه إسلامُ بجير، فكتب إليه بهذه الأبيات:

ألا أبلغِا عني بُجَيراً رسالة ... فهل لك فيما قلتَ ويحك هل لكا

سقاك بها المأمونُ كأساً رويَّة ... فأنهلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا

ففارقتَ أسبابَ الهدى واتبعتَه ... على أيِّ شيء وَيْبَ غيرِك دَلَّكا

على مذهبٍ لم تُلْفِ أمّاً ولا أباً ... عليه ولم تعرفْ عليه أخاً لكا

فإن أنتَ لم تفعلْ فلستُ بآسِفٍ ... ولا قائلٍ إمَّا عثرتَ لَعاً لكا

قوله: (فهل لك. . .) إلخ؛ أي: هل لك إرادة فيما قلته من كلمة الشهادة؟

وقوله: (ويحك): كلمة ترحُّم تقال فيمن وقع في مهلكة لا يستحقها، فترحم عليه.

وأراد بـ (المأمون): النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ فقد كانت قريش تسميه:

. . . .

المأمون، والأمين، فهو كما قيل:

ومليحـــةٍ شـــهدت لهـــا ضَـــرَّاتُها   والفضـلُ مـا شـهدَتْ بـه الأعـداءُ[1]

وقوله: (فأنهلَكَ المأمون)؛ أي: فأسقاك، والنَهل ـ بالتحريك ـ: الشربُ الأول.

وقوله: (وعَلَّكا)؛ أي: وأسقاك منها عللاً، والعلَل ـ بالتحريك ـ: الشـرب الثاني.

وقوله: (ويبَ غيرِك)؛ أي: هلكتَ هلاكَ غيرِك، فالويب: الهلاك، وهو بالنصب على إضمار الفعل.

وقوله: (فإن أنت لم تفعل): ما قلته لك من الرجوع للمذهب الـذي كـان عليه أبوك وأمك وأخوك.

وقوله: (لعاً لكا)؛ أي: لا أدعو لك بالسلامة من العثرة؛ لغضبي عليك، فإن (لعاً لك) كلمة دعاء للعاثر بالسلامة من عثرته، وهو دعاء له بأن ينتعش.

فلما وقف بجير عليها، أخبر بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقـال: «مـن لقي كعباً فليقتله»، فأهدر صلى الله عليه وسلم دمه، فكتب بجير إليه ـ بعد أبيات ـ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهدر دمك[2].

فلما بلغ كعباً الكتاب، أتى إلى مزينةَ ـ لتجيره من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبت ذلك، فضاقت عليه الأرض، وأشفق على نفسه، وأرجف بـه مـن كان من عدوه، فقالوا: هـو مقتول، فقال هـذه القصيـدة يمـدح فيهـا رسول الله

---

(1) انظر: «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٨٣)، ولم يُسمِّ قائله.

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٤٧٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨)، عن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى.

ولم يجد له مجيراً، جاء المدينةَ بعد أن قَدِمها رسولُ الله من مكة، فأسلم وأنشد قصيدته التي يقول فيها:

صلى الله عليه وسلم، ثم خرج حتى قدم المدينة، فنزل على رجل من جهينة، فأتى به إلى المسجد، ثم أشار [له][1] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [هذا رسول الله][2]، فقم إليه فاستأمِنْه، فقام إليه حتى جلس بين يديه، فوضع يده في يده، ثم قال: يا رسول الله! إن كعب بنَ زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتك به؟ قال: «نعم»، قال: أنا يا رسول الله كعب[3].

فوثب عليه رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله! دعني وعدَّو الله أضربْ عنقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه عنك، فقد جاءنا تائباً نازعاً»[4]؛ أي: خارجاً من الكفر؛ لأنه أسلم، ثم أنشد قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليوم متبولُ   متيم إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

ثم أنشد القصيدة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع، ومنها الأبيات التي ذكرها هنا المصنف[5].

---

(١) ما بين معكوفتين من «السيرة النبوية» لابن هشام.

(٢) ما بين معكوفتين من «السيرة النبوية» لابن هشام.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٨١ ـ ١٨٢).

(٤) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٨٢) عن عاصم بن عمر بن قتادة.

(٥) انظر: «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٧٤ ـ ٧٨)، و«الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري (ص: ٣ ـ ٥).

وقـالَ كـلُّ صـديقٍ كنـتُ آملُـهُ: لا أُلْهِيَنَّـكَ إنـي عنـكَ مشـغولُ
فقلتُ: خَلُّـوا سـبيلي لا أبـا لَكُـمُ فكـلُّ مـا قَـدَّر الـرحمنُ مفعـولُ
كلُّ ابن أُنثى وإن طالـتْ سـلامتُهُ يومـاً علـى آلـةٍ حـدباءَ محمـولُ

قوله: (كنت آمله)؛ أي: آمُلُ خيرَه، أو معونته؛ لأن الذوات لا تؤمل.

و**(ألهينك)** ـ بضم الهمزة ـ؛ من (ألهى) بمعنى: شغل.

وجملة قوله: (إني عنك مشغول) موضع التعليل لما قبله، فإن كان التعليل على طريـق الاستئنـاف؛ فـ (إن) مكسـورة، وإن كان علـى إضمـار لام التعليـل؛ فـ (أن) مفتوحة الهمزة؛ أي: لأني مشغول عنك بـأمور نفسـي، فـلا تطلـب منـي نصرة ولا معونة[1].

قوله: (خلوا سبيلي)؛ أي: اتركوا طريقي، لا تحبسوني عن المثـول بـين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فيمضي فيَّ حكمه.

وقوله: (لا أبا لكم) كلمة تستعمل للمدح والـذم، و(لا) نافيـة للجـنس، و(أبا) اسمها منصوب بالألف لكونه مضافاً للكاف، والـلام زائـدة لتأكيـد معنـى الإضافة، فهي مقحمة بين المتضايفين.

وقوله: (فكل ما قدر. . .) إلخ: الفاء للتعليل، وكأنه يتيقن أن ما قدره الله له أو عليه لا بد أن يستوفيه، لا محيد عنه، ولا براح له عن استيفائه[2].

قوله: (على آلة حدباء): الآلة: النعش، وهو السرير الـذي يحمَـل عليـه الميتُ، والحدباء: تأنيث أحدب، معناها هنا قيل: الضيقة، وقيـل: المرتفعـة، ومنه: الحدب من الأرض[3].

---

(١) انظر: «الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري (ص: ٦٤).

(٢) انظر: «الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري (ص: ٦٤ ـ ٦٥).

(٣) انظر: «الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري (ص: ٦٦).

نُبِّــئتُ أَن رسـولَ اللهِ أَوْعَـدَني   والعَفْـوُ عنـدَ رسـولِ الله مـأمولُ

مهلاً هداكَ الذي أعطاك نافلـةَ الـ   ـقرآنِ. . . . .

قوله: (أنبئت) جميع ما تقدم توطئة لهذا البيت[1]؛ فإن غرضه التنصلُ والاستعطاف، والوعد: في الخير، والإيعاد: في الشر، ولذا قال بعض العرب في دعائه: يا من إذا وعد وفى، وإذا أوعدَ عفا، قال الشاعر:

وإنـي إذا أوعدتُـه أو وعدتُـه   لمخلفُ إيعادي ومنجِزُ موعدي[2]

وقوله: (والعفو. . .) إلخ: الواو للحال، وإنما أعاد ذكرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لإظهار التعظيم، وللإشعار بالتفخيم، ولأن فيه تكرارَ الاعتراف بالرسالة، وهو مستجلِبٌ للعفو، ومقتضٍ للرضا[3].

قوله: (مهلاً هداك): أصله: إمهالاً، وهو مصدر أُنيب عن فعله، وحذف زائداه: الهمزة والألف.

و**(هداك الذي[4])** خبر لفظاً، ودعاء معنى، ومثله: غفر الله لك.

وقوله: (الذي أعطاك نافلة القرآن)؛ أي: الله الذي أنزل عليك نافلة هي القرآن، فالإضافة للبيان، وسماه نافلة؛ لأنه زائد على العلوم النبوية التي أعطاه إياها، وجعل القرآن زيادة على تلك العلوم، إذ النافلة: العطية المقطوع بها زيادة على غيرها.

---

(١) قال ابن هشام في «شرح قصيدة بانت سعاد» (ص: ٢٩٣): ويروى: نبِّئتُ، وهو بمعناه.

(٢) البيت لعامر بن الطفيل. انظر: «ديوانه» (ص: ٥٨).

(٣) انظر: «الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري (ص: ٦٦ ـ ٦٧).

(٤) في الأصل: «هداك الله» بدل «هداك الذي»، والتصويب من «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٢٩٥).

. . . . فيها مـواعيظٌ وتفصـيلُ

وقال فيها مادحاً:

إنَّ الرسـولَ لسـيفٌ يُستضـاءُ بـه مُهنَّـدٌ مـن سـيوفِ اللهِ مسـلولُ[1]

ولما قال هذا البيتَ، خلع عليه الرسولُ صلى الله عليه وسلم بُردته[2].

وقوله: (فيها مواعيظ)؛ أي: في النافلة التي هي القرآن مواعيظ.

و**(تفصيل)؛** أي: بتبيين ما يحتاج إليه من أمر المعاش والمعاد وأحكام الأصول والفروع للعباد[3].

قوله: (إن الرسول لسيف) هو من قبيل التشبيه البليغ، قال التبريزي: وجعله سيفاً استعارة[4].

وهذا في اصطلاح البيانيين إنما يسمَّى: تشبيهاً مؤكداً، لا استعارة؛ إذ شرط الاستعارة عندهم طيُّ المشبه[5].

وقوله: (مهند)؛ أي: منسوب إلى الهند، وإنما نسب إليه؛ لأن سيوف الهند أحسن السيوف.

قوله: (خلع عليه بردته)؛ أي: التي كانت عليه.

روي: أن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف، فقال: ما كنتُ لأوثرَ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً[6]، فلما مات كعب، بعث معاوية إلى ورثته

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٨٩، ١٩١).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤٠).

(٣) انظر: «الإسعاد على بانت سعاد» للباجوري (ص: ٦٨ ـ ٦٩).

(٤) نقله ابن هشام في «شرح قصيدة بانت سعاد» (ص: ٣٠٩).

(٥) انظر: «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٣٠٩).

(٦) أورده ابن الأثير في «الكامل في التاريخ» (٢/ ١٤٨).

بعشرين ألفاً، فأخذها منهم، وهي البردة التي عند السلاطين إلى اليوم[1].

وعند ابن قانع عن ابن المسيب: أنها التي يلبسها الخلفاء في الأعياد[2]، لكن قال الشامي: ولا وجود لها الآن؛ لأن الظاهر أنها فقدت في وقعة التتار[3].

وقد ذكر الزبيدي[4] في «طبقات النحاة»: أن بندار كان يحفظ تسع مئة قصيدة، كل قصيدة منها: بانت سعاد[5].

وذكر السيوطي منها عشرة، منها قول زهير والد كعب:

بانت سعاد وأمسى حبلُها انقطعا وليتَ وصلاً لنا من حبلها رَجَعا[6]

وزهيرٌ كان من فحول الشعراء كما قدمنا، وكان عمر ـ رضي الله عنه ـ لا يقدم عليه أحداً، ويقول: أشعرُ الناس: الذي يقول: ومَن، [ومَن، ومَن][7]، يشير إلى قوله في معلقته المشهورة:

ومَنْ هابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ولو رامَ أسبابَ السماء بسُلَّم

---

(١) رواه السلفي في «الطيوريات» كما في «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص: ١٩) عن أبي عمرِو بنِ العلاء، وانظر: «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٧٩).

(٢) رواه ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٣٨١).

(٣) نقله الباجوري في «الإسعاد على بانت سعاد» (ص: ٦).

(٤) في الأصل: «الترمذي»، والصواب المثبت.

(٥) انظر: «طبقات النحويين واللغويين» لأبي بكر الزبيدي (ص: ٢٠٨)، وفيه: «مئة» بدل «تسع مئة»، وفي «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطي (١/ ٢٩١): «سبع مئة قصيدة».

(٦) انظر: «شرح شواهد المغني» للسيوطي (٢/ ٥٢٩ ـ ٥٣١).

(٧) أورده ابن هشام في «شرح قصيدة بانت سعاد» (ص: ٧٤)، وما بين معكوفتين منه.

. . . .

ومَــن يــكُ ذا مــالٍ ويَبْخَــلْ بمالــه ... علــى قومــه يُســتَغْنَ عنــه ويُــذْمَمِ

ومَنْ لا يَـزَلْ يسـتحمل النـاسَ نفسَـه ... ولا يُغْنِهـا يومـاً مــن الــدهرِ ينــدمِ

ويروى: يسأم.

ومن يغتـربْ يحسـبْ عـدوّاً صـديقَه ... ومــن لا يُكَــرِّم نفسَــه لا يكــرَّمِ

ومن لا يَـذُدْ عـن حوضِــه بسـلاحِه ... يهــدَّمْ ومــن لا يظلــمِ النــاسَ يُظْلَـمِ

ومــن لا يصــانِعْ فـي أمـورٍ كثيـرة ... يضــرَّسْ بأنيــاب ويوطــأ بمنسِــمِ[1]

المَنْسِم ـ بفتح الميم وكسر السين ـ: طرف خف البعير.

وقد أفضنا ما كتبناه على وفود كعب بن زهير من شرحي «بانت سعاد» لابـن هشام الأنصاري، وللشيخ إبراهيم الباجوري.

وقال ابن هشام: ومما يستحسن من شعر كعب ـ رضي الله عنه ـ:

لو كنتُ أعجبُ مـن شـيء لأعجبني ... سَعْيُ الفتـى وهـو مخبـوء لـه القَـدَر

يسـعى الفتـى لأمـور لـيسَ مُـدْرِكَها ... والــنفسُ واحــدة والهــمُّ منتشِــرُ

والمـرء مـا عـاشَ ممـدودٌ لـه أمـلُ ... لا تنتهي العينُ حتى ينتهـي الأثـر[2]

وقوله أيضاً:

إن كنــتَ لا ترهــب ذَمِّــي لمــا ... تعـرفُ مـن صـفحيِ عـن الجاهـل

فــاخشَ ســكوتي إذا أنــا منصــتٌ ... فيــك لمســموعِ خَنــا القائــل

---

(١) انظر: «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٧٤)، و«ديوان زهير بن أبي سلمى» (ص: ٧٠).

(٢) انظر: «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٧٤).

وأما وحشيٌّ قاتلُ حمزةَ، فكذلك أسلم، وحسن إسلامه، وقبله عليه الصلاة والسلام.

وقد جاءه ابنا أبي لهب: عتبةُ ومعتبٌ، فأسلما وفرح بهما عليه الصلاة والسلام.

فالسامعُ الذمَّ شريكٌ له ... ومطعِمُ المأكولِ كالآكلِ
مقالةُ السوء إلى أهلها ... أسرعُ من منحدرٍ مائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ... ذَمُّوه بالحقِّ وبالباطلِ

اهـ[1].

قوله: (وأما وحشي) تقدم الكلام عليه.

قوله: (عُتْبة ومعتب): عتبة كفرقة، ومُعَتِّب كمحدث ـ بفتح الحاء وتشديد الدال مكسورة ـ.

قال الحلبي: قال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس: «أين ابنا أخيك ـ يعني: أبا لهب ـ عتبةُ ومعتبٌ لا أراهما»، قال العباس ـ رضي الله عنه ـ: قد تنحيا فيمن تنحى من مشركي قريش، قال: «ائتني بهما»، فركبت إليهما فأتيت بهما، فدعاهما إلى الإسلام فأسلما، فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهما، ودعا لهما، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما، وانطلق بهما حتى أتى الملتزم، فدعا ساعة، ثم انصرف والسرورُ يرى في وجهه صلى الله عليه وسلم، فقلت له: سرك الله يا رسول الله، إني أرى السرور في وجهك، قال: «إني استوهبت ابْني عمي هذين من ربي، فوهبهما لي»، وشهدا معه حنيناً والطائف، ولم يخرجا من مكة، ولم يأتيا المدينة، وقُلعت عين معتب في حُنين. اهـ[2].

---

(١) انظر: «شرح قصيدة بانت سعاد» لابن هشام (ص: ٧٥).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٨)، والحديث المذكور رواه =

وكان من الذين اختفوا: سهيلُ بنُ عمرو، فاستأمن له ابنُه عبدُالله، فأمنه عليه الصلاة والسلام، وقال: «إن سهيلاً له عقل وشرف، . . . .

قوله: (كان من الذين استأمنوا[1] سهيلُ بن عمرو) قال الدحلاني: وممن اختفى أيضاً: سهيل بن عمرو، وكان ابنه عبدالله مسلماً، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أماناً، فقال صلى الله عليه وسلم: «هو آمِنٌ بأمان الله، فليظهَرْ» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله: «من لقي سهيلَ بنَ عمرو، فلا يحدَّ النظرَ إليه؛ إن سهيلاً له عقل وشرف، وما مثلُ سهيل يجهل الإسلام»، فخرج ابنه عبدُالله إليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال سهيل: كان ـ والله ـ برّاً صغيراً، برّاً كبيراً، ثم إنه خرج إلى حُنين وهو على شركه، ثم أسلم بالجعرانة ـ رضي الله عنه[2] ـ.

وصار من فضلاء الصحابة، حتى إن الله ثبت به أهلَ مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه وسلم، فكادوا أن يرتدوا، فخطبهم خطبة مثلَ خطبة الصدِّيق رضي الله عنه بالمدينة، وقال فيها: من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حيٌّ لا يموت[3]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[آل عمران: ١٤٤]، فثبتهم الله به، واستشهد ـ رضي الله عنه ـ في اليرموك، وقيل: توفي بالشام في طاعون عمواس. اهـ[4].

= ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/ ٦٠) من حديث العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ.

(١) كذا في الأصل، وفي متن «نور اليقين»: «اختفوا».

(٢) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٧٣) عن محمد بن إبراهيم.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٢٢٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٦٧) عن الحسن بن محمد.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٨٨).

وما مثل سهيل يجهلُ الإسلام». فلما بلغت هذه المقالة سُهيلاً قال: كان ـ والله ـ بَرّاً صغيراً، برّاً كبيراً، ثم أسلمَ بعد ذلك[1].

بيعة النساء

هذا، ولما تمت بيعةُ الرجال، بايعه النساء، وكُنّ يبايعن على ألّا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقن، ولا يزنين، ولا يقتلن أولادهن، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهنّ وأرجلهنّ، ولا يعصين الرسول صلى الله عليه وسلم في معروف.

قوله: (برّاً صغيراً، برّاً كبيراً)؛ أي: عطوفاً مشفقاً.

بيعة النساء

قوله: (بايعه النساء): قال الدحلاني: جاء في رواية، أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال، بايع النساء، وفيهم هندُ بنتُ عتبة منتقبة خوفاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن: «بايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً...» إلخ ما ذكره المصنف، فقالت هند: لما قال: «ولا تسرقن»؛ قالت: والله! إني كنت أُصيب من مال أبي سفيان الهَنَة بعد الهنة ـ الهَنَة بفتح الهاء والنون: الشيء: اليسير؛ كما في «القاموس»[2] ـ وما كنت أدري أكان ذلك حلالاً أم لا؟ فقال أبو سفيان ـ وكان حاضراً ـ: أما ما أصبتِ فيما مضى، فأنت في حِلّ، عفا الله عنك، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، وعرفَها، فقال: «وإنك لهندُ بنتُ عتبة؟» قالت: نعم، فاعفُ عما سلف عفا الله عنك يا نبيَّ الله، ولما قال: «ولا تزنين»؛ قالت: أوتزني يا رسولَ الله

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٢٢٥) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: هنو).

ثم أمر عليه الصلاة والسلام بلالاً أن يؤَذِّنَ على ظهر الكعبة، وهذا بدء ظهور الإسلام على ظهر البيت الكريم، . . . .

الحرةُ؟! ولما قال: «ولا تقتلن أولادكن» ـ وذلك إسقاطُ الأجِنَّة ـ قالت: ربيناهم صغاراً، فقتلتهم كباراً، وفي لفظ: وهل تركتَ لنا ولداً إلا قتلته يومَ بدر، فضحك عمر ـ رضي الله عنه ـ حتى استلقى على قفاه، وتبسم صلى الله عليه وسلم، ولما قال: «ولا تأتين ببهتانٍ تفترينه بين أيديكنّ وأرجلكنّ»؛ قالت: والله! إن إتيان البهتان لقبيح، وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق، ولما قال: «ولا تعصينني في معروف»؛ قالت: والله! ما جلسنا مجلسَنا هذا وفي أنفسنا أنا نعصيك في معروف. اهـ[1].

قال الحلبي: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: البهتان: أن تُلحق بزوجها ولداً ليس منه[2].

وجاء أن بعض النسوة قالت: ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه؟ قال: «لا تَصِحْن ـ وفي رواية: لا تَنُحْنَ ـ ولا تَخْمِشْنَ وجهاً، ولا تنشرْنَ شعراً ـ وفي رواية: ولا تحلقن شعراً ـ، ولا تحرقن قرناً، ولا تشققن جيباً، ولا تدعين بالويل». اهـ[3].

قوله: (أن يؤذن على ظهر الكعبة): قال الحلبي ودحلاني: كان الأذان لصلاة الظهر، وأبو سفيان وعتابُ بنُ أَسِيد ـ وفي لفظ: خالد بن أسيد ـ والحارث

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٢٨٦)، والخبر المذكور رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ١٨١ ـ ١٨٢) عن مقاتل بن سليمان.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٨/ ٧٧).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٦)، والحديث المذكور رواه أبو داود (٣١٣١) من حديث أسيد بن أبي أسيد عن امرأة من المبايعات ـ رضي الله عنها ـ بنحوه.

فلا عجب أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً يحمدون فيه الله حَقَّ حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر العظيم.

وأقام عليه الصلاة والسلام بمكة بعد فتحها تسعةَ عشرَ يوماً يقصر فيها الصلاةَ، وولى عليها عَتَّاب بنَ أَسيد، وجعل رزقَه كل يوم درهماً، . . . .

ابن هشام جلوس بفِناء الكعبة، فقال عتاب، أو خالدٌ أخوه: لقد أكرم الله أَسيداً أن لا يكون يسمع هذا العبدَ، فيسمع منه ما يغيظه، فقال الحارث: أما والله! لو أعلم أنه حق لاتبعته، وفي رواية قال: ما وجد محمد غيرَ هذا الغراب الأسود مؤذناً؟ ولا مانع من وجود الأمرين منه، وقال غير هؤلاء من كفار قريش: لقد أكرم الله فلاناً ـ يعني: أباه ـ إذ قبضه قبل أن يرى هذا الأسودَ على ظهر الكعبة، وفي لفظ: والله! الحدثُ العظيم أن يصبح عبدُ بني جُمَحَ ينهق على بيته، فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمتُ، لأخبرتْ عني الحصباء، فخرج عليهم النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال لهم: «لقد علمتُ الذي قلتم»، ثم ذكر لهم ذلك، فقال: «أما أنت يا فلان، فقد قلتَ كذا، وأما أنت يا فلان، فقد قلت كذا»، فقال أبو سفيان: أما أنا يا رسول الله، فما قلت شيئاً، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: نشهد أنك رسول الله، والله! ما اطلع على هذا أحدٌ معنا فنقول: أخبرك. اهـ[1].

قوله: (هذا اليوم)، وهو العشرون من رمضان على ما قدمه المصنف.

قوله: (تسعة عشر يوماً)، وقيل: ثمانية عشر يوماً.

قوله: (وولى عليها عَتَّاب بن أَسيد): ـ بتشديد التاء، وبفتح همزة (أسيد) ـ ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أسلم عتابٌ ـ رضي الله عنه ـ يوم الفتح، فولاه النبي صلى الله عليه وسلم مكة عند مخرجه إلى حنين في العشر

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٥٤)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٢٩٥)، والخبر المذكور أورده مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) بنحوه.

فكان عَتَّابٌ ـ رضي الله عنـه ـ يقول: لا أشبعَ الله بطناً جاع على درهم كُلَّ يوم.

الأول من شوال سنة ثمان من الهجرة، وكان عمره إحدى وعشرين سـنة[١]، وجعـل معه معاذَ بنَ جبل الأنصاريَّ، وهبيرةَ بنَ شبل ـ رضي الله عنهما ـ يعلمـان النـاس القرآن والفقه والدين، ولم يزل والياً على أهل مكة إلى وفاة سيدنا أبي بكـر الصـديق رضي الله عنه، وكانت وفاته ووفاة سيدنا أبي بكر في يوم واحد، وقيل: إن عتاباً توفي يوم ورود خبر وفاة أبي بكر لأهل مكة. اهـ. من «أعلام الأعلام فـي أمـراء البلد الحرام» للسيد الدحلاني[٢].

قوله: (فكان عتاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: لا أشبع الله له بطناً. . .) إلـخ: قال الحلبي: يروى أنه قام فخطب الناس فقال: أيها الناس! أجاع الله كبَـد مـن جـاع على درهم؛ أي: له درهم، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهماً في كل يوم[٣]، فليست لي حاجةٌ إلى أحد. اهـ[٤].

ومما يجدر ذكره هنا: ما ذكره ابن خلكان في ترجمة القاضي يحيى بـن أكـثم قال: ذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» أن يحيى بن أكثم ولي قضاء البصرة وسنه

---

(١) في هامش الأصل: «قال الحلبي: وفي كلام سبط ابن الجوزي: عتاب بن أسـيد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل مكة لما خرج إلى حنـين وعمـره ثماني عشرة سنة. اهـ».

(٢) انظر: «خلاصـة الكلام في بيان أمراء البلد الحـرام» لأحمــد بـن زينـي دحـلان (ص: ٩ ـ ١٠).

(٣) في الأصل: «في كل يوم درهماً في كل يوم» بدل «درهماً في كل يوم»، والمثبت موافق لما في «السيرة الحلبية».

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٠)، والخبر المذكور أورده ابـن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ١٧٨) عن زيد بن أسلم.

هدم العُزَّى

وفي الخامس من مُقامه عليه الصلاة والسلام بمكة أرسل خالدَ بنَ الوليد في ثلاثين فارساً لهدم هيكل العُزّى ـ وهي أكبر صنم لقريش، وكان هيكلها ببطن نَخْلة ـ فتوجه إليها خالد وهدمها.

عشرون سنة ونحوها، فاستصغره أهلُ البصرة فقالوا: كم سن القاضي؟ فعلم أنه قد استُصغر، فقال: أنا أكبرُ من عتاب بن أَسيد الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على مكة يوم الفتح، وأنا أكبرُ من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً على اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قاضياً على أهل البصرة، فجعل جوابه احتجاجاً. اهـ[1].

هدم العزى

قوله: (لهدم هيكل العزى): قال الدحلاني: اختلف في المراد من العزى؛ فقيل: شجرة، وقيل: صنم وضعه سعد بن ظالم الغطفاني لما قدم مكة ورأى أهلَها يطوفون بين الصفا والمروة، فأخذ من كلٍّ حجراً، ونقلهما إلى نخلة، وهو موضع على ليلة من مكة، وكانت العزى لقريش وجميع بني كنانة، وحجابُها بنو شيبان من بني سليم، وكانوا حلفاء بني هاشم، وكانت أعظم أصنامهم، وذلك أن عمرو بن لُحَي ـ لعنه الله ـ قال لهم: إن الرب يشتي عند اللات، ويصيف عند العزى، فعظموها، وبنوا لها بيتاً، وكانوا يُهدون لها كما يهدون للكعبة، ويعظمونها، ويطوفون وينحرون عندها، ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها؛ لأنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده. اهـ[2].

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٦/ ١٤٩). وانظر: «تاريخ بغداد» للخطيب (١٤/ ١٩٩).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٠٤).

هدم سُوَاع

وأرسل عليه الصلاة والسلام عمرَو بنَ العاص لهدم سُواع ـ وهو أعظم صنم لهُذَيل ـ وهيكلُه على ثلاثة أميال من مكة، فذهب إليه وهدمه.

هدم سواع

قوله: (فذهب إليه وهدمه): قال الدحلاني: قال عمرو بن العاص: فانتهيت إلى سواع، وعنده السادن قال: ما تريد؟ فقلت: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه، قال: لا تقدر على ذلك، فقلت: لمَ؟ قال: يمنعك، قلت: حتى الآن أنت على الباطل؟ ويحك! وهل يسمع أو يبصر حتى يمنعني؟ قال: فدنوتُ منه فكسرته، وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته، فلم نجد فيه شيئاً، ثم قلت للسادن: كيف رأيت؟ فقال: أسلمتُ لله ربِّ العالمين. اهـ[1].

وقال قبل ذلك: قال ابن جرير: سواع بن شيث بن آدم لما مات، صُوِّرت صورته وعظمت؛ لموضعه من الدين، ولِما عهدوا في دعائه من الإجابة، وأولاده: يغوث ويعوق ونَسْر، فلما ماتوا، صُوِّرت صورُهم، فلما خلفت الخلوف، قالوا: ما عظم هؤلاء آباؤنا إلا لأنها ترزق وتشفع وتضر، فاتخذوها آلهة[2].

قال السهيلي: وكان بدء عبادتها في عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام[3].

وفي البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب، وهي أسماء قوم صالحين، فلما هلكوا، أوحى الشيطان

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٠٦)، والخبر المذكور رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٩٠) عن سعيد بن عمرو الهذلي.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٩٨ ـ ٩٩) عن محمد بن قيس، بنحوه.

(٣) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (١/ ١٦٨).

هدم مناة

وبعث سعدَ بن زيد الأشهليَّ في عشرين فارساً لهدم مناةَ، وهي صنم لكلب وخزاعةَ. وهيكلُها بالمُشَلَّلِ، وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه إلى قُدَيْد. فتوجهوا إليها وهدموها.

غزوة حُنين

إلى قومهم: أن انصبوا في مجالسهم التي كانوا يجلسونها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، فلم تُعبد، فلما هلك أولئك، ونسخ العلم، عُبدت. اهـ[1].

هدم مناة

قوله: (لهدم مناة): قال الدحلاني: هي صنم للأوس والخزرج، ومن دانَ دينَهم، وقيل: إنها أيضاً لهذيل وبني كعب وخزاعة وغسان[2].

قوله: (وهيكلها بالمشلل)، وهو ـ بضم الميم وفتح الشين واللام الأولى المشددة ـ: جبل على ساحل البحر يهبط منه إلى قديد.

قوله: (فتوجهوا إليها وهدموها): قال الدحلاني: خرج سعد حتى انتهى إليها وعليها سادن، فقال له: ما تريد؟ قال: أريد هدم مناة، قال: أنت وذاك؛ تهكماً، لظنه أنه لا يقدر عليها، فأقبل إلى الصنم ومعه أصحابه فهدمه، ولم يجدوا في خزانته شيئاً، وانصرف راجعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم. اهـ. باختصار[3].

غزوة حنين

قوله: (غزوة حنين): هو اسمُ موضعٍ من الطائف، وفي كلام بعضهم:

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦)، والخبر المذكور رواه البخاري (٤٩٢٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٠٦).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٠٦).

بهذا الفتح العظيم، وسقوطِ دولة الأوثان، دانت للإسلام جموعُ العرب، ودخلوا فيه أفواجاً. أما قبيلتا هوازن وثقيف، فأدركتهما حَمِيَّةُ الجاهلية، واجتمع الأشرافُ منهم للشورى، وقالوا: قد فرغَ محمد من قتال قومه، ولا ناهية له عنّا، فَلْنَغْزُه قبل أن يغزونا. فأجمعوا أمرهم على ذلك، وولّوا رياستهم مالكَ بنَ عوف النَّصْريَّ، فاجتمع له من القبائل جموعٌ كثيرة، فيهم بنو سعدِ بنِ بكر، الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضَعاً فيهم، وكان في القوم دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّة المشهورُ بأصالة الرأي، وشدةِ البأس في الحرب، ولتقدم سنِّه لم يكن له في هذه الحرب إلا الرأي، ثم إن مالك بن عوف أمر الناس أن يأخذوا معهم نساءَهم وذراريهم وأموالهم، ....

إلى جنب ذي المجاز، وهو سوق الجاهلية، وفي كلام بعض آخر: اسمٌ لما بين مكة والطائف، ويقال لها: غزوة هوازن، وغزوة أوطاس باسمِ الموضع الذي كانت به الوقعة في آخر الأمر. اهـ. حلبي[1].

قوله: (فأدركتهما حمية الجاهلية)؛ أي: وكان أهلها طغاةً عتاةً مَرَدَة. اهـ. حلبي[2].

قوله: (ولا ناهية له عنا)؛ أي: لا مانع له دوننا.

قوله: (مالك بن عوف)؛ أي: وكانت سنه ثلاثين سنة.

قوله: (ولتقدم سنه...) إلخ: قيل: كان سنه مئة وعشرين سنة، وقيل: مئة وخمسين، وقيل: مئة وسبعين، وقيل: قارب المئتين، وقد عمي[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦١).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦١).

فلما علم ذلك دُريد، سأل مالكاً عن السبب، فقال: سقتُ مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم لأجعلَ خلفَ كلِّ رجل أهلَه وماله يقاتل عنهم، فقال دريد: وهل يردّ المنهزمَ شيء؟ إن كانت لك، لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورُمحه، وإن كانت عليك، فُضِحت في أهلك ومالك، . . . .

قوله: (فلما علم بذلك دريد): قال الحلبي: لما نزل مالك بن عوف بأوطاس، اجتمع إليه الناس، وفيهم دريد بن الصمة، فقال دريد للناس: بأي واد أنتم؟ قالوا: بأوطاس، قال: نعم، مجال الخيل، لا حزنٌ ضرْس، ولا سهل دَهْس[1]، ثم قال: ما لي أسمعُ رُغاء البعير ونُهاقَ الحمير ـ بضم النون ـ وخوار البقر ويُعار الشاء ـ بضم الياء ـ ؛ أي: أصوات هذه الأشياء؟ قالوا: ساق مالك ابن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، فاستدعاه وقال: يا مالك! أما إنك قد أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائنٌ له ما بعدهَ من الأيام، ما لي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم، قال: ولم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، فأنقضَ به؛ أي: زجره كما تزجر الدابة، ثم أشار عليه برد الذرية والأموال، وقال له ما ذكره المصنف، فلم يقبل منه مالك وقال: والله! لا أُطيعك، إنك قد كبرتَ وضعف رأيُك، فقال دريد لهوازن: قد شرط أن لا يخالفني، فقد خالفني، فأنا أرجع إلى أهلي، فمنعوه، وقال مالك: والله! لتطيعنني يا معشر هوازن، أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها رأي أو ذكر، قالوا: أطعناك. اهـ. حلبي ملخصاً[2].

---

(١) في هامش الأصل: «الحزن: ضد السهل، والضرس بكسر الضاد: ما صلب من الأرض، والدهس بفتح الدال: اللين كثير التراب».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٢).

فلم يقبلْ مالك مشورته، وجعل النساءَ صفوفاً وراء المقاتلة، ووراءهم الإبل، ثم البقر، ثم الغنم؛ كيلا يفر أحد من المقاتلين.

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لما بلغه أن هوازن وثقيف يستعدون لحربه، أجمع رأيه على المسير إليهم، وخرج معه اثنا عشر ألفَ غازٍ، منهم ألفان من أهل مكة، والباقون هم الذين أتوا معه من المدينة، وخرج أهلُ مكة ركباناً ومشاة، حتى النساء يمشين من غير ضعفٍ يرجون الغنائم، وخرج في الجيش ثمانون من المشركين، منهم: صفوانُ بنُ أمية، وسُهيل بنُ عمرو، ولما قرب الجيش من معسكر العدو، صَفَّ عليه الصلاة والسلام الغزاةَ، وعقدَ الألوية، فأعطى لواء المهاجرين لعليّ بن أبي طالب، ولواء الخزرج للحُبَاب بن المنذر، ولواء الأوس لأُسَيد بن حُضَير، وكذلك أعطى ألويةً لقبائل العرب الأخرى. ثم ركب عليه الصلاة والسلام بغلته، . . .

قوله: (كيلا يفر أحد من المقاتلين)؛ أي: وقال للناس: إذ رأيتموهم شدوا عليهم شدةَ رجلٍ واحد.

قوله: (لما بلغه أن هوازن يستعدون لحربه. . .) إلخ: قال الحلبي: لما بلغه اجتماعهم، أرسل إليهم رجلاً من أصحابه، وهو عبدُالله بنُ أبي حَدْرَدٍ الأسلميُّ، وأمره أن يدخل فيهم، ويسمع منهم ما أجمعوا عليه، فدخل فيهم، ومكث فيهم يوماً أو يومين، ثم أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره الخبر، وجاءه رجل فقال: يا رسول الله! إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا، فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم، بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال: «تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله تعالى». اهـ[1].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٣)، والحديث المذكور رواه أبو داود (٢٥٠١) من حديث سهل ابن الحنظلية ـ رضي الله عنه ـ.

ولبس درعين والبيضة والمِغفر .

هذا، وقد أُعْجب المسلمون بكثرتهم، فلم تُغْـنِ عـنهم شـيئاً؛ فـإن مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو، فخرج لهم كمين كـان مسـتتراً فـي شِعاب الوادي ومضايقه، وقابلهم بنبلٍ كأنه الجـراد المنتشـر، فلـووا أعنّـة خيلهم متقهقرين، ولما وصلوا إلـى مـن قـبلهم، تبعـوهم فـي الهزيمـة لمـا لحقهم من الدهشة، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فثبتَ علـى بغلتـه في ميدان القتال، وثبت معه قليل من المهاجرين والأنصار، . . . .

قوله: (ولبس درعين) قال الحلبي: هما ذاتُ الفضول، والسغدية، وهـي درع داودَ عليه السلام التي لبسها حيت قتل جالوت[1].

ويؤخذ منه: أن لا مانعَ من الاستعداد للعدو، واتخاذ الإنسان مـا يقـي بـه نفسه، وأن ذلك لا ينافي التوكل.

قوله: (في شعاب الوادي ومضايقه): قال الحلبي: كان ذلك بإشارة دريد ابن الصمة، فإنه قال لمالك: اجعل لك كميناً يكون لك عوناً إن حمل القوم عليك، جاءهم الكمين من خلفهم، وكررتَ أنت بمن معك، وإن كانت الحملة لك، لم يفلت من القوم أحد[2].

قوله: (تبعوهم في الهزيمة): قال الحلبي: ويقال: إن الطلقاء، وهم أهل مكة، قال بعضهم لبعض ـ أي: من كان إسلامه مدخولاً منهم ـ: اخذلوه، هـذا وقته، فانهزموا، فهم أولُ من انهزم، وتبعهم الناس[3].

قوله: (قليـل من المهاجرين والأنصار): قيـل: مئـة، وقيـل: ثمانون،

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٤).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٤).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٥).

منهم: أبو بكر، وعمر، وعلي، والعباسُ وابنُه الفضل، وأبـو سـفيانَ بـنُ الحارث وأخوه ربيعةُ بنُ الحارث، ومعتبُ بن أبي لهـب، وكـان العبـاس آخِذاً بلجام البغلة، وأبو سفيان آخِذاً بالركاب، وكان عليه الصلاة والسلام ينادي: «إليَّ أيّها الناس»[1]، ولا يلوي عليه أحـد، وضـاقت بـالمنهزمين الأرض بما رحبت. أما رجـال مكـة الـذين هـم حـديثو عهـد بالإسـلام، والذين لم ينزعوا عنهم رِبْقَةَ الشرك، فمنهم مَنْ فرح، ومنهم مَنْ ساءه هذا الإدبار، فقال أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتُهم دون البحـر. وقـال أخٌ لصفوانَ بنِ أمية: الآن بطـل السـحر. فقـال لـه صـفوان ـ وهـو علـى شركه ـ: اسكتْ، . . . .

وقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرة، وقيل: كانوا ثلاث مئة، ولا مخالفـة؛ لإمكـان الجمع[2].

قوله: (وأبو سفيان) هو ابنُ عمه صلى الله عليه وسلم، وهو الحـارث بـن عبد المطلب، وقد ذُكر خبرُ مجيئه وإسلامه قريباً.

قوله: (ربقة الشرك): الربقة: ـ بكسر الراء وفتحها ـ.

قال في «القاموس»: الربق ـ بالكسر ـ: حبل فيه عدةُ عُرًى يشد به الـبهم، كلُّ عروة: رِبْقة. اهـ[3].

قوله: (فقال أبو سفيان. . .) إلخ؛ أي: وكان إسلامه بعدُ مدخولاً، وكانـت الأزلام في كنانته.

---

(1) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧٦) من حديث جـابر بـن عبـدالله ـ رضـي الله عنهما ـ.

(2) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٥).

(3) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: ربق).

فَضَّ الله فاك، والله! لأَنْ يَرُبَّني رجل من قريش خيرٌ من أن يَرُبَّني رجل من هوازن. ومرّ عليه رجل من قريش وهو يقول: أبشرْ بهزيمة محمدٍ وأصحابه، فو الله! لا يجبرونها أبداً، فغضب صفوانُ وقال: ويلك! أتبشرني بظهور الأعراب؟ وقال عكرمة ابن أبي جهل لذاك الرجل: كونهم لا يجبرونها أبداً ليس بيدك، الأمرُ بيد الله، ليس إلى محمد منه شيء، إن أُديل عليه اليوم، فإن العاقبة له غداً، فقال سهيل بنُ عمرو: والله! إن عهدك بخلافه لَحديث، فقال له: يا أبا يزيد! إنّا كنا على غير شيء، وعقولنا ذاهبة، نعبد حجراً لا يضرّ ولا ينفع. وبلغت هزيمة بعض الفارّين مكة، كل هذا ورسولُ اللهِ واقف مكانه يقول:

«أنا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»[1]

قوله: (فض الله فاك)؛ أي: أسقطَ أسنانك. اهـ. حلبي[2].

قوله: (لأن يربني رجل من قريش) هو من الربوبية؛ أي: يملكني ويدبر أمري.

قوله: (إن أديل عليه اليوم): الإدالة: الغَلَبة؛ أي: لَئِنْ غُلِبَ اليوم.

قوله: (إن عهدك بخلافه لحديث)؛ أي: إنك كنت عدوه منذ أمد قريب، ونراك اليوم تدافع عنه.

قوله: (أنا ابن عبد المطلب): إنما قال ذلك، ولم يقل: أنا ابن عبدالله؛ لأن العرب كانت تنسبه إلى جده لشهرته، ولموتِ عبدالله في حياته، وأخذ من هذا: أنه لا بأس بالانتساب في موطن الحرب. اهـ. حلبي[3].

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٤) من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٧٠).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٨).

ثم قال للعباس ـ وكان جَهْوَرِيَّ الصوت ـ : «نادِ بالأنصار يا عباس»، فنادى: يا معشر الأنصار! يا أصحاب بيعة الرضوان! فأسمعَ مَنْ في الوادي[1]، وصار الأنصار يقولون: لبَّيك لبَّيك، ويريد كل واحد منهم أن يلوي عِنان بعيره، فيمنعه من ذلك كثرةُ الأعراب المنهزمين. فيأخذ درعَه فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، وينزل عن بعيره، ويخلي سبيله، ويؤمُّ الصوتَ، حتى اجتمع حولَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عظيم منهم. وأنزل الله سكينته على رسوله صلى الله عليه وسلم، . . . .

قوله: (جَهْوَري الصوت) ـ بسكون الهاء وفتح الواو ـ؛ أي: عالي الصوت.

قوله: (يا أصحاب بيعة الرضوان) يشمل المهاجرين كما تفيده عبارة الحلبي، ونصها: وفي لفظ ـ أي: في رواية ـ : «اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، وبالأنصار الذين آووا ونصروا»[2]، وإنما خص صلى الله عليه وسلم العباسَ بذلك؛ لأنه كان عظيم الصوت، كان صوته يُسْمَع من ثمانية أميال، كان يقف على سلع وينادي غلمانه آخرَ الليل وهم بالغابة، فيسمِعُهم، وبين سلع والغابة ثمانية أميال، وغارت الخيل يوماً على المدينة، فنادى: وا صباحاه! فلم تسمعه حامل إلا وضعت من عظم صوته! اهـ[3].

قوله: (جمع عظيم منهم): قال الحلبي: لما انتهى إليه من الناس مئة، استقبلوا الناسَ فاقتتلوا، وأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القوم

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٦٥٣) من حديث العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٩٢) من حديث شيبة بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨٤): وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٥ ـ ٦٦).

وهم يجتلدون، فقال صلى الله عليه وسلم: «الآنَ حَمِيَ الوَطيس»[1]، وهو حجارة توقد العربُ تحتها النارَ يشوون عليها اللحم، والوطيس في الأصل: التنور، وهذه من الكلمات التي لم تُسْمَع إلا منه صلى الله عليه وسلم، وهي مَثَلٌ يضرَب لشدة الحرب[2].

قوله: (وأنزل جنوداً لم يروها): قال الحلبي: حدَّث رجل كان من المشركين يوم حنين، قال: لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يقوموا لنا حلبةَ شاة أن كشفناهم، قال: فبينما نحن نسوقهم، ونحن في آثارهم، إذ صاحبُ بغلةٍ بيضاء، وإذا هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسانُ الوجوه، وقالوا: شاهت الوجوه، ارجعوا، فانهزمنا من قولهم، وركبوا أجسادنا، فكانت إياها. اهـ[3].

وقال الدحلاني: أنزل الله من الملائكة خمسة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف، وقيل: ستة عشر ألفاً، فقيل: إنهم قاتلوا، وقيل: لم يقاتلوا، وإنما نزلوا لإلقاء السكينة في قلوب المؤمنين بإلقاء الخواطر الحسنة. اهـ[4].

وفي ذلك الوقت تناول النبي صلى الله عليه وسلم كفّاً من تراب، فضرب به وجوههم، فامتلأت تراباً.

وعن أبي عبد الرحمن الفِهْرِيِّ قال: حدثني أبناؤهم عن آبائهم: أنهم

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٠٧) من حديث كثير بن العباس ـ رضي الله عنهما ـ. ورواه مسلم (١٧٧٥) من حديث العباس ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «هذا حين حمي الوطيس».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٦).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٦٨ ـ ٦٩).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣١٤).

فكرَّ المسلمون على عدوهم يداً واحدة، فانتكث فَتْلُ المشركين. وتفرقوا في كل وجه لا يلوون على شيء من الأموال والنساء والذراري، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فأخذوا النساء والذراري، وأسروا كثيراً من المحاربين، وهرب من هرب، . . . .

قالوا: لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً، وسمعنا صلصلة من السماء كإمرار الحديد على الطست، ولما رماهم به قال: «شاهت الوجوه، حَمَ، لا يُنَصرون»[1]، وهذا الرمي وقع في هذه الغزوة، وفي غزوة بدر، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[الأنفال: ١٧]، إلى ذلك أشار صاحب «الهمزية» بقوله:

ورمى بالحَصا فأقصَدَ جيشاً … ما العَصا عندَه وما الإلقاءُ[2]

اهـ. دحلاني[3].

قوله: (فانتكث فتلُ المشركين): المراد بالنكث هنا: النقض، والفتل: ما كان مفتولاً من ورق الشجر ونحوه.

قوله: (وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون): كان في جملة من قُتل: دريدُ ابن الصمة، ففي «السيرة الحلبية»: أدركَ ربيعةُ بنُ رفيع دريدَ بنَ الصمة، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، فإذا هو بشيخ كبير أعمى، ولا يعرفه الغلام، فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك، قال: ومن أنت؟ قلت: أنا ربيعة

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٩٢) من حديث شيبة بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٨٤): وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف.

(٢) انظر: «المنح المكية بشرح الهمزية» لابن حجر الهيتمي (ص: ٣٣١).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣).

وجُرح في هذا اليوم خالد بن الوليد جراحاتٍ بالغةً، وأسلمَ نـاس كثيـرون من مشركي مكة لما رأوهُ من عناية الله بالمسلمين.

هذا، والذي حصل في هذه الغزوة درسٌ مهمٌّ من دروس الحـرب؛ فإن هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين وأعراب وحـديثي عهـد بالإسلام، هؤلاء سِيَّان عندهم نصرُ الإسلام وخذلانه، ولذلك بادروا لأول صدمة إلى الهزيمة، وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضـل الله، فـلا ينبغي أن يكون في الجيش إلا من يقاتل خالصاً مخلصاً مـن قلبـه؛ ليكـون مدافعاً حقاً عن دينه، فلا تميل نفسُه إلى الفرار؛ خشيةً مما أعـدّه الله للفـارّين من أليم العقاب.

ابن رفيـع السلمي، ثم ضربـه بسيفـه فلم يغن شيئـاً، فقال لـه يسخر بــه: بـئس ما سلحتك أمك، خذ سيفي هذا من مؤخرة الرحل، ثم اضـرب بـه وارفـع عـن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أضرب الرجال، ثم قال: إذا أتيت أمك، فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فـربَّ يـومٍ قـد منعـتُ فيـه نسـاءك، فقتله، فلما أخبر ربيعة أمه بقتله، فقالت له: أما والله! لقد أعتق اثنين بل ثلاثـاً، وقالت له: ألا تكرمت عن قتله لما أخبرك بمنه علينا؟ فقال: ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله. اهـ[1].

وقال السجستاني في كتاب «المعمرين»... إلخ[2].

قوله: (وجرح في هـذا اليـوم خالـدُ بن الوليد...) إلخ: قـال الحلبـي: وجرح خالـد بن الوليـد ـ رضي الله عنـه ـ، فتفل النبي صلى الله عليـه وسلم في

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٧٢).

(٢) كذا في الأصل، والموضع المشار إليه من الكتاب المـذكور يتضـمن ترجمـة مـوجزة لدريد بن الصمة، مع بعض أبيات الشعر والحِكَم التي قالها. انظر: «المعمرون» لأبي حاتم السجستاني (ص: ٢١ ـ ٢٢).

ثم أمر عليه الصلاة والسلام بجمع السبي والغنائم، وكانت نحو أربعة وعشرين ألف بعير، وأكثر من أربعين ألف شاة، وأربعة آلاف أوقية من الفضة، فجمع ذلك كله بالجِعرَّانة. أما المشركون، فتفرقوا ثلاث فرق: فرقة لحقت بالطائف، وفرقة لحقت بنخلة، وفرقة عسكرت بأوطاس.

سرية [أبي عامر الأشعري ـ رضي اللّه عنه ـ إلى أوطاس]

فأرسل عليه الصلاة والسلام لهذه الفرقة أبا عامرٍ الأشعريَّ في جماعة، منهم: أبو موسى الأشعريّ، فسار إليهم وبدَّدهم، وظفر بما بقي معهم من الغنائم. وقد استُشهد أبو عامرٍ في هذه الغزوة، وخلَّف على الغزاة ابنَ أخيه أبا موسى، فرجع ظافراً منصوراً.

جرحه، فلم يضره.

وعن بعض الصحابة قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بعدما هزم الله الكفار، ورجع المسلمون إلى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول: «من يدلني على رحل خالدِ بن الوليد؟» حتى دُلَّ عليه، فوجده قد أسند إلى مؤخرة رحله؛ لأنه قد أثقل بالجراحة، فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في جرحه فبرئ. اهـ[(١)].

سرية

قوله: (سرية): عنونها السيد الدحلاني بـ: سرية أبي عامر الأشعري، قال: وهو عم أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ، وتسمى هذه السرية: غزوة أوطاس، ولما انتهى إليهم أبو عامر، وجدهم مجتمعين، فناوشوه القتال، وقتل منهم أبو عامر تسعةَ إخوة مبارزةً بعد أن يدعوَ كلَّ واحد منهم إلى الإسلام، ويقول: اللهم اشهدْ عليه أني دعوته إلى الإسلام فلم يجب، ثم برز له العاشر،

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٧٤ ـ ٧٥)، والخبر المذكور أورده السهيلي في «الروض الأنف» (٤/ ٢٦٧)، وقال: ذكره الكشي.

غزوة الطائف

وسار عليه الصلاة والسلام بمن معه إلى الطائف؛ ليُجْهِز على بقية حياة ثقيف، ومن تجمَّع معهم من هوازن، وجعل على مقدمته خالدَ بنَ الوليد، ومرّ عليه الصلاة والسلام بحصن لمالكِ بنِ عوف النَّصري، فأمر بهدمه. ومرَّ ببستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه، فأرسل إليه أَنِ اخرجْ وإلا حَرَّقنا عليك بستانك، فامتنع الرجل، فأمر عليه الصلاة والسلام بحرقه. ولما وصل المسلمون إلى الطائف، وجدوا الأعداء قد تحصَّنوا به، وأدخلوا معهم قوتَ سنتهم، فعسكر المسلمون قريب الحصن. فرماهم المشركون بالنَّبل رمياً شديداً حتى أُصيب منهم كثيرون بجراحات، . . . . .

فدعاه إلى الإسلام وقال: اللهم اشهدْ عليه، فقال: اللهم لا تشهد عليَّ، فكف عنه أبو عامر ظناً منه أنه أسلم، فأفلتَ، ثم أسلمَ بعدُ فحسن إسلامه، فكان صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال: «هذا شريدُ أبي عامر». اهـ[1].

غزوة الطائف

قوله: (وجعل على مقدمته خالد بن الوليد): قال الدحلاني: أرسل معه ألفاً من أصحابه[2].

قوله: (فأمر عليه السلام بحرقه): قال في «زاد المعاد»: يؤخذ منه: جواز قطع شجر الكفار إذا كان ذلك يُضعفهم ويغيظهم، وهو أنكى فيهم. اهـ[3].

قوله: (فعسكر المسلمون)؛ أي: خالدٌ ومن معه.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣١٧)، والخبر المذكور رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ١٢٦) عمن يثق به من أهل العلم.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣١٩).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٠٣).

قوله: (حتى أماته في خلافة أبيه): قال الحلبي: ورثته زوجته عاتكةُ بنتُ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيل، وكان يحبها حبّاً شديداً، مر عليه أبوه يوم جمعة وهو يلاعبها وقد صلى الناس، فقال عبدالله: أوجمَّع الناس؟ فسمعه أبوه، فقال: أشغلتك عن الصلاة؟! لا جرم لا تبرحن حتى تطلقها، فطلقها، ثم تعب عبدالله بسبب طلاقها، فاطلع عليه أبوه يوماً، فسمعه يقول أبياتاً من جملتها:

فلم أر مثلي طلقَ اليوم مثلَها ولا مثلها في غير جرمٍ تطلَّقُ

فقال له: يا عبدالله! راجعْ عاتكة، فقال لأبيه: قف بمكانك، وكان معه غلام مملوك له، فقال للغلام: أنت حر لوجه الله، اشهد أني قد راجعتُ عاتكة، فلما مات ـ رضي الله عنه ـ رثته بقولها من أبيات:

آليتُ لا تنفكُّ عيني حزينةً عليك ولا ينفكُّ جِلديَ أَغبرا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ، فلما أعرس بها، قال له علي ـ كرم الله وجهه ـ: أتأذن لي أن أكلم عاتكة؟ فقال: لا غيرةَ عليك، كلِّمْها، فقال لها علي ـ كرم الله وجهه ـ: أنت القائلة البيت:

آليتُ لا تنفك عيني قريرةً عليك ولا ينفكُّ جلدي أصفرا

قالت: لم أقل هكذا، وبكت، وعادت إلى حزنها، فقال له عمر ـ رضي الله عنه ـ: يا أبا الحسن! ما أردتَ إلا إفسادَها عليّ، فلما قُتل عمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ رثته بأبيات منها:

من لنفسٍ عادها أحزانُها ولعين شَفَّها طول السهَدْ

جسدٌ لُفِّفَ في أكفانِه رحمةُ الله على ذاك الجَسَدْ

ثم تزوجها الزبير ـ رضي الله تعالى عنه ـ، فلما قتل، رثته بأبيات منها تخاطب قاتله:

ومنهم: أبو سفيان بنُ حرب فُقئت عينه.

وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلاً من المسلمين.

ولما رأى رسول الله أن العدو متمكّن من رميهم، ارتفع إلى محل مسجد الطائف الآن، وضربَ لأُمّ سلمةَ وزينبَ قبتين هناك، واستمر الحصارُ ثمانية عشر يوماً، كان فيها يُنادي خالدُ بن الوليد بالبِراز، فلم يجبه أحد، وناداه عبدُ ياليل ـ عظيمُ ثقيف ـ لا ينزل إليك منّا أحد، ولكن نقيم في حصننا؛ فإن فيه من الطعام ما يكفينا سنين، . . . .

ثكلتك أمك إن قتلتَ لَمُسلماً حَلَّتْ عليك عقوبةُ المتعمدِ

ثم خطبها سيدنا علي ـ كرم الله وجهه ـ، فقالت له: لم يبق للإسلام غيرُك، وأنا أنفس لك عن القتل، ومن ثم قيل في حقها: من أراد الشهادة، فعليه بعاتكة. اهـ[1].

وقوله: (وأنا أنفس لك عن القتل)؛ أي: أضِنُّ بقتلك، ففي «القاموس»: نَفِسَ به؛ كفرح: ضَنَّ[2].

قوله: (ففقئت عينه): قال الحلبي: لما أصيبت عينه، أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم وعينه في يده، فقال: يا رسول الله! هذه عيني أصيبت في سبيل الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن شئتَ دعوتُ فردَّتْ عينُك، وإن شئت فالجنة»، قال: فالجنة، ورمى بها من يده. اهـ[3].

قوله: (بالبراز): ـ هو بكسر الباء ـ.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: نفس).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٧٧)، وأورده ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٤١٤) عن سعيد بن عبيد الثقفي، وعزاه للزبير بن بكار.

فإن أقمتَ حتى يفنى هذا الطعام، خرجنا إليك بأسيافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا، فأمر عليه الصلاة والسلام بأن يُنْصَب عليهم المنجنيق فَنُصِبَ. ودخل جمعٌ من الأصحاب تحت دبابتين لينقبوا الحصن، فأرسلت عليهم ثقيف سِكَكَ الحديد مُحماة بالنار حتى أرجعوهم، فأمر عليه الصلاة والسلام أن تقطع أعنابهم ونخيلهم، فقطع المسلمون فيها قطعاً ذريعاً، فناداه أهل الحصن، أن دَعْها لله وللرحم، فقال: «أدعها لله وللرحم»[1]، ثم أمر مَنْ ينادي بأن كلَّ من ترك الحصن ونزل فهو آمن، فخرج إليه بضعةَ عشرَ رجلاً.

قوله في الذيل: (هي آلة تتخذ للحروب)؛ أي: من الجلود يدخل فيها الرجال، فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها. اهـ. حلبي[2].

قوله: (حتى أرجعوهم) قال الحلبي: لما أرسلت عليهم السكك، خرجوا من تحتها، فرموهم بالنبل، فقتل منهم رجال[3].

قوله: (إن كل من ترك الحصن. . .) إلخ: لفظ الحديث في الدحلاني والحلبي: ثم نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيما عبدٍ نزل من الحصن وخرج لنا، فهو حر، فخرج منهم بضعة عشر، وقيل: ثلاثة وعشرون رجلاً، ونزل منهم شخص في بكرة، فقيل له: أبو بكرة، وكان عبداً للحارث بن كلدة، فأعتقهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ودفع كلَّ رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه، فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة. اهـ[4].

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ١٦٢) عن الواقدي عن شيوخه.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨١).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨١)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٣٢٠).

ولما رأى عليه الصلاة والسلام أن تمنُّع ثقيف شديد، وأن الفتح لم يؤذَن فيه، استشار نوفلَ بنَ معاويةَ الديليَّ في الذهاب أو المقام، فقال: يا رسول الله! ثعلبٌ في جُحْر، إن أقمتَ أخذته، وإن تركته لم يضرّك.

فأمر عليه الصلاة والسلام بالرحيل، وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو على ثقيف، فقال: «اللهمّ اهدِ ثقيفاً، وَأْتِ بهم مسلمين»[1].

قوله: (وإن الفتح لم يؤذن): قال الدحلاني: وكان الحكمة في أنه لم يؤذن له في فتح الطائف ذلك العام أن لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلاً، فأخر الله أمرهم حتى جاؤوا طائعين مسلمين كما سيأتي ذكره في الوفود إن شاء الله، اهـ[2].

قوله: (فأمر عليه السلام بالرحيل): قال الدحلاني: ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بنَ الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، فأذن في الناس بالرحيل، فضج الناس من ذلك، وقالوا: نرحل ولم يفتح علينا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاغدوا على القتال»، فغدَوا، فأصابت المسلمين جراحات، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنا قافلون إن شاء الله»، فسُروا بذلك وأذعنوا، وجعلوا يرحلون ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجباً من سرعة تغير رأيهم[3]، فرجعوا إليه، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، فلما ارتحلوا قال: «قولوا: آيبون عابدون لربنا حامدون». اهـ[4].

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٣٣٩) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. ورواه الترمذي (٣٩٤٢) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ دون لفظ: «وأْتِ بهم».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢١).

(٣) رواه البخاري (٦٠٨٦) من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢١)، والحديث المذكور =

تقسيم السبي

ثم رجع عليه الصلاة والسلام إلى الجِعِرَّانة حيث ترك السبي، فأحصاه، وخمَّسه، وأعطى منه شيئاً كثيراً لأُناس ضَعُفَ إسلامُهم يتألَّفُهم بذلك. وأعطى أُناساً لم يُسلموا ليُحَبِّبَ إليهم الإسلام، ومن الأولين: أبو سفيان، أعطاه أربعين أُوقية من الذهب، ومئة من الإبل، وكذلك ابناه معاويةُ ويزيدُ، فقال له: بأبي أنت وأمي! لأنت كريمٌ في السلم والحرب.

ومنهم: حكيم بن حزام، أعطاه كأبي سفيان فاستزاده فأعطاه، ثم استزاده فأعطاه مثلها، . . . .

تقسيم السبي

قوله: (لأناس)؛ أي: ممن أسلم من أهل مكة، وسَمُّوا: المؤلَّفة. اهـ. حلبي[1].

قوله: (وكذلك ابناه معاوية ويزيد): قال الحلبي: لما أعطاه (٤٠) أوقية من الذهب، ومئة من الإبل، قال: وابني يزيد، فأعطاه كذلك، وقال: ابني معاوية، فأعطاه كذلك، فأخذ أبو سفيان (٣٠٠) من الإبل، و(١٢٠) أوقية من الفضة، وقال له ما ذكره المصنف هنا.

وفي لفظ: حاربتك في السلم فنعم المحاربُ كنتَ، وقد سالمتك فنعم

= رواه البخاري (٦٣٨٥) من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة، يكبر على كل شَرَف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده».

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٤).

وقال: «يا حكيم! إنّ هذا المال خَضِرة حلوة، فمن أخذه بسخاوة نفس، بُورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس، لم يُبارَك له فيه، وكان كالذي يأكُلُ ولا يشبَع، واليدُ العُليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى»، فأخذَ حكيمٌ المئةَ الأولى، وتركَ ما عداها، ثم قال: والذي بعثك بالحق! لا أَرْزَأُ أحداً بعدَك شيئاً حتى أُفارق الدنيا، فكان الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يَعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال، فلا يأخذه[1].

المسالمُ أنتَ، هذا غاية الكرم، جزاك الله خيراً. اهـ[2].

قوله: (إن هذا المال خضرة حلوة. . .) الحديث: في الحلبي: «خضر حلو»[3]؛ أي: غض ناعم طري، وخَضِر ككتف.

قوله: (لا أرزأ أحداً. . .) إلخ: في «القاموس»: رزأه مالَه؛ كجعله، وعلمه، رُزْءاً ـ بالضم ـ: أصاب منه شيئاً[4].

قوله: (وكان الخلفاء)؛ أي: أبو بكر وعمر.

قال الحلبي: ثم إن عمر دعاه ليعطيه، فأبى أن يقبله، فقال عمر: يا معشر المسلمين! إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء، فيأبى أن يأخذه. اهـ[5].

---

(١) رواه البخاري (١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٥)، من حديث حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ، ولكن دون قوله: «فأخذَ حكيم المئة الأولى، وتركَ ما عداها».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٤)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٢٤٥).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٤)، والرواية المذكورة رواها البخاري (٢٧٥٠) من حديث حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: رزأ).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٤)، والخبر المذكور رواه =

وأعطى عليه الصلاة والسلام عُيَيْنَةَ بنَ حصن مئة من الإبل، وكذلك الأقرعَ بنَ حابس، والعباسَ بنَ مِرداس، وأعطى صفوانَ بنَ أمية شِعْباً مملوءاً نعَماً وشاءً كان رآه يرمقه، فقال له: «هل يعجبك هذا؟» قال: نعم، قال: «هُوَ لك»، فقال صفوان: ما طابتْ بمثل هذا نفسُ أحد، وكان سبب إسلامه[1].

وكان عليه الصلاة والسلام يقصد من هذه العطايا تأليفَ القلوب وجمعَها على الدين القويم، وهذا ضربٌ من ضروب السياسة الدينية حتى جَعل من الصدقات قسماً للمؤلفة قلوبهم، وقد عاد ذلك بفائدة عظمى؛ فإن كثيرين ممّن أُعطوا في هذا اليوم، ولم يكونوا أُشربوا في قلوبهم حُبَّ الإسلام، صاروا بعدُ من أجلاّء المسلمين، وأعظمهم نفعاً؛ كصفوان بن أمية، ومعاوية بن أبي سفيان، والحارث بن هشام، وغيرهم.

ثم أمر عليه الصلاة والسلام زيدَ بنَ ثابت فأحصى ما بقي من الغنائم، وقسّمه على الغزاة بعد أن اجتمع إليه الأعراب، وصاروا يقولون له: اقسم علينا، حتى ألجؤوه إلى شجرة، فتعلق رداؤه، فقال: «ردّوا ردائي أيها الناس، فو الله! إن كان لي شجرُ تهامة نعَماً لقسمته عليكم، . . . .

قوله: (للمؤلفة قلوبهم): في الحلبي: كانت ثلاثة أصناف: صنف يتألفهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا؛ كصفوانَ بنِ أمية، وصنف ليثبت إسلامهم؛ كأبي سفيان بن حرب، وصنف لدفع شرهم؛ كعيينة بن حصن، والعباس بن مرداس والأقرع بن حابس، وتمامه فيه[2].

= البخاري (٢٧٥٠) من حديث حكيم بن حزام ـ رضي الله عنه ـ.

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٤/ ١١٤) من حديث عبدالله بن الزبير ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٥).

ثم ما أَلفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كدوداً[(١)]»، ثم قام إلى بعيره، وأخذ وَبرةً من سَنَامِه، وقال: «أيّها الناس والله! ما لي من غنيمتكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس، والخُمُسُ مردود عليكم، فأدّوا الخِياطَ والمِخْيَطَ؛ فإن الغُلول يكون على أهله عاراً وشناراً وناراً يوم القيامة»[(٢)]، فصار كل من أخذ شيئاً من الغنائم خِلسةً يردُّه ولو كان زهيداً، ثم شرَع يقسم، فأصابَ الرجلَ أربعة من الإبل، وأربعون شاة، والفارس ثلاثةُ أمثال ذلك، . . . .

قوله: (ولا كدوداً)؛ أي: مُمْسِكاً.

في «القاموس»: أكَدَّ واكتدَّ: أمسك، وهو كدود، وبئر كدود: لم يُنل ماؤها إلا بجهد[(٣)].

وفي «النهاية»: يقال: الكُدية: صلابة في الأرض، يقال: حفر فأكدى: إذا وصل إلى كدية[(٤)]، واستعير ذلك للطالب المخفق، والمعطي المقلّ، قال تعالى: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤]. اهـ.

قوله: (الخياط والمِخيط): الخياط: الخيط، والمِخيط ـ بالكسرة ـ: الإبرة. اهـ. «نهاية»[(٥)].

قوله: (يرده ولو كان زهيداً): قال الحلبي: فجاء شخص من الأنصار بكبة من خيوط شعر وقال: يا رسول الله! أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير

---

(١) في «نور اليقين» (ط دار الإيمان): «كذوباً».

(٢) رواه النسائي (٣٦٨٨) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ بنحوه. ورواه البخاري (٢٨٢١) من حديث جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه ـ مختصراً.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: كدد).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٥٦).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٩٢).

فقال رجل من المنافقين: هذه قسمة ما أُريد بها وجهُ الله، فغضب عليه الصلاة والسلام حتى احمرّ وجهه، وقال: «ويحك! مَنْ يعدلُ إذا لم أعدل؟»[1]، فلم يؤدّه غضبه أن ينتقم لنفسه، حاشاه عليه الصلاة والسلام من ذلك، بل لم يزدْ على أن نصحَ وحذَّر، وقال له عمر وخالد بن الوليد: دعنا يا رسول الله نضربْ عنقه، فقال: «لا، لعلّه أن يكون يُصلي» فقال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقولُ بلسانه ما ليس في قلبه، فقال صلى الله عليه وسلم: «إني لم أُومر أن أُنَقِّبَ عن قلوب الناس، ولا أَشُقَّ عن بطونهم»[2].

لي دبر، فقال: «أما نصيبي منها، فلك»، قال: أما إذا بلغت هذا، فلا حاجة لي بها، وألقاها[3].

ويروى أن عَقيلاً كان دفع لامرأته إبرة أخذها من الغنيمة، ولما سمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أخذ شيئاً فليرده حتى الخياط والمخيط؛ رجع وأخذها منها، وألقاها في الغنائم. اهـ[4].

قوله: (فقال رجل من المنافقين) قال الحلبي: قيل: هو معتب، وقيل: ذو الخُوَيصرة التميمي[5].

قوله: (ويحك! من يعدل إذا لم أعدل؟!): العبارة في الحلبي: «من يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟! رحمةُ الله على أخي موسى عليه السلام، لقد أوذي بأكثرَ

---

(١) رواه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤/ ١٤٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٠٦٤/ ١٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٦٨).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٦)، والخبر المذكور رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ١٧) عن زيد بن أسلم.

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٧ ـ ٨٨).

ولما أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا لقريش وقبائل العرب، وتركَ الأنصار، غضب بعضُهم حتى قالوا: إن هذا لهو العَجَبُ يُعطي قريشاً، ويتركُنا وسيوفنا تقطرُ من دمائهم! فبلغه ذلك، فأمر بجمعهم وليس معهم غيرُهُم. فلما اجتمعوا قال: «يا معشر الأنصار! ما مقالةٌ بلغتني عنكم؟ ألم أجدكم ضُلاّلاً فهداكم الله بي؟ وعالةً فأغناكم الله بي؟ وأعداءً فألّفَ الله بين قلوبكم بي؟ إن قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة، وإني أردتُ أن أجبُرهم وأتألّفَهم، أَغَضِبتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لشيء قليل من الدنيا أَلَّفْتُ به قوماً ليسلموا، ووَكَلْتكم إلى إسلامكم الثابت الذي لا يُزَلْزَل؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهبَ الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فو الذي نفس محمد بيده! لولا الهجرة، لكنت امرأ من الأنصار، . . . .

من هذا فصبر». اهـ[1].

قوله: (يعطي قريشاً. . .) إلخ: قال الحلبي: وفي رواية: إذا كانت شديدة، ندعى إليها، ويُعطى الغنيمةَ غيرُنا[2].

قوله: (ما مقالة بلغتني عنكم؟): المقالة: الكلام الرديء.

قوله: (ليسلموا)؛ أي: ليحسن إسلامهم، ويُسلم غيرُهم تبعاً لهم.

قوله: (لكنت امرأً من الأنصار)؛ أي: لانتسبت إلى المدينة. اهـ. حلبي[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٨٧)، والحديث المذكور رواه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢)، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٩٠)، والخبر المذكور رواه البخاري (٤٣٣٧) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٩٢).

ولو سلك الناسُ شِعْباً! وسلك الأنصار شِعباً، لسلكتُ شعب الأنصار، اللهمّ ارحم الأنصارَ، وأبناءَ الأنصار». فبكى القوم حتى اخْضَلَّتْ لحاهم، وقالوا: رضينا برسولِ الله قسماً وحظًّا، ثم انصرفَ عليه الصلاة والسلام وتفرقوا[1].

وفود هوازن

وبعد بضعَ عشرةَ ليلة جاءه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن يرأسهم زهير بنُ صُرَد وقالوا: يا رسول الله! إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمّات والخالات، . . . .

قال: وقال حسان ـ رضي الله عنه ـ في مدح الأنصار:

سَمَّاهم اللهُ أنصاراً بنصرِهِمُ ... دينَ الهدى وعَوانُ الحرب تستعرُ

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خافوا وما ضجروا[2]

وفود هوازن

قوله: (وفد هوازن) كان عدد الوفد أربعة عشر رجلاً، وأتوه صلى الله عليه وسلم مسلمين.

قوله: (يرأسهم زهير بن صرد) هو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة. اهـ. حلبي[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١)، من حديث عبدالله بن زيد بن عاصم ـ رضي الله عنه ـ بنحوه. ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٧٦) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٩٢). وانظر: «ديوان حسان بن ثابت» (ص: ١٢٣ ـ ١٢٤)، وفيه: «خاموا» بدل «خافوا».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٩٤).

وهـنّ مَخازي الأقـوام، ونرغب إلى الله وإليك يا رسول الله، وقـال زهيـر: إن في الحظائر عماتِك وخالاتِك وحواضِـنَك اللاتي كُنّ يكفلنك، ثم قال أبياتاً يستعطفه بها:

قوله: (وهن مخازي الأقوام): قال فـي «أسـاس البلاغـة»: خَـزِي خِزْيـاً ومَخْزاةً: ذَلَّ، وهو من أهل المخازي والمخزيات. اهـ[1].

وفي «القاموس»: خزي خِزياً ـ بالكسر ـ، وخَزًى: وقع في بلية وشـهرة، فَذَلّ بذلك؛ كاخزوى، وأخزاه الله: فضحه[2].

وفي «النهاية»: خزي يخزى خزياً؛ أي: ذلَّ وهان. اهـ[3].

قوله: (إن في الحظائر): الحظائر: جمع حظيرة.

قال في «النهاية»: هي في الأصل: الموضع الذي يحاط عليه لتـأوي إليـه الغنم والإبل يقيهما الحر والبرد[4].

وفي «القاموس»: حظر الشيء، وعليه: منعه، وحَجَر، واتخـذ حظيـرة؛ كاحتظر، واحتظر المال: حبسه فيها، وحظر الشيء: حازه[5].

وفي «أساس البلاغة»: حظر عليه كذا: حيل بينه وبينه. اهـ[6].

قوله: (وحواضنك اللاتي كن يكفلنك): قال الدحلاني: أي لأن مرضعته حليمة ـ رضي الله عنها ـ كانت من هوازن، وكانت في السبي، وحينما جاءته أمه،

---

(١) انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: خزي).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خزي).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٠).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٤٠٤).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: حظر).

(٦) انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: حظر).

امـنـنْ علينـا رسـولَ الله فـي كَـرَمٍ فإنــك المــرءُ نرجــوه وننتظـرُ

امننْ على نسوةٍ قد كنت تَرْضَـعُها إذ فوك مملوءة[1] من مَخْضِـها الدَّرَرُ

إنــا لنشــكرُ للنعمــاء إن كُفِـرت وعنــدنا بعــد هــذا اليــوم مُــدَّخَرُ

إنّــا نؤمِّــلُ عفــواً منــك تلْبَسُــهُ هــذي البريــةُ إذْ تعفــو وتنتصــر

بسط لها رداءه، ودمعت عيناه[2].

قوله: (إذ فوك مملوءة): الصواب: يملؤه، كما في الدحلاني[3].

وقوله: (من مخضها الدِّرَرُ)؛ أي: الدفعات الكثيرة من اللبن.

في «الأساس»: مخض الماء بالدلو: إذا أكثر الاستقاء[4].

والدَّرر: بفتح الدال.

وقوله: (إن كفرت)؛ أي: جحدت، وفي لفظ: إنا لنشكر آلاء وإن كُفرت[5].

وقوله: (نلبسه) ـ بالنون، وصوابه: تلبسه ـ بالتاء ـ.

(هَذْي البرية): صوابه: هذي البرية، كما في السهيلي على ابن هشام[6].

وقوله: (إن تعفو): صوابه: إذ تعفو؛ كما في السهيلي أيضاً[7].

---

(١) كذا أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٣٤٩)، وفي «المعجم الصغير»: «تملؤه».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣)، وخبر بسط ردائه صلى الله عليه وسلم لأمه التي أرضعته رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٢٣٢)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٧/ ٧٨)، من حديث أبي الطفيل ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢٣).

(٤) انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: مخض).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٩٤).

(٦) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٢/ ٢٦٥).

(٧) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٢/ ٢٦٥).

فأَلْبِسِ العفوَ مَنْ قد كنتَ تَرْضَعُهُ مـن أُمهاتِـك إن العفـوَ مشـتَهَرُ[1]

فقال صلى الله عليه وسلم: «إن أحبّ الحديث إليَّ أَصْدَقُهُ، فاختـاروا إحدى الطائفتين: إما السبي، وإما المال، وقد كنت انتظرتكم حتـى ظننـت أنكم لا تقدمون». فقالوا: ما كنّا نعدل بالأحساب شيئاً، ارْدُدْ علينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحبّ إلينا، ولا نتكلم في شاة ولا بعير، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما ما لي ولبني عبد المطلب، فهو لكم، فإذا أنـا صـلّيتُ الظهـر، فقوموا، وقولـوا: نحـن نستشـفع برسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم إلـى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تُظهـروا إسلامَكم، وتقولوا: نحن إخوانكم في الـدين»، ففعلـوا، فقـال صـلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أما بعد: فإن إخوانكم هؤلاء جـاؤوا تـائبين، وإنـي قد رأيتُ أن أردّ عليهم سبيهم، فمن أحبّ أن يُطيِّبَ بذلك فليفعـل، ومـن أحبّ منكم أن يكون على حَظِّه حتى نعطيَه إياه مـن أول مـا يُفِـيءُ الله علينـا فليفعل»، فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسـول الله صـلى الله عليه وسلم. وامتنعَ من ذلك جماعة من الأعراب؛ كالأقرع بن حابس، . . .

قوله: (كالأقرع بن حابس) قال الحلبي: لمـا قـال المهاجرون والأنصـار ما قالوا، قال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أمـا أنـا وبنو فزارة فلا، وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنـو سـليم: بلى، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال العباس بن مـرداس: وَهَّنتموني ـ أي: أضعفتموني ـ حيث صيرتموني منفرداً. اهـ[2].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٣٠٣)، و«المعجم الصغير» (٤٦٣٠)، من حديث زهير بن صرد الجشمي ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٩٥).

وعُيينة بن حصن، والعباس بن مِرداس، فأخذه الرسولُ منهم قرضاً[1].

وأمر صلى الله عليه وسلم بأن تُحْبَس عائلةُ مالك بن عوف النصري رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أُمّ عبدالله بن أمية. فقال له الوفد: أولئك ساداتنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنما أُريد بهم الخير»، ثم سأل عن مالك فقالوا: هرب مع ثقيف، فقال: «أخبروه أنه إن جاءني مسلماً، رددت عليه أهله وماله، وأعطيته مئة من الإبل»[2]، فلما بلغ ذلك مالكاً، . . .

قوله: (فأخذه الرسول منهم قرضاً): قال الدحلاني: الصحيح: أنه صلى الله عليه وسلم رد عليهم جميعَ السبي، ولم يتخلف من أحد إلا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن، فأبى أن يردها، وقال حين أخذها: أرى عجوزاً إني لأحسب أن لها في الحي نسباً، وعسى أن يعظم فداؤها، فمر عليه ولدها، وهو زهير بن صرد، فسامها منه، وأعطاه مئة من الإبل فيها، فأبى عيينة، وطمع في الزيادة، فتركه وذهب وغاب عنه، ثم مر عليه معرضاً، فقال عيينة: خذها بالمئة، فأبى وقال: لا أدفع إلا خمسين، فأبى عيينة، وهكذا إلى أن قال له: خذها بعشرة، فقال: لا آخذها إلا بستة، والله! ما ثديُها بناهد، ولا بطنُها بوالد، ولا فوها ببارد، ولا صاحبها بواجد ـ أي: حزين عند فوتها ـ، ولا درها بناكد ـ أي: غزير ـ فقال عيينة: خذها لا بارك الله لك فيها، وذلك بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم، فإنه دعا على من أبى أن يرد من السبي شيئاً أن يبخس ـ أي: يكسد ثمنه. اهـ[3].

قوله: (إنما أريد بهم الخير) قال الدحلاني: ولم يجز أن تجري السهمان في مال مالك بن عوف حتى حضر[4].

---

(١) رواه النسائي (٣٦٨٨) من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤٨٤) عن موسى بن عقبة.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢٥).

نزل من الحصن خُفْية حتى أتى رسولَ الله بالجِعِرَّانة، فأسلمَ، وأحـرزَ مالـه، واستعمله عليه الصلاة والسلام على مَنْ أسلم من هوازن.

عمرة الجِعِرَّانة

ثم إن الرسول صـلى الله عليـه وسـلم اعتمـر، فـأحرم مـن الجعرانـة، ودخل مكة بليل، فطاف، واستلم الحَجَر، ثم رجع من ليلته، وكانـت إقامتـه بالجعرانة ثلاثَ عشرةَ ليلة، ثم أمـر عليـه الصـلاة والسـلام بالرحيـل، فسـار الجيش آمناً مطمئناً حتى دخل المدينة لثلاثٍ بقين من ذي القعدة.

وغزوة حنين هي التي فرّق الله بها جموعَ الشرك، وأدالَ دولته، وأفقد سَراةَ أهله؛ فإن هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكِّنه الحرب إلا ساقته، . . .

عمرة الجعرانة

قوله: (الجعرانة): بالتخفيف أفصحُ من التشديد، بينـه وبـين مكة ثمانية عشر ميلاً، سمي باسم امرأة تلقب بالجعرانة، وكان اعتماره منها لخمـس ليال خلون من ذي القعدة، وقيل: لثنتي عشرةَ ليلة بقيت من ذي القعدة[١].

قوله: (فطاف واستلم الحجـر)؛ أي: وسـعى وحلـق؛ لأن بـذلك تمـام أفعال العمرة، وجاء في الحديث: أنه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيّاً[٢].

قوله: (لثلاث بقين من ذي القعدة): قال الدحلاني: وقيل: لسـتّ منـه، قال الحافظ ابن حجر: إن مدة غيبتة كانت أكثر من ثمانين يوماً. اهـ[٣].

قوله: (وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك. . .) إلـخ: قـال الدحلاني: قال كثير من أهل المغازي: إن غزوة بدر وحنين كسر الله بهما سورة

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢٩).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٧٢) عن محمد بن جعفر مرفوعاً.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢٩).

ولم تترك لها بعيراً ولا شاة إلا جاءت به معها، فأراد الله إعزاز الإسلام بخـذلان أعدائه وأخذ أموالهم، فانكسرت حِدّةُ المشركين، ولم يبق فيهم مَنْ يمـانع أو يدافع، ولذلك يمكننا أن نقول: إن انكسار هـوازن كـان خاتمـة لحـروب العرب، فلم يبقَ فيهم إلا فئات قليلة يسوقهم الطيش إلى شهر السلاح، ثـم لا يلبثون أن يغمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة.

سرية [قيس بن سعد ـ رضي الله عنه ـ إلى صداء]

الكفر، وأطفأتا جمرة العرب، وأنفدتا سهامهم، وأذلتا جموعهم، حتى لم يجدوا بدّاً من الدخول في دين الله، وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين، وفرحهم بمـا نـالوا من النصر والمغنم، فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم[1].

ثم قال: واقتضت حكمته سبحانه وتعـالى أن أذاق المسـلمين أولاً مـرارة الهزيمة مع كثرة عَددهم وعُددهم وقوة شوكتهم؛ ليخفض بذلك رؤوسـاً رفعـت بالفتح لمكة، والنصرِ على أهلها، فابتلاهم الله بقصة حنين؛ منعاً لهم عـن الترفـع، وتنبيهاً على أن المطلوب منهم التواضعُ وإظهار الشكر، كما فعل صلى الله عليـه وسلم حين دخل مكة؛ فإنه دخل منحنياً علـى ناقتـه، متواضـعاً خاضـعاً لربـه[2]، وليبين سبحانه لمن قال: لن نغلَب اليوم عن قِلَّة: أن النصر إنما هو مـن عنـد الله، وأن من ينصره الله فلا غالب له، ومن يخذله فلا ناصر له.

ثم قال: وافتتح الله غزو العرب ببدر، واختتمه بحنين، وهمـا أعظـم غزواتـه صلى الله عليه وسلم، ولهذا يجمع بينهما في الذكر، فيقال: بدر وحنين، وتمامه فيه[3].

سرية

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٢٩).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٦٨ ـ ٦٩) من حديث أنس بن مالـك ـ رضـي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٠).

ولما رجع عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، أرسل قيسَ بنَ سعد في أربع مئة ليدعو صُداء ـ قبيلة تسكن اليمن ـ إلى الإسلام، فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم، فقال: يا رسول الله! إني جئتك وافداً عمّن ورائي، فاردد الجيشَ، وأنا لك بقومي، فأمر عليه الصلاة والسلام بردّ الجيش.

وفود صُدَاء

وخرج الرجل إلى قومه، فقدم بخمسةَ عشرَ رجلاً منهم، فنزلوا ضيوفاً على سعد بنِ عبادة، ثم بايعوا رسولَ الله على الإسلام، وقالوا: نحن لك على مَنْ وراءنا من قومنا، ولما رجعوا، فشا فيهم الإسلام، وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مئة في حجة الوداع.

سرية [عيينة بن حصن ـ رضي الله عنه ـ إلى بني تميم]

ثم أرسل عليه الصلاة والسلام بشرَ بنَ سفيانَ العدويَّ إلى بني كعبٍ من خزاعة لأخذِ صدقات أموالهم، ....

قوله: (سرية) عنونها الدحلاني بـ: سرية قيس بن سعد[1].

وفود صداء

قوله: (صداء) ـ بضم الصاد وفتح الدال والمد ـ، وهم حيّ من اليمن.

وقوله: (رجل منهم) اسمه: زياد بن الحارث الصدائي.

سرية

قوله: (سرية) عنونها الحلبي بـ: سرية عيينة بن حصن[2]، والدحلاني

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣١)، وفيه: «بعث قيس ابن سعد».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢١٦).

فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فُرِضَ عليهم، فلما علم بذلك رسولُ الله، أرسل إليهم عيينةَ بنَ حصن في خمسين فارساً من الأعراب، فجاءهم وحاربهم، وأخذ منهم أحدَ عشرَ رجلاً، وإحدى وعشرين امرأة، وثلاثين صبياً، وتوجه بالكل إلى المدينة، فأمر عليه الصلاة والسلام بجعلهم في دار رَمْلَةَ بنتِ الحارث.

وفود تميم

فجاء في أثرهم وفد تميم، وفيه عُطارِدُ بنُ حاجِب، . . . .

بـ: البعث إلى بني تميم[1].

قوله: (فمنعهم بنو تميم) في الحلبي: فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك: لمَ تعطونهم أموالكم، فاجتمعوا، وأشهروا السلاح، ومنعوا بشراً من أخذ الصدقة، فقال لهم بنو كعب: نحن أسلمنا، ولا بد في ديننا من دفع الزكاة، فقال لهم بنو تميم: والله: لا ندع يخرج بعير واحد[2].

قوله: (فلما علم بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم)؛ أي: من بشر ابن سفيان؛ فإنه قدم المدينة، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك.

وفود تميم

قوله: (وفد تميم) قيل: كان عدده سبعين، وقيل: ثمانين، وقيل: تسعين. اهـ. حلبي[3].

قوله: (عطارد) ـ بضم العين ـ: نجم من الخُنَّس، يصرف ويمنع، ورجل من بني تميم.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣١).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢١٦).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢١).

والزّبرقانُ بنُ بدر، وعمرو بن الأهتم، فجلسوا ينتظرون الرسول، فلما أبطأ عليهم، نادَوا من وراء الحجرات بصوت جَافٍ: يا محمد! اخرجْ إلينا نفاخِرْك؛ فإن مدحنا زَيْن، وإن ذمَّنا شَيْن، فخرج إليهم عليه الصلاة والسلام، وقد تأذى من صياحهم، وفيهم نزل في أوائل سورة الحجرات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[الحجرات: ٤ ـ ٥]، وكان الوقت وقت الظهر، فأذّن بلال، ودخل النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة، فتعلقوا به يقولون: نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك، فقال لهم عليه الصلاة والسلام: «ما بالشعر بُعثنا ولا بالفخار أُمرنا»[١]، ثم صلى واجتمع حوله رجال الوفد يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم، وقد مدح عمرو بن الأهتم الزبرقان بن بدر، فقال: إنه لمطاع في أنديته، سيد في عشيرته، فقال الزبرقان: حسدني يا رسول الله لشرفي، وقد علم أفضل مما قال، فقال عمرو: إنه لَزِمِنُ المروءة، . . . .

و(الزبرقان) ـ بالكسر ـ: القمر، والخفيف اللحية، ولقب الحصين بن بدر الصحابي؛ لجماله، أو لصفرة عمامته، أو لأنه لبس حلة وراح إلى ناديهم فقالوا: زبرق حصين. اهـ. «قاموس»[٢].

قوله: (فجلسوا ينتظرون)؛ أي: في المسجد ووجدوا بلالاً يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: (إنه لزمن المروءة)؛ أي: بطيئها.

---

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٣٣٦) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: زبرق).

ضيِّقُ العَطَن، أحمق الأب، لئيم الخال. فرئي الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاختلاف قولَي عمرو، فقال: يا رسول الله! لقد صدقت في الأولى، وما كذبت في الثانية، رضيتُ فقلت أحسنَ ما علمتُ، وغضبتُ فقلت أسوأ ما علمت. فقال عليه الصلاة والسلام: «إن من البيان لسحراً»[1]. ثم أسلم القوم، فرد النبي عليه الصلاة والسلام عليهم أسراهم، وأحسن جائزتهم، وأقاموا مدة يتعلمون فيها القرآن، ويتفقهون في الدين.

سرية [خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى بني المصطلق]

قال الماوردي في «أدب الدنيا والدين»: سأل معاوية عمر رضي الله عنهما عن المروءة، فقال: تقوى الله، وصلة الرحم، وسأل المغيرةَ فقال: هي العفة عما حرم الله تعالى، والحرفة فيما أحل الله، وسأل يزيدَ، فقال: هي الصبر على البلوى، والشكر على النعمى، والعفو عند المقدرة، فقال معاوية: أنت مني حقّاً[2].

وقوله: (ضيق العطن)؛ أي: الصدر، والعطن والمعطن: المُناخ حول الوِرْد.

قوله: (إن من البيان لسحراً) قال الحلبي: إن الرجل يكون عليه الحق، وهو ألحنُ بالحجج من صاحب الحق، فيسحر القومَ ببيانه، فيذهب بالحق[3].

سرية

قوله: (سرية) عنونها الدحلاني بـ: سرية الوليد بن عقبة[4].

---

(١) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ١٢٣٧) من حديث محمد بن الزبير الحنظلي بنحوه. ورواه البخاري (٥٧٦٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مختصراً.

(٢) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص: ٣٢١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٠).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٦).

ثم بعث عليه الصلاة والسلام الوليدَ بنَ عقبةَ بنِ أبي مُعَيط لأخذ صدقات بني المصطلق، فلما علموا بقدومه، خرج منهم عشرون رجلاً متقلدين سلاحَهم احتفالاً بقدومه، ومعهم إبلُ الصدقة، فلما نظرهم، ظنهم يريدون حربه؛ لما كان بينه وبينهم من العداوة في الجاهلية، فرجع مسرعاً إلى المدينة، وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن القوم ارتدّوا، ومنعوا الزكاة، فأرسل لهم خالدَ بنَ الوليد لاستكشاف الخبر، فسار إليهم في عسكره خفيةً، حتى إذا كان بناديهم، سمع مؤذّنهم يؤذّن بالصبح، فأتاهم خالد، فلم يرَ منهم إلا طاعة، فرجع وأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم، فأرسل عليه الصلاة والسلام لهم غيرَ الوليد لأخذِ الصدقات، . . . .

قوله: (بني المصطلق): هم بطن من خزاعة، وكانوا قد أسلموا، وبنوا المساجد.

قوله: (ظنهم يريدون حربه)؛ أي: مع أنهم إنما خرجوا بالسلاح تجملاً.

قوله: (فرجع مسرعاً)؛ أي: قبل أن يصلوا إليه، مستنداً لظنه أنهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة.

قوله: (حتى إذا كان بناديهم): الأَولى ما في الدحلاني حيث قال: فلما دنا منهم، بعث عيوناً ليلاً، فإذا هم ينادون بالصلاة ويصلون[1].

قوله: (فرجع وأخبر الرسول): قال الدحلاني: وفي رواية: بعث صلى الله عليه وسلم إليهم بعثاً، فاستقبلهم الحارث بن ضرار الخزاعي، وكان رئيس القوم، فقال: إلى أين بعثتم؟ قالوا: إليك، قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثَ الوليدَ فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، فقال: لا والذي بعث محمداً بالحق! ما رأيته، ولا أتاني، ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٦).

وفي الوليد نزل في أوائل الحجرات: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[الحجرات: ٦].

سرية [علقمة بن مجزز ـ رضي الله عنه ـ إلى جمع من الحبشة]

ثم بلغ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: أن جمعاً من الحبشة. . . . .

فلما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «منعتَ الزكاة وأردتَ قتلَ رسولي؟!»، قال: لا والذي بعثك بالحق[١]! وقدم الركب الذين لقوا الوليد، فأخبروا النبيَّ صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه، فبعث معهم عبادَ بنَ بشر يأخذ صدقات أموالهم، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويقرئهم القرآن. اهـ[٢].

قوله: (﴿فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾)؛ أي: فتعرفوا وتفحَّصوا، وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم.

وقوله: (﴿أَن تُصِيبُوا۟﴾)؛ أي: كراهةَ إصابتِكم.

(﴿قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾) بجهالة حالهم.

(﴿نَـٰدِمِينَ﴾) مغتمِّين غمّاً لازماً، متمنين أنه لم يقع. اهـ. بيضاوي[٣].

سرية

قوله: **(سرية)** عنونها الدحلاني بـ: سرية علقمةَ بنِ مجزز، قال: ومجزر ـ بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين، الأولى مكسورة ثقيلة ـ المُدْلِجيّ[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٧٩) من حديث الحارث بن ضرار ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٦).
وفي هامش الأصل: «تفصيل هذا البحث في أسباب النزول للواحدي صحيفة ٢٩١».

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢١٤).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٧).

رآهم أهلُ جُدَّةَ في مراكبهم يريدون الإغارةَ عليها، فأرسل لهم علقمةَ بنَ مُجَزِّز في ثلاث مئة، فذهب حتى وصل جُدَّةَ، ونزل في المراكب ليدركهم، وكان الأحباش متحصنين في جزيرة هناك، فلما رأوا المسلمين يريدونهم، هربوا، ولم يلقَ المسلمون كيداً، فرجع علقمةُ بمن معه. ولما كان بالطريق، أَذِنَ لِسَرَعان القوم أن يتعجلوا، وأمَّر عليهم عبدَالله بنَ حُذافة السَّهْمي، وكان فيه دعابة، فأوقد لهم في الطريق ناراً، وقال لهم: ألستم مأمورين بطاعتي؟ قالوا: نعم، قال: عزمتُ عليكم إلا ما تواثبتم في هذه النار، فقال بعضهم: ما أسلمنا إلا فراراً من النار، وهمَّ بذلك بعضهم، فمنعهم عبدالله، وقال: كنت مازحاً. فلما ذكروا ذلك لرسول الله، قال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[1].

قوله: (أهل جدة): قال الحلبي: جُدَّة ـ بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ـ: قرية سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر؛ لأن الجدة شاطئ البحر. اهـ[2].

قوله: (لسَرَعان القوم): ـ بفتح السين والراء ـ، وسرعان الناس: أوائلهم.

قوله: (قال: لا طاعة لمخلوق. . .) إلخ: أي: وقال لهم: «لو دخلوها، ما خرجوا منها أبداً»[3].

---

(١) أورده ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ٨٩٠). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٠) من حديث عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ مختصراً.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٢).

(٣) رواه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠)، من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

. . . .

قال الدحلاني: وعبدُالله بن حذافة هذا من قدماء المهاجرين ممن شهد بدراً، ومات بمصر في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

ومن مناقبه: ما أخرجه البيهقي عن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ قال: وجَّه عمرُ ـ رضي الله عنه ـ جيشاً إلى الروم، وفيهم عبدالله بن حذافة ـ رضي الله عنه ـ، فقال له ملك الروم: تنصَّرْ وأشركك في ملكي، فأبى، فأمر به أن يصلب إن لم يتنصر، فلما ذهبوا به، بكى، فقال: رُدّوه، فقال له: لم بكيت؟ قال: تمنيت أن لي مئةَ نفس تلقى هذا في الله، فعجب منه، ثم قال له: قَبِّلْ رأسي، وأنا أُخلي عنك، فقال: وعن جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم، فقبل رأسه، فخلى سبيلَهم، فقدم بهم على عمر ـ رضي الله عنه ـ، فقام فقبل رأسه ـ رضي الله عنهما ـ. اهـ[1].

❐❐❐

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٨)، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٣٩).




السَّنَة التّاسِعَة

سرية [علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لهدم الفلس]

في ربيع الأول أرسل عليه الصلاة والسلام عليَّ بنَ أبي طالب في مئة راكب وخمسين فارساً لهدم الفُلْس ـ صنمٍ لطيئ ـ فسار إليه وهدمه وأحرقه، ولما حارب عُبَّاده، هزمهم، . . . .

السنة التاسعة

سرية

قوله: (سرية) عنونها الحلبي والدحلاني بـ: سرية علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه[1] ـ.

قوله: (في خمسين فارساً): عبارة الحلبي: في خمسين ومئة رجل من الأنصار على مئة بعير وخمسين فارساً[2]، وعبارة الدحلاني: وبعث معه مئة وخمسين رجلاً من الأنصار، وفي رواية: كانوا مئتين[3].

قوله: (لهدم الفلس): ـ بضم الفاء وسكون اللام ـ. اهـ. حلبي[4].

لكن ضبطه في «القاموس» بالكسر[5].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٢/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٣).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٨).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٣).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: فلس).

واستاق نعَمهم وشاءهم وسبيهم، وكان فيه سَفَّانةُ بنت حاتم طيّئ .

ولما رجع عليٌّ إلى المدينة، طلبت سفَّانة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَمُنَّ عليها، فأجابها؛ لأنه كان من سنته صلى الله عليه وسلم أن يكرم الكرام، فدعت له، وكان من دعائها: شكرتْكَ يدٌ افتقرتْ بعد غنى، ولا ملكتكَ يدٌ استغنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة كريم إلا وجعلك سبباً لردّها عليه[١] .

قوله: (سفانة): ـ بفتح السين وتشديد الفاء ـ، والسفانة في الأصل: الدَّرة.

قال الحلبي: ومر النبي صلى الله عليه وسلم بأخت عَدِيّ، فقامت إليه، وكانت امرأة جذلة ـ أي ذات وقار وعقل ـ وكلمته صلى الله عليه وسلم أن يمنَّ عليها، فمنَّ عليها، فأسلمت ـ رضي الله عنها ـ، وخرجت إلى أخيها عدي، فأشارت عليه بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدم كما سيأتي.

ويذكر أنها قالت له: يا محمد! أرأيت أن تخلي عنا، ولا تشمت بنا أحياء العرب؛ فإني ابنة سيد قومي، وإن أبي كان يحمي الذمار، ويفك العاني ـ الأسير ـ، ويشبع الجائع، ويكسو العاري، ويقري الضيف، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولم يردَّ طالبَ حاجة قط، أنا ابنة حاتم طيئ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «يا جارية! هذه صفة المؤمنين حقّاً، لو كان مسلماً، لترحمنا عليه، خلوا عنها؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق»[٢].

---

(١) لم نقف عليه، وروى أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٤٤٧) عن بلال بن سعد قال: قضى سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ حاجة للحرقة بنت النعمان بن المنذر، فكان من دعائها له أن قالت له: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجة، ولا أزال عن كريم نعمةً، ولا زالت عن عبد صالح نعمةٌ؛ إلا جعلك الله سبيلاً إلى ردِّها.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، والحديث =

وكانت هذه المعاملة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سبباً في إسلام أخيها عديِّ بنِ حاتم الطائيِّ الذي كان فرّ إلى الشام عندما رأى الرايات الإسلامية قاصدة بلاده، وكان من حديث مجيئه: أن أخته توجهت إليه بالشام، وأخبرته بما عُوملت به من الكرم، فقال لها: ما ترين في أمر هذا الرجل؟ فقالت: أرى أن تلحق به سريعاً، فإن يكن نبيّاً، فللسابق إليه فضل، وإن يكن ملكاً، فأنت أنت، قال: والله! هذا هو الرأي[1].

قوله: (وكانت هذه المعاملة. . .) إلخ: قال الدحلاني نقلاً عن ابن إسحاق: لما أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم في سبايا؛ جعلت في حظيرة المسجد، فمر بها صلى الله عليه وسلم، فقامت إليه، وكانت جزلة فقالت: يا رسول الله! هلك الوالد، وغاب الوافد، فقال: ومن أوفدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: «الفارّ من الله ورسوله؟ لأنه فر لما رأى الجيش، فمضى حتى كان الغد قالت: مر بي فقلت له، وقال لي مثل ذلك، حتى كان بعد الغد مرّ بي ويئست، فأشار إليّ علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وهو خلفه أنْ قومي إليه فكلميه، فقمت فقلت: يا رسول الله! هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ منّ الله عليك، قال: «قد فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذنيني»، فقدم رهط من طيئ، قالت: فأخبرته أن لي فيهم ثقة وبلاغاً، فكساني وحملني وأعطاني نفقة، فخرجت حتى قدمت الشام على أخي. . . إلخ ما في كلام المصنف[2].

قوله: (فإن يكن نبيّاً) قال الحلبي: ولعلها لم تظهر له إسلامها؛ لئلا ينفر

= المذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٤١) من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٩). وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٧٦).

فخرج حتى جاء المدينة، ولقي رسولَ الله، فقال عليه الصلاة والسلام: «من الرجل؟» قال: عديٌّ بن حاتم، فأخذه إلى بيته، وبينما هما يمشيان، إذ لقيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم امرأة عجوز، فاستوقفته، فوقف لها طويلاً تُكَلمه في حاجتها، فقال عدي: والله! ما هو بملك، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بيته، تناول وِسادة من جلد محشوّة ليفاً، فقدّمها إلى عدي، وقال: «اجلسْ على هذه»، فقال: بل أنت تجلس عليها، فامتنع عليه الصلاة والسلام، وأعطاها له، وجلس هو على الأرض، ثم قال: «يا عدي! أسلم تسلمْ»، قالها ثلاثاً، فقال عدي: إني على دين، وكان نصرانيًّا. فقال له عليه الصلاة والسلام: «أنا أعلم بدينك منك»، فقال عدي: أأنت أعلم بديني منّي؟ قال: «نعم»، ثم عدّد له أشياء كان يفعلها اتباعاً لقواعد العرب، وليست من دين المسيح في شيء، كأخذِه المرباع وهو ربع الغنائم، . . . .

طبعه من قولها له: (إن يكن نبيّاً)؛ أي: على الفرض والتنزل، تحريضاً له على اللحوق به صلى الله عليه وسلم[1].

وفود عدي بن حاتم

قوله: (وجلس هو على الأرض): قال عدي: فقلت: والله! ما هذا بأمر ملك[2].

قوله: (وهو ربع الغنائم)؛ أي: كما هو شأن الأشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فإن ذلك لم يكن يحل

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٧٨).

ثم قال: «يا عدي! إنما يمنعك من الدخول في الدين ما ترى، تقول: إنما اتَّبعه ضَعَفَةُ الناس ومَنْ لا قدرة لهم، وقد رمتهم العرب مع حاجتهم، فوالله! ليُوشكَنَّ المالُ أن يفيض فيهم حتى لا يُوجد مَنْ يأخذه، ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، أتعرف الحِيْرة؟» قال: لم أرها وقد سمعت بها، قال: «فو الله! ليتمَّنَّ هذا الأمر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد، ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم، وايمُ الله! ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتحت عليهم»[1]، فأسلم عديٌّ ـ رضي الله عنه ـ، وعاش حتى رأى كل ذلك.

لك في دينك»، فقلت: أجل، والله! عرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل[2].

قوله: (وعاش حتى رأى كل ذلك): عبارة الحلبي: قال عدي: وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت، وايم الله لتكونن الثانية: ليفيضُ المال حتى لا يوجد من يأخذه[3].

قال الدحلاني: وكان ـ رضي الله عنه ـ من فضلاء الصحابة، لم يرتدَّ مع من ارتدَّ من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، بل ثبت على الإسلام، وكان يبعث بصدقات قومه إلى الصدّيق ـ رضي الله عنه ـ، وحضر فتوح العراق، مات سنة

---

(١) رواه البخاري (٣٥٩٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٧)، من حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٧) من حديث عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٧٨).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥٩)، والحديث رواه البخاري (٣٥٩٥)، والإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٧)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه، وانظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٧٨).

ثمان وستين، وهو ابن مئة وعشرين، وقيل: مئة وثمانين، وروى له أصحاب السنن الستة.

وروى ابن المبارك في «الزهد» عن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ: ما دخل وقت صلاة إلا وأنا أشتاق إليها[1].

وفي رواية: ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء[2].

وكان جواداً.

وقد روى الإمام أحمد: أن رجلاً سأله مئة درهم، فقال: تسألني مئة درهم وأنا ابن حاتم؟ والله! لا أُعطيك[3].

بِأَبِهِ اقتدى عديٌّ في الكَرَمْ

ومن يشابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ[4]

غزوة تبوك

قوله: (غزوة تبوك) قال الدحلاني: على وزن (تقول)، لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل، وقيل: للعلمية والتأنيث، وجوز بعضهم صرفه على إرادة المكان، وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربعَ عشرةَ مرحلة، وبينه وبين

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٤٦٠).

(٢) ورواه أبو بشر الدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٤٩٤) من طريق محمد بن عبدالله بن المبارك.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٣٩)، والخبر المذكور رواه أبو عوانة في «مسنده» (٥٩٦١) من طريق الإمام أحمد.

(٤) البيتان لرؤبة بن العجاج. انظر: «ديوانه» (ص: ١٨٢).

أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه في بلاده، وكان ذلك في زمن عُسْرة الناس، وجدب البلاد، وشدة الحرّ حين طابت الثمار، والناس يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، فأمر عليه الصلاة والسلام بالتجهز، وكان قلّما يخرج في غزوة إلا ورّى بغيرها، ليُعَمِّي الأخبار على العدو، إلا في هذه الغزوة؛ فإنه أخبر بمقصده؛ لبُعد الشّقةِ، ولشدة العدوِّ؛ ليأخذ الناس عدّتهم لذلك، وبعث إلى مكة وقبائل الأعراب يستنفرهم لذلك، وحثَّ الموسرين على تجهيز المعسرين، ....

دمشق إحدى عشرة ـ وقيل: اثنتا عشرة ـ مرحلة، وقيل: هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق، وهي غزوة العسرة ـ بضم العين وسكون السين ـ ، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾[التوبة: ١١٧]، وتعرف بالفاضحة؛ لافتضاح المنافقين فيها، قالوا: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ﴾[التوبة: ٨١]، وقد فضحهم الله في آيات كثيرة في سورة التوبة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى﴾ [التوبة: ٤٩]، وكقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]، وكانت في رجب سنة تسع من الهجرة. اهـ[1].

قوله: (إن الروم جمعت الجموع) قال الدحلاني: اختلف في سبب هذه الغزوة؛ فقال بعضهم: سببها: أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الأنباط الذين يقدمون بالزيت من الشام إلى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل، وهو قيصر ملك الروم، واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان، وغيرهم من متنصِّرة العرب، وجاءت مقدمتهم إلى البلقاء، فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك، ندب الناس إلى الخروج، وأعلمهم بالمكان الذي يريد؛ ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه في السفر والحرب[2].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ١٦٥).

وروى الطبراني من حديث عمرانَ بنِ حصين الخزاعيِّ ـ رضي الله عنهما ـ قال: كانت نصارى العرب كتبت إلى هرقل: إن هـذا الرجل الذي يدعي النبوة هلك، وأصابتهم سنون، فهلكت أموالهم، فإن كنت تريد أن تلحق دينك، فالآن، فبعث رجلاً من عظمائهم يقال له: قباذ، وجهز معه أربعين ألفاً، فبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم، فندب الناس للخروج. اهـ[1].

وقيل: سببها: أن الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام في الحج وغيره؛ قالت قريش: لتقطعن عنا المتاجر والأسواق، وليذهبن ما كنا نصيب منها، فعوضهم الله بالأمر بقتال أهل الكتاب حيث قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[التوبة: ١٢٣]، فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم؛ لأنهم أقرب الناس إليه، وأولاهم بالدعوة إلى الحق؛ لقربهم إلى الإسلام[2].

قوله: (فأنفق عثمان بن عفان عشرة آلاف دينار): قال الحلبي: فإنه جهز عشرة آلاف أنفق عليها عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل، وهي تسع مئة بعير، ومئة فرس، والزاد، وما يتعلق بذلك، حتى ما تُربط به الأسقية، ولما صبت بين يديه العشرة آلاف دينار، جعل صلى الله عليه وسلم يقول بيديه، ويقلبها ظهراً لبطن، ويقول: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة، ما يبالي ما عمل بعدها»[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٣١)، وفيه: «الضناد» بدل «قباذ»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩١): وفيه العباس بن الفضل الأنصاري، وهو ضعيف.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٠)، والحديث المذكور رواه =

وأعطى ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها، وخمسين فرساً، فقال صلى الله عليه وسلم: «اللهمّ ارضَ عن عثمان؛ فإني راضٍ عنه».

وجاء أبو بكر بكل ماله، وهو أربعة آلاف درهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «هل أبقيتَ لأهلك شيئاً؟» فقال: أبقيتُ لهم الله ورسوله، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله[1].

وجاء عبد الرحمن بن عوف بمئة أوقية، . . . .

قوله: (وأعطى ثلاث مئة بعير . . .) إلخ: هذه رواية أخرى، والأحلاس: جمع حِلْس، كساء يجعل على ظهر البعير تحت رحله، والأقتاب: جمع قتب، الرحل الصغير على قدر سنام البعير.

قوله: (فقال عليه السلام[2]: اللهم ارض عن عثمان . . .) إلخ: قال الحلبي: وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه ـ: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان، يقول: «اللهم! عثمانُ رضيتُ عنه، فارض عنه». اهـ[3].

قوله: (وجاء أبو بكر بكل ماله): قال الحلبي: كان أول من جاء بالنفقة أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، جاء بجميع ماله . . . إلخ ما ذكره المصنف[4].

= ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١/ ٣٤٠) من حديث حذيفة ـ رضي الله عنه ـ، وقال ابن عدي: هذا الحديث بهذا الإسناد غير محفوظ.

(١) رواه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) في الأصل: «عثمان» بدل «عليه السلام»، والصواب المثبت.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٠)، والحديث المذكور رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ٥٤).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٠).

وجاء العباسُ وطلحةُ بمال كثير. وتصدّق عاصمُ بنُ عديّ بسبعين وسْقاً من تمر، وأرسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حُليهن، وجاءه صلى الله عليه وسلم سبعةُ أنفس من فقهاء الصحابة يطلبون إليه أن يحملهم. فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فتولوا وأعينُهم تفيض من الدمع حَزَناً ألّا يجدوا ما يُنفقون[1]، فجهز عثمان ثلاثةً منهم، وجهز العباسُ اثنين، وجهز يامينُ ابنُ عمرٍو اثنين.

قوله: (سبعة أنفس من فقهاء الصحابة)؛ أي: من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير، وعلبة بن زيد أخو بني حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أخو بني مازن بن النجار، وعمرو بن حمام بن الجموح أخو بني سلمة، وعبدالله بن المغفل المزني، وبعض الناس يقول: بل هو عبدالله ابن عمرو المزني، وهرمي بن عبدالله أخو بني واقف، وعرباض بن سارية الفزاري. اهـ. ابن هشام[2].

قوله: (ما ينفقون)؛ أي: ما يحملهم، ومن ثم قيل لهم: البكاؤون. اهـ. حلبي[3].

قوله: (وجهز يامين بن عمرو اثنين): قال ابن هشام: هما: أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، وعبدالله بن مغفل، لقيهما وهما يبكيان، فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضحاً له، فارتحلاه،

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾[التوبة: ٩٢]. والخبر المذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢١٨) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٩٧ ـ ١٩٨).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠١).

ولما اجتمع الرجال، خرج بهم رسول الله، وهم ثلاثون ألفاً، وولّى على المدينة محمدَ بنَ مسلمة، وعلى أهله عليَّ بنَ أبي طالب، وتخلَّفَ كثير من المنافقين يرأسهم عبدُالله بن أُبَيّ، وقال: يغزو محمد بني الأصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد! أيحسبُ محمد أن قتال بني الأصفر معه اللعب؟ والله! لكأني أنظر إلى أصحابه مقرّنين في الحبال. واجتمع جماعة منهم، . . . .

وزودهما شيئاً من تمر[١].

وذلك صاعان لكل واحد؛ كما في الحلبي[٢].

قوله: (وهم ثلاثون ألفاً)، وكانت الخيل عشرة آلاف فرس. اهـ. حلبي[٣].

قوله: (يرأسهم عبدالله بن أبي)؛ أي: وذلك بعد [أن] كان قد خرج بقومه، وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع، وبعد أن قال ما ذكره المصنف، رجع بقومه. اهـ. دحلاني[٤].

قوله: (واجتمع جماعة منهم)؛ أي: في بيت سويلم اليهودي، فقال بعضهم: أتحسبون جِلادَ بني الأصفر كقتال العرب بعضِهم بعضاً؟! والله! لكأني بهم غداً مقرنين بالحبال[٥].

والجلاد: الضراب بالسيوف. اهـ. دحلاني[٦].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٩٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٢).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٤٤)، وما بين معكوفتين منه.

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦).

(٦) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٤٤).

فقالوا في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما يريدون من الإرجاف، فبلغه ذلك، فأرسل إليهم عمّار بن ياسر يسألهم عمّا قالوا، فقالوا: إنما كنّا نخوض ونلعب[1].

وجاء إليه جماعة منهم الجَدُّ بنُ قيس يعتذرون عن الخروج، فقالوا: يا رسول الله! ائذنْ لنا ولا تفتنّا؛ لأنّا لا نأمن من نساء بني الأصفر، . . . . .

قال في «زاد المعاد»: ومن هؤلاء الجماعة: وديعة بن ثابت أخو بني عمرو ابن عوف، ومنهم رجل من أشجع يقال له: مخشي بن حمير[2].

قوله: (فأرسل إليهم عمار بن ياسر): قال الدحلاني: قال له: «أدرك القوم، فاسألهم عما قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى قلتم كذا وكذا»[3].

قوله: (ائذن لنا)؛ أي: في التخلف.

قال الحلبي: قال الجَدُّ للنبي صلى الله عليه وسلم: فوالله! لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «قد أذنتُ لك»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة: ٤٩][4]؛ أي: التي هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرغبةُ عنه.

وفي رواية: لما قال الجد للنبي صلى الله عليه وسلم ما قال، لامه ولده

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٨٦) من حديث كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٣٦).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٤٤)، والخبر المذكور أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٠٦).

(٤) أورده ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ١٩٦).

وجاء إليه المعذِّرون من الأعراب ـ وهم أصحاب الأعذار من ضعف أو قلّة ـ ليؤذن لهم، فأذن لهم، وكذلك استأذن كثير من المنافقين، فأذن لهم، وقد عتب الله عليه في ذلك الإذن بقوله في سورة براءة: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[براءة: ٤٣]، ثم قال في حقهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[براءة: ٤٥]، . . . .

عبدالله ـ رضي الله عنه ـ، وقال له: والله! ما يمنعك إلا النفاق، وسينزل الله فيك قرآناً، فأخذ نعله وضرب به ولده، فلما نزلت الآية، قال له: ألم أقل لك؟! فقال له: اسكتْ، فوالله! لأنت أشدُّ علي من محمد. اهـ[1].

قوله: (وجاء إليه المعذرون من الأعراب)؛ أي: وكانوا اثنين وثمانين رجلاً كما في الحلبي[2].

قوله تعالى: (﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبته عليه، والمعنى: لأي شيء أذنتَ لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب، وهلا توقفت ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾[التوبة: ٤٣]؟

وقوله: (﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾)؛ أي: في التخلف.

(﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . . .﴾) إلخ: إذ ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا، فإن الخُلَّص منهم يبادرون إليه، ولا يوقفونه على الإذن فيه، فضلاً أن يستأذنوا في التخلف عنه، أو أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا.

وقوله: (﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾)؛ أي: يتحيرون.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٣)، والخبر المذكور أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٣٨٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٤).

ثم كذبهم الله في عذرهم فقال: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾[براءة: ٤٦]، ثم لكيلا يأسى المسلمون على قعود المنافقين عنهم، قال جلَّ ذكره: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[براءة: ٤٧].

وتخلف جماعة من المسلمين لا يُتَّهمون في إسلامهم، منهم: كعبُ ابن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، وأبو خيثمة. ولما خلَّف صلى الله عليه وسلم عليًّا، قال المنافقون: قد استثقله فتركه، . . . .

وقولـه: (﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾): فحبسهم بالجبن والكسل.

(**﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾**) تمثيل لإلقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم، أو وسوسة الشيطان بالأمر بالقعود.

وقوله: (﴿إِلَّا خَبَالًا﴾): فساداً وشرّاً.

وقوله: (﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ . . .﴾) إلخ؛ أي: ولأسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب والهزيمة والتخذيل، من وضعَ البعيرُ وضعاً: إذا أسرع، يريدون أن يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم، أو الرعب في قلوبكم، وفيكم ضَعَفَة يسمعون قولهم ويطيعونهم.

وقوله: (﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾)؛ أي: يعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم[1].

قوله: (منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع): سيأتي فصل على حدةٍ في شأنه.

قوله: (وأبو خيثمة): اسمه: مالك بن قيس، وسيأتي ما كان من أمره قريباً.

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ١٤٩).

فأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشكا له ما سمع، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارونَ من موسى؟».

ثم سار صلى الله عليه وسلم بالجيش، وأعطى لواءه الأعظم أبا بكر الصديق، وفي إعطاءِ اللواء لأبي بكر آخر غزوة للرسول صلى الله عليه وسلم، وتخليفِ عليٍّ على أهل البيت حكمةٌ لطيفة، يفهمها القارئ. وفرَّق عليه الصلاة والسلام الرايات، فأعطى الزبيرَ رايةَ المهاجرين، وأُسَيدَ بن حُضَير راية الأوس، والحُبابَ بنَ المنذر رايةَ الخزرج، ولما مرَّ الجيش بالحِجْر، وهي ديار ثمود، قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: . . . .

قوله: (فأسرع إلى رسول الله. . .) إلخ: قال الحلبي: حين قيل فيه ذلك، أخذ سلاحه، ثم خرج حتى لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبي الله! زعم المنافقون أنك ما خلفتني إلا استثقلتني وتخففت مني، فقال: «كذبوا، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى عليه السلام في قومه»، فرجع عليٌّ إلى المدينة. اهـ[1].

قوله: (ولما مر الجيش بالحجر): قال الحلبي: ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ديارِ ثمود؛ سجى ثوبه على رأسه، واستحث راحلته، وقال: «لا تدخلوا بيوتَ الذين ظلموا إلا وأنتم باكون؛ خوفاً أن يصيبكم ما أصابهم»[2]؛ أي: لأن البكاء يتبعه التفكر والاعتبار، فكأنه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر، مع تمكينه لهم في الأرض، وإمهالهم مدة طويلة، ثم إيقاع نقمته بهم وشدة عذابه، وهو سبحانه

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٤)، والخبر المذكور رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٩٩).

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٠٢) بلاغاً عن الزهري مرسلاً.

«لا تدخلوا ديار الذين ظلموا إلا وأنتم باكون»؛ ليشعر في قلوبهم رهبة الله، وكان مستعملاً على حرس الجيش عبَّادَ بن بشر، وكان أبو بكر يصلي بالجيش، ولما وصلوا إلى تبوك، وكانت أرضاً لا عمارة فيها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: «يُوشِك ـ إن طالت بك حياة ـ أن ترى ما هنا مُلئ بساتين»[1]، وقد كان.

ولما استراح الجيش، لحقه أبو خيثمة، وكان من خبر مجيئه: أن دخل على أهله في يوم حارّ، فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان، قد رشت كلٌّ منهما عريشتها، وبرَّدت فيها ماء، وهيأتْ طعاماً، وكان يوماً شديد الحر، فلما نظر ذلك قال: . . . .

يقلب القلوب، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته إلى مثل ذلك. اهـ[2].

قوله: (وكان أبو بكر يصلي بالجيش): يشعر أنه كان صلى الله عليه وسلم يقتدي به، وليس كذلك، فإنه لم يقتد به إلا في مرض موته.

قال الدحلاني: ويظهر أنه كان يصلي مع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بعضُ القوم، ومع النبي صلى الله عليه وسلم بعض؛ لكثرة القوم، فلما تأخر صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة في يوم من الأيام؛ صلى عبدُ الرحمن بن عوف بالناس، وبعد أن أتى بركعة، جاء النبي صلى الله عليه وسلم واقتدى به في الركعة الثانية[3].

---

(١) رواه مسلم (٧٠٦/ ١٠) من حديث معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ، وفيه: «جناناً» بدل «بساتين».

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٦)، والخبر المذكور رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٩٩).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٤٧)، وخبر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلَّم خلف عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤٧) من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ.

يكون رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الحر، وأبو خيثمةَ في ظل بارد، وماء مهيأ، وامرأة حسناء؟! ما هذا بالنَّصَف. ثم قال: والله! لا أدخل عريشَة واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيّئا لي زاداً، ففعلتا، ثم ركب بعيره، وأخذ سيفه ورمحه، وخرج يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصادفه حين نزل بتبوك.

وفود صاحب أَيْلة

هذا، ولم يرَ صلى الله عليه وسلم بتبوك جيشاً كما كان قد سمع، فأقام هناك أياماً. . . . .

قوله: (فصادفه حين نزل تبوك): قال الحلبي: فلما دنا [أبو] خيثمة قال الناس: هذا ركب مقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثمة»، فقالوا: يا رسول الله! هو ـ والله ـ أبو خيثمة، فلما أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أولى لك يا أبا خيثمة»، ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خيراً»، ودعا له بخير[١].

و(أولى لك): كلمة تهديد وتوعُّد. اهـ[٢].

وفود صاحب أيلة

قوله: (فأقام هناك أياماً): قيل: بضع عشرة ليلة، وقيل: عشرين ليلة، وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعباً منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٠١). ورواه مسلم (٢٧٦٩) من حديث كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ مختصراً.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٠٧ ـ ١٠٨)، والخبر المذكور رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ١٩٩).

جاءه في أثنائها يُوحَنَّا[1]، صاحبُ أيلة، وصحبته أهلُ جَرْباء، وأهلُ أَذْرُح، وأهل مَقْنا، فصالح يُوحَنَّا رسول الله على إعطاء الجزية، ولم يُسلم. وكتب له الرسول كتاباً هذه صورته:

كتاب صاحب أيلة

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أَمَنَةٌ من الله ومحمدٍ النبيِّ رسولِ الله ليوحنَّا بنِ رؤبةَ وأهلِ أيلة: سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمدٍ النبي، ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ماله دون نفسه، . . . .

بمسيره، فكان من الحكمة في هذه الغزوة ما حصل من إغاظة الكفار، وظهور عز المسلمين، وفضيحة المنافقين وإذلالهم. اهـ. دحلاني[2].

وقال في آخر هذه الغزوة: وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك في رمضان سنة تسع[3].

قوله: (أذرُح) هو: ـ بضم الراء المهملة ـ.

قوله: (فصالح يوحنا على إعطاء الجزية)؛ أي: بعد أن عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام.

كتاب صاحب أيلة

قوله: (فإنه لا يحوز[4]) تابع المصنف فيه النسخة المطبوعة من «السيرة

---

(١) قال نور الدين الحلبي في «سيرته»: يُحَنَّة بضم المثناة تحت وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التأنيث.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٥٣).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٩١).

(٤) كذا في الأصل، وقد تم التصويب في المتن المثبت في أعلى الصفحة.

وإنه لَطيبةٌ لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحلّ أن يُمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر»[1].

كتاب أهل أَذْرُح وجَرْبَاء

وكتب لأهل أذرح وجرباء كتاباً صورته: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمدٍ النبيِّ لأهل أذرُح وجرباء، إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وإن عليهم مئة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل بالنصح والإحسان للمسلمين»[2].

وصالَح أهل مَقْنا على ربع ثمارها.

ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم استشار أصحابه في مجاوزة تبوك إلى ما هو أبعدُ منها من ديار الشام، فقال له عمر: إن كنت أُمرت بالسير فسِرْ، فقال عليه الصلاة والسلام: «لو كنت أُمرت بالسير لم أَسْتَشِرْ»، فقال: يا رسول الله! إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بالشام أحد من أهل الإسلام، وقد دنونا، وقد أفزعهم دنوُّك، فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمراً، فتبع عليه الصلاة والسلام مشورته، . . . .

الحلبية»[3]، والصواب: لا يحول؛ كما في «السيرة الدحلانية»، وفي «زاد المعاد»[4].

كتاب أهل أذرح وجرباء

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٠٧).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٩٠) عن الواقدي.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١١٧).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٥٣)، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٣٧).

وأمر بالقفول، فرجع الجيش إلى المدينة[1].

مسجد الضِّرار

ولما كان على مقربة منها، بلغه خبر مسجد الضِّرار، وهو مسجد أسَّسه جماعةٌ من المنافقين معارضةً لمسجد قُباء؛ ليفرقوا جماعة المسلمين. وجاء جماعة منهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم طالبين منه أن يصلِّي لهم فيه، فسألهم عن سبب بنائه، فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون، فأمر عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه لينطلقوا إليه، ويهدموه، ففعلوا.

مسجد الضرار

قوله: (على مقربة منها)؛ أي: من المدينة في مكان يقال له: ذو أوان، بينه وبين المدينة ساعة من نهار. اهـ. حلبي[2].

قوله: (بلغه خبر مسجد الضرار): قال الله تعالى في سورة براءة: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٨].

قال الخازن: نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجداً يضارون به مسجد قباء، وكانوا اثني عشر رجلاً من أهل النفاق بنوا هذا المسجد، ﴿ضِرَارًا﴾؛ يعني: مضارة للمؤمنين، ﴿وَكُفْرًا﴾ يعني: ليكفروا فيه بالله ورسوله، ﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ لأنهم كانوا جميعاً يصلون في مسجد قباء، فأدى ذلك إلى الاختلاف

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٣٧) عن الواقدي عن شيوخه، وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١١٩).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٢٢).

هذا، ولما استقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة، جاءه جماعات من الذين تخلفوا يعتذرون كذباً، فقبل منهم عليه الصلاة والسلام علانيتهم، ووكل ضمائرهم إلى الله، واستغفر لهم.

وافتراق الكلمة، فلما فرغوا من بنائه، أتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله! إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا وتصلي فيه وتدعو بالبركة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني على جناح سفر، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا فيه».

وقوله تعالى: ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾؛ أي: بنوه إرصاداً؛ أعني: انتظاراً وإعداداً لمن حارب الله ورسوله.

﴿مِن قَبْلُ﴾ يعني: من قبل بناء هذا المسجد، وهو أبو عامر الراهب والدُ حنظلة، وكان قد ترهب في الجاهلية، ولبس المُسوح وتنصَّر، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، حصل بينه وبين أبي عامر محاورة، قال له أبو عامر في آخرها: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً غريباً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «آمين»، وسماه الناس أبا عامر الفاسق، ولما كان يوم أُحد، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلم يزل كذلك إلى يوم حنين، فلما انهزمت هوازن، يئس أبو عامر، وخرج هارباً إلى الشام، وأرسل إلى المنافقين أن استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح، وابنوا لي مسجداً؛ فإني ذاهب إلى قيصر ملك الروم، فآتي بجند من الروم، فأُخرج محمداً وأصحابه، فبنوا مسجد الضرار.

ولما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من تبوك راجعاً، نزل بذي أوان، فأتاه المنافقون، وسألوه أن يأتي مسجدهم، فأنزل الله هذه الآية، وأخبره خبر مسجد الضرار، وما هموا به، فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مالكَ بنَ

وجاءه كعبُ بن مالكٍ الخزرجيُّ، ومُرارة بن الرّبيع، وهلال بن أميَّة الأوسيّان مقرِّين بذنوبهم، فلما دخل عليه كعب، تَبَسَّم تَبَسُّمَ الغَضب، وقال: «ما خلَّفك؟» فقال: يا رسول الله! لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيتُ أن سأخرجُ من سخطه بعذر، ولقد أُوتيتُ جدلاً، ولكني ـ والله ـ لقد علمتُ لئن حدَّثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكَنَّ الله أن يسخط عليَّ فيه، ولئن حدثتك حديث صِدق تغضب عليَّ فيه، إني لأرجو فيه عفوَ الله، والله! ما كان لي من عذر. فقال عليه الصلاة والسلام: «أما هذا، فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك». وقال صاحباه مثلَ قوله، . . . .

الدخشم، ومعنَ بن عدي، وعامر بن السكن، ووحشيّاً، فقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهلُه فاهدموه وأحرقوه»، ففعلوا ذلك[1].

ومات أبو عامر الراهب بالشام غريباً وحيداً.

قال عطاء: لما فتح الله على عمر بن الخطاب الأمصار، أمر المسلمين أن يبنوا المساجد، وأمرهم أن لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضارُّ أحدُهما الآخر[2].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ معناه: لا تصل فيه أبداً. اهـ. باختصار[3].

حديث الثلاثة الذين خلفوا

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢١١ ـ ٢١٢)، والخبر المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٢٣ ـ ٢٤) من طريق ابن إسحاق عن الزهري، ويزيد ابن رومان، وعبدالله بن أبي بكر، وعاصم بن عمر بن قتادة، وغيرهم.

(٢) رواه البغوي في «تفسيره» (٢/ ٣٢٧).

(٣) انظر: «تفسير الخازن» (٢/ ٤٠٥ ـ ٤٠٧).

فقال لهما عليه الصلاة والسلام كما قال لكعب، ونهى المسلمين عن كلامهم، فاجتنبهم الناس، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، واستأذنتْ زوجُ هلال بن أمية في خدمة زوجها؛ لأنه شيخ ضائع ليس له خادم، فأذن لها، . . .

قوله: (فاجتنبهم الناس) قال الحلبي: أما الرجلان، فمكثا في بيوتهما يبكيان، وأما كعب، فكان يشهد الصلاة مع المسلمين، ويطوف بالأسواق، فلا يكلمه أحد منهم، قال: ولما طال ذلك عليَّ من جفوة الناس؛ تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابنُ عمي، وأحبُّ الناس إليَّ، فسلمت عليه، والله! ما رد عليّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة! أنشدك الله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت إليه فنشدته فسكت، فعدت إليه فنشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، قال: وبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا نَبَطِيٌّ من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدلني على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني، دفع إليَّ كتاباً من ملك غسان، وهو الحارث بن أبي شِمر، أو جبلة بنُ الأيهم، وكان الكتاب ملفوفاً في قطعة من الحرير، فإذا فيه: أما بعد: فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحَقْ بنا نواسيك، فقلت لما قرأته: وهذا أيضاً من البلاء، فيممت به التنور، فسجرتُه بها[١].

قوله: (وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم): قال الحلبي: قال كعب: لما مضى أربعون ليلة، جاءني رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر[٢].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٢٥).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٢٥).

ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أنْ لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم، فأرسل لهم عليه الصلاة والسلام مَنْ يبشرهم بهذه النعمة الكبرى، فتلقاهم الناس أفواجاً يهنئونهم بتوبة الله. فلما دخل كعبٌ المسجد، تلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مسروراً، فقال: «أبشرْ يا كعبُ بخير يوم يمرُّ عليك منذ ولدتك أمك»، فقال: مِن عندك يا رسولَ الله، أم من عند الله؟ قال: «بل من عند الله». فقال كعب: يا رسول الله! إن من توبتي أن أنخلعَ من مالي صدقةً لله ولرسوله، فقال عليه الصلاة والسلام: «أمسكْ عليك بعضَ مالك، فهو خير لك». ثم قرأ عليه الصلاة والسلام الآيات التي فيها توبتُه هو وصاحباه في سورة براءة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ . . . .

قوله: (ثم تاب عليهم) قال الحلبي: قال كعب: لما مضت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا؛ سمعت صوتاً عند صلاة الفجر فوق جبل سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعبُ بنَ مالك! أبشر، فخررت ساجداً، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن بتوبة الله علينا، فلما جاءني الرجل الذي سمعت صوته يبشرني، وهو حمزة بن عمرو الأوسيّ؛ نزعتُ له ثوبيّ، فكسوته إياهما ببشراه، والله! لا أملك غيرَهما يومئذ، واستعرت من أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ ثوبين، فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتلقاني الناس أفواجاً أفواجاً يهنئوني بالتوبة[1].

قوله تعالى: (﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾)؛ أي: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا، عطف على ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ في الآية قبلها.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١٢٦)، وخبر كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[براءة: ١١٨].

وفود ثقيف

وعَقِبَ مقدَمه عليه الصلاة والسلام من تبوك وفدَ عليه وفد ثقيف، . .

(﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾): برحبها؛ أي: مع سَعَتها، وهو مثل للحيرة في أمرهم، كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً.

(﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾)؛ أي: قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور؛ لأنها خرجت من فرط الوحشة والغم.

(﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾): وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره.

(﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾): فيه إضمار وحذف تقديره: وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، فرحمهم، ثم تاب عليهم، وإنما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ تأكيد لقبول توبتهم؛ لأنه قد ذكر توبتهم في قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ كما تقدم، وأنه عطف على قوله: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ . . .﴾ إلخ.

وقوله: (﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾) معناه: أن الله سبحانه وتعالى تاب عليهم في الماضي؛ ليكون ذلك داعياً إلى التوبة في المستقبل، فيرجعوا ويداوموا عليها. اهـ. نسفي وخازن[1].

وفود ثقيف

قوله: (وعَقِبَ مقدَمه عليه السلام من تبوك) وكان ذلك في رمضان.

---

(١) انظر: «تفسير النسفي» (٢/ ١١٣)، و«تفسير الخازن» (٢/ ٤١٨ ـ ٤١٩).

وكان من خبرهم: أنه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم، تبع أثرَه عروةُ بنُ مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل المدينة، فأسلم، وسأله أن يرجع إلى قومه، ويدعوَهم إلى الإسلام، فقال له: «إنهم قاتِلُوكَ»، فقال: يا رسول الله! أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم[1]، فخرج إلى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبته فيهم؛ لأنه كان فيهم محبباً مطاعاً، فلما جاء الطائف، وأظهر لهم ما جاء به، رموه بالنبل فقتلوه، وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما بينهم، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَنْ حولهم من العرب، فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلاً منهم يكلِّمه، وطلبوا من عبد ياليل بنِ عمرو أن يكون ذلك الرجل، فأبى، وقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجالاً، فبعثوا معه خمسة من أشرافهم، فخرجوا متوجهين إلى المدينة، ولما قابلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، . . . . . .

قوله: (فقتلوه): قال الحلبي: قيل له قبل أن يموت: ما ترى في دمك؟ فقال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم، فدفنوه معهم. اهـ[2].

قوله: (خمسة من أشرافهم) قال الحلبي: ويقال: وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعةَ عشرَ رجلاً هم أشراف ثقيف، فيهم كنانةُ بنُ عبد ياليل، وهو رأسهم، وعثمانُ بن أبي العاص، وهو أصغرهم[3].

قوله: (فخرجوا متوجهين إلى المدينة): قال الحلبي: لما قربوا من

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٢٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤٢).

ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن، ويروا الناس إذا صلّوا. وكانوا يَغْدون إلى رسول الله كل يوم، ويخلِّفون في رحالهم أصغرهم سناً عثمانَ بنَ أبي العاص. فكان إذا رجعوا، ذهب للنبي صلى الله عليه وسلم واستقرأه القرآن، وإذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئاً كثيراً من القرآن، وهو يكتم ذلك عن أصحابه، ثم أسلم القوم، وطلبوا أن يُعَيِّن لهم من يؤمُّهم، فأمَّرَ عليهم عثمان بن أبي العاص؛ لما رآه من حرصه على الإسلام وقراءةِ القرآن وتعلُّمِ الدين.

كتاب أهل الطائف

ثم كتب لهم كتاباً من جملته: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبيِّ رسولِ الله إلى المؤمنين، إن عِضَاهَ وَجّ وَصَيْدَهُ حَرَامٌ، لا يُعْضَدُ شجره، ومن وُجد يفعل شيئاً من ذلك، . . . .

المدينة، لقوا المغيرة بن شعبة الثقفي، فعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبوا إلا تحية الجاهلية، وهي: عِمْ صباحاً[1].

كتاب أهل الطائف

قوله: (ثم كتب لهم كتاباً) الكاتب له خالدُ بن سعيد بن العاص، وهو الذي كان يمشي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

قوله: (إن عضاه وَجّ): العِضاه: كل شجر له شوك، واحدهُ عِضَةٌ؛ كشفة وشِفاه.

و(وج): واد بالطائف. اهـ. حلبي[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤٣).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤٣).

فإنه يُجلَد وتُنزع ثيابُه»[1] .

ثم سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أن يؤَجِّل هدمَ صنمهم شهراً حتى يدخل الإسلام في قلوب القوم، ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمه، فرضي بذلك عليه الصلاة والسلام، ولما خرجوا من عنده، قال لهم رئيُسهم : أنا أعلمُكم بثقيف، اكتموا عنهم إسلامكم، وخوِّفوهم الحرب والقتال، وأخبروهم أن محمداً طلب أموراً عظيمة أبيناها عليه . سألَنا أن نهدم الطاغية، وأن نترك الزنا وشربَ الخمر والربا، فلما حلّوا بلادهم، جاءتهم ثقيف، فقال الوفد : جئنا رجلاً فظّاً غليظاً قد ظهر بالسيف، ودان الناس له، فعرض علينا أموراً شديدة، وذكروا ما تقدم . فقالوا : والله! لا نطيعه أبداً، فقالوا لهم : . . . .

وقال الدحلاني : والقول بأخذ [سَلَب][2] المتعرض لصيد وَجّ والمدينةِ هو أحد قولين للشافعي ـ رضي الله عنه ـ، والمشهور عنه في وج وحرم المدينة أنه يحرم التعرضُ لصيدهما من غير جزاء . اهـ[3] .

قوله : (فرضي بذلك) : الصواب : إنه لم يرض بذلك .

قال الحلبي : سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك لهم الصلاة، فقال : «لا خير في دين لا صلاة فيه»، وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر، فأبى ذلك، وسألوه أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم وهي اللات، وكانوا يقولون لها : الربة، لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين من مقدمهم له، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فلا زالوا يسألونه سنة وهو يأبى عليهم، حتى سألوه

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ٣٣٠) عن عمرو بن حزم .

(٢) ما بين معكوفتين من «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان .

(٣) انظر : «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ١٨) .

أصلحوا سلاحكم، ورمُّوا حصونكم، واستعدوا للقتال، فأجابوا، واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثة، ثم ألقى الله الرعب في قلـوبهم، فقـالوا: والله! ما لنا بحربه من طاقة، ارجعوا إليه وأعطـوه مـا سـأل، فقـال الوفـد: قـد قاضيناه وأسلمنا، فقالوا: لِمَ كتمتم علينا ذلك؟ قالوا: حتى تذهب عـنكم نخوة الشيطان، فأسلَموا.

شهراً بعد قدومهم، وأرادوا بذلك ليدخل الإسلام في قومهم، ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم بهدمها، فأبى عليهم ذلك. اهـ[١]، ومثله في الدحلاني[٢].

وفي «زاد المعاد» ـ بعد أن ذكر نحو ما تقدم ـ: فأتوا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فقالوا: نعم لك ما سألت، أرأيت الربة ماذا تصنع فيهـا؟ قـال: «اهـدموها» قالوا: هيهات! لو تعلم الربة أنك تريد هـدمها، لقتلـت أهلهـا، فقـال عمـر بـن الخطاب: ويحك يا ابن عبد ياليل ما أجهلك! إنما الربة حجـر! فقـالوا: إنـا لـم نأتك يا ابن الخطاب، وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: تول أنت هـدمها، فأما نحن، فإنا لا نهدمها أبداً، قـال: «فسـأبعث إلـيكم مـن يكفـيكم هـدمها»، فكاتبوه ـ أي: فكتبوا عند الصلح على الشروط التي اتفقوا عليها ـ فقال كنانة بـن عبد ياليل: ائذن لنا قبل رسولك، ثم ابعث في آثارنا، فأنا أعلـم بقومنـا، فـأذن لهـم رسول الله صلـى الله عليـه وسلم، وأكرمهم وحباهم، فذهبوا، وكان من أمـرهم ما ذكره المصنف[٣].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤٣)، والخبر المذكور رواه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٥/ ٢٢٥) عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ١٩).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٩٧)، والخبر المذكور رواه البيهقـي فـي «دلائل النبوة» (٥/ ٣٠٢) عن موسى بن عقبة.

هدم اللات

ولما بلغ رسولَ الله إسلام ثقيف، أرسل أبا سفيان، والمغيرةَ بنَ شعبةَ الثقفيَّ لهدم اللات: صنمِ ثقيفٍ بالطائف، فتوجهوا وهدموه حتى سوَّوْهُ بالأرض.

هدم اللات

قوله: (ولما بلغ رسول الله إسلام ثقيف): الصواب: ما قدمناه من أنهم قالوا: ائذن لنا قبل رسولك، ثم ابعث في آثارنا، وهكذا كان.

قال في «زاد المعاد»: ومكثوا أياماً، ثم قدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر عليهم خالد بن الوليد، وفيهم المغيرة بن شعبة، فلما قدموا، عمدوا إلى اللات ليهدموها، واستكفَّت[1] ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال[2] لا ترى عامة ثقيف أنها مهدومة، يظنون أنها ممتنعة، فقام المغيرة بن شعبة، فأخذ الكرزين[3] وقال لأصحابه: والله! لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين، ثم سقط يركض، فارتج أهل الطائف بضجة واحدة، وقالوا: أبعد الله المغيرة، فقتلته الربة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً، وقالوا: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها، فوالله! لا استطاع، فوثب المغيرة فقال: قبحكم الله يا معشر ثقيف! إنما لكاعِ حجارة ومَدَر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه، ثم ضرب الباب فكسره، ثم علا أعلى سورها، وعلا الرجال معه، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض، وجعل صاحب المفتاح يقول: ليغضبن الأساس فليخسفن بهم، فلما سمع ذلك المغيرة، قال لخالد: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا ترابها، وانتزعوا حليها ولباسها، فبهتت ثقيف، وأقبل الوفد حتى

---

(١) في الأصل: «استنكفت»، والمثبت من «زاد المعاد».

(٢) في الأصل: «الحجاب»، والمثبت من «زاد المعاد».

(٣) في هامش الأصل: «هو ـ بفتح الكاف وكسر الزاي ـ: فأس كبير. اهـ قاموس».

حج أبي بكر

وفي أُخريات ذي القعدة، أرسل عليه الصلاة والسلام أبا بكر ليحجّ بالناس، فخرج في ثلاث مئة رجل من المدينة، ومعه الهَدْي: عشرون بَدَنَةً أهداها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وساق أبو بكر خمس بَدَنات، ولما سافر نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوائلُ سورة براءة، فأرسل بها عليّاً ليبلغها الناسَ في يوم الحج الأكبر، وقال: «لا يبلِّغُ عني إلا رجلٌ منّي»، فلحق أبا بكر في الطريق[1]، فقال الصدِّيق: هل استعملك رسول الله على الحج؟ قال: لا، ولكن بعثني أقرأ أو أتلو ﴿بَرَآءَةٌ﴾ على الناس. فلما اجتمعوا بمنى، يوم النحر، . . . .

دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليها وكسوتها، فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه. اهـ[2].

واللكاع هنا: من لا يتجه لمنطق ولا غيره.

حج أبي بكر

قال الدحلاني: في السنة الثامنة أمر صلى الله عليه وسلم عتابَ بنَ أبي أَسيد أن يحج بالناس، وكان أميراً على أهل مكة، وفي السنة التاسعة أمر أبا بكر[3].

قوله: (أن أتلو عليهم براءة)؛ أي: وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده، وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاماً وخاصًّا، فالعامّ: أن لا يُصد أحد عن البيت إذا جاءه، ولا يُخاف أحد في الأشهر الحرم، والخاصّ: بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب إلى آجال مسماة، وكانت عادة

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٩٣) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٥٩٨ ـ ٥٩٩).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٦٥).

قرأ عليهم عليٌّ ثلاثَ عشرةَ آية من أول سورة براءة، تتضمن نبذَ العهود لجميع المشركين الذين لم يوفّوا عهودهم، وإمهالَهم أربعة أشهر يسيحون فيها في الأرض كيف شاؤوا، وإتمامَ عهد المشركين الذين لم يُظاهروا على المسلمين، ولم يغدروا بهم إلى مدتهم، ثم نادى: لا يحجُّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان[1]، وكان عليٌّ يصلي في هذا السفر وراء أبي بكر ـ رضي الله عنهما ـ.

وفاة ابن أبيٍّ

وفي ذي القعدة مات عبدالله بن أُبَيٍّ، . . . .

العرب أن لا ينبذ العهد إلا من كان قريباً ممن أراد النبذ، فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم علياً ـ رضي الله عنه ـ، ولم يكتف بأبي بكر ـ رضي الله عنه[2] ـ.

قوله: (لا يحج بعد العام مشرك. . .) إلخ: قال الدحلاني: لأنهم كانوا يحجون مع المسلمين، ويرفعون أصواتهم بقولهم: لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، وكانوا يطوفون عراة بالليل، وليس على رجل منهم ثوب، ويقول الواحد منهم: أطوف بالبيت كما ولدتني أمي؛ أي: ليس عليّ [شيء] من الدنيا خالطه الظلم. اهـ[3].

وفاة ابن أُبي

قوله: (مات عبدالله بن أبي): قال الدحلاني: جاء في رواية الطبراني،

---

(١) رواه البخاري (٣١٧٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثني أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فيمن يؤذن يوم النحر بمنًى: لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٦٦).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٦٦).

وقد صلَّى عليه رسولُ الله صلاة لم يطل مثلها، وشَيَّعَ جنازته حتى وقف على قبره، وإنما فعل ذلك؛ تطييباً لقلب ولدِه عبدِالله بنِ عبدالله، وتأليفاً لقلوب الخزرج؛ لمكانة عبدالله بن أبيّ فيهم، وقد نزع ربقةَ النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم؛ لما رأوه من أعمال السيد الكريم صلى الله عليه وسلم، . . . .

وعبد الرزاق عن قتادة قال: أرسل عبدالله بن أبي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فلما دخل عليه قال: «أهلكك حب يهود؟» فقال: يا رسول الله! إنما أرسلت إليك لتستغفر لي، ولم أرسل إليك لتوبخني، ثم سأله أن يعطيه قميصهُ يكَفَّن فيه، فأجابه[1].

قوله: (وإنما فعل ذلك. . .) إلخ: قال الدحلاني: وإنما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح، ولتألف الخزرج؛ لرياسته فيهم، فلو لم يجب ابنه، وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي؛ لكان سبة على ابنه، وعاراً على قومه، فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسنَ الأمرين في السياسة إلى أن كشف الله الغطاء.

ثم قال: روى الطبراني عن قتادة قال: ذُكر لنا: أنه صلى الله عليه وسلم قال: «وما يغني عنه قميصي من الله؟ وإني لأرجو أن يسلم ألف من قومه»[2].

وفي «شرح القسطلاني على البخاري»: أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم، ويتوقع اندفاع العذاب عنه. اهـ[3].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٦٧)، والخبر المذكور رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢/ ٢٨٥). ولم نقف عليه عند الطبراني، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٦).

(٢) لم نقف عليه عند الطبراني، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٦٨). وانظر: «إرشاد الساري» للقسطلاني (٧/ ١٥٤).

وقد نهى الله رسوله عن الصلاة على المنافقين، فقال جلّ شأنه في سورة براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[التوبة: ٨٤].

وفاة أُمّ كلثوم

وفي هذه السنة توفيت أُمّ كلثوم بنتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجُ عثمان ـ رضي الله عنهما ـ.

قوله: (ربقة النفاق): الربق ـ وزان حِمْل ـ: حبل فيه عدة عرًا تشد به البهم، الواحدة من العرا: ربقة، والمراد هنا: نزع عقد النفاق.

وفاة أم كلثوم



السَّنَة العاشرة



سرية [خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ إلى بني عبد المدان]

في ربيع الآخر أرسل عليه الصلاة والسلام خالدَ بنَ الوليد في جمع لبني عبد المَدَان بنجران من أرض اليمن، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام ثلاث مرات، فإن أبوا قاتلهم، فلما قدم إليهم، بعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام ويقولون: أسلموا، تسلموا، فأسلموا، ودخلوا في دين الله أفواجاً، فأقام خالد بينهم يعلمهم الإسلام والقرآن، وكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فأرسل إليه أن يقدم بوفدهم، ففعل.

السنة العاشرة

سرية

قوله (سرية): عنونها الدحلاني بـ: بعث خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه[(١)] ـ.

قوله: (المدان): ـ بفتح الميم كسحاب ـ. اهـ. دحلاني[(٢)].

وهو اسم صنم، وعبد المدان الذي نسبت القبيلة إليه هو جدهم الأعلى، واسمه: عمرو بن يزيد.

وقوله: (بنجران) سمي باسم نجرانَ بنِ زيد بن سبأ[(٣)].

قوله: (أن يقدم بوفدهم): سماه الحلبي والدحلاني: وفد بني الحارث

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٧٠).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٧٠).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٧٠).

وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم: «بِمَ كنتم تغلبون مَنْ قاتلكم في الجاهلية؟» قالوا: كنا نجتمع ولا نتفرق، ولا نبدأ أحداً بظلم، قال: «صدقتم»، وأمَّر عليهم زيدَ بنَ حصين[1].

سرية [علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ إلى بني مَذْحِج]

وفي رمضان أرسل عليه الصلاة والسلام علياً. . . . .

ابن كعب[2]، وابن هشام ذكر قصة وفودهم في الكلام على إسلامهم[3].

قوله: (وأمر عليهم زيد بن حصين) قال الحلبي: ولم يمكثوا بعد رجوعهم إلى قومهم إلا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

سرية

عنونها الحلبي بـ: سرية علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ إلى بني مذحج.

ومذحج؛ كمسجد، وهو أبو قبيلة من اليمن[5].

قال الدحلاني: وروى أبو داود وغيره من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ قال: بعثني النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله! تبعثني إلى قوم أسنّ مني وأنا حديثُ السن، قال: فوضع يده صلى لله عليه وسلم في صدره وقال: «اللهم ثبتْ لسانه، واهدِ قلبه»، وقال: «يا علي! إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فإنك إذا فعلت ذلك، تبين لك القضاء»، قال

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤١١ ـ ٤١٢) عن ابن إسحاق.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٣)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٣/ ٣٤).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٩١).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٤).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٤).

في جمع إلى بني مذْحِج ـ قبيلة يمانية ـ وعَمَّمه بيده، وقال: «سر حتى تنزل بساحتهم، فادُعهم إلى قول: لا إله إلّا الله، فإن قالوا: نعم، فَمُرْهُمْ بالصلاة، ولا تبغِ منهم غيرَ ذلك، وَلأَنْ يهديَ الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك»[1]، فلما انتهى إليهم، لقي جموعَهم، فدعاهم إلى الإسلام فأبَوا، ورموا المسلمين بالنبل، فصفَّ عليٌّ أصحابه، وأمرهم بالقتال، فقاتلوا حتى هزموا عدوهم، فكفَّ عن طلبهم، ثم لحقهم ودعاهم إلى الإسلام فأجابوا، وبايعه رؤساؤهم، وقالوا: نحن على مَنْ وراءنا من قومنا، وهذه صدقاتنا، فخذ منها حقَّ الله، ففعل. ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوافاه بمكةَ في حجة الوداع.

علي: والله! ما شككتُ في قضاء بين اثنين[2].

وكان عدد السرية ثلاث مئة فارس[3].

وكانت خيله أول خيل دخلت إلى تلك البلاد.

قوله: (فقاتلوا حتى هزموا عدوهم)؛ أي: وقتلوا منهم عشرين رجلاً كما في الحلبي[4].

قال الدحلاني: وكان النبي صلى الله عليه وسلم أرسل علياً أواخر سنة ثمان إلى اليمن إلى همدان، فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدان جميعاً، فكتب عليٌّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامهم، فلما

(١) رواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٤٥) عن أبي رافع ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو داود (٣٥٨٢)، وابن ماجه (٢٣١٠).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٧٠).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٥).

بعث العمال إلى اليمن

ثم بعث عليه الصلاة والسلام إلى اليمن عمالاً من قِبَله، فبعث معاذَ ابنَ جبل على الكورة العليا من جهة عدن، وبعث أبا موسى الأشعريَّ على الكورة السفلى، ووصّاهما صلى الله عليه وسلم بقوله: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا»[1]، وقال لمعاذ: «إنك ستأتي قوماً أهلَ كتاب، . . . .

قرأ الكتاب، خر ساجداً، ثم رفع رأسه وقال: «السلام على همدان». اهـ[2].

بعث العمال إلى اليمن

قوله: (إلى الكورة العليا): قال في «فتح الباري»: المخلاف ـ بكسر الميم ـ هو بلغة أهل اليمن، وهو الكورة والإقليم، والرستاق: ـ بضم الراء[3] ـ.

قوله: (يسرا ولا تعسرا. . .) إلخ: قال النووي في «شرح مسلم»: وإنما جمع هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأنه قد يفعلهما في وقتين، فلو اقتصر على (يسر)، لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعَسَّرَ في معظم الحالات، فإذا قال: (ولا تعسر) تنفي التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في: «بشرا ولا تنفرا». اهـ[4].

قوله: (ستأتي قوماً أهلَ كتاب): قال في «فتح الباري»: هو كالتوطئة

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٤)، ومسلم (١٧٣٣)، من حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٢/ ٣٧١)، والخبر المذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٩٦) من حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٨/ ٦١).

(٤) انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٢/ ٤١).

فإذا جئتهم، فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأَنَّ محمداً رسـول الله، فإن أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في اليـوم والليلة، فإن أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فتردّ على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بـذلك، فإيـاك وكـرائمَ أموالهم، واتقِ دعوةَ المظلوم؛ . . . .

للوصية؛ لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهلَ علم فـي الجملـة، فـلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان، وليس فيـه أن جميـع من يقدم عليهم من أهل الكتاب، بل يجوز أن يكون فيهم من غيرهم، وإنما خصهم بالذكر؛ تفضيلاً لهم على غيرهم. اهـ[1].

وقال بعد أسطر: كان أصل دخول اليهودية في اليمن في زمـن أسـعد أبـي كرب، وهو تُبَّع الأصغرُ كما حكاه ابن إسحاق في أوائل السيرة النبوية. اهـ[2].

قوله: (أطاعوا لك بذلك)؛ أي: شهدوا وانقادوا، واستدل به بعضهم على أن الكفار غير مخاطبين بالفروع؛ حيث دُعوا أولاً إلى الإيمان فقط، ثم دُعوا إلى العمل، ورتب ذلك عليها بالفاء. اهـ. «فتح»[3].

قوله: (وإياك وكرائم أموالهم): الكرائم: جمع كريمة؛ أي: نفيسة، والنكتة فيه: أن الزكاة لمواساة الفقراء، فلا يناسب ذلك الإجحاف بمـال الأغنيـاء إلا إن رضوا بذلك. اهـ. «فتح»[4].

قوله: (واتق دعوة المظلوم)؛ أي: تجنب الظلمَ لئلا يدعو عليك المظلـوم، وفيه تنبيه على المنع من جميع أنواع الظلم.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٣٥٩).

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٣/ ٣٦٠).

فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

وقد مكث معاذ باليمن حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما أبو موسى، فقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

حجة الوداع

وفي السنة العاشرة حج صلى الله عليه وسلم بالناس حجة ودّع فيها المسلمين، ولم يحج غيرها. وخرج لها يوم السبت لخمسٍ بقين من ذي القعدة[2]، وولّى على المدينة أبا دُجانة الأنصاريَّ، وكان مع الرسول صلى الله عليه وسلم جمعٌ عظيم يبلغ تسعين ألفاً، . . . .

وقوله: (حجاب)؛ أي: ليس لها صارف يصرفها ولا مانع.

حجة الوداع

قوله: (حجة الوداع): لأنه ودع النبيُّ صلى الله عليه وسلم الناس فيها، ولم يحج بعدها، ويقال لها: حجة البلاغ، وحجة الإسلام، ولأنه ذكر لهم ما يَحِلّ وما يحرُم، وقال لهم: «هل بلغت؟»[3].

قوله: (لخمس بقين من ذي الحجة)[4] سبقُ قلم، والصواب: من ذي القعدة.

قوله: (يبلغ تسعين ألفاً): قال الدحلاني: خرج معه تسعون ألفاً، ويقال: مئة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، ويقال أكثر من ذلك، وهذه عدة من خرج معه، وأما الذين حجوا معه، فأكثر من ذلك، كالمقيمين بمكة، والذين أتوا من اليمن مع عليٍّ وأبي موسى ـ رضي الله عنهما ـ. اهـ[5].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩)، من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) في «نور اليقين» (المطبعة الجامعة): «الحجة»، والتصويب من طبعة دار الإيمان.

(٣) رواه البخاري (٤٤٠٣) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) تقدمت الإشارة إلى الخطأ الحاصل في نسخة المتن.

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ١٢).

وأحرم للحج حيث انبعثت به راحلته، ثم لبّى، فقال: «لبّيك اللهم لبّيك، لبّيك لا شريك لك لبّيك، إن الحمد والنعمة لك والمُلْك لا شريك لك»[١].

ولم يَزَل صلى الله عليه وسلم سائراً حتى دخل مكة ضُحًى من الثنية العُليا وهي ثنية كَدَاء، ولما رأى البيت قال: «اللهمّ زدْه تشريفاً وتعظيماً ومهابةً وبراً»[٢]، ثم طاف بالبيت سبعاً، واستلم الحجر الأسود، وصلّى ركعتين عند مقام إبراهيم، ثم شرب من ماء زمزم، ثم سعى بين الصفا والمروة سبعاً راكباً على راحلته، . . . .

قوله: (حيث انبعثت به راحلته): قال الحلبي: وكان على راحلته صلى الله عليه وسلم رَحْلٌ رَثّ يساوي أربعة دراهم، وفي رواية: حج صلى الله عليه وسلم على رحل وقطيفة تساوي أو لا تساوي أربعة دراهم، وقال: «اجعله حجّاً مبروراً لا رياء فيه ولا سمعةً»[٣]، وذلك عند مسجد ذي الحليفة، ثم أحرم بالحج والعمرة معاً، فكان قارناً[٤].

قوله: (وهي ثنية كداء) قال الحلبي: وهي التي ينزل منها إلى المعلاة مقبرةٍ بمكة، وهي التي يقال لها الآن: الحَجون التي دخل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة. اهـ[٥].

قوله: (راكباً) روي: أنه سعى راكباً، وروي: أنه سعى ماشياً.

قال الحلبي: قيل لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن قومك يزعمون أن

---

(١) رواه البخاري (١١٨٤)، ومسلم (١٩)، من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٥٧٥٦) من حديث مكحول مرسلاً.

(٣) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (٨٥٥) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٩).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣١٤).

وكان إذا صعد الصفا يقول: «لا إله إلا الله، الله أكبر، لا إله إلّا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[1].

وفي الثامن من ذي الحجة توجه إلى منى، فبات بها.

خطبة الوداع

وفي التاسع منه توجه إلى عَرَفة، وهناك خطب خطبته الشريفة التي بيَّن فيها الدين كلَّه، أُسَّهُ وفرعه، وهاكَ نصها:

«الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهدِ الله فلا مُضلَّ له، . . . .

السعي بين الصفا والمروة راكباً سنة، فقال: صدقوا وكذبوا، فقيل: كيف صدقوا وكذبوا؟ قال: صدقوا في أن السعي سنة، وكذبوا في أن الركوب سنة؛ فإن السنة المشي، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى في السعي، فلما كثر عليه الناس يقولون: هذا محمد، هذا محمد، حتى خرج العواتق من البيوت، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرب الناس بين يديه، فلما كثر عليه الناس، ركب[2].

وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم مشى بين الصفا والمروة، والأحاديث الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم ركب فيه. اهـ[3].

قوله: (وهزم الأحزاب وحده)؛ أي: هزمهم بغير قتال.

خطبة الوداع

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه مسلم (١٢٦٤).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣١٦).

ومن يُضْلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله: أُوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأَحُثُّكُم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير. أما بعد:

أيها الناس! اسمعوا منّي أُبَيِّنْ لكم؛ فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا.

أيّها الناس! إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم إلى أن تلقَوا ربَّكم، كحُرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت؟ اللهمّ فاشهد، فمن كانت عنده أمانة، فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها.

إن ربا الجاهلية موضوع، وإنَّ أول رباً أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماءَ الجاهلية موضوعة، وأوَّلُ دم أبدأ به دمُ عامر بن ربيعة بنِ الحارث، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غيرَ السدانة والسقاية، والعَمْد قَوَدٌ، وَشِبْهُ العَمْد ما قُتِل بالعصا والحجر، وفيه مئة بعير، فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس! إن الشيطان قد يئس أن يُعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

قوله: (كحرمة يومكم هذا...) إلخ؛ أي: كما يحرم فيه القتال، وكذلك الشهر، وكذلك البلد.

قوله: (دم عامر بن ربيعة): صوابه: دم ابن ربيعة.

قال السهيلي: واسمه آدم، وقيل: تمام[1].

قال ابن هشام: وكان مسترضَعاً في بني ليث، فقتلته هذيل[2].

---

(١) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ١٧٩).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٦/ ٩).

قال السهيلي: وكان سببَ قتله حربٌ كانت بين قبائل هـذيل تقـاذفوا فيهـا بالحجارة، فأصاب الطفلَ حجرٌ وهو يحبو بين البيوت. اهـ[1].

قوله: (إن النسيء ﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾) قـال الخـازن فـي تفسـير قولـه تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ . . .﴾ إلخ الآية: النسيء في اللغـة: عبـارة عن التأخير في الوقت، ومنه: النسيئة في البيع، ومعنى النسيء المـذكور فـي الآيـة: هو تأخير شهر حرام إلى شهر آخر، وذلك أن العرب في الجاهليـة كانـت تعتقـد حرمة الأشهر الحرم وتعظيمها، وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم صـلى الله عليه وسلم، وكانت عامة معايش العرب من الصـيد والغـارة، فكـان يشـق علـيهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متوالية، وربما وقعت حروب في بعض الأشهر الحـرم، فكانوا يكرهون تأخير حروبهم إلى الأشهر الحلال، فنسؤوا ـ أي: أخروا ـ تحـريمَ شهر إلى شهر آخر، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم إلى صفر، فيستحلون المحـرم، ويحرمون صفر، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صـفر، أخـروه إلـى ربيـع الأول، فكانوا يصنعون هكذا، يؤخرون شهراً بعد شهر حتى استدار التحـريم علـى السـنة كلها، وكانـوا يحجون في كـل شهر عامين، فحجـوا في ذي الحجـة عـامين، ثـم حجوا في المحرم عامين، ثم حجوا فـي صـفر عـامين، وكـذا بـاقي شـهور السـنة، فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الـوداع، فوافـق حَجُّـه شهرَ ذي الحجة، وهو شهر الحج المشـروع، فوقـف فـي اليـوم التاسـع، وخطـب الناس في اليوم العاشر بمنـى، وأعلمهـم أن أشـهر النسـيء قـد تناسـخت باسـتدارة الزمان، وعاد الأمر إلى مـا وضـع الله عليـه حسـاب الأشـهر يـوم خلـق السـماوات والأرض، وأمرهم بالمحافظة على ذلك؛ لئلا يتبدل في مستأنف الأيام.

---

(١) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٨٣).

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عِدَّةَ الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض، منها أربعة حُرُمٌ، ثلاث متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، . . . .

وقوله: (﴿زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾)؛ يعني: زيادة كفر على كفرهم، وسبب هذه الزيادة: أنهم أمروا بإيقاع كل فعل في وقته من الأشهر الحرم، ثم إنهم بسبب أغراضهم الفاسدة أخروه إلى وقت آخر بسبب ذلك النسيء، فأوقعوه في غير وقته من الأشهر الحرم، فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم.

وقوله: (﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾)؛ أي: إن كبارهم أضلوهم، وحملوهم عليه.

وقوله: (﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا . . .﴾) إلخ؛ يعني: يحلون ذلك الإنساء عاماً ويحرمونه عاماً، والمعنى: يحلون الشهر المحرم عاماً، فيجعلونه حلالاً ليُغِيروا فيه، ويحرمونه عاماً فيجعلونه محرماً، فلا يغيرون فيه.

وقوله: (﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾)؛ أي: ليوافقوا.

(﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾) يعني: أنهم ما أحلوا شهراً من المحرم إلا حرموا شهراً مكانه؛ لأجل أن يكون عدد الأشهر الحرام أربعة كما حرم الله، فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم(١).

قوله: (**وإن الزمان قد استدار . . .**) إلخ؛ أي: فإن هذه الحجة كانت في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته، وهي سنةُ عشر. اهـ. حلبي(٢).

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» (٢/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٠٧).

ورجب الذي بين جُمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهمّ اشهد.

أيُها الناس! إن لنسائكم عليكم حقّاً، ولكم عليهنّ حقٌّ ألّا يوطِئْنَ فرشَكُم غيرَكم، ولا يُدخلنَ أحداً تكرهونه بيوتَكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن، فإن الله أذن لكم أن تَعْضُلُوهُنَّ، وتهجروهُنَّ في المضاجع، وتضربوهنّ ضرباً غير مُبَرِّح، فإن انتهين وأطعنكم، فعليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف، وإنما النساء عندكم عَوَان، لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً، أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنّ خيراً، ألا هل بلغت؟ اللهمّ اشهد.

أيّها الناس! إنما المؤمنون إخوة، ولا يَحِلُّ لامرئ مالُ أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلّغت؟ اللهمّ اشهد، فلا تَرْجِعُنَّ بعدي كُفَّاراً يضرب بعضكم رقابَ بعضٍ، فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضِلوا بعده: كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهمّ اشهد.

قوله: (ورجب الذي بين جمادى وشعبان...) إلخ: قال السهيلي في «الروض الأنف»: وإنما قال ذلك؛ لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان، وتسميه رجباً، من رجبت الرجل ورَجَّبته: إذا عظمته، ورجبت النخلة: إذا دعمتها، فبين عليه السلام أنه رجب مضر، لا رجبُ ربيعة، وأنه الذي بين جمادى وشعبان. اهـ[1].

قوله: (عوانٍ)؛ أي: أسرى، والعاني: الأسير، وقد فسر أسرهن بقوله: «لا يملكن لأنفسهن شيئاً»[2].

---

(١) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٨٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٧٢) من حديث عم أبي حرة الرقاشي ـ رضي الله عنه ـ.

أيها الناس! إن ربكم واحد، وإنَّ أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدمُ من تراب، أكرمُكم عند الله أتقاكم، ليس لعربي فضلٌ على عجمي إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهمّ اشهد، فليبلغِ الشاهدُ منكم الغائب.

أيُّها الناس! إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا تجوز لوارثٍ وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث، والولدُ للفراش، وللعاهر الحَجَرُ، من ادّعى إلى غير أبيه، أو تولى غيرَ مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل، والسلام عليكم ورحمة الله»[1].

وفي هذا اليوم امتنَّ الله على المؤمنين بقوله في سورة المائدة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، فلا غرابة أن اتخذه المسلمون عيداً، ويوماً سعيداً، يُظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى.

ثم إنه عليه الصلاة والسلام أدَّى مناسك الحج من رمي الجمار، . . .

قوله: (صرف ولا عدل): في «النهاية»: الصرف: التوبة، وقيل: النافلة، والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة. اهـ[2].

---

(١) جمع المصنف الخطبة من عدَّة أحاديث، كلٌّ قد روى بعضَها، فقد رواها مسلم (١٢١٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٤٣٦)، من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ. ورواها ابن ماجه (٢٧١٢) من حديث عمرو بن خارجة ـ رضي الله عنه ـ. ورواها الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١١) من حديث أبي نضرة عمن سمع خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ورواه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٦٨ ـ ٤٧٠) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وانظر: «البيان والتبيين» للجاحظ (ص: ٢٢٨ ـ ٢٢٩).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٤).

والنحر، والحلق، والطواف. وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قَفَلَ إلى المدينة، ولما رآها كبَّر ثلاثاً وقال: «لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له المُلْك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[1].

الوفود

في هذه السنة والتي قبلها كان وُفود العرب يأتون إلى رسول الله ليبايعوه على الإسلام، وكانوا يَقْدُمون أفواجاً، ولِما في أخبار هذه الوفود من التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الأدب أن يعرفها، رأينا أن نذكر لك منها ما يزيدك يقيناً، ويُنير بصيرتك، فنقول:

الوفود

قوله: (الوفود) قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت؛ ضربت إليه وفود العرب من كل وجه.

قال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة: أن ذلك في سنة تسع، وأنها كانت تسمى: سنة الوفود.

قال ابن إسحاق: وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قريشاً كانوا إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت والحرم، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب لا ينكرون ذلك، وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه، فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوخها

---

(١) رواه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤)، من حديث عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

وفود نَجْران

ومن الوفود: وفدُ نصارى نجران، وكانوا ستين راكباً، دخلوا المسجد وعليهم ثيابُ الحِبَرَةِ وأرديةُ الحرير، مختَّمين بالذهب، ومعهم بُسُط فيها تماثيل، ومُسُوحٌ جاؤوا بها هديةً للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يقبل البسطَ، وقبل المُسُوح. ولما جاء وقتُ صلاتهم، صلّوا في المسجد مستقبلين بيت المقدس.

الإسلام؛ عرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته، فدخلوا في دين الله أفواجاً. اهـ[1].

وفود نجران

قوله: (فلم يقبل البسط وقبل المسوح): قال الحلبي: لأن الناس صاروا ينظرون للتماثيل، فقال صلى الله عليه وسلم: «أما هذه البسط، فلا حاجة لي فيها». اهـ[2].

وفي «القاموس» المِسْح ـ بالكسر ـ: البلاس والجادَّة، جمعه مُسوح[3].

قوله: (صلَّوا في المسجد): قال الحلبي: وذلك بعد العصر، فأراد الناس منعهم، فقال صلى الله عليه وسلم: «دعوهم»، فاستقبلوا المشرق، فصلوا صلاتهم[4].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٣٥)، والحديث المذكور رواه ابن المنذر في «تفسيره» (١/ ٢٢٧) من حديث الشعبي مرسلاً.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: مسح).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٣٥)، والحديث المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (٣/ ١٦٢) عن محمد بن جعفر بن الزبير.

ولما أتموا صلاتهم، دعاهم عليه الصلاة والسلام للإسلام، فأبوا وقالوا: كنّا مسلمين قبلكم، فقال عليه الصلاة والسلام: «يمنعكم من الإسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن لله ولداً»، قالوا: فمن مثل عيسى خلق من غير أب[1]؟ فأنزل الله في ذلك في سورة آل عمران: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[آل عمران: ٥٩]**، وليُظهر الله أنهم في شك من أمرهم أنزل: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾**[آل عمران: ٦١]**.**

فدعاهم صلى الله عليه وسلم لذلك، فامتنعوا، ورضُوا بإعطاء الجزية، وهي: ألف حُلَّةٍ في صفر، وألف حُلَّةٍ في رجب، مع كل حُلَّةٍ أوقيةٌ من ذهب، ثم قالوا: أرسل معنا أميناً، فأرسل لهم أبا عبيدة: عامرَ بنَ الجراح، ولذلك كان يُسمى: أمينَ هذه الأمة[2].

قوله: (﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾)؛ أي: ندعو ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب.

قوله: (فدعاهم لذلك) قال الحلبي: ثم دعاهم لذلك، قالوا: يا أبا القاسم! نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك، فخلا بعضهم ببعض، فقال بعضهم: والله! علمتم أن الرجل نبي مرسل، وما لاعنَ قومٌ قطُّ نبياً إلا استؤصِلوا ـ أي: أخذوا ـ عن آخرهم، وإن أنتم أبيتم إلا دينكم، فوادعوه وصالحوه، وارجعوا إلى بلادكم[3].

قوله: (فأرسل لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح)؛ أي: وقال لهم: «هذا أمين

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٣/ ١١٤) عن محمد بن جعفر بن الزبير.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٣٦).

وفود ضِمَام بن ثعلبة

ومن الوفود: ضِمامُ بنُ ثعلبة، بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئاً، جاء رجل من أهل البادية، ثائر الرأس، يُسمع دويُّ صوته، ولا يُفْقَه ما يقول، فأناخ جمله في المسجد، ثم قال: أيّكم ابنُ عبد المطلب؟ فدلّوه عليه، فدنا منه وقال: إني سائلُكَ فمشدّدٌ عليك في المسألة، فلا تَجِدْ عليّ في نفسك. فقال: «سَلْ ما بدا لك»، فقال: أَنْشُدُك بالله، آللهُ أرسَلك إلى الناس كلِّهم؟ فقال: «نعم»، فقال: أَنْشُدُكَ بالله، آلله أمرك أن نصلّي خمسَ صلوات في اليوم والليلة؟ قال: «اللهمّ نعم»، فقال: أَنْشُدُكَ بالله، آلله أمرك أن تأخذ من أموال أغنيائنا فتردَّه على فقرائنا؟ قال: «اللهمّ نعم»، قال: أَنْشُدُكَ بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهراً؟ قال: «اللهمّ نعم»، قال: أَنْشُدُكَ بالله، . . . .

هذه الأمة»[1]، وكان ذلك يسمى: أمين هذه الأمة.

وفود ضِمام بن ثعلبة

قوله: (ضمام بن ثعلبة): ـ بكسر الضاد؛ ككتاب ـ، وقد أرسله قومه بنو سعد بن بكر، وكان رجلاً أشعرَ ذا غديرتين، قاله ابن هشام[2].

قوله: (فقال أنشدك بالله): في الحلبي قبل أن يقول له ذلك قال له: يا محمد! جاءنا رسولك، فذكر لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال: «صدق»، قال: أنشدك. . . إلخ[3].

---

(١) رواه البخاري (٤٣٨٠) من حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٦٧).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٤٨)، والحديث المذكور رواه البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢)، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

آلله أمرك أن نحجَّ هذا البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «اللهمّ نعم»، قال: فإني قد آمنتُ وصدقتُ وأنا ضِمَامُ بن ثعلبة[1].

ولما ولَّى، قال عليه الصلاة والسلام: «فَقُهَ الرجل»[2]، ثم ذهب ضمام إلى قومه، ودعاهم إلى الإسلام، وتركِ عبادة الأوثان، فأسلموا كلهم.

قوله: (قال: فإني قد آمنت وصدقت) في ابن هشام: لما فرغ قال: إني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وسأؤدي هذه الفرائض، وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم انصرف إلى بعيره راجعاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن صدق ذو العقيصتين، دخل الجنة»[3].

قوله: (ثم ذهب ضمام إلى قومه. . .) إلخ: قال ابن هشام: خرج ضمام حتى قدم على قومه، فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به قال: بئست اللات والعزى، قالوا: مه يا ضمام! اتق البَرَص، اتق الجُذام، اتق الجُنون، قال: ويلكم! إنهما ـ والله ـ لا يضران ولا ينفعان، وإن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه، قال: فوالله! ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول عبدالله بن عباس: فما سمعنا بوافد قومٍ كان أفضلَ من ضمام بن ثعلبة. اهـ[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٣)، ومسلم (١٢)، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) أورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ٨١) بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للإعرابي حين قرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[الزلزلة: ٧ـ٨] فولى وقال: حسبي حسبي، فقال صلى الله عليه وسلم: «فقه الرجل».

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٦٨)، والخبر المذكور رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٥٠) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٦٨).

وفود عبد القيس

ومن الوفود: عبدُ القيس، وكان من خبرهم: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان جالساً بين أصحابه يوماً، فقال لهم: «سيطلُع عليكم من هنا ركبٌ هم خير أهل المشرق، لم يُكرهوا على الإسلام، قد أنضَوُا الركائب، وأفنوا الزاد، اللهمّ اغفر لعبد القيس»[1]، فلما أتوا ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم، رَمَوا بأنفسهم عن الركائب بباب المسجد، وتبادروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلمون عليه، وكان فيهم عبدُالله بنُ عوفٍ الأَشَجُّ، وكان أصغرهم سنًّا، فتخلَّفَ عند الركائب حتى أناخها، وجمعَ المتاع، وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما، ثم جاء يمشي هَوْناً حتى سلَّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان رجلاً دميماً، فَفَطِن لنظر الرسول إلى دَمَامته، فقال: يا رسول الله! إنه لا يُستقى في مُسوك ـ أي: جلود ـ الرجال، وإنما الرجلُ بأصغريه: قلبِه ولسانِه، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن فيك خَلَّتين يحبُّهما الله ورسوله: . . . .

وفود عبد القيس

قوله: (قد أَنضوا)؛ أي: أهزلوا.

قوله: (لا يستقى في مسوك الرجال)؛ أي: لا يشرب فيها.

قوله: (وإنما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه) عبارة الحلبي: وإنما يحتاج الرجل من أصغريه قلبِه ولسانه[2].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣١٤) عن عروة بن الزبير، وجعفر بن عبدالله.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥١).

الحِلم والأناة»[1].

وقد قال صلى الله عليه وسلم لهذا الوفد: «مرحباً بالقوم غيرَ خزايا ولا ندامى»، فقالوا: يا رسول الله! إنّا نأتيك من شُقَّةٍ بعيدة، وإنه يحول بيننا وبينك هذا الحيُّ من كفار مُضر، وإنّا لا نصلُ إليك إلّا في شهرٍ حرام، فمُرنا بأمرٍ فصلٍ، فقال صلى الله عليه وسلم: «آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادةُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، . . . .

قوله: (الحلم والأناة): الأناة: على وزن قناة: التؤدة.

قال الحلبي: التؤدة والاقتصاد والسمتُ الحسن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من النبوة، ولما قال له: «إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة»؛ قال: يا رسول الله! أتخلَّق بهما، أم الله جبلني عليهما؟ قال: «لا، بل الله تعالى جبلك»، فقال: الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم[2].

قوله: (مرحباً بالقوم): قال الحلبي: أول من قال: مرحباً: سيفُ بنُ ذي يزن، وقد تكررت هذه الكلمة منه صلى الله عليه وسلم[3].

وقوله: (غير خزايا ولا ندامى)؛ أي: حالةَ كونِكم سالمين من الخزي ومن الندم.

قوله: (من شقة بعيدة)؛ أي: من سفر بعيد.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣١٤) عن عروة بن الزبير، وجعفر بن عبدالله.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥١)، والحديث المذكور رواه أبو داود (٥٢٢٥) من حديث زارع ـ رضي الله عنه ـ. ورواه مسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مختصراً.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥١).

وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تُعطوا من المغنم الخمس، وأنهاكم عن الدُّبَّاء، والحَنتَمِ، والنَّقِير، والمزفَّت»[1]، والمراد بذلك: ما ينبذ في هذه الأواني. فقال الأشج: يا رسول الله! إن أرضنا ثقيلة وخمة، وإنا إذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا، فَرَخِّص لنا في مثل هذه، وأشار إلى يده، فأومأ عليه الصلاة والسلام بكفّيه، وقال: «يا أشج! إن رخصتُ لك في مثل هذه، شربتهُ في مثل هذه ـ وفرج بين يديه وبسطه ـ حتى إذا ثَمِلَ أحدكم من شرابه، قام إلى ابن عمه فضربَ ساقه بالسيف»[2]. وإنما خَصَّ عليه الصلاة والسلام نهيهم بما ذكر؛ لكثرة الأشربة بينهم.

قوله: (قام إلى ابن عمه...) إلخ: قال الحلبي: وكان في القوم رجل وقع له ذلك، وهو جهم بن قثم، قال: لما سمعتُ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبي لأغطي الضربة، وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم.

وفي كلام السهيلي: فعجبوا من علم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وإشارتِه إلى ذلك الرجل[3].

قوله: (وإنما خص عليه السلام نهيهم بما ذكر...) إلخ: قال الحلبي: وإنما اقتصر صلى الله عليه وسلم في المناهي على شرب الأنبذة في الأوعية المذكورة، مع أن في المناهي ما هو أشد في التحريم؛ لكثرة تعاطيهم لها.

قال الحافظ ابن حجر: ومعنى النهي عن الانتباذ في هذه الأوعية بخصوصها:

---

(١) رواه البخاري (٨٧، ٦١٧٦) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٢) من حديث شهاب بن عباد عن بعض وفد عبد القيس.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥٣). وانظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٣٤).

وفود بني حَنيفة

ومن الوفود: بنو حنيفة، وكان معهم مُسَيلمة الكذاب، وكـان مسـيلمة يقول: إن جَعلَ لي الأمرَ من بعده، اتبعتُه، فأقبل عليه الصلاة والسلام ومعـه ثابت بن قَيْس بن شَمَّاس، وفي يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعـة مـن جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه، فقال: «إنْ سألتني هذه القطعـة، ما أعطيتكها، وإني لأُراك الذي منه رأيت»[1].

وكان عليه الصلاة والسلام قد رأى في منامه أن في يده سوارين مـن ذهب، فأهمَّه شأنهما، فأوحى الله إليه أن انفخهما، فنفخهما فطارا، فأوّلهما صلى الله عليه وسلم كذابَيْن يخرجان من بعده، فكان مسيلمة أحدَهما. . .

أنه يسرع فيها الإسكار، فربما يشرب منها من لا يشعر بذلك. اهـ[2].

وفود بني حنيفة

قوله: (وفود بني حنيفة): قال الدحلاني: كان الوفد سبعة عشـر رجـلاً، وحنيفةُ هو ابنُ لُجَيم بنِ صعب بن عليٍّ بن بكر بن وائل[3].

قوله: (فكان مسيلمة أحدَهما): فإنه لما رجع إلى اليمامة، وهـي بـلاده، ادعى النبوةَ.

قال الدحلاني: وكانت دعوى مسيلمة النبوةَ في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، لكن لم تظهر شوكته، ولم تقع محاربته إلا في زمن الصديق، وكان مسيلمة أقوى

---

(١) رواه البخاري (٣٦٢٠)، ومسلم (٢٢٧٣)، من حـديث ابـن عبـاس ـ رضـي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبـي (٣/ ٢٥٤). وانظـر: «فـتح البـاري» لابن حجر (١/ ١٣٥).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٢٥).

والثاني: الأسودُ العَنْسيُّ[1] صاحبُ صنعاء[2]. وقد أسلم بنو حنيفة.

أسباب الفتنة على بني حنيفة، جمع جموعاً كثيرة ليقاتل بها الصحابة، فجهز له الصديق جيشاً أمَّر عليهم خالدَ بنَ الوليد ـ رضي الله عنه ـ، فقتل أصحاب مسيلمة، ثم كان الفتح بقتل مسيلمة، قتله وحشي قاتلُ حمزة، وكان عمره حين قُتل مئة وخمسين سنة. اهـ. ملخصاً[3].

قوله: (والثاني الأسود[4] العنسي): قال الحلبي: كان طليحة العبسي[5] يقول: إن ملكاً يقال له: ذو النون يأتيني كما يأتي جبريلُ محمداً[6].

وفي الدحلانية: خرج الأسود العنسي في قومه حتى ملك صنعاء، وتزوج المرزبانة زوجةَ باذان ـ عاملِ النبي صلى الله عليه وسلم على صنعاء، وكان باذان قد مات ـ، فواعدت فيروز الديلمي وغيره، فدخلوا عليه ليلاً، وقد سقته الخمر

---

(١) في «نور اليقين» (ط الجامعة): «طليحة العبسي»، والتصويب من (ط دار الإيمان).

(٢) رواه البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٢٧ ـ ٢٨).

(٤) في الأصل: «طليحة»، والتصويب من «نور اليقين» (ط دار الإيمان).

(٥) كذا في «السيرة الحلبية»، الصواب أنه خرج مسيلمة باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمة. انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٦١٧).

وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٧٥) عن محمد بن إسحاق بن يسار قال: أول ردة كانت في العرب مسيلمة باليمامة في بني حنيفة، والأسود بن كعب العنسي باليمن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج طليحة بن خويلد الأسدي في بني أسد يدعي النبوة يسجع لهم.

(٦) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥٥).

وفود طَيِّئ

ومن الوفود: وفد طيِّئ، وفيهم زيدُ الخيل رئيسُهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه: «ما ذُكِرَ لي رجل من العرب إلا رأيته دونَ ما قيل فيه إلا زيد الخيل»، وسمّاه صلى الله عليه وسلم: زيد الخير.

صِرْفاً حتى سكر، وكان على بابه ألفُ حارس، فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا، فقتله فيروز، واحتز رأسه، وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت، وأرسلوا الخبر إلى المدينة، فوافاهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم[1].

وفي «الروض الأنف» السهيلي: قتله فيروز الديلمي وقيس بن مكشوح وداذويه ـ رجل من الأبناء ـ دخلوا عليه من سرب صنعته لهم امرأة كان قد غلب عليها من الأبناء، فوجدوه سكران لا يعقل من الخمر، فخبطوه بأسيافهم. وتمامه فيه[2].

وفود طيئ

قوله: (وفيهم زيد الخيل) قال الحلبي: قيل له ذلك؛ لخمسة أفراس كانت له، وكان شاعراً خطيباً بليغاً جواداً[3].

وقوله: (ما ذكر لي رجل. . .) إلى آخر الحديث: هو في الحلبي والدحلاني هكذا: «ما ذكر لي رجل من العرب بفضلٍ إلا رأيته دون ما قيل فيه إلا زيدَ الخيل؛ فإنه لم يبلغ ـ أي: ما قيل فيه ـ كلَّ ما فيه»[4]، وجاء في رواية أنه قال له: «يا زيد! ما أخبرت عن رجل قط شيئاً إلا رأيته دون ما أخبرت عنه غيرك». اهـ[5].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٢٦).

(٢) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٥٤).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥٦).

(٤) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٧٤).

(٥) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٥٦ ـ ٢٥٧)، و«السيرة النبوية» =

وفود كِنْدة

ومنهم: وفد كِنْدَةَ، وفيهم الأشعثُ بن قيس، وكانَ وجيهاً مطاعاً في قومه. ولما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، خبؤوا له شيئاً، وقالوا: أخبرنا عمّا خَبأناه لك؟ فقال: «سبحان الله! إنما يُفْعَل ذلك بالكاهن، وإنَّ الكاهن والمتكهن في النار»، ثم قال: «إن الله بعثني بالحق، وأنزل عليّ كتاباً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»، فقالوا: أسمعْنا منه، فتلا عليه الصلاة والسلام: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ١﴾ . . . .

وفود كندة

في «القاموس»: كندة ـ بالكسر ـ، ويقال: كنديٌّ: لقب ثور بن عفير، أبو حيٍّ من اليمن؛ لأنه كندَ أباه النعمةَ، ولحق بأخواله[1].

والكنود: كفرانُ النعمة.

قوله: (ومنهم وفد كندة): قال الحلبي: كانوا ثمانين، وقيل: ستين[2].

واقتصر ابن هشام على الأول[3].

ولما أرادوا الدخول عليه ـ الصلاة والسلام ـ، رجلوا ـ أي: سرحوا ـ شعور رؤوسهم، وتكحلوا، ولبسوا عليهم جُبب الحِبَرة ـ بوزن عِنَبة، برود اليمن المخططة ـ قد كففوها ـ أي سجفوها بالحرير[4].

قوله: (﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾): يعني: الملائكة صفوفاً في السماء يسبحون

= لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٢٨).

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: كند).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٠).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٨٣).

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٠).

﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَرَبُّ ٱلۡمَشَٰرِقِ﴾ [الصافات: ١ ـ ٥]، **ثم سكت وسكن، ودموعُه تجري على لحيته، فقالوا: إنا نراك تبكي؟ أفمن مخافة مَنْ أرسلك تبكي؟ قال: «إن خشيتي منه أبكتني، بعثني على صراط مستقيم مثل حدِّ السيف، إن زُغْتُ عنه هلكت»، ثم تلا: «﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ۝٨٦ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا﴾** [الإسراء: ٨٦ ـ ٨٧]»[1].

كصفوف الناس في الأرض للصلاة.

(﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا﴾): كل ما زجر عن معصية الله.

(﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾): قيل: الملائكة، وجاز أن يكون الملائكة وغيرهم ممن يتلو ذكر الله. اهـ. سجستاني[2].

قوله: (﴿وَلَئِن شِئۡنَا...﴾) إلخ الآية: قال البيضاوي: والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن، ومحوناه من المصاحف والصدور.

(﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾): من يتوكل علينا استرداده مسطوراً محفوظاً.

(﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾)؛ فإنها إن نالتك، فلعلها تسترده عليك، ويجوز أن يكون استثناءً منقطعاً بمعنى: ولكن رحمة من ربك تركته غيرَ مذهوب به، فيكون امتناناً بإبقائه بعد المنة في تنزيله.

(﴿إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا﴾)؛ كإرساله، وإنزال الكتاب عليه، وإبقائه

---

(١) رواه المبارك بن عبد الجبار الطيوري في «الطيوريات» (١٢٤٦) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) انظر: «غريب القرآن» للسجستاني (ص: ٣٠١).

ثم قال عليه الصلاة والسلام: «ألم تُسلموا؟» قالوا: بلى، قال: «ما بالُ هذا الحريرِ في أعناقكم؟»، فعند ذلك شَقُّوه وألقوه[1].

وفود أَزْدِ شنوءَة

ومنهم: وفد أزد شنوءة، ورئيسهم صُرَدُ بنُ عبدالله الأزديُّ، فأسلموا، وأمَّره عليهم، وأمره بأن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك.

في حفظه. اهـ[2].

وفود أزد شنوءة

قوله: (أزد شنوءة) هي ـ بسكون الزاي وضم الدال وفتح الشين وضم النون وفتح الهمزة وقد تشدد الواو ـ: قبيلة سميت لشنآنٍ بينهم «قاموس»[3].

قوله: (من أهل الشرك)؛ أي: من قبائل اليمن.

قال الحلبي: فخرج حتى نزل بجُرَش ـ بضم الجيم وفتح الراء ـ، وهي مدينة بها قبائل من قبائل اليمن، وحاصرها المسلمون قريباً من شهر، ثم رجعوا عنها، حتى إذا كانوا بجبل يقال له: شَكَر ـ بفتح الشين والكاف، وقيل: بإسكان الكاف ـ، فلما وصلوا ذلك المحل، ظن أهل جرش أن المسلمين ـ رضي الله عنهم ـ إنما رجعوا منهزمين، فخرجوا في طلبهم، حتى إذا أدركوهم، عطفوا عليهم، فقتلوهم قتلاً شديداً.

وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٨٣) عن الزهري. وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٣/ ٤٦٥).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شنأ).

وفود رسول ملوك حِمْيَر

ومنهم: وفد رسول ملوك حمير، وهم: الحارثُ بن عبد كُلال، ونعيمُ ابن عبد كُلال، والنُّعمان قَيْلُ ذي رُعين، ومَعَافِرَ، وهَمْدان، . . . .

بالمدينة يرتادان ـ أي: ينظران ـ الأخبار، فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بأي بلاد الله شكر؟»، فقام إليه رجلان فقالا: يا رسول الله! ببلادنا جبل يقال له: كشر، فقال: «إنه ليس بكشر، ولكنه شكر»، قالا: فما شأنه يا رسول الله؟ قال: إن بدن الله لتنحرُ عنده الآن، وأخبرهما الخبر، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما، فوجدا قومهما قد أُصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال، وعند إخبارهما لقومهما بذلك، وَفَدَ وَفْد جرش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلموا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مرحباً بكم أحسن الناس وجوهاً، وأصدقه لقاء، وأطيبه كلاماً، وأعظمه أمانة، أنتم مني وأنا منكم»، وحمى لهم حِمَى حول بلدهم. اهـ[1].

وفود رسول ملوك حمير

قوله: (ابن عبد كلال): ـ بضم الكاف ـ.

و**(النعمان)**: ـ بضم النون ـ.

و**(معافر)**: ـ بالفاء المكسورة ـ.

و**(هَمْدان)**: ـ بإسكان الميم ـ، وهي قبيلة، وأما همَذان ـ بفتح الميم والذال المعجمة ـ، فقبيلة بالعجم. اهـ. حلبي و«قاموس»[2].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨) عن منير بن عبدالله الأزدي، والطبري في «تاريخه» (٢/ ١٩٦ ـ ١٩٧) عن عبدالله بن أبي بكر.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٢)، و«القاموس المحيط» =

وكانوا قد أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك، فكتب إليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

كتاب ملوك حِمْيَر

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كُلال، وإلى نُعيم بن عبد كُلال، وإلى النعمان قَيلِ ذي رُعَيْن، ومَعافر، وهَمْدان، أما بعد:

فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.

أما بعد:

فإنه قد وقع بنا رسولكم مقفلَنا من أرض الروم، فلقيناه بالمدينة، فبلَّغ ما أرسلتم به، وخبَّر ما قبلكم[1]، وأنبأنا بإسلامكم، وقتلكم المشركين، وأن الله قد هداكم بهداه، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأعطيتم من الغنائم خُمُس الله، وسهمَ النبي وصَفِيَّهُ، . . . .

قوله: (وأرسلوا رسولهم): قال ابن هشام: كان الباعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم زرعة ذو يَزَن مالك بن مرة الرهاوي[2].

كتاب ملوك حمير

قوله: (مقفلَنا من أرض الروم)؛ أي: رجوعَنا من غزوة تبوك.

قوله: (وصفيه): الصفيّ: ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه قبل القسمة. اهـ. «مختار الصحاح»[3].

= للفيروزأبادي (المواد: نعم، عفر، همد، همذ).

(١) في «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٢٣٤): «وأخبر بما كان من قبلكم».

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٨٦).

(٣) انظر: «مختار الصحاح» للرازي (مادة: صفو).

وما كُتب على المؤمنين من الصَّدقة[1].

أما بعد: فإن محمداً النبيَّ أرسل إلى زُرْعَةَ بنِ ذي يزن: إذا أتاكم رُسُلي، فأوصيكم بهم خيراً: مُعاذ بن جبل، وعبدالله بن زيد، ومالك بن عُبادة، وعُقبة بن نمر، ومالك بن مُرّة، وأصحابهم، وأنِ اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم، وأبلغوها رسُلي، وإن أميرهم معاذُ بن جبل، فلا يَنقَلِبَنَّ إلا راضياً.

أما بعد: فإن محمداً يشهد أن لا إله إلّا الله، وأنه عبده ورسوله، ثم إن مالك بن مرّة الرَّهاوي قد حدّثني أنك قد أسلمت من أوّل حِمْيَر، وقتلت المشركين، فأبشرْ بخير، وآمرك بحِمْيَر خيراً، ولا تخونوا ولا تخاذلوا؛ فإن رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم، وإن الصدقة لا تَحِلُّ لمحمد ولا أهل بيته، إنما هي زكاة يُزَكى بها على فُقراء المسلمين وابن السبيل، . . . .

قوله: (ومالك بن مرارة) هكذا في الحلبية والدحلانية[2]، والذي في ابن هشام: مالك بن مرة[3].

قوله: (من مخالفيكم): صوابه: من مخاليفكم، جمع مِخْلاف، وهي الكورة.

وقوله: (ولا تخاذلوا): ـ بضم التاء، ويجوز أن يكون بفتحها على حذف إحدى التاءين ـ.

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٥٦) عن شهاب بن عبدالله الخولاني، عن رجل من حمير أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووفد عليه.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٢)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٨٨).

وإن مالكاً قد بلَّغ الخبر، وحفِظ الغَيب، وآمركم به خيراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

وفود هَمْدان

ومنها: وفد هَمْدان، وفيهم مالك بن نَمَط، وكان شاعراً مجيداً، فلقُوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرْجِعَهُ من تبوك، عليهم مُقَطَّعَات من الحِبَرات اليمنية، والعمائم العدنية، وقد أنشد مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

حلفتُ بربّ الراقصاتِ إلى مِنىً ....

قوله: (وحفظ)؛ أي: أخلص لنا حال الغياب أيضاً.

وفود همدان

قوله: (نمط) هو: ـ بفتح النون والميم ـ.

قوله: (عليهم مقطعات من الحبرات): قال ابن قتيبة: المقطعات: الثياب المخيطة؛ كالقمص، سميت بذلك؛ لأنها تقطع، ثم تفصل، ثم تخاط. اهـ. سهيلي[2].

قوله: (والعمائم العدنية): هذا صريح في أن العمائم كانت تستعملها العرب في الجاهلية، وقد تقدم في (باب الدعوة سرّاً) قول الشاعر في أبي أحيحة:

أبا أُحَيحَةَ من يعتم عمته ... يوماً وإن كان ذا مال وذا ولد[3]

قوله: (الراقصات)؛ أي: الإبل، في «القاموس»: ولا يكون الرقص إلا للاعب وللإبل.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٢) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٧٦).

(٣) تقدم (ص: ٢٠٩)، وفيه: «وذا عدد» بدل «وذا ولد».

. . . .　　　صَوادرَ بالركبانِ من هَضْبِ قَرْدَدِ

بأَن رسولَ اللهِ فينا مُصَدَّقٌ　　　رسولٌ أتى من عند ذي العرش مهتدِي

فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رحلها　　　أشدَّ على أعدائِهِ من محمدِ[1]

وقد أمَّره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه، . . . .

وأرقص البعير: حمله على الخبب[2].

و**(قردد)** كجعفر: اسم جبل، وما ارتفع من الأرض[3].

قوله: (على من أسلم من قومه): قال في «زاد المعاد»: روى البيهقي بإسناد صحيح من حديث ابن إسحاق، عن البراء: أن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد، فأقمنا ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، فأمره أن يعقب خالداً إلا رجلاً ممن كان مع خالد أحبَّ أن يعقب مع علي ـ رضي الله عنه ـ فليعقب معه[4]، قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي، فلما دنونا من القوم، خرجوا إلينا، فصلى بنا عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ، ثم صفنا صفًّا واحداً، ثم تقدم بين أيدينا، وقرأ عليهم كتابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلمت همدانُ جميعاً[5].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٣٠٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: رقص).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قرد).

(٤) في هامش الأصل: «أي: أن من كان مع خالد إن شاء بقي مع علي، وإن شاء رجع مع خالد. اهـ. حلبي».

(٥) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٢٢ ـ ٦٣٢)، والخبر المذكور رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٩٦).

وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حق هَمْدان: «نِعْمَ الحَيُّ هَمْدَانُ، ما أسرعَها إلى النصر، وأصبرها على الجهد، وفيهم أبدال، وفيهم أوتاد»[1].

وفود تُجِيْب

ومنها: وفد تُجيْب، قبيلة من كِنْدة، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثةَ عشرَ رجلاً منهم، ومعهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم، فسُرّ بهم عليه الصلاة والسلام، وأكرم مثواهم، وقالوا: يا رسول الله! إنّا سُقْنَا إليك حقَّ الله في أموالنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «ردّوها فاقسموها على فقرائكم». فقالوا: يا رسول الله! ما قدمنا عليك إلا بما فضل عن فقرائنا، قال أبو بكر: يا رسول الله! ما قدم علينا من وفد من العرب مثلُ هذا، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الهدى بيد الله، فمن أراد به خيراً، شرح صدره للإيمان»، وجعلوا يسألونه عن القرآن، . . . .

قوله: (وفيهم أبدال وأوتاد): قال في «تعريفات السيد»: الأبدال: هم سبعة، ومن سافر من القوم عن موضعه، وترك جسداً على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب إبراهيم عليه السلام.

والأوتاد: عبارة عن أربعة رجال، منازلُهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة. اهـ[2].

وفود تجيب

قوله: (وفود تُجيب): ـ بضم التاء، ويجوز الفتح ـ.

---

(١) رواه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٧٣) عن علي بن محمد بن عبدالله بن أبي سيف القرشي، عمن سمى من رجاله من أهل العلم. وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٥).

(٢) انظر: «التعريفات» للسيد الجرجاني (ص: ٥٨، ٦٢).

فازداد صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم، ثم أرادوا الرجوع إلى أهليهم، فقيل لهم: ما يعجلكم؟ قالوا: نرجع إلى مَنْ وراءنا، فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقائنا إيّاه، وما ردّ علينا، ثم جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه، فأجازهم بأفضل ما كان يُجيز به الوفود، ثم قال لهم: «هل بقي منكم أحد؟» قالوا: غُلام خَلّفْناه في رحالنا، وهو أحدثنا سِناً، قال: «فأرسلوه إلينا»، فأرسلوه، فأقبل الغلام، وقال: يا رسول الله! أنا من الرهط الذين أتوك آنفاً، فقضيتَ حاجتهم، فاقضِ حاجتي، قال: «وما حاجتك؟» قال: تسأل الله أن يغفرَ لي ويرحمني، ويجعلَ غناي في قلبي، فقال عليه الصلاة والسلام: «اللهمّ اغفرْ له، وارحمْه، واجعل غناه في قلبه»، ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه[1].

قوله: (ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه) قال الحلبي والدحلاني: ثم إنهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم إلا ذلك الغلام، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما فعل الغلام الذي أتاني معكم؟» قالوا: يا رسول الله! ما رأينا مثله قط، ولا حدثنا بأقنع منه بما رَزقه الله، لو أن الناس اقتسموا الدنيا، ما نظر نحوها، ولا التفت إليها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله، إني لأرجو أن يموت جميعاً»، فقال رجل منهم: أوليس يموت الرجل جميعاً؟ قال صلى الله عليه وسلم: «تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا، فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الأودية، فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك»، قالوا: فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا، وأقنعه بما رزق، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجع من رجع من أهل اليمن عن الإسلام؛ قام في قومه، فذكرهم الله والإسلام، فلم يرجع منهم أحد، وجعل الصديق ـ رضي الله عنه ـ يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به،

---

(١) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨).

وفود ثعلبة

ومنها: وفد ثَعْلَبة، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعةٌ منهم مقرّين بالإسلام، فسلَّموا عليه وقالوا: يا رسول الله! إنّا رُسل مَنْ خلفنا من قومنا، ونحن مقرُّون بالإسلام، وقد قيل لنا: إنك تقول: لا إسلام لمن لا هجرة له، فقال عليه الصلاة والسلام: «حيثما كنتم واتَّقَيْتُم الله فلا يَضُرُّكم»، ثم قال لهم: «كيف بلادكم؟» فقالوا: مخصبون، فقال: «الحمد لله»، ثم أقاموا في ضيافته أياماً، وحين إرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من فضة[1].

وفود بني سعد بن هُذَيم

ومنها: وفد بني سعد بن هذيم من قُضَاعةَ، قال النعمان منهم: قدِمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافداً في نفر من قومي، . . . .

فكتب إلى زياد بن الوليد يوصيه به خيراً، وكان زياد والياً على حضرموت. اهـ[2].

وفود ثعلبة

وفود بني سعد بن هذيم

قوله: (سعد بن هذيم) سعد بن هُذَيم؛ كزبير: أبو قبيلة، وهو ابن زيد، لكن حضنه عبد أسود اسمه هذيم، فغلبه عليه. اهـ. «قاموس»[3].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٩٨) من طريق الواقدي عن رجل من بني ثعلبة عن أبيه.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٦)، و«السيرة النبوية» لأحمد ابن زيني دحلان (٣/ ٣٦)، والخبر المذكور أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٢٨).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: هذم).

وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد، وأزاح العرب، والناس صنفان: إما داخل في الإسلام راغب فيه، وإما خائف السيف، فنزلنا ناحية من المدينة، ثم خرجنا نؤُمُّ المسجد حتى انتهينا إلى بابه، فوجدنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جَنازة في المسجد، فقمنا خلفه ناحية، ولم ندخل مع الناس في صلاتهم، وقلنا: حتى يصلي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونُبايعه، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلينا، فدعا بنا فقال: «ممّن أنتم؟» فقلنا من بني سعد بن هذيم، فقال: «أمسلمون أنتم؟» قلنا: نعم، فقال: «هَلاَّ صلّيتم على أخيكم؟» قلنا: يا رسول الله! ظننا أن ذلك لا يجوز حتى نبايعك، فقال عليه الصلاة والسلام: «أينما أسلمتم فأنتم مسلمون»، قال: فأسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيدينا، ثم انصرفنا إلى رِحَالنا، وقد كُنَّا خَلَّفْنَا عليها أصغرنا، فبعث عليه الصلاة والسلام في طلبنا، فأتي بنا إليه، فتقدم صاحبنا، فبايعه صلى الله عليه وسلم على الإسلام، فقلنا: يا رسول الله! إنه أصغرنا، وإنه خادمنا، فقال صلى الله عليه وسلم: «سيدُ القوم خادمُهم، بارك الله عليه»، قال النعمان: فكان خيرَنا وأقرأنا للقرآن؛ لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، . . . .

قوله: (وقد أوطأ رسول الله البلاد)؛ أي: جعلها موطوءة قهراً وغَلَبة، واستولى عليها. اهـ. دحلاني[١].

قوله: (على جنازة في المسجد): هي سهيل بن بيضاء: اهـ. دحلاني[٢].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٣٧).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٣٧).

ثم أجازهم وانصرفوا[1].

وفود بن فَزَارة

ومنها: وفد بني فزارة، وفَدَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم مُقرّين بالإسلام، وهم مُسْنِتون، فسألهم عليه الصلاة والسلام عن بلادهم، فقال رجل منهم: يا رسول الله! أَسْنَتَتْ بلادُنا، وهلكت مواشينا، وأجدَب جَنَابُنا، وجاعت عيالنا. فادعُ لنا ربك يُغثْنا. واشفع لنا إلى ربك، وليشفع لنا ربك إليك، فقال عليه الصلاة والسلام: «سبحان الله! ويلك! هذا أنا أشفع إلى ربي، فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا هو العليّ العظيم، وسِعَ كرسيّه السماوات والأرض، . . . .

قوله: (ثم أجازهم وانصرفوا) قال الدحلاني: ثم إنهم لما رجعوا إلى قومهم، رزقهم الله الإسلام[2].

وفود بني فزارة

قوله: (فزارة) هو: ـ بفتح الفاء ـ.

قال في «زاد المعاد»: كان مجيء هذا الوفد بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من تبوك[3].

قوله: (وهم مسنتون)؛ أي: توالت عليه السنون والجدب.

وقوله: (وأجدب جنابنا)؛ أي: ما حولنا.

---

(١) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٣٥) من طريق الواقدي عن النعمان. وانظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٣٧).

(٣) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٥٣).

فهي تَئِطُّ من عظمته وجلاله كما يئط الرَّحْل الحديث»[1]؛ أي: من ثقل الحمل، ثم صعد عليه الصلاة والسلام المنبر، ودعا الله عزّ وجلّ حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير، والرحمة التامة.

وفود بني أَسَد

ومنها: وفد بني أسد، وفيهم: ضِرَارُ بن الأزوَر، وطُليحة بن خويلد الذي ادّعى النبوّة بعد ذلك، فأسلموا، وقالوا: يا رسول الله! أتيناك نتدرَّع الليل البهيم في سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثاً، فأنزل الله في ذلك: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧][2].

وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كانوا يفعلون في الجاهلية من العِيَافَة، . . . .

قوله: (حتى أغاث بلاد هذا الوفد): حدوث المطر كان في المدينة، وامتد إلى بلاد هذا الوفد كما استظهره الحلبي[3].

وفود بني أسد

قوله: (في سنة شهباء)؛ أي: ذات قحط.

قوله: (العيافة): هي زجر الطير، والتخرُّصُ على الغيب.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٨) عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السلمي، بنحوه. وأورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٣٦).

(٢) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٣٨) عن محمد بن كعب القرظي.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٦٩).

والكهانة، وضرب الحصباء، فنهاهم عن ذلك، ثم سألوه عن ضرب الرمل، فقال: «عُلِّمه نبيٌّ، فمن صادف مثل علمه، فذاك، وإلا فلا»[1].

ثم أقاموا أياماً يتعلمون الفرائض، وبعد ذلك ودَّعوا وانصرفوا بعد أن أُجيزوا.

وفود بني عُذْرَة

ومنها: وفد بني عذرة، ....

وقوله: **(الكهانة)**: هي الإخبار عن الكائنات في المستقبل. اهـ. حلبي[2].

قوله: **(وضرب الحصباء)**[3].

قوله: **(فمن صادف مثل علمه، فذاك، وإلا فلا)**: العبارة في الحلبي و«زاد المعاد»: «فمن صادف مثل علمه، علم»[4]؛ أي: ولكن أَنَّى لكم مثلُ علمه؟

قال: وفي «شرح مسلم»: أن محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه[5]؛ لأنه لا طريق لنا إلى العلم اليقيني[6].

وفود بني عذرة وغيرهم

قوله: **(ومنها وفد بني عذرة)**: قال في «زاد المعاد»: كان قدومهم في صفر

---

(١) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٣٨).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٢).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٢)، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٥٥).

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٥/ ٢٣).

(٦) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٢).

سنة تسع، وهم اثنا عشر رجلاً، فيهم حمزة بن النعمان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من القوم؟» فقال متكلمهم: من لا تنكره، نحن بنو عذرة إخوة قصي لأمه، نحن الذين عضدوا قصيّاً، وأزاحوا من بطن مكة خزاعةَ وبني بكر، ولنا قرابات وأرحام، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مرحباً بكم وأهلاً، ما أعرفَني بكم»، فأسلموا، وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام، وهربِ هرقلَ إلى ممتنع من بلاده[1].

قوله: (ووفد بني بَلي) قال الحلبي: هو على وزن (عَلِيّ) مُكَبَّر، وهو حيٌّ من قُضاعة[2].

وفي «زاد المعاد»: كان قدومهم في ربيع الأول سنة تسع، فأنزلهم رويفعُ بنُ ثابت البَلَوِيُّ عنده، وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: هؤلاء قومي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مرحباً بك وبقومك»، فأسلموا، وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذي هداكم للإسلام، فكل من مات على غير الإسلام فهو في النار»، فقال أبو الضُّبَيب ـ بالتصغير: الدابة المعروفة ـ شيخُ الوفد: يا رسول الله! إني رجل فيَّ رغبةٌ في الضيافة، فهل لي في ذلك أجر؟ قال: «نعم، وكل معروف صنعته إلى غني أو فقير فهو صدقة»، قال: يا رسول الله! ما وقت الضيافة؟ قال: «ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجَك»، قال رويفع: ثم قاموا فرجعوا إلى

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٥٧)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٣١) عن أبي عمرو بن حريث العذري قال: وجدت في كتاب آبائي. . . فذكره مختصراً، وأورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٤٠).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٣).

منزلي، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمراً، فقال: «استعن بهذا التمر»، وكانوا يأكلون منه ومن غيره، فأقاموا ثلاثاً، ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم، ورجعوا إلى بلادهم[1].

قوله: (ووفد بني مرة): قال الحلبي: وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثةَ عشرَ رجلاً من بني مرة، رأسهم الحارثُ بن عوف، فقال: يا رسول الله! إنا قومك وعشيرتك، نحن قوم من بني لؤي بن غالب، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحارث: أين تركت أهلك؟ قال: بسلاح وما والاها، فقال: «كيف البلاد؟»، فقال: والله! إنا لمسنتون، وما في المال مَح[2] ـ أي: صوت يردده ـ، فادع الله لنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اسقهم الغيث»، فأقاموا أياماً، ثم أرادوا الانصراف إلى بلادهم، فجاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له، فأمر بلالاً أن يجيزهم، فأجازهم بعشر أواق من فضة، وفضل الحارث ابن عوف، فأعطاه اثنتي عشرة أوقية، ورجعوا إلى بلادهم، فوجدوا البلاد مَطيرةً، فسألوا قومهم: متى مُطرتم؟ فإذا هو ذلك اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخصبت لهم بعد ذلك بلادهم. اهـ[3].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٥٧ ـ ٦٥٨)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٣٠) من طريق الواقدي عن رويفع بن ثابت البلوي ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) كذا في الأصل و«السيرة الحلبية»، وفي «الاكتفاء» للكلاعي: «مخ».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٤)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٩٨) من طريق محمد بن عمر، عن عبد الرحمن ابن إبراهيم المزني، عن أشياخه، وأورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٤٨).

ووفد خَوْلان ـ وهي قبائل باليمن ـ وقد أمرهم عليه الصلاة والسلام بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسنِ الجوار لمن جاوروا، وأن لا يظلموا أحداً؛ فإن الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة[1].

قوله: (ووفد خولان، وهي قبيلة باليمن. . .) إلخ: في الحلبي، و«زاد المعاد»: قدم عليه صلى الله عليه وسلم في شهر شعبان سنة عشر وفدُ خولان، وهم عشرة، فقالوا: يا رسول الله! نحن على من وراءنا من قومنا، ونحن مؤمنون بالله عز وجل، مصدقون برسوله، وقد ضربنا إليك آباط الإبل، وركبنا حُزُون الأرض وسهولها، والمنة لله ولرسوله علينا، وقدمنا زائرين لك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما ما ذكرتم من مسيركم إليّ؛ فإن لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة، وأما قولكم: زائرين لك؛ فإنه من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة»، فقالوا: يا رسول الله! هذا السفر الذي لا تَوى عليه، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما فعل عم أنس؟»، وهو صنم خولان الذي كانوا يعبدونه، قالوا: أبشر، أبدلنا الله تعالى به ما جئت به، وقد بقيت منا بعد بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به، ولو قدمنا عليه، هدمناه إن شاء الله تعالى، فقد كنا منه في غرور وفتنة، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وما أعظم ما رأيتم من فتنة؟» قالوا: لقد رأيتُنا وأَسْنَتْنا حتى أكلنا الرمة، فجمعنا ما قدرنا عليه، وابتعنا مئة ثور ونحرناها لعم أنس قرباناً في غداة واحدة، وتركناها تردها السباع، ونحن أحوجُ إليها من السباع، فجاءنا الغيث من ساعتنا، ولقد رأينا الغيث يواري الرحال، ويقول قائلنا: أنعم علينا [عم][2] أنس.

وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم من أنعامهم وحرثهم، فقالوا: كنا نزرع الزرع، فنجعل له وسطه، فنسميه

---

(١) أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٥٠).

(٢) ما بين معكوفتين من «زاد المعاد»، و«السيرة الحلبية».

وفود بني مُحارب

ومنها: وفدُ بني محارب، وكانوا من الذينَ ردُّوا الردَّ القبيح حينما كان رسول الله بعكاظ يدعو القبائل إلى الله، فما أعظمَ منّةَ الله الذي أتى بهؤلاء ـ وكانوا ألدَّ الأعداء ـ مسلمين مُنقادين!

له، ونسمي زرعاً آخر حجرةً ـ أي: ناحية ـ لله، فإذا مالت الريح بالذي سميناه له ـ أي: لله ـ جعلناه لعم أنس، وإذا مالت الريح بالذي سميناه لعم أنس لم نجعله لله، فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى أنزل عليّ في ذلك: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾[الأنعام: ١٣٦] الآية، وقالوا: وكنا نتحاكم إليه، فيتكلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك الشياطين تكلمكم».

وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الله، فأخبرهم بها صلى الله عليه وسلم، وأمرهم بالوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وحسن الجوار لمن جاوروا، وأن لا يظلموا أحداً؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، ثم ودعوه صلى الله عليه وسلم بعد أيام وأجازهم، ورجعوا إلى قومهم، فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس. اهـ[1].

وفود بني محارب

قوله: (ومنها: وفد بني محارب...) إلخ: قال في «زاد المعاد»: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدُ محارب عام حجة الوداع، وهم كانوا أغلظ العرب وأفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم عشرة نائبين عمن وراءهم من قومهم، فأسلموا، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء إلى أن جلسوا مع

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، و«زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٢٤) من طريق محمد بن عمر عن غير واحد من أهل العلم، وأورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).

ومنها: وفد غسان، ....

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الظهر إلى العصر، فعرف رجلاً منهم، فأمده النظر، فلما رآه المحاربي يديم النظر قال: كأنك يا رسول الله توهمتني؟ قال: «لقد رأيتك»، قال المحاربي: أي والله! لقد رأيتني وكلمتني وكلمتك بأقبح الكلام، ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على القبائل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم»، ثم قال المحاربي: يا رسول الله! ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الإسلام مني، فأحمدُ الله الذي أبقاني حتى صدقت بك، ولقد مات أولئك النفر الذي كانوا معي على دينهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذه القلوب بيد الله عز وجل»، فقال المحاربي: يا رسول الله! استغفر لي من مراجعتي إياك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الإسلام يجبُّ ما كان قبله من الكفر»، ثم انصرفوا إلى أهليهم[1].

وفود غسان

قوله: (ومنها: وفد غسان): قال في «زاد المعاد»: قدم في شهر رمضان سنة عشر، وهم ثلاثة نفر، فأسلموا، وقالوا: لا ندري أيتبعنا قومنا أم لا؟ وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر، فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز، وانصرفوا راجعين، فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم، وكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان على الإسلام، وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ عام اليرموك، فلقي أبا عبيدة، فخبره بالإسلام، فكان يكرمه. اهـ[2].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣)، والخبر المذكور أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٥١).

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٦٩)، والخبر المذكور أورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٦٠).

قوله: (ووفد سلامان): قال في «زاد المعاد»: وقدم عليه صلى الله عليه وسلم وفدُ سلامان سبعة [نفر][1].

قوله: (ووفد سلامان): قال الدحلاني: سلامان: ـ بفتح السين وتخفيف اللام ـ، وفي العرب بطون ثلاثة ينسبون إليه: بطن من الأزد، وبطن من طيئ، وبطن من قضاعة، ومنهم هؤلاء، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان، فيهم خبيب بن عمرو السلاماني، فأسلموا، قال خبيب ـ رضي الله عنه ـ: صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من المسجد إلى جنازة دعي إليها، فقلنا: السلام عليك يا رسول الله، فقال: «وعليكم، من أنتم؟» قلنا: نحن من سلامان، قدمنا إليك لنبايعك على الإسلام، ونحن على من وراءنا من قومنا، فالتفت إلى ثوبانَ غلامِه فقال: «أنزلْ هؤلاء؟»، قال خبيب: يا رسول الله! ما أفضلُ الأعمال؟ قال: «الصلاة في وقتها»، وصلوا معه الظهر والعصر، ثم شَكَوا له جدبَ بلادهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده: «اللهم اسقهم الغيث في دارهم»، فقلت: يا رسول الله! ارفع يديك فإنه أكثر وأطيب، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قام وقمنا معه ثلاثة أيام وضيافتهُ تجري علينا، ثم ودعناه، وأمر لنا بجوائز، فأعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة، واعتذر إلينا بلال ـ رضي الله عنه ـ، وقال: ليس عندنا اليوم مال، فقلنا: ما أكثَرَ هذا وأطيبه، ثم رحلنا إلى بلادنا، فوجدناها قد مُطرت في اليوم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ[2].

---

(١) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٣/ ٦٦٩)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٤٦)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٣٢) من حديث حبيب بن عمرو السلاماني ـ رضي الله عنه ـ، وأورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢).

قوله: (ووفد بني عبس): قال الحلبي: وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بني عبس، فقالوا: يا رسول الله! قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له، ولنا أموال ومواشٍ هي معايشنا، فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له، بعناها وهاجرنا عن آخرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله حيث كنتم، فلن يلتكم ـ أي: ينقصكم ـ من أعمالكم شيئاً»، وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان: «هل له عقب؟»، فأخبروه أنه لا عقب له، كانت له ابنة فانقرضت، وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان، وقال: «إنه نبي ضيعه قومه»[1].

وخالد بن سنان العبسي كان في زمن الفترة، قيل: كان نبيّاً، وكان من معجزاته: أن ناراً ظهرت بأرض العرب، فافتتنوا بها، وكادوا يتمجسون، فأخذ خالد عصاه ودخلها حتى توسطها ففرقها وهو يقول: بدداً بدداً، كل هاد مؤد إلى الله الأعلى، لأدخلنها وهي تلظى، ولأخرجن منها وثيابي تندى، ثم إنها طفئت وهو في وسطها، فلما حضرته الوفاة، قال لأهله: إذا دفنت، فإنه ستجيء عانة[2] من حَمِير يقدمها عير أبتر، فيضرب قبري بحافره، فإذا رأيتم ذلك، فانبشوا عني؛ فإني سأخبركم بجميع ما هو كائن، فلما مات ودفنوه، رأوا ما قال، فأرادوا نبشه، فكره ذلك بعضهم قالوا: نخاف إن نبشناه أن تسبنا العرب بأنا نبشنا ميتاً، فتركوه[3].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٨)، والخبر المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٢٩٦) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وأورده الكلاعي في «الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله» (٢/ ٣٦٣).

(٢) في هامش الأصل: «العانة: الأتان والقطيع من حمر الوحش، جمعه: عُون ـ بالضم ـ. اهـ. قاموس».

(٣) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (١/ ٢٩١).

ووفد النخع.

وكان عليه الصلاة والسلام يقابل هذه الوفود بما جَبَلَهُ الله عليه من البشاشة، وكرم الأخلاق، ويُجيزهم بما يرضيهم، ويعلمهم الإيمان والشرائع، ليعلِّمُوا مَنْ وراءهم، وكانت هذه الوفود أعظمَ وصلةٍ لإظهار الدين بين الأعراب في البوادي.

وفاة إبراهيم ابن النبي عليه الصلاة والسلام

وفي هذه السنة توفي إبراهيم ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قوله: (ووفد النخع): قال الحلبي: النخع ـ بفتح النون والخاء ـ: قبيلة من اليمن، وهو آخر الوفود، وكان وفودهم سنة إحدى عشرة في النصف من المحرم، وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مئتا رجل من النخع مقرين بالإسلام، وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل[1].

وفاة إبراهيم ابن النبي عليه السلام

قوله: (وفي هذه السنة توفي إبراهيم ابنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم): قال الحلبي: في سنة ثمان من الهجرة من ذي الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم ماريةُ القبطية ـ رضي الله تعالى عنها ـ ولدَه إبراهيم، وعق عنه صلى الله عليه وسلم بكبشين يوم سابعه، وحلق رأسه، وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين، وأمر بشعره فدفن في الأرض، وسماه: إبراهيم يوم ولادته[2].

وقيل: سماه سابع ولادته، ودفعه لأم بردةَ خولةَ بنتِ المنذر بن زيد الأنصاري زوجةِ البراء بن أوس لترضعه، وأعطاها قطعة نخل، فكانت ترضعه

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٧٩).

(٢) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، من طريق الواقدي عن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة.

. . . .

في بني مازن، وترجع به إلى المدينة.

ولما احتُضر، جاء صلى الله عليه وسلم، فوجده في حِجْر أمه، فأخذه صلى الله عليه وسلم في حجره وقال: «يا إبراهيم! إنا لن نغني عنك من الله شيئاً»، ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال: «إنا بك يا إبراهيم لمحزونون، تبكي العين ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب»[1].

ونهانا عن الصياح، ولما كسفت الشمس في ذلك اليوم، قال قائل: كسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تكسف لموت أحد ولا لحياته»[2]، وفي لفظ: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، يخوف الله بهما عباده، فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»[3].

ودفن بالبقيع، وفي رواية: أنه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده إبراهيم، وقف على قبره فقال: «يا بني! إن القلب يحزن، والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، إنا لله وإنا إليه راجعون». اهـ. ملخصاً[4].

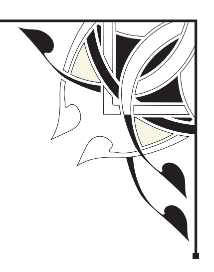


(١) رواه البخاري (١٣٠٣) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٠٦) من حديث عبد الرحمن بن حسان ابن ثابت، عن أمه سيرين ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) رواه البخاري (٣٢٠٤)، ومسلم (٩١١)، من حديث أبي مسعود ـ رضي الله عنه ـ بنحوه.

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٣٩٣ ـ ٣٩٦)، والخبر المذكور أورده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (١١/ ٢٥)، وعزاه لابن فورك في كتابه «النظامي».

السَّنَة الحادية عشرة

سرية [أسامة بن زيد إلى أبنى]

لأربع بقينَ من صفر، جهز عليه الصلاة والسلام جيشاً برياسة أُسامة ابن زيد إلى أُبْنى حيثُ قُتل زيدُ بنُ حارثة، والدُ أُسامة، وقال له: «سر إلى موضع قتل أبيك، فأوطئهم الخيل؛ فقد ولّيتك هذا الجيش، فأَغِرْ صباحاً على أهل أُبْنى، وحرِّق عليهم، وأسرع السير لتسبق الأخبار، فإن أظفرك الله، فأقلَّ اللبثَ فيهم، وخُذِ الأدلاَّء، وقدِّم العيونَ والطلائع معك»، وكان مع أُسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والأنصار، منهم: أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد، ثم عقد عليه الصلاة والسلام لأُسامة اللواء، وقال له: «اغزُ باسم الله، في سبيل الله، وقاتل مَنْ كفر بالله»(1).

السنة الحادية عشرة

سرية

قوله: (سرية) عنونها الحلبي بـ: سرية أسامة بن زيد إلى أبنى، قال: وأبنى ـ بضم الهمزة وفتح النون ـ: اسم موضع بين عسقلان والرملة.

وفي كلام السهيلي ـ رحمه الله ـ: وهي قرية عند مؤتة التي قتل عندها زيد ابن حارثة ـ رضي الله عنهما(2) ـ.

---

(1) أورده الواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٧٣)، وانظر: «السيرة الحلبية» نور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٧).

(2) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٧). وانظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٨٥).

وقد انتقد جماعة على تأمير أُسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين، فأُبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المقالة، فغضب غضباً شديداً، وخرج، فقال: «أما بعد: أيّها الناس! فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أُسامة؟ ولئن طعنتم في تأميري أُسامة، لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله، وايمُ الله! إنه كان لخليقاً بالإمارة، وإن ابنه من بعده لخليقٌ بها، وإن كان لمن أحبّ الناس إليَّ، وإنهما لَمظنّةٌ لكلِّ خير، فاستوصوا به خيراً؛ فإنه من خياركم»[١].

قوله: **(لم يتجاوز السابعة عشرة)**: في الحلبي: كان سنه ثمان عشرة، وقيل: تسع عشرة، وقيل: سبع عشرة سنة، ويؤيد ذلك: أن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى إياسَ بنَ معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي، وخلفه أربعُ مئة من العلماء وأصحاب الطيالسة، فقال المهدي: أف لهذه العثانين، أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث؟! ثم التفت إليه المهدي وقال: كم سنك يا فتى؟ فقال: سني ـ أطال الله بقاء أمير المؤمنين ـ سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشاً فيه أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ، فقال: تقدم بارك الله فيك، وكان سنه سبع عشرة سنة[٢].

ومما يؤثر عنه: من لم يعرف عيبه فهو أحمق، قيل: وما عيبك؟ قال: كثرة الكلام. اهـ[٣].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٣٦٣) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بنحوه.

(٢) أورد هذه القصة بهاء الدين العاملي في «الكشكول» (١/ ٢٩٢)، وعزاها للمسعودي في «شرح المقامات».

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٧)، والقول المذكور رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٢٤) عن إياس بن معاوية.

ولم يتم لهذا الجيش الخروجُ في عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم لأن المرض بدأه، فاختاره الله للرفيق الأعلى.

وسيرى القارئ ـ إن شاء الله ـ خروجَ هذا الجيش متمّماً في كتابنا «إتمام الوفاء بسيرة الخلفاء».

قوله: (لأن المرض بدأ به): قال الحلبي: لما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر، بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعُه، وصُدع، ولما كان يوم الأحد، اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فدخل أسامة من معسكره[1] والنبي صلى الله عليه وسلم مغمور، فطأطأ رأسه فقبله، وهو صلى الله عليه وسلم لا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء، ثم يضعها على أسامة ـ رضي الله عنه ـ، قال أسامة: فعرفت أنه صلى الله عليه وسلم يدعو لي[2].

ورجع أسامة إلى معسكره[3]، ثم دخل عليه يوم الاثنين، فقال له صلى الله عليه وسلم: «اغدُ على بركة الله تعالى»، فودعه أسامة، وخرج إلى معسكره، وأمر الناس بالرحيل، فبينما هو يريد الركوب، إذا رسولُ أمه أم أيمن ـ رضي الله عنها ـ قد جاءه يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت ـ وفي لفظ: سار حتى بلغ الجرف، فأرسلت إليه امرأته فاطمةُ بنتُ قيس تقول له: لا تعجل؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل ـ، فأقبل، وأقبل معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فانتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس؛ أي: مالت[4].

---

(١) في الأصل: «عسكره»، والمثبت من «الطبقات الكبرى».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٧٧) من حديث أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في الأصل: «عسكره»، والمثبت من «الطبقات الكبرى».

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨)، والخبر المذكور =

مرض الرسول صلى الله عليه وسلم

لما تمّم عليه الصلاة والسلام ما كُلِّفَ بـه، وأدى مـا اؤتمـن عليـه، وهدى الله به أمته، اختاره الله للرفيق الأعلى، فجلس على المنبر مرة، . . .

مرض الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الدحلاني: قد عرَّف الله النبيَّ صلى الله عليه وسلم اقترابَ أجله بنزول سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؛ فإن المراد من هذه السورة: أنك يا محمد إذا فتح الله عليك البلاد، ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم إليه أفواجاً؛ فقد اقترب أجلك، فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار؛ فإنه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ، وما عندنا لك خير من الدنيا، فاستعد للنقلة إلينا.

وروى الطبراني عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: لما نزلت هذه الآية، قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: «أَنعيتَ إليَّ نفسي»؟، فقال له جبريل: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾[1].

قوله: (فجلس على المنبر مرة): كان ذلك بعد أن اشتد به وجعُه، واغتسل من سبع قِرَب كما سيأتي.

= أورده ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(١) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٣١٧)، والخبر المذكور رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٦٧٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني، وفيه عبد المنعم بن إدريس، وهو كذاب وضاع.

وروى البخاري (٤٩٦٩) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ سألهم عن قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا بن عباس؟ قال: أجل، أو مثل ضُرب لمحمد صلى الله عليه وسلم، نُعيت له نفسه.

وكان فيما قال: «إن عبداً خيَّره الله بين أَنْ يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده». فبكى أبو بكر، وقال: يا رسول الله! فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن أمَنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر، لو كنتُ متخذاً خليلاً، لاتخذتُ أبا بكر، ولكن أُخوة الإسلام، . . . .

قال في «الحلبية»: بعد أن اغتسل خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه الشريف حتى جلس على المنبر، ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أُحد ـ أي: دعا لهم ـ فأكثر الصلاة عليهم، واستغفر لهم، ثم قال: «إن عبداً من عباد الله. . . » إلخ الحديث[1].

قوله: (وكان فيما قال. . .) إلخ: الحديث في «صحيح البخاري»، ومسلم، وبعد قوله: فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال: فعجبنا، وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيَّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عند الله، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا! قال: فكان رسولُ الله هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلَمَنا به[2].

قوله: (فقال عليه السلام: إن أمنّ الناس. . .) إلخ: قال الحلبي: في رواية قال: «يا أبا بكر! لا تبك، أيها الناس! إن أمنَّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر»[3]، وهذا حديث صحيح جاء عن بضعةَ عشرَ صحابيّاً، ولكثرة طرقه عدَّ من المتواتر[4].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨).

(٢) رواه البخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٤٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٥٨).

لا يبقى في المسجد خَوخة إلا سُدَّت إلا خَوْخة أبي بكر»[1].

وقد بدأه عليه الصلاة والسلام مرضُه في أواخر صَفَر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت ميمونة، واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً، كان في خلالها ينتقل إلى بيوت أزواجه، ولما اشتد عليه المرض، استأذن منهنّ أن يُمَرَّضَ في بيت عائشة الصدّيقية، فأَذِنَّ له، ولما دخل بيتها، . . . .

قوله: (خوخة) ـ بفتح الخاءين ـ: هي مخترق ما بين كل دارين. «قاموس»[2].

قال الحلبي: وعند إغلاق الأبواب قال الناس: أغلقَ أبوابنا وتركَ باب خليله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر، وإني أرى على باب أبي بكر نوراً، وأرى على أبوابكم ظلمة، لقد قلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وأمسكتم الأموال، وجاد لي بماله، وخذلتموني وواساني»[3].

وفي رواية: «لا تؤذوني في صاحبي، ولولا أن الله سماه صاحباً، لاتخذته خليلاً، ألا فسدُّوا كلَّ خوخة إلا خوخةَ ابن أبي قحافة»[4].

قوله: (في أواخر صفر): الذي في شرحَيِ المناوي والباجوري على «الشمائل»: أن مرضه كان ثاني ربيع الأول.

---

(١) رواه البخاري (٤٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خوخ).

(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ١١٠) من حديث المقدام بن معد يكرب ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، والحديث المذكور رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٨٣) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٥): رجاله رجال الصحيح.

واشتد عليه وجعُه، قال: «هَريقوا عليَّ من سبع قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَـتُهُنّ؛ لعلّي أعهد إلى الناس»، فأُجلس في مِخضَب، وصُبّ عليه الماء حتى أشار بيده أَنْ قدَ فَعَلْتُنَّ[1].

وكان هذا الماء لتخفيف حرارة الحمى التي كانت تصيب مَن يضع يده فوق ثيابه.

صلاة أبي بكر بالناس

ولما تعذَّر عليه صلى الله عليه وسلم الخروجُ إلى الصلاة، قال: «مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، فرضيه عليه الصلاة والسلام خليفةً له في حياته. ولما رأت الأنصارُ اشتدادَ وجع الرسول صلى الله عليه وسلم طافوا بالمسجد، . . . .

قوله: (من سبع قرب)؛ أي: من آبار شتى، ولعل الحكمة في ذلك: أن لا يتطرق الفساد إلى الماء من الهواء، وليبقى خواصُّه فيه.

قوله: (في مخضب): المِخْضب؛ كمنبر: المِرْكَن. «قاموس»[2].

وفي «النهاية»: المخضب ـ بالكسر ـ: شبه المِرْكن، وهي إجَّانة يغسل فيها الثياب[3].

صلاة أبي بكر بالناس

قوله: (ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة. . .) إلخ: كانت تلك الصلاة صلاة العشاء الأخيرة، وقد رام النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج إلى الصلاة ثلاث مرات، فيغمى عليه، فأرسل إلى بكر ـ رضي الله عنه ـ بأن يصلي

---

(١) رواه البخاري (١٩٨) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خضب).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٩).

فدخلَ العباس، وأعلمه بمكانهم وإشفاقهم، فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئاً على عليّ والفضل، وتقدم العباس أمامهم، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم معصوبُ الرأس يَخُطُّ برجليه، حتى جلس في أسفل مِرقاة المنبر، وثار الناس إليه، فحمِد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس! . . . .

بالناس، وحينئذ قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: إن أبا بكر رجل أسيف ـ أي: رقيق القلب ـ ، إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فقال صلى الله عليه وسلم: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس»، فعاودته، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناسَ من البكاء، فمرْ عمرَ فيصل، ففعلت حفصة، فقال صلى الله عليه وسلم لحفصة: «مَهْ، إنكن صواحبُ يوسف» عليه الصلاة والسلام، وهي زليخا، أظهرت خلاف ما تبطن، أظهرت للنساء اللاتي جمعتهن أنها تريد إكرامهن بالضيافة، وإنما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف، فيعذرنها في حبه، والنبي صلى الله عليه وسلم فهم من عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها تظهر كراهة ذلك، مع محبتها له باطناً، هكذا يقتضيه ظاهر اللفظ، والمنقول عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها إنما قصدت بذلك خوف أن يتشاءم الناس أبا بكر، فيكرهونه حيث قام مقامه صلى الله عليه وسلم؛ فقد جاء منها أنها قالت: ما حملني على كثرة مراجعتي له صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه، ولا كنت أرى أنه يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس منه. اهـ. حلبي ملخصاً[١].

قوله: (فدخل العباس. . .) إلخ: قبل دخول العباس دخل عليه الفضل ـ رضي الله عنه ـ، ثم دخل عليٌّ ـ كرم الله وجهه ـ.

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٦٢ ـ ٤٦٣)، والخبر المذكور رواه البخاري (٦٦٤، ٧٣٠٣)، ومسلم (٤١٨)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

بلغني أنكم تخافون من موت نبيّكم، هل خُلِّد نبيٌّ قبلي فيمن بعث الله فأُخلَّدَ فيكم؟ ألا إني لاحقٌ بربي، وإنكم لاحقون بي، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً، وأوصي المهاجرين فيما بينهم؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ ـ ٣]**، وإن الأمور تجري بإذن الله، ولا يحملنكم استبطاءُ أمرٍ على استعجاله؛ فإن الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد، ومن غالبَ اللهَ غلبهَ، ومن خادعَ اللهَ خدعَه، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾**[محمد: ٢٢].

وأوصيكم بالأنصار خيراً؛ فإنهم الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلكم، أن تُحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسِّعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟ ألا فمن وُلِّي أن يحكم بين رجلين فليقبلْ من محسنهم، وليتجاوزْ عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فَرَطٌ لكم، وأنتم لاحقون بي، ألا فإن موعدكم الحوض، ألا فمن أحب أن يرده عليَّ غداً فليكفُفْ يده ولسانه؛ . . . .

قوله تعالى: (﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾): فهل يتوقَّع منكم.

(﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾): أمورَ الناس وتأمرتم عليهم، أو أعرضتم وتوليتم عن الإسلام.

(﴿أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾) تناحراً على الولاية، وتجاذباً لها، أو رجوعاً إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من التغاور ومقاتلة الأقارب، والمعنى: أنهم لضعفهم في الدين، وحرصهم على الدنيا، أحقاءُ بأن يتوقَّع ذلك منهم مَنْ عرفَ حالهم، وخبر (عسى) قوله: ﴿أَن تُفْسِدُوا۟﴾، و﴿إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾

إلا فيما ينبغي».

وبينما المسلمون في صلاة الفجر، من يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول، وأبو بكر يصلي بهم، إذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سِجْفَ حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ على عقبه ليصلَ الصَّفَّ، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم بيده: أن أتّموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر[1].

اعتراض. اهـ. بيضاوي[2].

قوله: (إلا فيما ينبغي) تتمة الحديث بعد هذا ـ كما في الحلبي ـ: «يا أيها الناس! إن الذنوب تغير النعم، فإذا بر الناس، برتهم أئمتهم، وإذا فجر الناس، عقوا أئمتهم»[3].

قوله: (ثم تبسم يضحك)؛ أي: سروراً منه صلى الله عليه وسلم حيث رأى أمته تقيم عماد الدين.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٩٤).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٦٤)، والخبر المذكور أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٤٧٠) عن سعيد بن عبدالله عن أبيه، وقال الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١٢١٦): هو حديث مرسل ضعيف، وفيه نكارة، ولم أجد له أصلاً، وأبوه عبدالله بن ضرار بن الأزور، تابعي، روى عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال أبو حاتم فيه وفي ابنه سعيد: ليس بالقوي.

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولم تأت ضحوةُ هذا اليوم حتى فارق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم دنياه، ولحق بمولاه، وكان ذلك في يوم الاثنين (١٣) ربيع أول سنة (١١)، (٨) يونيو سنة (٦٣٣)، فيكون عمره عليه الصلاة والسلام (٦٣) سنة قمرية كاملة، وثلاثة أيام، وإحدى وستين شمسية، وأربعة وثمانين يوماً، وكان أبو بكر غائباً بالسُّنْح ـ وهي منازل بني الحارث بن الخزرج ـ . .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله: (بالسنح) ـ بضم السين ـ: موضع قرب المدينة كان به مسكن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: (حتى فارق رسول الله الحياة): وفي «الحلبية»: وآخر ما تكلم به عليه الصلاة والسلام: «الصلاةَ وما ملكت أيمانُكم»(١)، حتى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يترغرغ بها في صدره، ولا يفيض بها لسانه، وآخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يترك بجزيرة العرب دينان»(٢).

قال السهيلي: وذكر أن آخر كلمة تكلم بها عليه السلام: «اللهم الرفيق الأعلى»(٣)، وهذا منتزع من قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾[النساء: ٦٩](٤).

---

(١) رواه أبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، من حديث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٧٣)، والحديث المذكور رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٢٧٤) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) رواه البخاري (٤٤٦٣)، ومسلم (٢٤٤٤)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٤) انظر: «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٤٣٧).

عند زوجه حبيبةَ بنتِ خارجةَ بنِ زيد، فسلَّ عمر سيفه، وتوعَّد مَنْ يقول: مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: إنما أُرسل إليه كما أُرسل إلى موسى، فلبثَ عن قومه أربعين ليلة، والله! إني لأرجو أن يُقَطِّع أيدي رجالٍ وأرجلَهم.

قال الحلبي: وعند ذلك دهش الناس، وطاشت عقولهم، واختلفت أحوالهم، فأما عمر ـ رضي الله عنه ـ فخبل، وأما عثمان ـ رضي الله عنه ـ، فأخرس، وأما علي ـ كرم الله وجهه ـ فأقعد، وجاء أبو بكر وعيناه تهملان، فقبَّل النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: بأبي أنت وأمي! طبت حيّاً وميتاً[(١)].

قوله: (وقال: إنما أرسل إليه. . .) إلخ: في الحلبية: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ صار في ناحية المسجد يقول: والله! ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقطع أيديَ ناس من المنافقين كثير وأرجلَهم، وصار رضي الله عنه يتوعد من قال: (إنه مات) بالقتل أو القطع.

ونقل عنه ـ رضي الله عنه ـ: أنه قال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات، ولكن ما مات، ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بنُ عمران عليه السلام، ثم رجع إلى قومه بعد أربعين ليلة بعد أن قيل: قد مات، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى بن عمران، فليقطعن أيديَ رجال وأرجلَهم[(٢)].

ولا زال ـ رضي الله عنه ـ يتوعد المنافقين حتى أزبد شدقاه[(٣)].

---

(١) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٧٤)، والخبر المذكور رواه البخاري (٣٦٦٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٦) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بنحوه. ورواه ابن ماجه (١٦٢٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٧٥)، والخبر المذكور رواه =

فلما أقبل أبو بكر، وأُخبر الخبر، دخل بيت عائشة، وكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجثا يُقَبِّلُه، ويبكي، ويقول: توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله، ما أطيبك حيّاً وميتاً! بأبي أنت وأمي! لا يجمع الله عليك موتتين[1].

ثم خرج، فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: ألا من كان يعبدُ محمداً، فإنّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله، حيٌّ لا يموت، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[الزمر: ٣٠]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٤].

قال عمر: والله! لكأني لم أتلُ هذه الآية قَطّ، ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته بقية يوم الاثنين، وليلة الثلاثاء ويومه، وليلة الأربعاء، حتى انتهى المسلمون من إقامة خليفة عليهم، فَغُسِّلَ ودُفِنَ، وكان الذي يغسله عليُّ بن أبي طالب، ويساعده العباسُ، وابناه الفضلُ وَقُثَم، . . . . . .

قوله: (لا يجمع الله عليك موتتين): قال الدحلاني: أشار بذلك إلى الرد على من يزعم أنه سيجيء فيقطع أيدي رجال؛ لأنه لو صح ذلك، لزم أن يموت موتة أخرى، فأخبر بأنه أكرمُ على الله أن يجمع عليه موتتين.

وقيل: إنه أراد: لا يجمع الله عليك موت نفسك وموت شريعتك. اهـ[2].

قوله: (قُثَم) كزُفَر: هو ابنُ العباس. اهـ. «قاموس»[3].

= ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢/ ٢٦٨) عن عكرمة.

(١) رواه البخاري (١٢٤١، ٣٦٦٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لأحمد بن زيني دحلان (٣/ ٣٢٤).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قثم).

وأُسامة بن زيد، وشُقْرانُ مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكُفِّنَ في ثلاثة أثواب بيضٍ، ليس فيها قميص ولا عِمامة[1]. ولما فرغوا من تجهيزه، وُضع على سريره صلى الله عليه وسلم في بيته، ودخل الناس عليه أرسالاً متتابعين يُصَلُّون عليه، ولم يؤمّهم أحد، ثم حُفِرَ له لحدٌ في حجرة عائشة حيث توفي، وأنزله القبرَ عليّ والعباس، وولداه الفضلُ وَقُثَم، وَرَشَّ قبره بلالٌ بالماء، ورُفع قبره عن الأرض قدرَ شبر.

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وترك للمسلمين ما إن اتبعوه لم يضرّهم شيء: كتابَ الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وترك أصحابَه البررةَ الكِرام، يوضّحون الدين، ويتمّمون فتح البلاد، ويُظهرون في الدنيا شمس الدين الإسلامي القويم، حتى يتمّم الله كلمته، ويحقّ وعده، وقد فعل، فنسأل الله أن يقدّرنا على أداء شكره على هذه المنّة العظمى، والنعمة الكبرى.

قوله: (شُقْران) هو كعثمان، واسمه: صالح. اهـ. «قاموس»[2].

قوله: (ثلاثة أثواب): في الحلبي: هي إزار ورداء ولفافة[3].

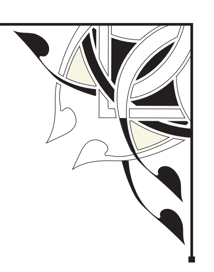
❐ ❐ ❐

---

(١) رواه البخاري (١٢٧٣)، ومسلم (٩٤١)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شقر).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ٤٧٧).

شمائله عليه الصَّلاة والسَّلام

منح الله سبحانه نبيّنا صلى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والآخرة ما لم يمنحه غيره ممّن قبله أو بعده، ولا بدّ أن نأتي لك في هذا الباب بنبذة يسيرة من محاسن صفاته، وأحاسنِ آدابه؛ لتكون لك أنموذجاً تسير عليه، حتى تكون على قدم نبيّك صلى الله عليه وسلم، فتستحق الحمد في الدنيا، والذخر في الأخرى.

فاعلم ـ أرشدني الله وإياك، وهدانا للصراط السوي ـ : أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان: ضروريٌّ دنيوي: اقتضته الجِبلَّةُ، وضرورةُ الحياة، ومكتسَبٌ دينيّ: وهو ما يُحمد فاعلهُ، ويُقَرِّبُ إلى الله زلفى.

فأما الضروري: فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب؛ مثل ما كان في جبلَّته عليه الصلاة والسلام من كمال الخِلْقة، وجمال الصورة، وقوة العقل، وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس والأعضاء، واعتدال الحركات، وشرف النسب، وعزّة القوم، وكرم الأرض، ويلحق به ما تدعو ضرورة الحياة إليه؛ من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه.

أما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العليّة، والآداب الشرعية؛ من الدين، والعلم، والحِلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، . . . .

والتواضع، والعفو، والعفّة، والجود، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحُسن الأدب، والمعاشرة، وأخواتها، وهي التي يجمعها حُسن الخُلق.

فإذا نظرت ـ رعاك الله ـ إلى خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جبلَّة الخِلقة، وجدته عليه الصلاة والسلام حائزاً لجميعها، محيطاً بشتات محاسنها.

فأما الصورة وجمالها، وتناسبُ أعضائه في حُسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من أنه صلى الله عليه وسلم كان: أزهر اللون، أدعج، أنجل، أشكَل، أهدب الأشفار، أبلج أزجَّ أقنى أفلجَ، مدورَ الوجه، واسعَ الجبين، كَثَّ اللحية تملأ صدرَه، سَواءَ البطن والصدر، عظيم المنكبيَن، ضخم العِظام، عَبْل العَضُدَين والذراعين والأسافل، رَحْب الكفَّين والقدمين، سائل الأطراف، أنورَ المُتَجَرَّد، . . . .

قوله: (سواء البطن)؛ أي: ليس متقاعس الصدر، ولا مفاض البطن. اهـ. «شفا»[1].

قوله: (رحب الكفين)؛ أي: واسعَهما، وهو دليل الجود، وصغره دليل البخل.

وقوله: (سائل الأطراف)؛ أي: طويلها طولاً معتدلاً بين الإفراط والتفريط، فكانت مستوية مستقيمة، وذلك مما يمدح به، قال ابن الأنباري: سائل ـ باللام ـ روي: سائن ـ بالنون ـ، وهما بمعنى[2].

وقوله: (أنور المتجرد) ـ بكسر الراء المشددة على أنه اسم فاعل، وبفتحها

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٦٢).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٦٣).

دقيقَ المَسْرُبة، رَبْعةَ القدِّ، ليس بالطويل البائِن، ولا القصير المتردِّد، ومع ذلك فلم يكن يُماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طالَه صلى الله عليه وسلم، رَجِل الشَّعر، إذا افترَّ ضاحكاً، افترَّ عن مثل سَنا البرق، . . . .

على أنه اسم مكان، قيل: وهو أشهر، بل قيل: إنه الرواية ـ، والمعنى: أنه نير العضو المتجرد عن الشعر أو عن الثوب، فهو على غاية من الحسن ونصاعة اللون. اهـ. باجوري على «الشمائل»[١].

قوله: (ولا القصيرِ المتردد): فسره في «الشمائل» بالداخل بعضُه في بعض قصراً[٢].

قوله: (رَجِل الشعر)؛ أي: لا بالجعد القطط، ولا بالسبط؛ كما في «الشمائل»[٣].

و**(الجَعْد)** بفتح فسكون، و**(القَطَط)** بفتحتين، والقطط: شعر الزنج، و**(السبط)**: ـ بفتح فكسر، أو بفتحتين، أو بفتح فسكون ـ.

وفي «التهذيب»: سَبِط الشعر سَبَطاً، من باب تعب، فهو سبط: إذا كان مسترسلاً[٤].

والمراد: أن شعره صلى الله عليه وسلم ليس نهاية في الجعودة، ولا في السبوطة، بل كان وسطاً بينهما[٥]، وخير الأمور أوساطها[٦].

---

(١) انظر: «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» للباجوري (ص: ٦٠ ـ ٦١).

(٢) انظر: «الشمائل المحمدية» (ص: ٢١ ـ طبعة دار إحياء التراث العربي).

(٣) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (١) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٣/ ١٣٦).

(٥) في الأصل: «بينهما»، والتصويب من «تحفة الأحوذي» للمباركفوري (١٠/ ٦٨).

(٦) قوله: (خير الأمور أوساطها) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٨٨) من =

وعن مثل حبِّ الغمام، إذا تكلم، رُئِي كالنُّور يخرجُ من بين ثناياه، أحسنَ الناس عُنُقاً، ليس بِمُطَهَّمٍ، ولا مُكَلْثَمٍ، . . . .

قال الزمخشري: الغالب على العرب جعودةُ الشعر، وعلى العجم سبوطته[1].

وقد أحسن الله لرسوله الشمائل، وجمع فيه ما تفرق في غيره من الفضائل. اهـ. باجوري[2].

قوله: (وعن مثل حب الغمام)؛ أي: البَرَد. اهـ. «شفا»[3].

قوله: (يخرج من بين ثناياه)؛ أي: ـ رئي له صفاءٌ يلمع كالنور يخرج من بين ثناياه، ويحتمل أن الكاف زائدة للتفخيم، ويكون الخارج حينئذ نوراً حسيّاً معجزة له صلى الله عليه وسلم، ورئي: ـ بضم الراء وكسر الهمزة، وقيل: بكسر الراء على وزن: قيل ـ. اهـ. «باجوري على الشمائل» ملخصاً[4].

قوله: (ليس بمطهم): فسر المصنف المطهم: بالبائن، وهو سهو، ولعل السهو من الطبع، والصواب: المطهم: البادن؛ أي: الكثير اللحم، فالكثير اللحم صفة كاشفة، والرواية فيه بلفظ اسم المفعول فقط.

وقوله: (ولا مكلثم) الرواية فيه بلفظ اسم المفعول فقط، ومعناه: مدور الوجه، والمراد: أنه أَسيل الوجه، مسنون الخدين، ولم يكن مستديراً غايةَ التدوير، بل كان بين الاستدارة والإسالة. اهـ. باجوري[5].

= قول مطرف بن عبدالله.

(١) انظر: «الفائق» للزمخشري (١/ ٤٤٤).

(٢) انظر: «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» للباجوري (ص: ٢٣).

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٦٣).

(٤) انظر: «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» للباجوري (ص: ٧٩ ـ ٨٠).

(٥) انظر: «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» للباجوري (ص: ٤٣).

متماسِكَ البدن، ضربَ اللَّحم[1].

قال البراء بن عازب: ما رأيتُ من ذي لِمَّةٍ سوداءَ في حُلّةٍ حمراءَ أحسنَ من رسُول الله صلى الله عليه وسلم[2].

وقال أبو هريرة: ما رأيتُ شيئاً أحسنَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه[3]، وإذا ضحك يتلألأ في الجُدُر[4].

وفي حديث ابن أبي هالة: يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر[5].

وقال عليٌّ في آخر وصفه له: من رآه بَديهة هَابَهُ، ومن خالطهُ معرِفةً أحبَّه، . . . .

وفسره صاحب «الشفاء» بما ذكره المصنف هنا[6].

قوله: (متماسك البدن)؛ أي: معتدل الخلق يمسك بعضُه بعضاً.

قوله: (ضَرْب اللحم) ـ بسكون الراء ـ؛ أي: قليل اللحم.

قوله: (من ذي لمة سوداء) المراد باللمة هنا: ما نزل عن شحمة الأذن، ووصل إلى المنكبين؛ لأنها تطلق على الواصل إليهما، وهو المسمى بالجمَّة، وعلى غيره، وهو المسمى بالوَفْرَة، و(من) زائدة لتأكيد العموم. اهـ. باجوري[7].

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٥٩ ـ ٦٠).

(٢) رواه مسلم (٢٣٣٧) بنحوه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٠).

(٤) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٧٥)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بنحوه، وانظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٦١).

(٥) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٨).

(٦) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٦٢)، وفيه: «المكلثم: القصير الذقن».

(٧) انظر: «المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية» للباجوري (ص: ٣٤).

يقول ناعِتُهُ: لم أرَ قبله ولا بعده مثلَه صلى الله عليه وسلم[1].

وأما نظافةُ جسمه، وطيبُ ريحه وعرَقه، ونزاهتُه عن الأقذار وعوراتِ الجسد، فكان قد خصَّه الله تعالى في ذلك بخصائصَ لم توجد في غيره، ثم تممها بنظافة الشرع.

قال عليه الصلاة والسلام: «بُنِي الدين على النظافة»[2].

وقال أنس: ما شَممت عنبراً قطُّ، ولا مِسكاً، ولا شيئاً أطيَب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

وعن جابر بن سَمُرَةَ: أنه عليه الصلاة والسلام مسح خَدَّه، قال: فوجدت ليده بَرداً وريحاً كأنما أخرجها من جُؤنة عطار[4].

(نظافة جسمه)

قوله: (جؤنة عطار) الجُؤنة ـ بالضم ـ: سَفَطٌ مغشًّى بجلد، ظرفٌ لطيب العطار، أصله الهمز، ويُليَّن، وجمعه كصُرَد. اهـ. قاموس[5].

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٣٨) وقال: حديث حسن غريب، ليس إسناده بمتصل.

(٢) أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١/ ٤٩)، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٤): لم أجده هكذا، وفي «الضعفاء» لابن حبان من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «تنظفوا؛ فإن الإسلام نظيف»، وللطبراني في الأوسط بسند ضعيف جدّاً من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «النظافة تدعو إلى الإيمان». والحديث الأول رواه ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٥٧)، والحديث الثاني رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣١١).

(٣) رواه مسلم (٢٣٣٠).

(٤) رواه مسلم (٢٣٢٩).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: جأن).

قال غيره: مَسَّها بطيب، أو لم يمسَّها، يصافح المصافح، فيظل يومَه يجد ريحها، يضع يده على رأس الصبي، فيُعرف من بين الصِّبيان بريحها[1].

وروى البخاري في «تاريخه الكبير» عن جابر: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمرّ في طريق، فيتبعه أحد، إلا عُرِف أنه سلكه؛ من طيبه[2].

وأما وفُور عقلهِ صلى الله عليه وسلم، وذكاءُ لُبِّه، وقوةُ حواسه، وفصاحةُ لسانه، واعتدالُ حركاته، وحسن شمائله؛ فلا مِرية أنه كان أعقلَ الناس وأذكاهم، ومن تأمَّل تدبيره أمْرَ بواطن الخلق، وظواهرهم، وسياسته للعامة والخاصة، مع عجيب شمائله، وبديعِ سِيَره، فضلاً عمّا أفاضه من العلم، وقرَّره من الشرع دون تعلُّم سابق، ولا ممارسة تقدَّمتْ، ولا مطالعة للكتب منه؛ لم يمترِ في رُجْحان عقله، وثُقُوب فهمه لأول بديهة[3].

وكان عليه الصلاة والسلام إذا قام في الصلاة، يرى من خلفه كما يرى من أمامه[4]، وبذلك فُسِّر قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[الشعراء: ٢١٩].

(وفور عقله)

قوله: (وبديع سِيَرِه): ـ بكسر السين وفتح الياء ـ.

قوله: (وبذلك فسر): العبارة منقولة عن «الشفاء» عن مجاهد[5]، فـ (فسر)

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ٣٨٣).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٦٦) بنحوه، ولم نقف عليه عند البخاري في «التاريخ الكبير».

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٦٦ ـ ٦٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٢٤).

(٥) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٦٧)، وفيه: وقال مجاهد: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة، يرى من خلفه كما يرى من بين يديه، =

وقالت عائشة: كان عليه الصلاة والسلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء[1]، وكان يَعُدُّ في الثريا أحدَ عشرَ نجماً[2].

وجاءت الأخبار أنه صرعَ رُكانةَ أشدَّ أهلِ وقته، وكان دعاه إلى الإسلام.

وقال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أسرعَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيه، كأنما الأرض تُطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث[3].

إن قرأتها بصيغة المبني للفاعل، فالضمير يعود على مجاهد، وإن قرأتها بصيغة المبني للمفعول، فالضمير يعود على بعض العلماء، كذا في هامش نسخة خطية من «الشفاء» نقلاً عن «شرح العرضي على الشفاء».

قوله: (يرى في الثريا أحد عشر نجماً): قال في «الشفاء» بعد هذا الحديث: وهذه كلها محمولة على رؤية العين، وهو قول أحمد بن حنبل وغيره، وذهب بعضهم إلى ردها إلى العلم، والظواهرُ تخالفه، ولا إحالة في ذلك، وهي من خواص الأنبياء وخصالهم، وتمامه فيه[4].

قوله: (رُكانة): ـ بضم الراء ـ أسلم يوم الفتح، وتوفي بالمدينة سنة أربعين، وصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات[5].

قوله: (إنا لنجهد): ـ بفتح النون والهاء، أو بضم النون وكسر الهاء ـ.

= وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾[الشعراء: ٢١٩].

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٤/ ٢١٩).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٦٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٠).

(٤) في هامش الأصل: «هذا الفصل في الشفاء نصه ٥٨».
وانظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٦٨).

(٥) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٥٢) من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

وفي صفته عليه الصلاة والسلام: أن ضحكه كان تبسماً، إذا التفتَ التفتَ معاً، وإذا مشى مشى تقلُّعاً، كأنما ينحَطُّ من صَبَبٍ[1].

وأما فصاحةُ اللسان وبلاغةُ القول؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحلِّ الأفضل، والموضعِ الذي لا يُجهَل، سلاسةَ طبع، وبراعةَ منزع، وإيجاز مقطع، . . . .

قوله: (مشى تقلعاً)؛ أي: رفع رجله من الأرض بهمة وقوة، لا مع اختيال وبطء حركة؛ لأن تلك مشية النساء.

وقوله: (كأنما ينحط من صبب)؛ أي: كأنما ينزل في منحدر، وهو ـ بفتح الصاد ـ.

فصاحة لسانه عليه السلام

قوله: (سلاسة طبع)؛ أي: سهولة طبع.

وقال العرضي: وسلاسة: منصوب على أنه مفعول له. اهـ. من هامش نسخة خطية.

قوله: (وبراعة منزع) ـ بفتح الميم والزاي ـ: اسم مكان، أو مصدر ميمي، وفسروه هنا بالمأخذ، وما يرجع إليه الرجل من رأيه وأمره، والظاهر أن المراد: أصله ومقره؛ يعني: أنه صلى الله عليه وسلم مع بلاغته الجبلية من قوم وجلدة هم أفصح الناس. اهـ. «خفاجي على الشفا»[2].

قوله: (وإيجاز مقطع) الإيجاز: التعبير عن معان كثيرة بلفظ قليل، ومقطع ـ بفتح الميم ـ: اسم مكان، أو مصدر؛ أي: موجز في محل القطع

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٨، ٢٢٦)، من حديث هند بن أبي هالة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٣٨٦).

ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معانٍ، وقلة تكلف، أُوتي جوامِعَ الكَلِم، وخُصَّ ببدائعِ الحِكَم، وعُلِّم ألسنةَ العرب، فكان يُخاطِب كل أمةٍ منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويُباريها في منزع بلاغتها، حتى كان كثيرٌ من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه، وتفسير قوله[1].

من تأمل حديثه وسيرَه، علمَ ذلك وتحقَّقهَ. وليس كلامه مع قريش ككلامه مع أقيالِ حضرموتَ، وملوكِ اليمن، وعظماء نجد، بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الألفاظ، وما انتهجته من طرق البلاغة؛ ليُبَيِّن للناس ما نُزِّل إليهم، وليحدِّث الناس بما يعلمون.

وأما كلامه المعتاد، وفصاحته المعلومة، وجوامعُ كلمه، . . . .

والفصل للأمور؛ فإنه محل الإيجاز، لا كمقام الخطابة؛ فإنه يُحمَد فيه التطويل. اهـ. خفاجي[2].

قوله: (كل أمة منها)؛ أي: كل قبيلة وجماعة منهم. اهـ. خفاجي[3].

قوله: (ويباريها في منزع بلاغتها) المباراة والمجاراة: المعارضة، وفعلُه مثلُ فعله.

قوله: (وسِيَره) جمع سيرة، وروي: سَبره ـ بباء موحدة[4] ـ؛ أي: تتبعه وفتش عليه، وأصله من سبر الجرح: إذا اختبر غورَه. اهـ. خفاجي[5].

(كلامه المعتاد وفصاحته)

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٧٠).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٣٨٦).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٣٨٧).

(٤) أوردها الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٢/ ١٠٤).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٣٨٧).

وحِكَمُه المأثورة؛ فقد أَلَّفَ النَّاسُ فيها الدواوين، وجُمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب، ومنها ما لا يُوازى فصاحةً، ولا يبارى بلاغة؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على مَنْ سواهم»[١].

وقوله: «الناس كأسنان المشط»[٢].

قوله: (ما لا يوازى) ـ بالبناء للمجهول ـ؛ أي: يماثَل ويقابَل ويساوَى؛ من الموازاة.

قوله: و(بلاغة) العبارة في «الشفاء»: ولا يبارى بلاغة[٣].

قوله: (تتكافأ دماؤهم)؛ أي: هم متساوون في القصاص والدية، فشريفُهم ومشروفهم، وصغيرُهم وكبيرهم سواء.

قوله: (وهم يد على من سواهم)؛ أي: أنهم مجتمعون على أعدائهم، يعاون بعضهم بعضاً، فلا يخذله، فجعل أيديهم كأنها يد واحدة في الاتفاق، ولذا لم يقل: أيدي، واليد تستعمل في القهر والقوة والقدرة؛ أي: هم مستولون قاهرون لغيرهم من أهل الملل، فهم في الاتفاق باليد[٤] الواحدة، فهو تشبيه بليغ واستعارة. اهـ. خفاجي[٥].

قوله: (كأسنان المشط): قال الخفاجي: الظاهر أن المراد: تساويهم في

---

(١) رواه أبو داود (٢٧٥١) من حديث عبدالله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٥٢٤) من حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ، وقال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٢٤٦): بكار ـ أي: ابن شعيب ـ ضعيف.

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٧٧).

(٤) كذا في الأصل و«نسيم الرياض»، ولعل الأنسب: «كاليد».

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٠).

و**«المرء مع من أحَبّ»**[1] .

و**«لا خير في صُحبةِ مَنْ لا يرى لك ما ترى له»**[2] .

و**«الناس معادن»** .

و**«ما هلك امرؤ عرف قدره»**[3] .

و**«المستَشَار مؤتَمَن»** .

الأحكام الشرعية[4] .

قوله : (والناس معادن) : قال الخفاجي : رواه الشيخان ، وتمامه : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام إذا فقهوا»[5] ؛ يعني : أن بني آدم يختلفون باختلاف أصلهم ، فمن كان أصله شريفاً ، أعقبَ مثلَه ، وسرى طيبُ عرقه لفرعه ، ومن كان دون ذلك ، كان عقبُه مثلَه ، ومن كان خبيثاً ، كان فرعه خبيثاً[6] .

قوله : (والمستشار مؤتمن) : تتمته كما في «الشفاء» : «وهو بالخيار ما لم يتكلم»[7] ؛ أي ـ الشارح ـ : ومعناه : أنه مخير ؛ إن شاء أشار عليه بما شاوره فيه ،

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠)، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣/ ٢٤٨) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٨٢): سنده ضعيف.

(٣) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ٣٤٢) من قول أكثم بن صيفي.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٠).

(٥) رواه البخاري (٣٤٩٣)، ومسلم (٢٥٢٦)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٦) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١١).

(٧) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/٧٨)، والخبر المذكور أورده ابن وهب في =

و«**رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سكت فسلم**»[1].

وقوله: «**أسلِم تَسلم، وأسلم يُؤتِك الله أجرك مرتين**»[2].

و«**إن أحبّكم إليَّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسِنُكُم أخلاقاً، المُوَطَّؤون أكنافاً، الذين يَألفون ويُؤلفون**»[3].

وإن شاء سكت ولم يتكلم، فإذا تكلم، لزمه بيانُ رأيه ونصحه، وذكر الصواب عنده. اهـ[4].

قوله: (أسلم تسلم): هو من كتابه الذي كتبه صلى الله عليه وسلم لهرقل ملك الروم.

قوله: (المُوَطَّئون أكنافاً): ـ بضم الميم وفتح الواو ـ، وهو من فيه لين ورفق وسهولة، والأكناف: جمع كنف، وهو الناحية والجانب؛ أي: من يلين جانبه لغيره.

وقوله: (الذين يألفون)؛ أي: الذين يألفهم الناس ويألفونهم.

= «الجامع في الحديث» (٢٨٤) بلاغاً بلفظ: «المستشار بالخيار ما لم يتكلم، فإذا تكلم فحق عليه أن ينصح»، ورواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٢/ ٢) من حديث سمرة بن جندب ـ رضي الله عنه ـ بلفظ: «المستشار مؤتمن، فإن شاء أشار، وإن شاء سكت، فإن أشار، فليشرْ بما لو نزل به، فعلَه».

(١) رواه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٥٣٥) عن الحسن البصري مرسلاً.

(٢) رواه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣)، من حديث أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (٦) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ، ورواه الترمذي (٢٠١٨) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ مختصراً، وقال: حديث حسن غريب.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٢).

وقوله: **«لعلّه كان يتكلم بما لا يعنيه، أو يبخل بما لا يغنيه»**.

وقوله: **«ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً»**[1].

ونهيه عن **«قيل وقال»** . . . .

قوله: (لعله كان يتكلم بما لا يعنيه): الضمير راجع للرجل المذكور في أول الحديث الذي رواه البيهقي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ في «الشعب»: أن رجلاً من الصحابة استشهد بأُحد، فقالت له أمه: مه يا بني! ليهنئك الشهادة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لها: «وما يدريك؟ لعله كان يتكلم بما لا يعنيه»[2]؛ ومعناه: أنه لا يهنأ بالجنة إلا من لم يصدر عنه مثلُ هذا، فلعله يعاقَب عليه، و(يعنيه) ـ بفتح المثناة ـ: بمعنى: يهمه وينفعه. اهـ. خفاجي ملخصاً[3].

قوله: (ذو الوجهين): قال الخفاجي: ذو الوجهين: هو الذي يأتي كل قوم بما يرضيهم، خيراً كان أو شرّاً، فيظهر لأهل المنكر أنه راضٍ عنهم، فيستقبلهم ببشر منه وترحيب، فيظهر لأهل الحق أنه عنهم راض، فيزيد إرضاء كل فريق منهم، ويُظهر أنه معهم، وإن كان ليس كذلك باطناً. اهـ[4].

قوله: (عن قيل وقال): قيل: هما مصدران بمعنى القول، وقيل: فعلان؛ أحدهما مبني للمجهول؛ والثاني غير مجهول؛ والمعنى: النهي عن كثرة الكلام؛ لما يؤول إليه من الخطأ، والأول حكاية عن غير معين، والثاني عن معين. اهـ.

---

(١) لم نقف عليه باللفظ المذكور، ورواه البخاري (٧١٧٩)، ومسلم (٢٥٢٦)، من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، ولفظ البخاري: «إن شرَّ الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه».

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٣٦).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٥).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٥).

وكثرة السُّؤال، وإضاعة المال، ومَنْعٍ وهـاتِ، وعقـوق الأمهـات، ووأد البنات»[١].

وقوله: «اتق الله حيثما كنت، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناس بِخُلق حسن»[٢].

و«خير الأمور أوساطها»[٣].

وقوله: «أحبب حبيبك هوناً ما، . . . .

خفاجي ملخصاً[٤].

قوله: (وكثرة السؤال)؛ أي: سؤال الناس ما بأيديهم استعطاءً، وهو للقادر على الكسب من غير ضرورة حرامٌ، أو السؤال عن أخبار الناس وأحـوالهم. اهـ. منه[٥].

قوله: (ومنع وهات): (منع): منون مجرور، والمراد: منعُ بذلِ ما يجب أو يستحسن، أو مطلق الإمساك، و(هاتِ)؛ أي: طلب ما عند غيره وسؤاله، وهو فعل أمر[٦].

قوله: (هوناً ما): الهون: مصدر؛ كالقول، من هان عليه الشيء: إذا خف

---

(١) رواه البخاري (٢٤٠٨)، ومسلم (٥٩٣)، من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣١٧١) من حديث معبد الجهني عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٨٨) من قول مطرف بن عبدالله.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٦).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٦).

(٦) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٦).

عسى أن يكونَ بَغيضَك يوماً ما»[1].

وقوله: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[2].

وقوله في بعض دعائه: «اللهمّ إني أسألك رحمة تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلمّ بها شَعْثي، وتُصلح بها غائبي، وتُزكي بها عملي، وتُلهمني بها رُشدي، وتردّ بها أُلْفَتي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهمّ إني أسألك الفوز في القضاء، ونُزُل الشهداء، وعيشَ السعداء، ....

وسهل، و(ما) تدل على التقليل، سواء قلنا: إنها زائدة، أو اسم، وقيل: لا تقليل فيها، وإن المراد: أيَّ هونٍ كان، و(ما) في ذلك للتأكيد؛ كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً﴾[البقرة: ٢٦][3].

قوله: (رغائبي[4]): هذا سهو، والصواب: غائبي، وفسروه بباطني؛ أي: ما خفي من أموري عني وعن غيري، وقيل: المراد: قلبي وصلاحه بصلاح صفاته من الإخلاص والصدق[5].

قوله: (وترد بها ألفتي)؛ أي: ما كنت آلفُه؛ كالأليف: ما تحبه وتريد اجتماعه، وردُّها: عودُها إلى ما كانت عليه، والمراد: عشيرته وأقرباؤه[6].

قوله: (الفوز في القضاء) القضاء والقدر بمعنى واحد، ومنهم من يفرق، فيجعل القدر: تقدير الله الأمور قبل أن تقع، والقضاء: إنفاذ ذلك القدر وخروجه

---

(١) رواه الترمذي (١٩٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤١٩).

(٤) كذا في الأصل، وقد تم التصويب في المتن المثبت في أعلى الصفحة.

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٢٠).

(٦) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٢٠).

والنصر على الأعداء»[1].

إلى غير ذلك مما رَوَتهُ الكافّة عن الكافّة عن مقاماته، ومحاضـراته، وخطبه، وأدعيته، ومخاطباته، وعهوده، مما لا خلاف أنه نزل مـن ذلـك مرتبة لا يُقاس بها غيره، وحاز فيها سَبْقاً لا يُقْدَرُ قَدْرُهُ، وقد قال أصحابه: ما رأينا الذي هو أفصح منك، فقال: «ومـا يمنعنـي؟ وإنمـا أُنْـزل القـرآن بلساني، لسانٍ عربي مُبين»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم مرة أخرى: «أنا أفصح العرب، بيـدَ أنـي من قريش، ونشأت في بني سعد»[3].

من العدم إلى حيز الوجود، وهو الصحيح؛ لأنه قد جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم مر بكهف مائل للسقوط، فأسرع المشي حتى جاوزه، فقيل لـه: أنفر من قضاء الله؟ فقال: «أفر من قضائه إلى قدره»[4]، ففرق بين القضاء والقدر، وبـيَّن أن الإنسان يجب عليه أن يتوقى ما يضره. اهـ. منه[5].

قوله: (وما يمنعني)؛ أي: ما يمنعني أن أكون أفصحَ الناس؟

---

(١) رواه الترمذي (٣٤١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) رواه البيهقـي فـي «شـعب الإيمـان» (١٤٣١) مـن حـديث محمـد بـن إبـراهيم بـن الحارث، نحوه.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٤٣٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنـه ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٨): فيه مبشر بن عبيد، وهو متروك.

(٤) لم نقف عليه باللفظ المذكور، وروى أبو داود في «المراسـيل» (٤٧٧) عـن ابـن شهاب: أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مر بجدار قد مال، أو تصدع، فشـمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ثيابه، ثم أسرع المشي حتى جـاوزه، وقـال لأصـحابه: «أسرعوا».

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٢١).

فجمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها، إلى التأييد الإلهي الذي مددُهُ الوحي الذي لا يُحيط بعلمه بشر[1].

وأما شرف نسبه، وكَرَم بلده ومنشئه؛ فمما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، ولا بيان مُشكلٍ ولا خفيٍّ منه؛ فإنه نخبة بني هاشم، وسلالة قريش وصميمها، وأشرف العرب، وأعزّهم نفراً من قبل أبيه وأمه، ومن أهل مكة، أكرمِ بلاد الله على الله وعلى عباده[2]، وقد قدّمنا لك في أول الكتاب ما فيه الكفاية في هذا المقام.

أما ما تدعو إليه ضرورة الحياة؛ فمنه ما الفضلُ في قِلَّته، ومنه ما الفضلُ في كثرته، ومنه ما تختلف الأحوال فيه.

فالأول: كالغذاء والنوم، ولم تَزَل العرب والحكماء قديماً تتمادح بقلتهما، وتذم بكثرتهما؛ لأن كثرة الأكل والشرب دليلٌ على النَّهَم . . . . . .

قوله: (قوة عارضة البادية) العارضة: التجلد والقدرة على الكلام.

وقوله: (وجزالتها)؛ أي: جزالة كلامها، يقال: كلام جزل؛ أي: قوي شديد.

قوله: (ونصاعة ألفاظ الحاضرة) النصاعةُ كالفصاحة مصدرٌ بمعنى الخُلوص، والمراد: خلوصُها من التعقيد والغرابة الوحشية.

قوله: (وأما ما تدعو إليه الضرورة): شروعٌ في تفصيل ما أجمله في أول الباب، وهو قوله: (ويلتحق به ما تدعو إليه ضرورة الحياة).

قوله: (النهم) ـ بفتح النون والهاء ـ، وهو الإفراط في شهوة الطعام، ومنه

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٨٠).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٨١).

والحرصِ، والشَّرَهِ وغلبةِ الشهوةِ، مسببٌ لمضارِّ الدنيا والآخرة، جالبٌ لأدواء الجسد، وخثارة النفس، وامتلاء الدماغ، وقِلَّتَه دليلٌ على القناعة، وملكِ النفس، وقمعِ الشهوة، مُسَبِّبٌ للصحة، وصفاء الخاطر، وحدّة الذهن، كما أن النوم دليل على الفُسولة والضعف، وعدم الذكاء والفطنة، مسبّبٌ للكسل، وعادة العجز، . . . .

الحديث: «منهومان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال»[1].

وقوله: (والحرص)؛ أي: الحرص على الأكل والشرب.

و**(الشره)** ـ بفتح الشين ـ: زيادة الحرص. اهـ. خفاجي[2].

قوله: (وخثارة النفس): ـ بفتح الخاء ـ، هو ثقل النفس وعدمُ نشاطها. اهـ. خفاجي[3].

قوله: (وقلَّتَه) بالنصب ـ معطوفٌ على قوله: (كثرة الأكل).

قوله: (وقمع الشهوة): القمع: القهر.

قوله: (على الفسولة): ـ بضم الفاء والسين ـ، وهي الرذالة وعدمُ الهمة في أمور الدنيا والآخرة.

قوله: (مسبب الكسل[4]): العبارة في «الشفاء»: للكسل[5]، وهي أولى،

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٨٨) من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ٨٩٤): سنده ضعيف.

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٣٧).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٣٧).

(٤) كذا في الأصل، وقد تم التصويب في المتن المثبت في أعلى الصفحة، وهو على الصواب موافق لما في «نور اليقين» (ط دار الإيمان).

(٥) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٨٤).

وتضييع: العمر في غير نفع، وقساوة القلب وغفلته وموته[١].

وكان عليه الصلاة والسلام قد أخذ من الأكل والنوم بالأقل، وحضَّ عليه، قال صلى الله عليه وسلم: «ما ملأَ ابنُ آدمَ وعاءً شَرّاً من بطنـهِ، حسـبُ ابن آدمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كان لا محالـةَ، فَثُلُـثٌ لطعامـهِ، وثلـثٌ لشرابهِ، وثلثٌ لِنَفَسِهِ»[٢]؛ ولأن كثرة النوم من كثرة الأكل والشرب.

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً قطّ، وأنه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشهَّاه، إن أطعمـوه أكل، وما أطعموه قَبلَ، وما سقوه شرب[٣].

وفي صحيح الحديث: «أما أنا فلا آكل متكئاً»[٤].

والاتِّكَاء: هو التَّمكنُ للأكل، والتقعدُدُ في الجلوس له؛ . . . .

وما بعده معطوف عليه.

قوله: (شبعاً): وقال الخفاجي: شبعاً: تمييز، أو مفعول له، أو مفعول مطلق، وشينه مفتوحة، وتكسر، وتفتح الباء وتسكن[٥].

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٨٣ ـ ٨٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٨٠) من حديث مقدام بن معديكرب ـ رضي الله عنه ـ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٨٥)، ولم نقف عليه مسنداً، وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١٠٣) عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين من خبز الشعير حتى لحق بالله عزَّ وجلَّ.

(٤) رواه البخاري (٥٣٩٨) من حديث أبي جحيفة ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٣٧).

كالمتربّع وشبهه، من تمكُّن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته، والجالس على هذه الهيئة يستدعي الأكل، ويستكثر منه، والنبي عليه الصلاة والسلام إنما كان جلوسه للأكل جلوسَ المستوفِزِ مُقْعِياً[1]، ويقول: «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبدُ»[2].

وكذلك نومه كان قليلاً، ومع ذلك فقد قال: «إِنَّ عَيْنَيَّ تنامانِ ولا ينامُ قلبي»[3].

وأما ما الفضلُ في كثرته، فكالجاه، وهو محمودٌ عند العقلاء عادة، وبقَدْرِ جاهه عِظَمُهُ في القلوب، وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥].

وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رُزِق من الحشمة، والمكانة في القلوب، والعظمة قبل النبوَّة عند الجاهلية وبعدها، . . . .

قوله: (المستوفز) المستوفز: الذي لا يكون مطمئناً، بل مستعجلاً للقيام.

وقوله: (مقعياً)؛ أي: ملصِقاً أليتيه بالأرض، وناصباً ساقيه وفخذيه بصدره.

قوله: (عِظَمه): ـ بكسر العين وفتح الظاء ـ، وقوله تعالى: ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٤٥]؛ أي: عظيماً ذا جاه عند الله في الدارين.

قوله: (الحشمة): أراد بالحشمة: المهابة والعظمة في أعين الناس.

---

(١) رواه مسلم (٢٠٤٤) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٥٧٥٢) من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد». ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٩٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً: «آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد».

(٣) رواه البخاري (١١٤٧)، ومسلم (٧٣٨)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

وهم يكذبونه ويؤذون أصحابه، ويقصدون أذاه في نفسه خفية، حتى إذا واجههم، أعظموا أمره، وقضوا حاجته[1]، كما ذكرنا ذلك مِراراً.

وقد كان يبهتُ ويَفْرَقُ لرؤيته مَنْ لم يره، كما روي عن قَيْلَةَ: أنها لما رأته أُرْعِدَتْ من الفَرَق، فقال: «يا مسكينة! عليكِ السكينة»[2].

وفي حديث أبي مسعود: أن رجلاً قام بين يديه، فأُرْعِدَ، فقال له عليه الصلاة والسلام: «هوِّن عليك؛ فإني لستُ بملِك»[3].

وأما عظيمُ قدره بالنبوّة، وشريفُ منزلته بالرسالة، وإنافةُ رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا؛ فأمر هو مبلغ النهاية، . . . .

قوله: (في نفسهم[4]) صوابه: في نفسه؛ كما في «الشفاء»[5].

قوله: (يبهت): مبني للفاعل أو المفعول؛ بمعنى: يتحير ويدهش.

وقوله: (يفرق) بالبناء للفاعل من باب علم؛ أي: يخاف.

قوله: (عن قَيلة): ـ بفتح القاف ـ.

وقوله: (أرعدت) ـ بضم الهمزة وسكون الراء وكسر العين ـ؛ أي: لحقتها رعدة.

قوله: (وإنافة رتبته): الإنافة بمعنى: الإعلاء والإشراف على ما تحته.

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٩٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٤٧) من حديث قيلة بنت مخرمة ـ رضي الله عنها ـ مختصراً، وأورده السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢/ ٣٩)، وعزاه لابن سعد من حديث قيلة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) رواه ابن ماجه (٣٣١٢).

(٤) كذا في الأصل، وقد تم التصويب في المتن المثبت في أعلى الصفحة.

(٥) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٩٢).

ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم.

وأما ما تختلف فيه الحالات في التمدُّح به، والتفاخرِ بسببه، والتفضيلِ لأجله؛ ككثرة المال؛ فصاحبه ـ على الجملة ـ معظَّم عند العامّة؛ لاعتقادها تَوَصُّلَهُ به إلى حاجته، وتمكُّنَه في أغراضه، وإلا، فليس فضيلة في نفسه، فمتى كان بهذه الصورة، وصاحبه مُنفقاً له في مهماته، ومهمات من قصده وأَمَّلَهُ، مصرفه في مواضعه، مشترياً به المعالي والثناءَ الحسن، والمنزلة في القلوب؛ كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا، وإذا صرفه في وجوه البرّ، وأنفقه في سبل الخير، وقَصد بذلك الله تعالى والدارَ الآخرة؛ كان فضيلة عند الكل بكل حال، ومتى كان صاحبه مُمْسكاً له، غيرَ موجِّهِه وجوهَه، حريصاً على جمعه؛ عاد كُثره كالعدم، وَكان مَنْقَصَة في صاحبه، ولم يقفْ به على جَدَدِ السلامة، بل أوقعه في هوَّة رذيلةِ البخل، . . . .

قوله: (وتمكُّنَه): معطوف على (توصُّلَه).

قوله: (مصرفه) ـ بالنصب ـ؛ أي: ومتى كان صاحبه مصرفَه.

قوله: (عند الكل) قال الخفاجي: أن إدخال (ال) على (كل) و(بعض) منعه بعض النحاة، ولم يسمع من العرب، إلا أن القياس لا يأباه[1].

قوله: (كثره) الكثر: كالكثير، وهو ـ بضم الكاف وكسرها، وظاهر كلام أهل اللغة جواز فتحها، فهو مثلث ـ.

قوله: (جدد السلامة): الجدد: ـ بفتح الجيم ـ، وهي الأرض الصلبة، وفي المثل: من ملك الجدد أمنَ العِثار، فالمراد به: الطريق المسلوكة.

قوله: (في وهدة رذيلة البخل) العبارة في «الشفا»: في هوة[2]، وهي

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٦٩).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٩٣).

ومذمّة النذالة، فالتمدُّحُ بالمال ليس لذاته، بل للتوصّل به إلى غيره، وتصريفه في مُتَصَرَّفاته، ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم أُوتي خزائن الأرض، ومفاتيح البلاد، وأُحِلَّت له الغنائم، وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب، وما دانى ذلك من الشام والعراق، وجُلب إليه كثير من أخماسها وَجِزْيَتِها وصدقاتها، وهاداه جماعة من ملوك الأقاليم، فما استأثر بشيء منه، ولا أمسك منه درهماً، بل صرفه مصارفه، وأغنى به غيره، وقوّى به المسلمين، وقال: «ما يسرني أن لي أُحُداً ذهباً يبيت عندي منه دينار، إلا ديناراً أرصدُه لِدَيْني».

وأتته دنانير مرة فقسمها، وبقيت منها بقية، فدفعها لبعض نسائه، فلم يأخذه نوم حتى قام فقسمها، وقال: «الآن استرحت».

ومات ودرعُه مرهونةٌ في نفقة عياله، واقتصر في نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته إليه، وزهد فيما سواه، فكان يلبس ما وجده، فيلبس في الغالب الشَّمْلَة، والكساء الخشن، والبُرْد الغليظ، ويقسم على مَن حضره أقبية الديباج المُخَوَّصَةُ بالذهب، . . . .

ـ بضم الهاء وتشديد الواو ـ، وهي الحفرة العميقة.

قوله: (الشملة): هي كساء يشتمل به، وقيل: يختص بماله هُدْب.

وقال ابن دريد: هو كساء يؤتزر به[1]، وهي البردة.

قوله: (أقبية الديباج) الأقبية: جمع قباء، وهو المخيط من اللباس، والديباج: نوع من أقبية الحرير، معرب ديبا.

وقوله: (المخصوصة) صوابه: المخوصة ـ بضم الميم وفتح الخاء وتشديد

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (٢/ ٨٧٩).

ويرفعُ لمن لم يحضر[1].

فأنت ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه، وإنفاقه على مستحقيه.

وأما الخصالُ المكتسبة؛ من الأخلاق الحميدة، والآداب الشريفة، وهي المسماة بحسن الخُلق؛ فجميعها قد كانت خلق نبيِّنا صلى الله عليه وسلم على الانتهاء في كمالها، والاعتدال إلى غايتها، حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤].

كان خلقه القرآن[2]، يرضى برضاه، ويسخط بسخطه، وقال عليه الصلاة والسلام: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[3].

وقال أنس: كان عليه الصلاة والسلام أحسنَ الناس خُلقاً[4].

الواو ـ؛ أي: منسوجة بأعلام من ذهب كالخوص[5].

(الخصال المكتسبة من الأخلاق)

قوله: (وهي المسماة بحسن الخلق) قال في «الشفا»: حسن الخلق: هو الاعتدالُ في قوى النفس وأوصافها، والتوسطُ فيها دون الميل إلى منحرف أوصافها[6].

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٩٢ ـ ٩٥).

(٢) رواه مسلم (٧٤٦) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه البخاري (٦٢٠٣)، ومسلم (٦٥٩)، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (١/ ٤٧٦).

(٦) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٩٦).

وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لإخوانه من الأنبياء جِبِلةً خُلِقُوا عليها، ثم يتمكن الأمر لهم، وتترادف نفحات الله عليهم، وتُشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية، ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهايةَ دون ممارسة، وهذه الأخلاق المحمودة، والخصال الجميلة كثيرة، ولكننا نذكر أصولها، ونشير إلى جميعها، ونحقق وصفه عليه الصلاة والسلام بها ـ إن شاء الله.

فأصلُ فروعها، وعنصُرُ ينابيعها، ونقطةُ دائرتها: العقلُ الذي منه ينبعث العلم والمعرفة، ويتفرَّع عن هذا ثقوبُ الرأي، وجودة الفطنة، والإصابة، وصدق الظن، والنظر للعواقب، ومصالح النفس، ومجاهدة الشهوة، وحُسن السياسة والتدبير، واقتناء الفضائل، وتجنُّب الرذائل، وقد بلغ عليه الصلاة والسلام منه ومن العلم الغايةَ القصوى. . . . .

قوله: (في تحصيل هذه الخصال الشريفة دون نهاية ولا ممارسة): صواب العبارة كما في «الشفا»: في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة[1].

قوله: (وعنصر ينابيعها): العنصر: ـ بضم الصاد وفتحها، والأول أشهر، والثاني أفصح ـ، ومعناه: الأصل، والمادة، والعناصرُ إذا أطلقت يراد بها: التراب والماء والهواء والنار؛ لتركبِ جميعِ الأجساد منها. اهـ. منه[2].

قوله: (ثقوب الرأي)؛ أي: نفاذ رأيه فيما يفكر فيه ويترك به عواقب الأمور، ومنه: كوكب ثاقب؛ أي مضيء. اهـ[3].

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٠٠).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٢).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٣).

التي لم يبلغها بشرٌ سواه، يعلمُ ذلك من تَتَبَّعَ مجاري أحواله، واطِّراد سيره، وطالعَ جوامعَ كَلِمه، وحُسنَ شمائله، وبدائعَ سِيَره، وحكم حديثه، وعلمَه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة، وحكم الحكماء، وسِيَر الأمم الخالية وأيامها، وضرب الأمثال، وسياسات الأنام، وتقرير الشرائع، وتأصيل الآداب النفيسة، والشيم الحميدة، إلى فنون العلوم التي اتَّخذ أهلها كلامه فيها قدوةً، وإشاراتِه حجةً؛ . . . .

قوله: (واطراد سيره): الاطراد: افتعالٌ من الطرد، وهو الجري خلف شيء من صيد أو غيره، ومنه: مطاردة الفرسان في الميدان، ومناسبته للسير، وإن كان المراد بها مطلق الصفات؛ لأنها تختص بالغزوات. اهـ[1].

قوله: (وبدائع سيره)؛ أي: سيره البديعة، وينبغي أن يراد بها: كتب السير؛ حتى لا يكون مكرراً مع ما مر. اهـ. منه[2].

قوله: (وحكم الحكماء) قال الخفاجي: جمعها ابن مشكويه في كتاب كبير سماه: «جاودان خرد»، وقد طالعته، فرأيت أكثره ورد في الأحاديث الشريفة، ولكن أين الثريا من الثرى؛ فإن رونق الألفاظ النبوية لا يمكن مضاهاته. اهـ[3].

قوله: (وتأصيل الآداب النفيسة)؛ أي: بيان أصول الآداب التي تتأدب فيها الناس في مجالسهم ومحاوراتهم؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: «أكرموا عزيز كل قوم»[4]، . . . .

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤).

(٤) رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧١) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً: «ارحموا ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً تتلاعب به الصبيان». ورواه أيضاً (١/ ١٧١ ـ ١٧٢) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ =

كالطب، والحساب، والفرائض، والنسب، وغير ذلك، دون تعليم ولا مدارسة، ولا مطالعة كتبِ مَن تقدم، ولا الجلوس إلى علمائهم، بل نبي أميّ لا يعرف شيئاً من ذلك، حتى شرح الله صدره، وأبان أمره وعلَّمه. وبحَسَب عقله كانت معارفه عليه الصلاة والسلام إلى سائر ما علَّمه الله، وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان، وعجائب قدرته، وعظيم ملكوته، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة، والصبر على ما يكرهه؛ فمما أدّب الله به نبيّه صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩].

وقوله: «تهادوا تحابوا»[١].

قوله: (والنسب)؛ أي: معرفة أنساب الناس من آدم عليه السلام إلى كل عصر، وهو من علم التاريخ، وكانت العرب تعتني به، وهو أعلمُ الناس به، وأعلمُ الناس به بعد النبي صلى الله عليه وسلم الصديق رضي الله عنه[٢].

قوله: (﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾)؛ أي: تعاطَ العفوَ عن الناس وتركَ مؤاخذتهم، وفي عدوله عن (اعفُ) الأظهر الأخصر نكتةٌ يعرفها مَن له إلمام في الأدب، كما أن قوله: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ دون (اعمل) إشارة إلى أنه متصف به، مركوز في جبلته.

= مرفوعاً، بنحوه، ثم قال ابن الجوزي: وإنما يعرف هذا من كلام الفضيل بن عياض، ثم رواه بإسناده إلى الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ.

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥)، والخبر المذكور رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٨) من حديث عطاء بن أبي مسلم عبدالله الخراساني.

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٦).

وقد سأل عليه الصلاة والسلام جبريل عن تأويلها، فقال: «يا محمد! إن الله يأمرك أن تصل مَنْ قطعك، وتُعطيَ من حرمك، وتعفو عمَّن ظلمك»[1].

وقال له: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[لقمان: ١٧].

وقـــال: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

وقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[الشورى: ٤٣].

وقد تضافرت الأخبار على اتصافه عليه الصلاة والسلام بنهاية هذه الأوصاف، فما من حليم إلا وعُرفت منه زلة، وحُفظت عنه هفوة، ونبينا صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الإيذاء إلا صبراً، وعلى إسراف الجاهل إلا حلماً.

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما خُيِّر عليه الصلاة والسلام في أمرين قطّ إلا اختار أيسرَهما، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً، كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم لنفسه إلا أن تُنْتَهك حرمةُ الله، فينتقم لله[2].

اهـ. منه[3].

قوله تعالى: (﴿لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾)؛ أي: من أهم الأمور التي ينبغي التصميم والعزم عليها[4].

قوله: (إلا أن تنتهك حرمة الله): هو [من] نهكت الثوب: إذا لبسته حتى

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٥٥) عن سفيان بن عيينة عن رجل قد سمَّاه.

(٢) رواه البخاري (٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٩).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١١).

ولما فعل به المشركون ما فعلوا في أُحُد، وطُلب منه أن يدعو عليهم قال: «اللهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[1].

وحسبك في هذا الباب ما فعله مع مشركي قريش الذين آذوه، واستهزؤوا به، وأخرجوه من دياره هو وأصحابه، ثم قاتلوه، وحرّضوا عليه غيرهم من مشركي العرب، حتى تمالأَ عليه جمعُهم، ثم لما فتح الله عليه مكة، ما زاد على أن عفا وصفح، وقال: «ما تقولون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخٌ كريم، وابنُ أخٍ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطُّلقاء»[2].

وعن أنس: كنت مع النبي عليه الصلاة والسلام وعليه بُرد غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي بردائه جذبةً شديدة حتى أثرت حاشيةُ البُرد في صفحة عنقه، ثم قال: يا محمد! أحمل لي على بعيريَّ هذين. . . . .

أخلقته، ويقال: نهكته الحمى: إذا أضعفته وأضنته، فانتهاكها: تناولها بما لا يحل، وانتهك فلان محارم الله؛ أي: فعل ما حرم الله فعلَه عليه؛ لما فيه من ضعف الدين، وابتذال حكمه[3].

قوله: (ما فعلوا في أحد)؛ أي: من كسر رباعيته، وشَجِّ وجهه.

قوله: (أحمل لي): همزته همزة قطع؛ أي: أعني على الحمل، ويجوز

---

(١) رواه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢)، من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، ولفظ البخاري: كأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبيّاً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٢) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٧٣ ـ ٧٤) عن بعض أهل العلم بنحوه. ورواه الطبري في «تاريخه» (٢/ ١٦١) عن قتادة بنحوه.

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٤)، وما بين معكوفتين منه.

من مال الله الذي عندك؛ فإنك لا تحمل لي من مالك، ولا من مال أبيك، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: «المال مال الله، وأنا عبدُه»، ثم قال: «ويُقاد منك يا أعرابيُّ ما فعلتَ بي»، قال: لا، قال: «لِمَ؟» قال: لأنك لا تكافئ بالسيئةِ السيئةَ، فضحك عليه الصلاة والسلام، ثم أمر أن يُحمل له على بعير شعيرٌ، وعلى الآخر تمرٌ[1].

قالت عائشة: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مَظْلِمَةٍ ظُلِمَها قطُّ، ما لم تكن حُرْمَةً من محارم الله تعالى، وما ضربَ بيده شيئاً قطُّ إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضربَ خادماً ولا امرأة[2].

فصلى الله تعالى عليه، وأقرَّ عينه باتباعِ المسلمين سنّته.

وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة؛ فكان عليه الصلاة والسلام . . . .

أن يكون معنى (أحمل لي)؛ أي: أعطني ما أحمل[3].

وقوله: (فإنك لا تحمل لي): ـ بضم التاء وفتحها ـ.

قوله: (من مَظلِمة) هي: ـ بفتح الميم وكسر اللام[4] ـ.

جوده وكرمه صلى الله عليه وسلم

---

(١) أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ١٠٨). ورواه البخاري (٣١٤٩)، ومسلم (١٠٥٧)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مختصراً. ورواه البيهقي في «الآداب» (١/ ١٧٣) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٣٤٩، ٣٥٠).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٢٤)، وعزاه للتلمساني، ثم تعقَّبه بقوله: فيجوز فيه الوصل أيضاً، إلا أن فيما رجح به الأول نظراً.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٢٥)، وفيه: وكسر اللام وفتحها.

لا يُوازَى في هذه الأخلاق الكريمة، ولا يُبارى، وصَفَهُ بهذا كلُّ مَن عرفه.

قال جابر ـ رضي الله عنه ـ: ما سُئل عليه الصلاة والسلام عن شيء فقال: لا[1].

وقال ابن عباس: كان عليه الصلاة والسلام أجودَ الناس بالخير، وأجودَ ما كان في شهر رمضان، وكان إذا لقيَه جبريلُ أجودَ بالخير من الريح المرسَلَة[2].

وقالت خديجة في صفته عليه الصلاة والسلام مخاطبة له: إنك تحمل الكَلَّ، وتكْسِبُ المعدوم[3].

وحَسْبُك شاهداً في هذا الباب ما فعله مع هوازن من ردِّ السبي إليها، وما فعله يوم تقسيم السبي من إعطاء المؤلفة قلوبهم عظيمَ الأعطية.

وقد استوفينا ذلك في موضعه.

وحُمل إليه عليه الصلاة والسلام تسعون ألفاً، فوضعها على حصير، وأخذ يقسمها، . . . .

قوله: (لا يوازَى)؛ أي: لا يساوَى ولا يقابَل.

وقوله: (ولا يبارَى)؛ أي: لا يعارَض.

قوله: (إذا لقيه جبريل): قال الخفاجي: لأنه عليه الصلاة والسلام يسر بملاقاته وإمداده له بالبشرى والكرامة، فيُحسِن كما أحسن الله إليه[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٣٤)، ومسلم (٢٣١١).

(٢) رواه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨).

(٣) رواه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٣٦).

فما قام حتى فرغ منها[١] .

وجاءه رجل فسأله فقال: «ما عندي شيء، ولكن ابتعْ عليَّ، فإذا جاءنا شيء، قضيناه»، فقال له عمر: ما كلَّفَكَ الله ما لا تقدرُ عليه، فكره ذلك عليه الصلاة والسلام، فقال له رجل من الأنصار: يا رسول الله! أنفق ولا تخفْ من ذي العرش إقلالاً، فتبسم عليه الصلاة والسلام، وعُرِفَ البِشرُ في وجهه وقال: «بهذا أُمِرتُ»[٢] .

والأخبار بجوده وكرمه عليه الصلاة والسلام كثيرة يكفي منها لتعليمك ما ذكرناه.

قوله: (فكره ذلك عليه السلام)؛ أي: بدا في وجهه الشريف أثرُ عدم رضاه به؛ لأن فيه كسرَ خاطر السائل، ولأن مثله لا يعد تكليفاً لما [لا][٣] قدرة له؛ لما عوده الله من فيض نعمه عليه[٤] .

---

(١) أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٧٩)، وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٦٨٠): رواه أبو الحسن بن الضحاك في «الشمائل» من حديث الحسن مرسلاً. وروى البخاري (٤٢١) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: أُتي النبي ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ بمال من البحرين، فقال: «انثروه في المسجد»، وكان أكثرَ مال أُتي به رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة، جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحداً إلا أعطاه.

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٣٥٦) من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) ما بين معكوفتين يقتضيه السياق.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٣٩).

ومنها: الشجاعة والنجدة، فكان عليه الصلاة والسلام منهما بالمكان الذي لا يُجهَل، قد حضر المواقفَ الصعبة، وفرّ الكُمَاةُ والأبطال عنه غير مرة، وهو ثابت لا يَبْرَح، ومُقْبل لا يُدبر، ولا يتزحزح، وما من شجاع إلا أُحصيت له فرَّة، وحفظت عنه جولة، سواه صلى الله عليه وسلم، وحسبُك ما فعله في حُنَيْنٍ وأُحُد مما ذكرناه مستوفًى.

وقال ابن عمر: ما رأيتُ أشجعَ ولا أنجدَ ولا أجودَ ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

شجاعته صلى الله عليه وسلم

قوله: (وأما الشجاعة والنجدة): الشجاعة: فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل، والنجدة: ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف. اهـ. «شفا»[2].

قوله: (بالمكان الذي لا يجهل)؛ أي: كان متصفاً بهما على أعظم وجه، ومشتهراً ذلك اشتهاراً لا يخفى على أحد. اهـ. خفاجي[3].

قوله: (جولة): في «النهاية»: جال واجتال: إذا ذهب وجاء، ومنه: الجولان في الحرب[4].

قوله: (ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛ أي: أكثر رضاً منه، كان يرضى بكل شيء من ملبوس ومأكول وغيره، ويحتمل أن المراد بالرضا: عدمُ الغضب. اهـ. منه[5].

---

(١) رواه الدارمي في «سننه» (٥٩) بنحوه.

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١١٤).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٣).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٣١٧).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٩).

وقال عليٌّ: إنّا كنّا إذا اشتد البأسُ، واحْمرَّت الحَدَقُ، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدوّ منه، ولقد رأيتُني يوم بدر، ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أقربُنا إلى العدوّ، وكان من أشد الناس يومئذٍ بأساً[1].

وقال أنس: كان عليه الصلاة والسلام أشجعَ الناس، وأحسنَ الناس، وأجودَ الناس، لقد فزع أهل المدينة ليلةً، فانطلق ناسٌ قِبَل الصوت، فتلقاهم عليه الصلاة والسلام راجعاً، قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ، والسيف في عنقه، وهو يقول: «لن تُراعوا»[2].

قوله: (اتقينا برسول الله)؛ أي: جعلناه وقاية لنا من العدو؛ بأن يتقدم فيدفع العدو ونحن خلفه.

قوله: (واستبرأ الخبر)؛ أي: وقف على حقيقته.

وفي «الأساس»: استبرأت الشيء: طلبت آخره لأقطع الشبهة عني[3].

قوله: (عري) ـ بضم العين وسكون الراء ـ صفةٌ لـ (فرس).

وقوله: (والسيف في عنقه)؛ أي: حمائله في عنقه الشريف متقلداً به صلى الله عليه وسلم.

قوله: (لن تراعوا): (لن) هنا بمعنى (لم)، ونفي الروع ـ بفتح الراء ـ بمعنى: الخوف، والمراد: نفي سببه؛ أي: ليس هناك شيء تخافونه[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ١٢٦، ١٥٦) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٣)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٣) انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: برأ).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥١).

وأما الحياء والإغضاء؛ فكان عليه الصلاة والسلام أشدَّ الناس حياءً، وأكثرهم عن العورات إغضاء، قال أبو سعيد الخدري: كان عليه الصلاة والسلام أشدَّ حياءً من العذراء في خِدْرها، وكان إذا كره شيئاً، عرفناه في وجهه[1].

وكان عليه الصلاة والسلام لطيفَ البَشَرة، رقيقَ الظاهر، لا يُشَافِهُ أحداً بما يكرهه؛ حياءً وكرمَ نفس، قالت عائشة: كان عليه الصلاة والسلام إذا بلغه عن أحدٍ ما يكرهه؛ لم يقلْ: ما بال فلان يقول كذا وكذا؟ بل يقول: «ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا؟»[2]، ينهى عنه، ولا يُسَمِّي فاعِله.

وقالت ـ رضي الله عنها ـ: لم يكن عليه الصلاة والسلام فاحشاً، ولا متفحشاً، ولا صخاباً بالأسواق، . . . .

قوله: (وأما الحياء): قال الراغب: الحياء: انقباض النفس عن القبائح وتركها[3].

و**(الإغضاء)**: أصل معناه: إرخاء الجفون قريباً من الإطباق، واستعمل في السكوت، والتجاوز في الحلم والعفو عمن وقع في مكروه.

قوله: (من العذراء)؛ أي: البكر الباقية بعذرتها.

قوله: (حياء وكرم نفس) منصوب مفعول له؛ أي: يترك ذلك تكرماً منه صلى الله عليه وسلم، لا خوفاً ومداراة.

قوله: (فاحشاً): الفاحش: من يصدر عنه كلُّ أمر قبيح، أو شديد القبح؛ قولاً أو فعلاً، والمتفحش: من يتعمده ويبالغ فيه.

---

(١) رواه البخاري (٦١٠٢)، ومسلم (٢٣٢٠).

(٢) رواه أبو داود (٤٧٨٨).

(٣) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصبهاني (ص: ١٤٠).

ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[1].

وأما حسنُ عشرته وأدبه، وبسطُ خلقه مع أصناف الخلق؛ فمما انتشرت به الأخبار الصحيحة، قال علي ـ رضي الله عنه ـ: كان عليه الصلاة والسلام أوسعَ الناس صدراً، وأصدقَ الناس لهجة، وألينَهم عريكةً، وأكرمهم عِشْرة[2].

وكان عليه الصلاة والسلام يؤلِّفهم، ولا ينفِّرهم، ويكرم كريم كلِّ قوم، ويولِّيه عليهم، ويحْذَر الناسَ، ويحترس منهم، من غير أن يطوي على أحد منهم بِشْره، ولا خلقه، ويتفقد أصحابه، ويعطي كلَّ جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرمُ عليه منه، من جالسه أو قاربه لحاجة، صابره حتى يكونَ هو المنصرف عنه، ومن سأله حاجة، لم يردَّه إلا بها، أو بميسور من القول، قد وسع الناسَ بسطُه وخُلُقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، بهذا وصفه ابن أبي هالة[3].

وكان دائم البشر، سهلَ الخلق، ليّن الجانب، ليس بفظٍّ. . . . .

قوله: (وألينهم عريكة)؛ أي: أسهل الناس طبعاً.

قوله: (قد وسع الناس بسطه) بمعنى: توسعته على الناس، أو بمعنى نشره كالمكان الرحب[4].

قوله: (بفظ) الفَظُّ: الكريه الخلُق، مستعار من الفظ؛ أي: ماء الكرش،

---

(1) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (347).

(2) رواه الترمذي (3638) وقال: حديث حسن غريب، ليس إسناده بمتصل.

(3) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (337) من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ، وليس من حديث ابن أبي هالة.

(4) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (2/ 64).

ولا غليظ، ولا صخَّاب، ولا فحَّاش، ولا عيَّاب، ولا مدَّاح، يتغافل عمّا لا يشتهي، ولا يؤيس منه(١).

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وكان عليه الصلاة والسلام يجيب من دعاه، ويقبل الهدية، ولو كانت كُراعاً، ويكافئ عليها(٢).

وكان يمازح أصحابه، ويخالطهم، ويحادثهم، ويلاعب صبيانهم، ويُجلسهم في حِجره، ويجيب دعوة الحر والعبد، والأمة والمسكين، ويعُود المرضى في أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر(٣).

وقال أنس: ما التقم أحد أُذن النبي صلى الله عليه وسلم يحادثه فنحَّى رأسه، حتى يكون الرجل هو الذي ينحِّي رأسه، . . . .

وهو مكروه لا يتناول إلا في شدة الضرورة، والغِلَظ: ضد الرقة، وأصله في الأجسام فاستعير للمعاني(٤).

قوله: (كراعاً) ـ بضم الكاف ـ، وهي ما تحت الركبة إلى الخف.

---

(١) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٣٥٢) من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه البخاري (٢٥٨٥) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية، ويثيب عليها.

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٢١).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٦٥).

وما أخذ أحدٌ بيده فيرسل يدَه حتى يرسلَها الآخَرُ[1].

وكان يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ولم يُرَ قطّ ماداً رجليه بين أصحابه حتى يُضَيِّقَ بهما على أحد، يُكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التي تحته، ويعزم عليه في الجلوس عليها إن أبى، ويُكَنِّي أصحابه، ويدعوهم بأحبِّ أسمائهم تكرمةً لهم، ولا يقطعُ على أحد حديثه، حتى يتجوَّزَ فيقطعه بنهي أو قيام، وكان أكثرَ الناس تبسماً، وأطيبهم نفساً، ما لم يُنزل عليه قرآن، أو يعظ، أو يخطب[2].

قوله: (ويعَزِم عليه)؛ أي: يقسم عليه أن يجلس على وسادته، وهو من باب ضرب.

قوله: (حتى يتجوز)؛ أي: حتى يكثر فيتجاوز الحد، أو يخرج إلى ما لا يليق من الكلام، فهو من التجوز[3]، أو الجواز. اهـ.

قوله: (ما لم ينزل عليه قرآن...) إلخ: قال الخفاجي: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي، قلت: نذير قوم، فإذا سري عنه، فأكثر الناس ضحكاً[4].

وعنه أيضاً: كان صلى الله عليه وسلم إذا خطب، احمرت وجنتاه، واشتد غضبه. اهـ. خفاجي[5].

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٩٤).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٢٢).

(٣) في «نسيم الرياض» (٢/ ٧١): «التجاوز».

(٤) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٢٤٧٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٧): إسناده حسن.

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٧٢)، والحديث المذكور رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٧٧) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

وأما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق؛ فقد وصفه الله بها في قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

روي: أن أعرابيًّا جاءه يطلب منه شيئاً، فأعطاه، ثم قال: «أأحسنتُ إليك؟» قال الأعرابي: لا، ولا أجملتَ، فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار إليهم أن كُفُّوا، ثم قام ودخل منزله، وأرسل إليه، وزاده شيئاً، ثم قال: «أأحسنت إليك؟» فقال: نعم، فجزاك الله من أهلٍ وعشيرة خيراً، فقال عليه الصلاة والسلام: «إنك قلتَ ما قُلتَ، وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء، فإن أحببتَ، فقل بين أيديهم ما قلتَ بين يديّ، حتى يذهبَ ما في صدورهم عليك»، قال: نعم، فلما كان الغد ـ أو العشيّ ـ جاء، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن هذا الأعرابي قال ما قال، فزدناه، فزعمَ أنه رضي، . .

شفقتُه ورحمته صلى الله عليه وسلم

قوله: (وأما الشفقة والرأفة والرحمة): قال الخفاجي: الفرق بين هذه الثلاثة: أن الشفقة: رحمة ورقة قلب وخوف من نزول مكروه بمن يشفق عليه، والرأفة: التلطف بمن يريد إكرامه بالبشر والإيناس[١].

قوله: (﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾): ﴿عَزِيزٌ﴾: من عز بمعنى: اشتد وصعب، والعَنَت: المشقة؛ أي: يصعب عليه مشقتكم وما يؤلمكم؛ لرأفته ورحمته.

وقوله: (﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾) لا يناسب قوله: (لجميع الخلق)، فالأنسب أن يقتصر على الآية الثانية. اهـ. الخفاجي، وتمامه فيه[٢].

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٧٣).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٧٣).

أكذلك؟» قال: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فقال عليه الصلاة والسلام: «مثلي ومثلُ هذا مثل رجل له ناقة شردتْ عليه، فاتَّبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفوراً، فناداهم صاحبها: خَلُّوا بيني وبين ناقتي، فإني أرفقُ بها منكم وأعلمُ، فتوجه لها بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض، فردّها، حتى جاءتْ واستناختْ، وشدَّ عليها رحلها، واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيثُ قال الرجلُ ما قال، فقتلتموه، دخل النار»[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يُبَلِّغْني أحدٌ منكم عن أصحابي شيئاً؛ فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليمُ الصدر»[2].

وكان يسمعُ بكاء الصبي، فيتجوَّزُ في صلاته[3].

وعن ابن مسعود: كان عليه الصلاة والسلام يتخوّلُنا بالموعظة . . . . . .

قوله: (شردت عليه)؛ أي: نفرت منه، وذهبت في الأرض.

وقوله: (من قمام الأرض) القمام: جمع قمامة؛ ككناسة لفظاً ومعنى، والمراد بها: النبات الذي ترعاه الدواب.

وقوله: (استناحت)؛ أي: بركت ومكثت عنده[4].

قوله: (فيتجوز في صلاته)؛ أي: يخففها.

قوله: (يتخولنا)؛ أي: يتعهدنا.

---

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (١٧٧) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٦٠) من حديث عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه البخاري (٧٠٧) من حديث أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٧٧).

مخافةَ السآمة علينا[١].

وأما خلقه عليه الصلاة والسلام في الوفاء، وحسن العهد، وصلة الرحم؛ فروي عن عبدالله بن أبي الحمساء قال: بايعت النبي عليه الصلاة والسلام ببيع قبل أن يُبعث، وبقيتْ له بقية، فوعدته أن آتِيَهُ بها في مكانه، فنسيت، ثم ذكرتُ بعد ثلاث، فجئت، فإذا هو في مكانه، فقال: «يا فتى! لقد شققتَ عليّ، أنا هنا منذ ثلاثٍ أنتظرك»[٢].

وكان إذا أُتيَ بهدية، قال: «اذهبوا بها إلى بيت فلانة؛ فإنها كانت صديقة لخديجة، إنها كانت تحبّ خديجة»[٣].

وكان عليه الصلاة والسلام يَصِل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم[٤].

خلقه عليه السلام في الوفاء وغير ذلك

قوله: (في الوفاء) هو ضد الغدر ونقض الذمة.

وقوله: (حسن العهد)؛ أي: ما عاهد عليه والتزمه، وهو عطف تفسير لما قبله.

قوله: (أبي الخمساء[٥]) صوابه: الحمساء بالحاء المهملة؛ كما ضبطه الخفاجي[٦].

قوله: (بعد ثلاث)؛ أي: ثلاثة أيام.

---

(١) رواه البخاري (٧٠)، ومسلم (٢٨٢١).

(٢) رواه أبو داود (٤٩٩٦).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٢) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٢٧).

(٥) كذا في الأصل، وقد تم التصويب في المتن المثبت في أعلى الصفحة.

(٦) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٨٥).

ووفدَ عليه وفد، فقامَ يخدمهم بنفسه، فقال له أصحابه: نكفيك، فقال: «إنهم كانوا لأصحابنا مكرِمين، وإني أحب أن أكافئهم»[1].

وفي حديث خديجة: أبشرْ، فوالله! لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصلُ الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتكسِبُ المعدوم، وتقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق[2].

وأما تواضعه عليه الصلاة والسلام على علو منصبه ورفعة رتبته؛ فكان أشدَّ الناس تواضعاً، وأقلّهم كِبراً، وحسبك أنه خيِّر بين أن يكون نبيّاً ملكاً، أو نبيّاً عبداً، فاختار أن يكون نبيّاً عبداً[3].

قوله: (ووفد عليه وفد) هو وفد للنجاشي كما في الخفاجي[4].

تواضعه عليه السلام

قوله: (وأقلهم كبراً) قال الخفاجي: وفي نسخة ـ أي: من «الشفا» ـ: (وأعدمهم كبراً)، وفي نسخة بالجمع بينهما، وهو أفعل تفضيل من العدم، وهذا أنسب بمقامه صلى الله عليه وسلم؛ لأن اللائق عدمُ الكبر، لا قِلتُه، ووجَّه هذا البرهان الحلبي بأن القلة بمعنى النفي.

وقال أبو حيان في قوله تعالى: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾[البقرة: ٨٨]: إن التقليل يرد بمعنى النفي كما في قولهم: أقل رجل يقول ذلك، وقلَّ رجلٌ يقول ذلك،

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠٧) من حديث أبي أمامة وأبي قتادة ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) رواه البخاري (٤٩٥٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٩٢٠) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٩): إسناده حسن.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٨٩).

وخرج عليه الصلاة والسلام مرة على أصحابه متوكئاً على عصاً، فقاموا، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعَظِّم بعضهم بعضاً»[1].

وقال: «إنما أنا عبدٌ، آكُلُ كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»[2].

وكان يركب الحمار، ويُرْدِفُ خلفَه، ويعود المساكين، ويُجالس الفقراء، ويُجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم، حيثما انتهى به المجلس جلس[3].

وقلما يقوم زيد، وقليل من الرجال يقول ذلك[4].

وقال الحافظ السخاوي في كتابه «جواهر الدرر» في مناقب شيخه ابن حجر: إن ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ سئل عن هذه العبارة، وأن بعضهم شنع على المصنف فيها، ومحاها من النسخ.

فأجاب: بأن الاعتراض باطل؛ لأنهم تكلموا على الحديث الذي رواه النسائي عن عبدالله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر الذكر، ويقل اللغو[5].

فقالوا: يقل اللغو بمعنى: لا يلغو أصلاً.

قال ابن الأثير في «النهاية»: لأن (قل) يستعمل في النفي كما في الآية السابقة[6].

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٣٠) من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٣١).

(٤) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسي (١/ ٤٧٠).

(٥) رواه النسائي (١٤١٤).

(٦) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٠٤).

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تُطْروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله»[1].

وحج عليه الصلاة والسلام على رَحْلٍ رثٍّ، وعليه قَطيفةٌ ما تساوي أربعة دراهم، فقال: «اللهمّ اجعله حجّاً لا رياء فيه ولا سمعة»[2].

هذا، وقد فتحت عليه الأرض، وأهدى في حجه ذلك مئة بَدَنة[3].

ولما فُتحت عليه مكة، ودخلها بجيوش المسلمين، طأطأ على رحله رأسه حتى كادَ يَمَسُّ قادمته تواضعاً لله تعالى[4].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: دخلتُ السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم، فاشترى سراويل، وقال للوازن: «زِنْ وأَرْجِحْ»، ثم قال: فوثب إلى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّلها، فجذب يده، . . . . . .

فمعنى هذه النسخة أنه لا يقع منه صلى الله عليه وسلم كبرٌ أصلاً كما في الحديث الصحيح، وتمامه فيه[5].

قوله: (لا تُطروني) مضارع (أطراه): إذا بالغَ في مدحه، وتجاوز الحدَّ فيه.

قوله: (يمس قادمته): الرحل له مقدم ومؤخر مرتفع عن محل الراكب.

قوله: (ثم قال فوثب. . .) إلخ: العبارة في الخفاجي: قال ـ أي: أبو هريرة

---

(١) رواه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٣٣٥) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه.

(٣) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٤) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٣٩٣) من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٩٣).

وقال: «هذا تفعله الأعاجم بملوكها، ولستُ بملك، إنما أنا رجل منكم»، ثم أخذ السراويلَ، فذهبتُ لأحمله، قال: «صاحبُ الشيء أحقُّ بشيئه أن يحمله».

وأما عدلُه عليه الصلاة والسلام، وأمانته، وعفّته، وصدق لهجته؛ فكان آمنَ الناس، وأعدل الناس، وأعفَّ الناس، وأصدقهم لهجة منذ كان، اعترف له بذلك محادُّوه وأعداؤه، وكان يُسَمَّى قبل نبوّته: الأمين[1]، وقد قدّمنا ذلك في سيرته عليه الصلاة والسلام قبل النبوّة.

وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: ما لمستْ يدُهُ يدَ امرأة قطّ لا يملك رقّها[2].

رضي الله تعالى عنه راوي هذا الحديث ـ: فقال الوزان: هذه كلمة ما سمعتها من أحد، فقال له أبو هريرة: كفى بك من الوهن والجفا في دينك أنك لا تعرف نبيك، وطرح الميزان، ووثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها؛ لما رأى منه، ولمعرفته أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجذب يده... إلخ ما هنا[3].

عدله صلى الله عليه وسلم وأمانته

قوله: (آمن الناس)؛ أي: أشدَّهم أمانة.

قوله: (محادوه) ـ بتشديد الدال ـ بمعنى: المعادي والمخالف له الذي

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٢) رواه البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بنحوه.

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٠٥)، والخبر المذكور رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦١٦٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٩٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢١): رواه أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط»، وفيه يوسف بن زياد البصري، وهو ضعيف.

قال أبو العباس المُبَرِّد: قسَّم كسرى أيامه، فقال: يوم الريح يَصْلح للنوم، ويومُ الغيم للصيد، ويوم المطر للهو والشرب، ويومُ الشمس للحوائج[1].

ولكن نبيّنا عليه الصلاة والسلام جزَّأ نهاره ثلاثة أجزاء، جزء لله، وجزء لأهله، وجزء لنفسه، ثم جزّأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصّة على العامّة، ويقول: «أبلغوا حاجة مَنْ لا يستطيعُ إبلاغي؛ فإن من أبلغ حاجةَ مَنْ لا يستطيعُ إبلاغَها، آمنهُ اللهُ يومَ الفزع الأكبر»[2].

وكان عليه الصلاة والسلام لا يأخذ أحداً بذنب أحد، ولا يصدق أحداً على أحد[3].

في حدّ وجانبٍ عنه.

قوله: (جزء لله)؛ أي: لعبادة الله، وتلقي وحيه.

(وجزء لأهله)؛ أي: لمصالح أكله وبيته.

(وجزء لنفسه) مخصوصاً بأكله وشربه ونحو ذلك من أموره الدنيوية. اهـ. خفاجي[4].

قوله: (آمنه) ـ بالمد ـ بمعنى: جعله في أمن من أهوال القيامة. اهـ. خفاجي[5].

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٣٦).

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٣٣٧) من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ بنحوه، وفيه: «ثبت الله قدميه يوم القيامة» بدل «آمنهُ الله يوم الفزع الأكبر».

(٣) رواه أبو داود في «المراسيل» (٥١٤) من حديث الحسن البصري.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١١٣).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١١٣).

وأما وقاره عليه الصلاة والسلام وصمته، وتُؤَدته، ومروءته، وحسن هَدْيه؛ فكان عليه الصلاة والسلام أوقرَ الناس في مجلسه، لا يكادُ يُخرِج شيئاً من أطرافه[1].

وكان إذا جلس، احتبى بيديه[2]، وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً[3].

وكان كثير السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، يُعرض عمّن تكلم بغير جميل، وكان ضحكه تبسماً، وكلامه فَصْلاً، لا فضول ولا تقصير، وكان ضَحِكُ أصحابه عنده التبسم توقيراً له، واقتداء به، مجلسه مجلسُ حلم وحياء، وخير وأمانة، لا تُرفع فيه الأصوات، . . . .

وقاره صلى الله عليه وسلم

قوله: (لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه)؛ أي: أطراف بدنه؛ كرجليه، و(لا يكاد يخرج) فيه مبالغة؛ أي: لا يخرج، ولا يقرب من الخروج، وفي نسخة: (لا يخرج شيء من أطرافه). اهـ. خ[4].

قوله: (احتبى بيده): الاحتباء: أن يجمع ظهره وساقيه بيديه أو عمامته ونحوه، والحبوة: ـ بضم الحاء وكسرها ـ ويقال: الاحتباء حيطانُ العرب؛ لأنهم أهل براري لا حيطان لهم يستندون إليها، فالاحتباء قائم بمقامها. اهـ. خ[5].

قوله: (وكلامه فصلاً)؛ أي: فاصل بين الحق والباطل. اهـ. خ[6].

---

(١) رواه أبو داود في «المراسيل» (٥٠٥) من حديث خارجة بن زيد.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٣٧).

(٤) كذا في الأصل، والمراد: «خفاجي». انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١١٧).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١١٧).

(٦) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١١٩).

ولا تُؤْبنُ فيه الحُرَمُ، إذا تكلم، أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير[١].

وقال ابن أبي هالة: كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع: على الحلم، والحذر، والتقدير، والتفكّر[٢].

قوله: (لا تؤبن فيه الحرم) ـ بضم المثناة وهمزة ساكنة ـ: من أبنه يأبنه: إذا عابه، والحرم: جمع حرمة، وهي كل ما يحرم هتكُه، وأما استعماله بمعنى المرأة، فعامية، وإن كان لها وجه، وقيل: إنها صحيحة، مراد به هنا: النساء؛ لأنه ورد في الحديث نهيُه صلى الله عليه وسلم عن شعر تؤبن فيه النساء. اهـ. خ[٣].

قوله: (كأنما على رؤوسهم الطير): وصفهم بالسكوت، وعدم الخفة والطيش؛ لأن الطير لا تكاد تقع إلا على شيء ساكن.

قوله: (على أربعة)؛ أي: يقع على أربع خصال فيه.

(على الحلم)؛ أي: يسكت تارة؛ لحلمه على من تكلم عنده بما يقتضي المؤاخذة.

(والحذر)؛ أي: الاحتراس من كلام ربما أدى لأمر يخشى منه.

(والتقدير)؛ أي: يقدر صلى الله عليه وسلم في نفسه وسكوته ما يليق به وبغيره.

(والتفكر) في مصنوعات الله، ونحو ذلك[٤].

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٣٨).

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٩١) من حديث علي ـ رضي الله عنه ـ، وليس من حديث هند بن أبي هالة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١١٩)، والخبر المذكور رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٤٣) من حديث الشعبي عن رجل من الأنصار.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٢١).

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كان صلى الله عليه وسلم يُحَدّثُ حديثاً لو عدّه العادُّ لأحصاه[1].

وكان يُحِبّ الطِّيب، والرائحةَ الحسنة، ويستعملهما كثيراً، ويحضّ عليهما[2].

ومن مروءته صلى الله عليه وسلم: نهيه عن النفخ في الطعام والشراب، والأمر بالأكل مما يلي، والأمر بالسِّواك، وإنقاء البراجم والرواجب[3] ـ مفاصل الأصابع من ظاهر الكَفّ وباطنها ـ.

وأما زهُده عليه الصلاة والسلام في الدنيا؛ فقد قدَّمنا لك فيه ما فيه الكفاية، وحسبُك شاهداً على تقلُّلِهِ من الدنيا، وإعراضه عن زهرتها، وقد سيقت إليه..................................

قوله: (البراجم): جمع بُرجُم أو برجُمة بضم ـ الباء والجيم ـ، وهي مفاصل الأصابع التي بينها والسلاميات من ظهر الكف التي ترتفع إذا قبض الإنسان كفه، فهي المفاصل الظاهرة والبراجم الباطنة، وقيل: هي مفاصل الكف كلها.

(والرواجب): جمع رُجْبة ـ بضم فسكون ـ، وهي المفاصل التي تلي الأنامل، وقيل غيرُ ذلك.

ثم قال الشهاب: ونقل عن أبي عبيد: أن البراجم والرواجب جميعاً مفاصلُ الأصابع كلها، وهي اللائق بكلام المصنف، فينزل عليه، وتمامه فيه[4].

زهده صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البخاري (٣٥٦٧)، ومسلم (٢٤٩٣).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٣٩).

(٣) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ١٣٩).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٢٣).

بحذافيرها، وترادفت عليه فتوحُها: أنه توفي عليه الصلاة والسلام ودرعُه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله[1].

وهو يدعو ويقول: «اللهمّ اجعلْ رزقَ آل محمد قوتاً»[2].

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما شبع عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله[3].

وقالت: ما ترك عليه الصلاة والسلام ديناراً، ولا درهماً، ولا شاة، ولا بعيراً[4].

ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد. . . . .

قوله: (بحذافيرها)؛ أي: بجملتها وكليتها من جميع نواحيها.

قوله: (قوتاً)؛ أي: بمقدار ما يسد الرمق من غير زيادة.

قوله: (وقالت: ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً. . .) إلخ: قال الشهاب: وقد استشكل هذا بأنه صلى الله عليه وسلم مات وله حصون وأراض، وعنده مما أفاء الله عليه أرضُ خيبر وَفَدَك وغيرهما، فكيف مع ذلك يكون به صلى الله عليه وسلم فاقة تحوجه إلى رهن درعه على أَصْوُعٍ من شعير؟

وأجاب عنه ابنُ الصلاح في «فتاواه» بأنها كانت معدة لنوائبه موقوفة، ولذا لم تورث عنه، وقال: «إنا لا نورث، ما تركناه صدقة»[5]، فلا يقدح فيه ما كان

---

(١) رواه البخاري (٢٩١٦) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٦٤٦٠) من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه مسلم (٢٩٧٠).

(٤) رواه مسلم (١٦٣٥).

(٥) رواه البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

إلا شطر شعير في رَفٍّ لي[١].

وقـال: «إني عُرض عليّ أن تُجعل لي بطحاءُ مكـةَ ذهباً، فقلت: لا يا ربّ، أجوعُ يوماً، وأشبع يوماً، فأما اليوم الذي أجوع فيه، فأتضـرع إليـك وأدعوك، وأما اليوم الذي أشبع فيه، فأحمدك وأثني عليك»[٢].

وقالت عائشة: إن كنّا ـ آلَ محمد ـ لَنمكثُ شهراً ما نستوقد نـاراً، إن هو إلا التمر والماء[٣].

وعن أنس: ما أكل عليه الصلاة والسلام على خُوانٍ، ولا في سُكُرُّجَةٍ، . .

في ملكه وقد أعده لمصالح المسلمين[٤].

قوله: **(إلا شطر شعير)**: في «النهاية»: أراد به: نصفَ مكوك، أو نصـفَ وسق[٥].

وقوله: **(في رف لي)**: شبه الطاق في الحائط.

قوله: **(بطحاء مكة)**: البطحاء والأبطح: وادٍ تجري فيـه السيول، أو بطنُ وادٍ فيه رملٌ وحصًى، أو مكانٌ لا ينبت؛ لأنه مسيل، والمـراد بجعلـه ذهبـاً: أن يملأه به، أو أن يقلب حصاه ورماله ذهباً[٦].

قوله: **(في سكرجة)**: ـ بضم السين والكاف وفتح الراء المشددة ـ، وهي

---

(١) رواه البخاري (٦٤٥١)، ومسلم (٢٩٧٣)، من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٧) من حديث أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ، وقال: حديث حسن.

(٣) رواه البخاري (٢٩٧٢) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٢٥). وانظر: «فتاوى ابن الصلاح» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٤٧٣).

(٦) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٢٨).

ولا خُبِـزَ له مُرَقَّق، ولا رأى شاة سميطاً قطّ[1].

وفي حديث حفصة: كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مِسْحاً نثنيه ثنيتين، فينام عليه، فثنيناه ليلة بأربع، فلما أصبح قال: «ما فرشتم لي؟»، فذكرنا له ذلك، فقال: «ردّوه بحاله؛ فإن وَطَاءَتَهُ منعتني الليلة صلاتي»[2].

أعجمية معربة، قيل: هي قصعة صغيرة يوضع فيها الكوامخ والجوارشات في جوانب المائدة، فيها ما يعين على الهضم. اهـ. خ[3].

قوله: (شاة سميطاً): سميط: فَعيل بمعنى المفعول؛ أي: لم يطبخ له صلى الله عليه وسلم شاة بتمامها بعد سمطها؛ أي: غليها في الماء الحار حتى يذهب شعرها، ثم تشوى[4].

قوله: (أدماً) ـ بفتح الهمزة والدال ـ: اسم جمع لأديم، وهو الجلد المدبوغ اللين.

قوله: (مسْحاً) ـ بكسر الميم وسكون السين ـ، وهو ثوب مستعد للفراش شبه الكساء، ويقال له: حنبل، وقيل: هو ثوب أسود من شعر يلبسه الزهاد، وجمعه مُسوح[5].

قوله: (وطاءته) ـ بفتح الواو والطاء والمدة وتاء التأنيث ـ مضاف لضمير الفراش، فوزنه فَعالَة، أو فَعْلَة ـ بفتح فسكون وهمزة غير ممدودة على وزن فعلَة ـ؛

---

(١) رواه البخاري (٥٤١٥، ٥٤٥٧).

(٢) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٣٣٠).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٣٠ ـ ١٣١).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٣١).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٣١).

وقالت عَائشة: لم يمتلئ جوفُ النبي عليه الصلاة والسلام شبعاً، ولم يبثّ شكوى إلى أحد، وكانت الفاقة أحبّ إليه من الغنى، وإن كان لَيظلُّ جائعاً يلتوي طولَ ليلته من الجوع، فلا يمنعه صيام يومه، ولو شاء سأل ربَّه جميعَ كنوز الأرض وثمارها ورغدَ عيشها، ولقد كنتُ أبكي رحمة له مما أرى به، وأمسحُ بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع، وأقول: نفسي لك الفداء، لو تبلَّغْتَ من الدنيا بما يقوتُك، فيقول: «يا عائشة! ما لي وللدنيا، إخواني من أُولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشدُّ من هذا، فمضَوا على حالهم، فَقَدِمُوا على ربهم، فأكرمَ مآبهم، وأجزلَ ثوابهم، فأجدُني أستحي إن ترفَّهْتُ في معيشتي أن يُقَصَّرَ بي غداً دونهم، وما من شيء هو أحبُّ إليّ من اللحوق بإخواني وأخلاّئي»، قالت: فما أقام بعدُ إلا شهراً حتى توفي صلواتُ الله عليه وسلامه[1].

وأما خوفُه ربه، وطاعته له، وشدّة عبادته، فعلى قدر علمه بربه، ولذلك قال: «لو تعلمون ما أعلم، . . . .

أي: لينه تحت جنبي؛ لكثرة طاقاته وتضعيفها. اهـ. خ[2].

قوله: (يلتوي)؛ أي: يتقلب على فراشه من ألم الجوع.

قوله: (يُقَصَّر): ـ بالبناء للمجهول مع التشديد ـ.

---

(١) أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ١٤٢ ـ ١٤٣)، وقال السيوطي في «مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا» (ص: ٨٣): لم أقف عليه هكذا، ولكن أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» من حديثها قالت. . . فذكر نحوه مختصراً.

وحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ المشار إليه رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٩٧).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٣١).

لضحكتم قليلاً، ولبكَيتم كثيراً»[1].

وقال: «إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّتْ ـ صَوَّتت ـ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضع جبهته ساجداً لله، والله! لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكَيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله تعالى، لَوَدِدْتُ أني شجرة تُعضَد»[2].

وكان عليه الصلاة والسلام يصلي حتى تَرِمَ قدماه، فقيل له: أَتَكَلَّفُ هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[3].

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم دِيمَةً، ....

قوله: (وحُقّ لها): ـ بالبناء للمجهول ـ.

قوله: (إلى الصعدات) ـ بضم الصاد والعين وفتح الدال ـ؛ أي: لخرجتم من دوركم للطريق وممر الناس.

قوله: (تُعضَد)؛ أي: تُقطَع من أصلها.

قوله: (حتى ترم) ـ بفتح التاء وكسر الراء ـ: مضارع وَرِم.

قوله: (ديمة) بكسر الدال؛ أي: دائماً.

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢١) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٢) من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه البخاري (٦٤٧١)، ومسلم (٢٨١٩)، من حديث المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ.

وأيُّكُم يطيق ما كان يطيق[1]؟!

وقالت: كان يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم[2].

وقال عوفُ بنُ مالك: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة، فاستاكَ، ثم توضأ، ثم قام يصلي، فقمت معه، فاستفتح البقرة، فلا يمرّ بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمرّ بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، ثم ركع فمكث بقدر قيامه، يقول: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»، ثم سجد، وقال مثل ذلك، ثم قرأ آل عمران، ثم سورة سورة، يفعل مثل ذلك[3].

وقال بعضهم: أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، ولجوفه أَزيزٌ كأزيز المِرْجَل[4].

وفي وصف ابنِ أبي هالة: كان متواصلَ الأحزان، دائمَ الفِكرة، ليست له راحة[5].

قوله: (سبحان ذي الجبروت): العبارة في «الشفا»: سبحان الله ذي الجبروت والملكوت، صيغة مبالغة كالرهَبوت والرحَموت[6].

قوله: (أزيز) الأزيز: صوت الغليان إذا اشتد.

قوله: (ليست له راحة)؛ أي: لاستغراق أوقاته في الذي كلفه من أعباء

---

(١) رواه البخاري (١٩٨٧) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) رواه البخاري (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه أبو داود (٨٧٣)، والنسائي (١١٣٢).

(٤) رواه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤)، من حديث عبدالله بن الشخير ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) رواه الترمذي في «الشمائل المحمدية» (٢٢٦).

(٦) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٤٢).

وعن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنّته، فقال: «المعرفةُ رأسُ مالي، والعقلُ أصل ديني، والحبُّ أساسي، والشوقُ مركبي، وذكرُ الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزنُ رفيقي، والعلمُ سلاحي، والصبرُ ردائي، والرضا غنيمتي، والعجزُ فخري، والزهدُ حِرفتي، واليقينُ قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرّة عيني في الصلاة، وثمرة فؤادي في ذكره، وغمّي لأجل أمتي، . . . .

الرسالة، وتبليغ الأحكام، وتدبير الحروب والوقائع، ومَنْ نيط به أمورُ جميع الخلائق كيف يفضى من الهم؛ فإن الأمور بقدر الهمم(١).

قوله: (وعن علي ـ رضي الله عنه ـ): قال الشهاب: هذا الحديث ذكره في «الإحياء»(٢)، وقال الحافظ العراقي: إنه لا أصل له(٣)، وقال السيوطي: إنه موضوع، وآثارُ الوضع لائحةٌ عليه، وهو يشبه كلام الصوفية(٤).

قوله: (المعرفة رأس مالي)؛ أي: المعرفة بالله وصفاته، والوقوف على غوامض الأمور.

قوله: (والحب أساسي)؛ أي: محبة الله بعد معرفته؛ لأن من لم يعرف لا يحب.

قوله: (الثقة كنزي)؛ أي: الوثوق بما عند الله وما يطلب منه.

(والطاعة حَسَبي): ـ بفتحتين ـ، وهو ما يعده المرء من مفاخر آبائه؛ أي:

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٤٣).

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٤/ ٣٦١).

(٣) قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ١١٦٣): ولم أجد له إسناداً.

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ١٤٤).

وشوقي إلى ربي»[1].

فجزاه الله من نبي عن أمته خيراً، ورحم الله عبداً تأمل في هذه الشمائل الكريمة، والخصال الجميلة، فتمسك بها، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته يوم الفزع الأكبر، ويرضى الله عنه.

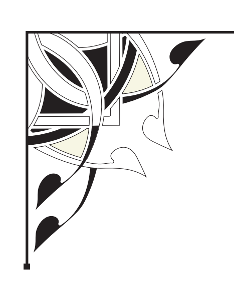
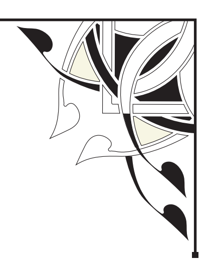
فنسألك اللهمّ التوفيق لما فيه الخير بمنِّك وكرمك يا أرحم الراحمين.

طاعة الله في السر والعلانية هي الذي أفتخر به وأعده مآثر، لا ما يفتخر به الناس.

❐ ❐ ❐

---

(١) أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٦١)، والقاضي عياض في «الشفا» (١/ ١٤٧)، وقال السيوطي في «مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا» (ص: ٨٥): موضوع.

مُعْجزاتُهُ عليه السلام

إذا تأمل المتأمل ما قدّمناه من جميل أثر هذا السيد الكريم، وحميد سيره، وبراعة علمه، ورجاحة عقله وحلمه، وجملة كماله، وجميع خصاله، وشَاهد حاله، وصوابِ مقاله؛ لم يَمْتَرِ في صحة نبوّته، وصدق دعوته، وقد كفى هذا غيرَ واحد في إسلامه والإيمان به؛ كعبدالله بن سلام؛ فإنه قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، جئته لأنظر إليه، فلما استَبَنْتُ وجهه، ....

معجزاته[1] عليه السلام

قوله: (لم يمتر في صحة نبوته)؛ أي: وإن لم يشاهد معجزاته.

قوله: (فقد كفى هذا غير): (هذا): فاعل (كفى)، و(غيرَ): مفعوله.

قوله: (فلما استبنت وجهه): استفعال من البيان، وهو الوضوح والظهور، والسين للمبالغة. اهـ. خ[2].

ثم قال: وقال ـ رضي الله عنه ـ لليهود: يا معشر يهود! اتقوا الله، واقبلوا ما جاءكم به، فوالله! إنكم لتعلمون أنه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوباً في التوراة باسمه وصفته، وإني أؤمن به وأصدقه. اهـ[3].

---

(١) في هامش الأصل: «قوله: (معجزاته عليه السلام): أنقل هنا عبارةَ الماوردي (ص: ٥٩ و٦٣)».

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٤٣).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٤٣)، والخبر المذكور رواه البخاري (٣٩١١) بنحوه.

عرفت أَنَّ وجهه ليس بوجه كذاب[1].

وروى مسلم: أنَّ ضِماداً لما وفد عليه، قال له صلى الله عليه وسلم: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهد اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل اللهُ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله»، فقال له ضِماد: أعِدْ عليّ كلماتِك هؤلاء، فلقد بلغن قاموس البحر، هاتِ يدك أُبايعك[2].

ولما بلغ ملكَ عُمان.........................

قوله: (أن ضِماداً) ـ بكسر الضاد ـ، وهو ضماد بن ثعلبة الأزدي، وكان صديقاً للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، فلما قدم مكة، وسمعهم يقولون فيه ما قالوه، تابعه، وأسلم في أول الإسلام، وكان عاقلاً يتطيب ويرقي، ذكره ابن عبد البر في الصحابة[3].

وفي الصحابة شخص آخر يسمى: ضماداً، وله وفادة، ولا ثالث لهما. اهـ. خ[4].

قوله: (فقد بلغن قاموس البحر)؛ أي: اشتهرت مقالتك هذه في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً، و(قاموس البحر): وسطه، أو لجته، أو قعره؛ كما في كتب اللغة. اهـ. خ[5].

قوله: (ملك عمان) ـ بفتح[6] العين وتشديد الميم ـ: مدينة قديمة بالشام،

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٥) وقال: حديث صحيح.

(٢) رواه مسلم (٨٦٨) من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

(٣) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٧٥١).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٤٦).

(٦) في الأصل: «بضم»، والتصويب من «نسيم الرياض».

أن رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعوه إلى الإسلام، قال: والله! لقد دلّني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أولَ آخذٍ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يَغْلبُ فلا يبطر، ويُغلب فلا يَضْجَر، ويفي بالعهد، وينجز الموعود، وأشهد أنه نبي[1].

وقال ابن رواحة:

لو لم تكنْ فيه آياتٌ مبيِّنةٌ لكانَ منظرُهُ يُنبيكَ بالخَبَرِ[2]

كيف وقد أظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات ما لا يفي به العدّ، فهو أكثر الأنبياء آيةً، وأظهرُهم برهاناً، وسنذكر لك في هذا الفصل من الآيات ما تقرُّ به عينُكَ، ويزداد به يقينُك؛ مما رواه الجمّ الغفير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ، وأثبته المحدّثون في صِحاحهم، . . . .

و ـ بالضم والتخفيف ـ: صُقع عند البحرين[3].

قوله: (وأشهد أنه نبي)؛ لما تحققه من أخلاقه، وكمال صفاته صلى الله عليه وسلم، وهذا شاهد لما تقدم من أن من تأمل صفاته صلى الله عليه وسلم صدَّق بنبوته، وإن لم يشاهد معجزاته.

قوله: (مبينة): ـ بكسر الياء المشددة ـ: اسمُ فاعل، و ـ فتحها ـ: اسم مفعول. اهـ[4].

---

(١) أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٢٤٩)، وقال السيوطي في «مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا» (ص: ١١٤): وثيمة ـ أي: ابن موسى بن الفرات ـ في كتاب «الردة» عن ابن إسحاق.

(٢) أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٢٤٩).

(٣) وهذا الثاني هو المراد هنا. انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٤٨).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٤٩).

ونبدأ منها بأظهرها شأناً، وأوضحِها بياناً، وهو القرآن الشريف وإعجازُه.

اعلم: أن كتاب الله العزيز مُنْطوٍ على وجوه من الإعجاز كثيرة، وتحصيلُها من جهة ضبط أنواعها في أربعة:

أولها: حسن تأليفه، والتئام كَلِمه، وفصاحتهُ، ووجوه إيجازه، وبلاغتُه الخارقةُ عادةَ العرب، وذلك أنهم كانوا أربابَ هذا الشأن، وفرسان الكلام، قد خُصُّوا من البلاغة والحكم بما لم يُخَصَّ به غيرُهم من الأمم، وأُوتوا من ذَرابة اللسان ما لم يُؤتَ إنسان، ومن فصل الخطاب ما يُقَيِّد الألباب، جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلْقة، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، ويُدْلُون به إلى كل سبب، . . . .

وهو يفيد أنه يصح أن تقرأ بالوجهين.

قوله: (وذرابة اللسان): الذرابة: أصل معناها حدةُ السيف والسنان وغيره، فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو عن اللكنة. اهـ. خ[١].

قوله: (ما يقيد الألباب) يقيدها بمعنى: يحيرها إذا سمعته حتى كأنها قيدت ومنعت عن الحركة؛ لدهشتها من حسنه وبراعته[٢].

قوله: (ويدلون به) ـ بضم الياء ـ: من أدلى دلوه في البئر: إذا أنزله لأخذ الماء، ثم عبر عن مطلق التوصل؛ كما قال عمر ـ رضي الله عنه ـ لما استسقى بالعباس ـ رضي الله تعالى عنه ـ: وقد دلونا [به][٣] إليك مستشفعين[٤]؛ أي: توسلنا به. اهـ. خ[٥].

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٤).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٤).

(٣) ما بين معكوفتين من «تأويل مختلف الحديث».

(٤) أورده ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٢٥٣).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٤).

يخطُبون بديهاً في المقامات، وشديد الخَطْب، ويرتجزون به بين الطعن والضرب، ويقدحون ويمدحون، ويتوسَّلَون ويتوصَّلون، ويرفعون ويضعون، فيأتون من ذلك بالسِّحر الحلال، ويُطَوِّقون من أوصافهم أَجْمَلَ من سِمْط اللآل، فيخدعون الألباب، ويذللون الصعاب، ويُذْهبون الإِحن، ويُهيجون الدِّمَن، ويجرِّئون الجبان، ويصيرون الناقص كاملاً، ويتركون النبيه خاملاً.

منهم البدويُّ ذو اللفظ الجزل، والقول الفَصْل، والكلام الفخم، والطبع الجوهريّ، والمنزع القويّ.

قوله: (في المقامات)؛ أي: محافل الناس ومجامعهم.

قوله: (ويقدحون)؛ أي: يذمون ويهجون.

قوله: (أجمل من سمط اللآل): السمط: هو السلك ما دام فيه الخرز.

قوله: (ويذهبون الإحن): جمع إحنة ـ بكسر فسكون ـ، وهي الحقد.

وقوله: (ويهيجون الدمن)؛ أي: يحركونها ويظهرونها.

و**(الدمن)**: ـ بكسر الدال وفتح الميم ـ: جمع دمنة، وهي في الأصل: ما في مبارك الإبل من بعرها المتلبد بما عليه من أبوالها، استعير للحقد المضمر المجتمع في الباطن. اهـ. خ[1].

قوله: (الطبع الجوهري)؛ أي: الخالص النقي.

قوله: (والمنزع القوي): مفعل من النزع، وهو الجذب والأخذ؛ أي: يأتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين أنواع الكلام بطبائعهم السليمة بحيث إذا سمعه السامع شُفي غليلُه[2].

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٧).

ومنهم الحضريُّ ذو البلاغة البارعة، والألفاظ الناصعة، والكلمات الجامعة، والطبع السهل، والتصرّف في القول القليل الكلفة، الكثير الرونق، الرقيق الحاشية.

وكلاهما له في البلاغة الحجةُ البالغة، والقوة الدامغة، والقِدحُ الفالج، ....

قوله: (والألفاظ الناصعة)؛ أي: الخالصة من الألفاظ الوحشية الغريبة، السالمة من الركاكة.

قوله: (والتصرف في القول القليل الكلفة)، فيخرج من نوع لنوع من غير تكلف؛ لكونه سجيةً له، و(القليل): صفة للتصرف أو للقول، فلا يورد في كلامه ما يعسر على السامع فهمهُ لغرابته أو تعقيده[1].

قوله: (الرقيق الحاشية): قال في «الأساس»: من المجاز: عيش رقيقُ الحواشي، وكلام رقيق الحواشي[2]، وهو عبارة عن سهولته وسلاسته. اهـ. خ[3].

قوله: (وكلاهما)؛ أي: كلا القسمين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند أهله. اهـ. خ[4].

قوله: (الدامغة)؛ أي: الغالبة القاهرة. اهـ. خ[5].

قوله: (والقدح الفالج): واحد قداح الميسر، وهو سهم بغير ريش،

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٧).

(٢) انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: حشو).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٧).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٧).

(٥) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٧).

والمَهْيعُ الناهج، لا يشكون أن الكلام طوعُ مرادهم، والبلاغة ملكُ قيادهم، قد حَووا فنونها، واستنبطوا عيونها، ودخلوا من كل باب من أبوابها، وعَلَوا صرحاً لبلوغ أسبابها، فقالوا في الخطير والمَهين، وتفننوا في الغثّ والسمين، وتقاولوا في القلّ والكُثْر، . . . .

والفالج: بمعنى الفائز[1].

قوله: (والمهيع الناهج): المهيع: الطريق الواسع، والناهج: بمعنى البَيِّن الواضح المسلوك[2].

قوله: (ملك قِيادهم): ـ بكسر القاف ـ، وهو حبل تقاد به الدابة.

قوله: (واستنبطوا عيونها)؛ أي: استخرجوا خيارها ومحاسنها.

قوله: (وعلوا صرحاً): هو البيت العالي المزخرف بناؤه.

وقوله: (لبلوغ أسبابها): جمع سبب، وهو كل ما يتوصَّل به لشيء آخر؛ كالحبل والسلَّم، وهو علة للعلو؛ أي: علوا قصر البلاغة ليصلوا إلى ما فيه من الأسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة[3].

قوله: (في الغث والسمين): الغث: أصله: اللحم المهزول الذي يكثر تناوله، فاستعير للأمر القبيح والفاسد.

وقوله: (السمين): فسره التلمساني بإنشاد المدائح. اهـ. خ[4].

قوله: (وتقاولوا): تفاعُل من القول؛ أي: أداروا القول بينهم.

(في القل والكثر): ـ بضم أولهما، وأجاز البرهان كسرهما ـ؛ أي: القليل والكثير.

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٧).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٨).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٨).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٨).

وتساجلوا في النظم والنثر، فما راعَهم إلا رسول كريم، بكتاب عزيز: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت: ٤٢]**، أحكمت آياته، وفُصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مَقُول، وتظافر إيجازه وإعجازه، . . . .**

قوله: (وتساجلوا في النظم والنثر): التساجل: تفاعُل من السَّجل ـ بالفتح ـ، وهو الدلو الكبير، ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء، استعاروا المساجلة للعطاء والمفاخرة؛ كما قال:

من يساجلْني يساجلْ ماجداً[(١)]

قوله: (فما راعهم إلا رسول كريم)؛ أي: بينما هم كذلك فجأهم أمر بغتة لم يكن لهم علم به، ولم يطرق مسامعَهم مثلُه.

وفي «الأساس»: ما راعني إلا مجيئك؛ أي: ما شعرت إلا به[(٢)].

وهو من الروع بمعنى: الخوف والفزع. اهـ. خ[(٣)].

قوله: (من بين يديه ولا من خلفه)؛ أي: من جهة من الجهات، فلا يجد سبيلاً يوصله إليه.

قوله: (وفصلت كلماته)؛ أي: فُصِّل وبُيِّن ما فيها من الفوائد الجليلة؛ كالعقائد الحقة، والأحكام الشريفة، والمواعظ، والأخبار الصادقة.

قوله: (وتضافر إيجازه) عبارة «الشفا»: وتظافر إيجازه[(٤)].

---

(١) صدر بيت للفضل بن العباس اللهبي، وعجزه:

يملأ الدلوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ

انظر: «ديوانه» (ص: ١٩).

(٢) انظر: «أساس البلاغة» للزمخشري (مادة: روع).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٩).

(٤) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٦٠).

وتظاهرت حقيقته ومجازه، وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه، وحوت كلَّ البيان مجامعُه وبدائعه، واعتدل مع إيجازه حسنُ نظمه، وانطبق على كثرة فوائده مختارُ لفظه، وهو أفسحُ ما كانوا في هذا الباب مجالاً، وأشهرُ في الخطابة رجالاً، وأكثر في الشعر والسجع ارتجالاً، وأوسع في الغريب واللغة مقالاً؛ بلغتهم التي بها يتحاورون، ومنازعهم التي عنها يتناضلون، صارخاً بهم في كل حين، . . . .

قال الشارح: بالظاء المشالة كما في أكثر النسخ: تفاعُل من الظفر، وهو الفوز ونيل الأماني[1].

قوله: (وتظاهرت حقيقته ومجازه)؛ أي: عضد كلٌّ منهما الآخر وقواه لما صار له ظهيراً ومستنداً.

قوله: (وتبارت)؛ أي: تشابهت وتساوت أوائله وأواخره، والتباري يكون بمعنى: التسابق في الجري.

قوله: (مجامعه وبدائعه)؛ أي: جوامع كلمه، وما ابتدع فيه مما لم يسبق مثله في كتاب.

قوله: (وأوسع في الغريب): المراد به: ما يُستغرب من الكنايات والمجازات البديعة؛ لتصرفهم في الكلام.

قوله: (بلغتهم) الجار والمجرور صفة (كتاب)، أو حالٌ منه.

قوله: (ومنازعهم) تقدم أن النزع: الجذب والأخذ، والمنزع بمعنى: النزع، واسم مكان، يكون اسماً للسهم الذي يرمى به، وهو المراد هنا؛ لمناسبته لقوله (التي عنها يتناضلون)؛ أي: يترامَوْن بالسهام، ومن المجاز: ناضل عن قومه: إذا دافع وحاجَّ، والمناضلة: المفاخرة[2].

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٧٩).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨١).

ومقرِّعاً لهم بضعة وعشرين عاماً على رؤوس الملأ أجمعين: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨].

﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾ [البقرة: ٢٣ ـ ٢٤].

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾ [هود: ١٣].

فلم يزل يقرعهم أشدّ التقريع، ويوبخهم غاية التوبيخ، . . . .

قوله: (ومقرعاً) ـ بضم الميم وفتح القاف وتشديد الراء ـ: مُعَيِّراً وموبخاً لهم.

قوله تعالى: (﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ . . .﴾) إلخ؛ أي: إن كان الأمر كما زعمتم، فأتوا بسورة مثله في النظم والبلاغة؛ فإنه نزل بلغتكم وأنتم فصحاء.

(﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾)؛ أي: كلَّ من قدرتم على دعوته ليعينكم على افتراء كلام يضاهيه.

(﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾)؛ أي: غير الله تعالى؛ فإنه القادر على كل شيء.

(﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾) في قولكم: إنه افتراء.

وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن أقل مراتبه. اهـ. خ[1].

قوله: (﴿مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾)؛ أي: محض كذب واختلاق منكم، وخص الكذب بالذكر؛ لأن المفترى أسهل، ووضع الباطل أقرب، واللفظ إذا اتبع المعنى الصحيح كان أصعب.

قوله: (فلم يزل يقرعهم)؛ أي: يعيرهم ويعيبهم ويشنع عليهم.

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨٢).

ويسفّه أحلامهم، ويحُط أعلامَهم، ويشتِّتُ نظامهم، ويذم آلهتهم وآباءهم، ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم، وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته، مُحْجِمون عن مماثلته، يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب، والاغتراء بالافتراء، . . . .

وقوله: (ويسفه أحلامهم)؛ أي: يصفهم بالسفه، وهو قلة العقل وخفته.

وقوله: (ويحط أعلامهم): الأعلام: جمع علم، وهي الراية الكبيرة، والجبل، والسيد، والاسم المختص، والكل محتمل هنا؛ أي: ينكس راياتهم، ويهد جبالهم، ويذل ساداتهم، ويزري بألبابهم، والمعنى على كل حال: أنه يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم وإظهارِ ضلالهم وسوء حالهم. اهـ. خ[1].

قوله: (ناكصون عن معارضته): يقال: نكص على عقبيه: إذا أحجم وتأخر، فاستعير للإعراض عن معارضته فيما فعله، وما أتى به القرآن.

وقوله: (محجمون عن مماثلته)؛ أي: عن الإتيان بشيء مماثل أقصر سورة منه[2] لما تحداهم، وأحجم؛ كنكص بمعنى: تأخر، وهو كناية عن عدم القدرة، يقال: حجمته فأحجم، وهو من النوادر؛ كمثل: كببتُه فأكبَّ. اهـ. خ[3].

قوله: (بالتشغيب) هو تهييج الشر والفتن، من الشغب ـ بفتح الغين وسكونها ـ.

قوله: (بالتكديب) صوابه: والتكذيب.

قوله: و**(الاغتراء بالافتراء)** يقال: اغتراه: إذا ألصقه، فالمعنى على هذا: وإلصاق الافتراء عليه.

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤).

(٢) في الأصل: «سورة سورة»، والمثبت من «نسيم الرياض».

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨٤).

وقولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[المدثر: ٢٤]، **و﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾**[القمر: ٢]، **و﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾**[الفرقان: ٤]، **و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾**[الأنعام: ٢٥].

والمباهتة والرضا بالدنية؛ كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾[البقرة: ٨٨]، **و﴿فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾**[فصلت: ٥]، **و﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾**[فصلت: ٢٦].

والادعاء مع العجز؛ كقولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾[الأنفال: ٣١].

قال الخفاجي: وفي النسخ الصحيحة: (والإغراء بالافتراء)، وهو المولع بالحث والبحث والتحريض. اهـ. خ[(١)].

قوله: (﴿إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾)؛ أي: ينقل ويروى عن السحرة.

وقوله: (و﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾)؛ أي: دائم باق.

(و﴿إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾)؛ أي: كذب اخترعه واختلقه.

(و﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾)؛ أي: شيء أخذه مما سطره الأولون وزخرفوه.

وقوله: (والمباهتة) بمعنى: البهتان.

وقوله: (والرضا بالدنية؛ كقولهم: ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾)؛ لأن ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم، وهو أمر مذموم لا يرتضيه العقل.

وقوله: (﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾)؛ أي: مانع عن وصول ما يقوله لنا، وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن إدراكها ما وهم له.

وقوله: (﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾) المراد به: رفع الأصوات بأي كلام كان حتى يشوش على قارئه، فيقطع قراءته، أو يمنع عن استماعه، ولغو الكلام: ما لا يعتد به. اهـ. خ[(٢)].

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨٤).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨٥).

وقد قال لهم: ﴿وَلَن تَفۡعَلُواْ﴾[البقرة: ٢٤]، فما فعلوا، ولا قدروا، ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلِمة؛ كُشف عوارُه لجميعهم، وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم، وإلا، لم يَخْفَ على أهل المَيْزِ منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم، بل ولّوا عنه مدبرين، . . . .

قوله: (من سخفائهم)؛ أي: ممن له طيشٌ وقلةُ عقل.

(كمسيلمة) تصغير (مسلمة)، فلامُه مكسورة، وميمُه مضمومة، والعامة تفتح لامه، وهو خطأ منهم، وهو ابن حبيب اليمني، من بني حنيفة، قبيلة، وهذا لقبه، واسمه هارون، ويقال له: أبو ثمامة، وكان له حيل ونيرنجات يوهم أنها معجزات، ومن هذيانه الذي زعم أنه وحي نزل عليه: والزارعات زرعاً، والحاصدات حصداً، والطاحنات طحناً والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، ضفدع بنت ضفدعين، إلى كم تنقين، لا الماء تكدرين، ولا الشراب تمنعين. . . إلى غير ذلك مما تمجه الأسماع، وتستقبحه الطباع[١].

قوله: (كشف عواره) قال الخفاجي: في نسخة بدون فاء، وإثباتها أحسن؛ أي: أظهر بما قاله من الكلام السخيف الركيك عيبه وحماقته، وهو بضم العين وبفتحها. اهـ. خ[٢].

قوله: (وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم)؛ أي: لما أرادوا المعارضة، لم يقدروا على كلام مثل كلامهم قبله، وهذه الجملة معطوفة على جملة (ما فعلوا).

قوله: (وإلا)؛ أي: وإن لم يسلبهم الله فصاحتهم المألوفة.

وقوله: (على أهل الميز) ـ بفتح الميم وسكون الياء ـ؛ أي: التمييز.

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨٦).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٨٦).

وأتوا إليه مذعنين[1].

وأنت إذا تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾[البقرة: ١٧٩].

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾[سبأ: ٥١].

وقوله: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

قوله: (﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾)؛ أي: إذا تأملت ما أودع فيه عن البدائع والروائع مع لطائف الإيجاز، وأنوار الإعجاز الساطعة من مشكاته، ورسوخ عروقه في الفصاحة، وما اشتمل عليه من بديع البديع؛ كالإعراب بجعل القتل الذي ضد الحياة ظرفاً لها؛ لأن من علم أنه إذا قتل اقتص منه؛ كف عنه، فكان سبباً لحياة من يهم بقتله، وهو أوجز مما عدوه من أفح كلامهم، وهو قولهم: القتل أنفى للقتل، مع ما فيه من التكرار، والقتل مطلقاً لا ينفيه، ففي القصاص تصريح بالمعنى المراد، إذ القتل قد يكون ظلماً. اهـ. خ[2].

قوله: (﴿إِذْ فَزِعُوا۟﴾)؛ أي: من حلول الأجل، أو من بعثهم من القبور، أو في يوم بدر.

وقوله: (﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾)؛ أي: من ظهر الأرض لبطنها، أو من الموقف إلى النار، أو من صحراء بدر إلى قليبها، ففي هذه الآية من الإيجاز والبلاغة وعذوبة الألفاظ ما يعرفه من له بصيرة. اهـ. خ[3].

قوله: (﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾)؛ أي: ادفَع سيئةَ من أساء إليك بالحسنة التي هي أحسنُ من كل شيء أحسن، أو بأحسن ما يمكن دفعه.

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٥٨ ـ ٢٦١).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٩١ ـ ٤٩٢).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٩٢).

وقولـه: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود: ٤٤].

وقوله: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[العنكبوت: ٤٠].

وأشباهها من الآي، بل أكثر آيات القرآن حققت ما بيَّنته من إيجاز ألفاظها، وكثرة معانيها، وديباجة عبارتها، وحُسن تأليف حروفها، وتلاؤم كَلِمِها، وأنَّ تحت كل لفظة منها جُملاً كثيرة، وفُصولاً جمَّة، . . . .

قوله: (﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ . . .﴾) إلخ: ففي هذه الآية من البلاغة المعجزة مع الإيجاز: أنه ناداهما كما ينادَى العقلاء، وأمرهما بما يؤمرون به، تمثيل لباهر قدرته وعظمته؛ لانقيادهما لما أراد؛ كالمأمور المطيع المبادر للامتثال حذراً من سطوة أمره، والبلع: استعارة للجفاف، والإقلاع: الإمساك. اهـ[1].

قوله: (﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ﴾)؛ أي: فكلاً ممن ذكر قبله من المكذبين.

وقوله: (﴿حَاصِبٗا﴾)؛ أي: ريحاً عاصفة فيها حصباء، وهي الحجارة الصغيرة.

وقوله: (﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾)؛ أي: وهم قوم ثمود ومدين.

(﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾)، وهو قارون.

(﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾): هم قوم نوح وفرعون.

قوله: (حققت ما بينته): جواب (إذا) في قوله: (وأنت إذا تأملت. . .) إلخ.

قوله: (ديباجة القرآن)؛ أي: روضته التي يرتع فيها القارئ، والمراد: حسن عبارته.

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٩٢).

وعلوماً زواخر؛ مُلئت الدواوين من بعض ما استُفيد منها، وكثرت المقالات في المستنبطات عنها.

ثم هو في سرد القصص الطوال، وأخبار القرون السوالف، التي يضعفُ في عادة الفُصحاء عندها الكلام، ويذهبُ ماء البَيَان، آيةٌ لمتأمِّله، من رَبط الكلام بعضِه ببعض، والتئام سَرده، وتناصُفِ وجوهه؛ كقصة يوسف على طولها.

ثم إذا ترددت قِصَصُه، اختلفت العباراتُ عنها على كثرة تردُّدها، وتُناصِفُ في الحسن وجه مُقَابلتها، ولا نفور للنفوس من ترديدها، ولا مُعاداة لمُعادها.

الوجه الثاني من إعجاز القرآن: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب، ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه، ووقفتْ عليه مقاطع آيِه، وانتهتْ فواصل كلماته إليه، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له، ولا استطاع أحدٌ مماثلة شيء منه، . . . .

قوله: (وعلوماً زواخر)؛ أي: كالبحار الزواخر؛ من زخر البحر: إذا كثر ماؤه، وارتفعت أمواجه.

قوله: (وتناصف وجوهه): المراد بالوجوه: أنواع بلاغته؛ من الاستعارة والكناية، يقال: أعضاؤه متناسقة حُسناً؛ أي: لا ينقص حسن بعضها عن بعض.

قوله: (ولا نفور للنفوس من ترديدها): هذا إشارة إلى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بأن فيه مكررات كثيرة، وهو مما ينفر الطبع السليم.

قوله: (ولا معاداة لمعادها)؛ أي: لا تعادي الطباع المكررة المعاد في القرآن من قصصه؛ كما قال الشاعر: طبعُ النفوس مُعاداةُ المُعادات[1].

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٤٩٥).

بل حارَت فيه عقولهم، وتدَلَّهتْ دونه أحلامهم، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم من نثر، أو نظم، أو سجع، أو رجز، أو شعر[١].

والإعجاز بكل واحد من النوعين: والإيجاز والبلاغة بذاتها، أو الأسلوب الغريب بذاته، كل واحد منهما نوع إعجاز، لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما؛ إذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها، مباينٌ لفصاحتها وكلامها[٢].

الوجه الثالث من الإعجاز: ما انطوى عليه من الإخبار بالمُغَيباتِ، . . .

قوله: (وتدلهت)؛ أي: دهشت وتحيرت في شأنه.

قوله: (ولم يهتدوا إلى مثله)؛ أي: لم يسمعوا به من فصحائهم.

قوله: (الإيجاز والبلاغة بذاتها) قال الخفاجي: هذا إشارة إلى قوله في أول هذا الفصل: (أولها: حسنُ تأليفه والتئام كلمه، وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب، وحاصله: أن إعجازه من نفس جوهر كلامه بكونه في أعلى طبقات البلاغة والفصاحة، بحيث يسلم عن ضعف التأليف، وتنافر الحروف والكلمات، وإيجازه، ورعاية معانٍ ووجوهٍ يقتضيها المقام، وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر[٣].

قوله: (أو الأسلوب الغريب) يعني: كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم ولا المنثور؛ فإنه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب، وإن وقع فيه من غير تكلف سجع أحياناً[٤].

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٦٦).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥٠٢).

وما لم يكن ولم يقع فوقع، فوجد كما ورد، وعلى الوجه الذي أخبر؛ كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[الفتح: ٢٧].

وقوله عن الروم: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾

[الروم: ٣ ـ ٤].

وقوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[الصف: ٩].

وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[النور: ٥٥].

وقوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[النصر: ١ ـ ٢].

فكان جميع هذا، كما أخبر، فغلبت الرومُ فارسَ في بضع سنين، ودخلت الناس في الإسلام أفواجاً[1]، واتسع ملك المسلمين حتى كان لهم في وقت من أقصى بلاد الأندلس غرباً إلى أقاصي الهند شرقاً، ومن بلاد الأناضول شمالاً إلى أقاصي السودان جنوباً.

قوله: (﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ . . .﴾) إلخ الآية: قال الخفاجي: رأى صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة قبل عام الحديبية أنه دخله مع أصحابه، وأخبرهم بذلك، فظنوه في ذلك العام، فلما صدهم المشركون عن الدخول، شق عليهم ذلك، فأخبرهم الله أنه سيقع بعد ذلك، وكان كما أخبر. اهـ[2].

قوله: (﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾) تقدم إيضاحه في أول الكتاب (باب تبشير التوراة به).

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥٠٧).

وقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، فكان كذلك إلى الآن والحمد لله.

وقوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾[القمر: ٤٥]، فكان كذلك في بدر، والآية نزلت في مكة.

وقوله: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[التوبة: ١٤]، فكان كذلك مما اطّلع عليه قارئ هذه السيرة، وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود، ومقالهم وكذبهم في حَلِفِهِم؛ كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾[المجادلة: ٨].

قوله: (والآية نزلت بمكة): قال الخفاجي: فلم يدر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها، فلبس صلى الله عليه وسلم درعه وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: فعلمت المراد منها[1].

قوله: (﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾) قال الخفاجي: وفيها من الإخبار عن الغيب: أن ناساً من اليمن وبني خزاعة أسلموا وبقوا بمكة بعد الهجرة، فلقوا من المشركين أذى شديداً، فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «اصبروا وأبشروا بفرج قريب»، فنزلت هذه الآية، فكان بعدها ما أوقع الله تعالى بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم[2].

قوله: (﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾)؛ أي: هلا يعذبنا الله بقولنا في حق

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥١٠)، والأثر المذكور رواه الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ١٠٨) بنحوه.

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥١٠ ـ ٥١١)، والخبر المذكور أورده الزمخشري في «الكشاف» (٢/ ٢٣٩) عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

وقوله: ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾[آل عمران: ١٥٤].

وقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[النساء: ٤٦]، إلى غير ذلك من الآيات البيّنات.

الوجه الرابع: ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الداثرة؛ مما كان لا يعلم منه القصةَ الواحدةَ إلا الفذُّ من أحبار أهل الكتاب، الذي قطع عمره في تعلّم ذلك، فيورده عليه الصلاة والسلام على وجهه، ويأتي به على نصه، فيقرُّ العالِمُ بذلك بصحته وصدقه، وأن مثله لم ينله بتعليم، وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أُميّ، لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسة ولا مجالسة، لم يغب عنهم، ولا جَهِلَ حالَه أحد منهم.

وكثيراً ما كان يسأله كثير من أهل الكتاب عن هذا، فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً؛ كقصص الأنبياء، وبدء الخلق، وما في الكتب السابقة مما صدقه فيه العلماء بها، . . . .

محمد: لو كان نبيّاً دعا علينا حتى نعذب، أو بما كانوا يقولون هم والمنافقون فيما بينهم في حق النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فأخبر الله تعالى بذلك، وفضح سرائرهم[1].

قوله تعالى: (﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾)؛ أي: لا نسمع ما دعينا إليه.

وقوله: (﴿وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾) قال في «النهاية»: كان ذلك قولاً يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم، يقصدون به رميه بالرعونة، ويوهمون أنهم يقولون: راعنا؛ أي: احفظنا.

وقوله: (﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾)؛ أي: كذباً بألسنتهم.

---

(١) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥١١).

ولم يقدروا على تكذيب ما ذُكر منها، ولم يؤثَر أن واحداً منهم أظهر خلاف قوله من كتبه، ولا أبدى صحيحاً، ولا سقيماً من صحفه، بعد أن قرّعهم ووبّخهم بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[آل عمران: ٩٣] **.**

ومما يدلّ على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه: ما تحدّاهم فيه الله بقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[البقرة: ٩٤]**، ثم حتَّم عدم إجابتهم بقوله: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾**[البقرة: ٩٥]**، فما سُمع عن أحد منهم أن تمنَّى ذلك ولو بلسانه، مع أنهم كانوا أحرصَ الناس على تكذيبه.**

ومثل ذلك: ما فعله أهلُ نجران حينما دعاهم للمباهلة فأَبوا، وقد قدَّمنا ذلك في (فصل وفودهم).

ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر: الرّوعة التي تلحق قلوب سامعيه، والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته؛ لقوّة حاله، وإنافة خطره، حتى كانوا يستثقلون سماعه، ويزيدهم نفوراً، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «إن القرآن صعب مستصعَب على مَن كرهه، . . . .

قوله: (الروعة) ـ بفتح الراء ـ: الفزع والخوف.

وقوله: (وإنافة خطره)؛ أي: علو مرتبته على غيره من الكلام.

قوله: (يستثقلون سماعه)؛ أي: لصعوبة ما فيه عليهم.

قوله: (إن القرآن صعب في نفسه) بمعنى: أنه لا يقدر أحد على محاكاته وضبط ألفاظه وحفظها بسهولة.

وقوله: (مستصعب) ـ بفتح العين وكسرها ـ؛ أي: يعسر فهمُه وتفسيره بالرأي.

وهو الحكم»[1].

وأما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليه إقبالاً، وتَكْسِبُهُ هشاشة لميل قلبه إليه وتصديقه به، قال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر: ٢١].

ومن وجوه إعجاز القرآن: كونه آية باقية لا تُعدَم ما بقيت الدنيا، مع تكفل الله بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، وقال: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾[فصلت: ٤٢]، وسائر معجزات الأنبياء لم يبق إلا خبرها، والقرآن إلى وقتنا هذا حجة قاهرة، ومعارضة ممتنعة، والأعصار كلها طافحة بأهل البيان، وحملة علم اللسان، وأئمة البلاغة، وفرسان الكلام، وجهابذة البراعة، والملحد فيهم كثير، والمعادي للشرع عتيد، فما منهم من أتى بشيء يؤثر في معارضته، ولا ألَّف كلمتين في مناقضته، ولا قدر فيه على مطعن صحيح، ولا قدح المتكلفُ من ذهنه في ذلك إلا بزَنْد شحيح، . . . .

قوله: (وهو الحكم)؛ أي: الحكم الفصل بين الحق والباطل.

قوله: (وجهابذة البراعة)؛ أي: أساتذة الفصاحة.

قوله: (عتيد)؛ أي: مهيأ حاضر.

قوله: (ولا قدح. . .) إلخ: القدح: ذكرُ المعايب، وقدح الزناد: ضربه لأجل النار، والمراد: الأولُ؛ لكن فيه تورية؛ لقوله: (المتكلف من ذهنه في ذلك إلا بزند شحيح).

---

(١) رواه السلمي في «تفسيره» (٢/ ٣١٨) من حديث الحكم بن عمير ـ رضي الله عنه ـ.

بل المأثور عن كل من رام ذلك إلقاؤه في العجز بيديه، والنكوص على عقبيه[1].

ولنختم لك هذا الباب بحديثه عليه الصلاة والسلام في القرآن قال: «إن الله أنزل هذا القرآن آمراً وزاجراً، وسنّة خالية، ومثلاً مضروباً، فيه نبؤكم، وخبر من كان قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وحُكْم ما بينكم، لا يُخلقه طولُ الرَّدِّ، ولا تنقضي عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فَلَجَ، . . . .

قوله: (وسنة خالية)؛ أي: طريقة متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الأمم.

قوله: (ومثلاً مضروباً): جعله عينَ المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الأمثال.

قوله: (لا يخلقه) ـ بفتح الياء وضم اللام ـ؛ أي: لا يبلى ولا يتغير حاله بمرور الزمان، ويجوز فتحُها وضمُّ أوله وكسر ثالثه، من أخلق بمعنى: خلق؛ لأنه ورد متعدياً ولازماً، فلامه مثلثة بمعنى واحد[2].

وقوله: (طولُ الرد)؛ أي: كثرة الترديد والتكرار.

قوله: (من قال به صدق)؛ أي: من اختار ما فيه، وحكم به؛ فقد أتى بأمر صادق لا ريب فيه.

قوله: (ومن حكم به عدل)؛ أي: قضى بما فيه من الأحكام فهو عادل؛ فإنه حكم الله.

قوله: (فَلَج)؛ أي: غلب وفاز بالنصر على من خاصمه، وهو ـ بفتح الفاء واللام[3] ـ.

---

(١) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٧٦).

(٢) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥٣٣).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥٣٦).

ومن حكم به أقسط، ومن عمل به أُجِرَ، ومن تمسك به هُديَ إلى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضلّه الله، ومن حَكَمَ بغيره قَصَمه الله، هو الذكرُ الحكيم، والنورُ المبين، والصراطُ المستقيم، وحبل الله المتين، والشفاءُ النافع، عصمةٌ لمن تمسك به، ونجاةٌ لمن اتّبعه، لا يعوَجُّ فيقَوَّم، ولا يزيغ فَيُسْتَعْتَبَ»[١].

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم: انشقاق القمر، وقد قدّمنا حديثه مستوفًى.

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم: نبع الماء من بين أصابعه، وتكثيرُه ببركته، وقد روى هذا الجمُّ الغفير من الصحابة، منهم: أنس، وجابر، وابن مسعود.

قوله: (ومن حكم به أقسط) العبارة في «الشفا»: (ومن قسم به قسط)[٢]؛ أي: من تولى قسمة أمر، فقسمها بما في كتاب الله؛ كقسمة المواريث، والغنائم، وغيرها؛ عدل، يقال: قسط: إذا جار، وأقسط ـ بالهمزة ـ: إذا عدل[٣].

قوله: (قصمه الله)؛ أي: قتله وأهلكه.

قوله: (الحكيم)؛ أي: ذو الحكمة؛ لاشتماله عليها، أو الحاكم لهم وعليهم.

قوله: (ولا يزيغ)؛ أي: لا يميل عن الحق والصواب.

وقوله: (فيستعتب)؛ أي: لا يستحق العتاب[٤].

---

(١) أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٢٧٦). ورواه الترمذي (٢٩٠٦) من حديث عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ بنحوه، وقال: إسناده مجهول، وفي الحارث مقال.

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (٢/ ٢٧٨).

(٣) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥٣٦ ـ ٥٣٧).

(٤) انظر: «نسيم الرياض» للخفاجي (٢/ ٥٣٧).

قال أنس: رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانتْ صلاة العصر، فالتمسَ الناس ماءً للوضوء، فلم يجدوه، فأُتي النبي صلى الله عليه وسلم بِوَضوء، فوضع في الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه، قال: فرأيتُ الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناسُ حتى توضؤوا عن آخرهم، فقيل: كم كنتم؟ قال: زهاء ثلاث مئة[١].

وقال ابن مسعود: بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم، وليس معنا ماء، فقالَ لنا: «اطلبوا مَنْ معه فضلُ ماءٍ»، فأُتي بماء، فصبّه في إناء، ثم وضَع كفّه فيه، فجعل الماءُ ينبع من بين أصابعه[٢].

قوله: (فأتي النبي[٣] بوضوء) كان ذلك بالزوراء كما في البخاري[٤]، والزوراء: موضع بسوق المدينة، وإنما أتي بالماء لئلا يظن أنه صلى الله عليه وسلم موجِد للماء، والإيجاد إنما هو لله لا لغيره. اهـ. «شرقاوي على الزبيدي»[٥].

قوله: (فتوضأ منها) عبارة الحلبي في غزوة الحديبية: يتوضأ منها[٦].

قال الحلبي: قال أبو نعيم في «الحلية»: وهو أعجب من نبع الماء لموسى عليه الصلاة والسلام من الحجر؛ فإن نبعه من الحجر متعارف معهود، وأما من بين اللحم والدم، فلم يُعهد، قال بعضهم: وإنما لم يخرجه صلى الله عليه وسلم بغير ملابسة ماء في إناء؛ تأدباً مع الله تعالى؛ لأنه المنفرد بابتداع المعدومات من

---

(١) رواه البخاري (٣٥٧٢، ٣٥٧٣)، ومسلم (٢٢٧٩).

(٢) رواه البخاري (٣٥٧٩) بنحوه.

(٣) في الأصل: «الناس»، والتصويب من «نور اليقين».

(٤) رواه البخاري (٣٥٧٢)، من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) انظر: «فتح المبدي» للشرقاوي (٣/ ٦٢).

(٦) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٠).

وقال جابر: عطش الناسُ يوم الحُدَيبية، ورسولُ الله بين يديه رِكوةٌ، فتوضأ منها، وأقبل الناس نحوه، وقالوا: ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك، فوضع يده في الرِّكوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون، قيل: كم كنتم؟ قال: لو كنّا مئة ألف لكفانا، كنّا خمس عشرة مئة[1].

وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة، ومثل هذا في هذه المواطن الحفيلة، والجموع الكثيرة، لا تتطرق التهمة إلى المحدّث به؛ لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه؛ لما جُبلت عليه نفوسُهم من ذلك، ولأنهم كانوا ممّن لا يسكتُ على باطل، فهؤلاء قد رووا هذا، وأشاعوه، ونسبوا حضور الجَمِّ الغفير له، ولم ينكر عليهم أحد من الناس ما حدَّثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه، فصار كتصديق جميعهم لهم.

ومما يشبه هذا: تفجيرُ الماء ببركته، وانبعاثُهُ بمسّه ودعوته؛ كما ورد عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك، وأنهم وردوا العين وهي تلمعُ بشيء من ماء مثل الشِّراك، فغرفُوا من العين بأيديهم حتى اجتمع فيه شيء، . .

غير أصل. اهـ[2].

قوله: (مثل الشراك): الشراك: أحد سيور النعل؛ أي: كان الماء فيه بهذا المقدار.

قوله: (حتى اجتمع فيه شيء): العبارة في الحلبي: حتى اجتمع شيء في شن[3].

---

(١) رواه البخاري (٤١٥٢).

(٢) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٢/ ٦٩٠). وانظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم (١/ ٤٠٥، ٥٨٩).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» لنور الدين الحلبي (٣/ ١١٠).

ثم غسل عليه الصلاة والسلام فيه وجهه ويديه، وأعاده فيها، فجرت بماء كثير، فاستقى الناس ـ وفي رواية ابن إسحاق: فانخرق من الماء ما له حس كحسِّ الصواعق[1] ـ ثم قال: «يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة، أن ترى ما هنا قد ملئ جناناً»، وقد قدّمنا ذلك في غزوة تبوك[2].

وروي عن البرَاء، وسلمةَ بنِ الأكوع تكثيرُ عينِ الحدَيبية بدعوته عليه الصلاة والسلام[3].

وروى أبو قتادة: أن الناس شَكَوا إلى رسول الله العطش في بعض أسفاره، فدعا بالمِيْضَأَةِ، فجعلها في ضِبْنه ـ ما بين الكشح إلى الإبط ـ، ثم التقم فمها، فالله أعلمُ أنفثَ فيها أم لا؟ فشرب الناس حتى رووا، وملؤوا كل إناء معهم، فخيّل لي أنها كما أخذها مني، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً[4].

ورويت قصص مشابهة لهذه عن كثير من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ في محالَّ مختلفةٍ؛ بحيث لا يشك أحد في صدقها بعد تضافر الثقات على روايتها.

قوله: (بالميضأة) ـ بكسر الميم وبالقصر، وقد تمد ـ، مِطْهرة كبيرة يتوضأ منها. اهـ. «نهاية»[5].

قوله: (في ضبنة): ـ بكسر الضاد وفتحها ـ.

---

(١) رواه ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٢٠٩).

(٢) تقدم تخريجه هناك.

(٣) حديث البراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ رواه البخاري (٣٥٧٧)، وحديث سلمة ابن الأكوع ـ رضي الله عنه ـ رواه البخاري (٢٤٨٤)، ومسلم (١٧٢٩).

(٤) رواه مسلم (٦٨١)، والإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٠٢) بنحوه.

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٣٨٠).

ومن ذلك: تكثيرُ الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم، روى أبو طلحة: أنه عليه الصلاة والسلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت إبطه، فأمر بها عليه الصلاة والسلام ففُتِّتت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول.

تكثير الطعام

قوله: (روى أبو طلحة. . .) إلخ: تفصيل ذلك ـ كما في «أعلام النبوة» للماوردي ـ قال: روى مالك بن أنس عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة: أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرفُ فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخرجت خماراً لها، فلفت الخبز ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدته في المسجد معه الناس، فقمت عليهم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلك أبو طلحة؟» قلت: نعم، قال: «للطعام»؟ قلت: نعم، فقال لمن معه: «قوموا» فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم! قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس عندنا من الطعام ما نطعمهم، فقالت: الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وأقبل معه حتى دخلا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أم سليم! هلمي ما عندك» فجاءت بذلك الخبز، فأمر به فَفُتَّ، وعصرتْ أم سليم عُكَّة لها، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» حتى أكل القوم وشبعوا وخرجوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً. اهـ[1].

---

(١) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٣٨ ـ ١٣٩)، والحديث المذكور رواه =

وروى جابر: أنه عليه الصلاة والسلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعَنَاق، وقال جابر: فأُقسمُ بالله! لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمَتنا لَتَغِطُّ كما هي، وإن عجيننا لَيُخْبز، وكان عليه الصلاة والسلام قد بصق في العجين والبرمة، وباركَ.

قوله: (قال جابر. . .) إلخ: قال الماوردي في «أعلام النبوة»: روى البخاري عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه قال: قلت لجابر: حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتَه منه أرويه عنك، فقال جابر: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق نحفر، فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاماً، ولا نقدر عليه، فعرضت في الخندق كُديةٌ غليظة لا يعمل فيها الفأس، فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق، ورششنا عليها الماء، فقام وبطنه معصب بالحجر، فأخذ المعول أو المسحاة، ثم سمى ثلاثاً ثم ضرب، فعادت كثيباً أَهْيَلَ، فلما رأيت ذلك منه، قلت: يا رسول الله! ائذن لي، فأذن لي، فجئت إلى امرأتي فقلت: ثكلتكِ أمك! إني رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لا صبر لي عليه، فما عندك؟ قالت: عندي صاع من شعير وعَناق[1]. قالت فطحنا الشعير، وذبحنا العناق وطبخناها، وجعلناها في البرمة[2]، وعجنا العجين، ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبثت ساعة، ثم استأذنت ثانية فأذنَ لي، فجئت فإذا بالعجين قد أمكن، فأمرتها بالخبز، وجعلت القدر على الأثافي، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشاورته وقلت: عندنا طعيم لنا، فإن رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلت، فقال: «ما هو؟ وكم هو؟» قلت: صاع من شعير وعَناق، فقال: «ارجع

= البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(١) في هامش الأصل: «العناق: الأنثى من ولد المعز».

(٢) في هامش الأصل: «قدر من حجارة».

وروى أبو أيوب: أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر طعاماً يكفيهما، فأطعم منه عليه الصلاة والسلام مئة وثمانين رجلاً[1].

وروى مثلَ ذلك كثيرٌ من الصحابة؛ كعبد الرحمن بن أبي بكر[2]، وسلمة بن الأكوع[3]، ....

إلى أهلك فقل لها: لا تنزع البرمة من الأثافي، ولا يخرج الخبز من التنور حتى آتي»، ثم قال للناس: قوموا إلى بيت جابر، فاستحييت حياء لا يعلمه إلا الله تعالى، فقلت لامرأتي: قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه أجمعين، فقالت: أسألك كم الطعام؟ قلت: نعم، قالت: الله ورسوله أعلم، قد أخبرته بما كان عندنا، فذهب عني بعضُ ما أجده، وقلت لها: صدقتِ.

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل، ثم قال لأصحابه: لا تضاغطوا، ثم برك على التنور والبرمة، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز، ونأخذ من البرمة اللحم، فنثرد ونغرف ونقرب إليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليجلس على الصحفة سبعة أو ثمانية، فلما أكلوا، كشفنا التنور والبرمة، فإذا هما قد عادا إلى أملأ مما كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم، وبقيتْ طائفة من الطعام، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الناس قد أصابهم مخمصة، فكلوا وأطعموا»، فلم نزل يومنا نأكل ونطعم، قال: فأخبرني أنهم كانوا ثمان مئة، أو قال: مئين، أقل من الثمان مئة[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٠٩٠) من حديث أبي أيوب ـ رضي الله عنه ـ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٠٣): رواه الطبراني، وفي إسناده من لم أعرفه.

(٢) رواه البخاري (٢٦١٨)، ومسلم (٢٠٥٦).

(٣) رواه البخاري (٢٤٨٤)، ومسلم (١٧٢٩).

(٤) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٣٧ ـ ١٣٨)، والحديث المذكور رواه =

وأبي هريرة، وعمرَ بنِ الخطاب[1]، وأنسِ بنِ مالك[2] ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام: قصةُ حنين الجذع، قال جابر ابن عبدالله: كان المسجد مسقوفاً على جذوع نخل، فكان عليه الصلاة والسلام إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر، . . . .

قوله: (وأبي هريرة) قال في «أعلام النبوة»: روى أنيس بن أبي يحيى عن إسحاق بن سالم، عن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ادعُ لي أصحابك»؛ يعني. أصحابَ الصفَّة، قال: فجعلت أتبعهم رجلاً رجلاً أوقظهم حتى جمعتهم، فجئنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذنا، فأذن لنا، ووضعتْ بين أيدينا صحفة أظن فيها صنيعاً ـ طعاماً ـ قدر مد من الشعير، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال: «خذوا بسم الله»، فأكلنا ما شئنا، ثم رفعنا أيدينا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضعت الصحفة: «والذي نفس محمد بيده! ما أمسى في آل محمد طعام غير شيء ترونه»، فقيل لأبي هريرة: قدر كم كانت حين فرغتم؟ قال: مثلها حين وضعت، إلا أن فيها أثر الأصابع. اهـ[3].

قوله: (يقوم إلى جذع منها)؛ أي: يستند إليه.

= البخاري (٤١٠١) بنحوه. ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٧٠٩)، وفي آخره: وأخبرني أنهم كانوا ثمان مئة، أو ثلاث مئة.

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٣٠).

(٢) رواه مسلم (١٤٢٨/ ٩٤).

(٣) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٣٩ ـ ١٤٠)، والحديث المذكور رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٧١١).

سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار[١].

وفي رواية أنس: حتى ارتجَّ المسجد لخواره[٢].

وفي رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوه به[٣].

وفي رواية المطلب: وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت[٤].

زاد غيره: فقال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ هذا بكى لما فقد من الذكر»[٥].

وزاد غيره: «والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه، لم يزل هكذا إلى يوم القيامة؛ تحزناً على رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فأمر به فدُفن تحت المنبر[٦].

قوله: (كصوت العشار): في «النهاية» يقال للحمار الشديد الصوت المتتابع النهيق: مُعَشِّر؛ لأنه إذا نهق لا يكف حتى يبلغ عشراً[٧].

---

(١) رواه البخاري (٣٥٨٥).

(٢) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٠/ ٣٧٩).

(٣) رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١٠/ ٣٨٨).

(٤) أورده القاضي عياض في «الشفا» (١/ ٢٣٠)، وقال السيوطي في «مناهل الصفا بتخريج أحاديث الشفا» (ص: ١٢٦): الزبير بن بكار في «أخبار المدينة».

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٠) من حديث جابر بن عبدالله ـ رضي الله عنهما ـ.

(٦) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٧٧٧) من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ. وانظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٢٣٠).

(٧) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٤٠).

وهذا الحديث خرَّجه أهل الصحة، ورواه من الصحابة كثيرون، ورواه عنهم من التابعين ضِعفُهم، وبمن دون عدّتهم يقع العلم لمن عُنِيَ بهذا الباب، والله المثبِّت على الصواب.

ومن معجزاته عليه الصلاة والسلام: إبراء المرضى، وذوي العاهات؛ فقد أُصيبتْ يوم أُحُد عينُ قتادةَ بنِ النعمان حتى وقعت على وجنته، فردّها عليه الصلاة والسلام، فكانت أحسنَ عينيه وأَحدَّهما.

وبصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قَرد، فما ضرب عليه ولا قَاحَ[1].

وأصاب ابنَ ملاعب الأَسِنَّةِ استسقاء، فبعث إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فأخذ بيده حَثْوَةً من الأرض، فتفل عليها، ثم أعطاها رسولَه، فأخذها يرى أنه قد هُزِئَ به، فأتاه بها وهو على شَفًا، فشربها فشفاه الله[2].

قوله: (حتى وقعت على وجنته) قال في «أعلام النبوة»: فقال: يا رسول الله! صلى الله تعالى عليك، إن لي امرأة، وأخشى أن يقضي هذا عندها، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى موضعها، فكانت أحسن عينيه[3].

قوله: (في يوم ذي قرد) ـ بفتح القاف والراء ـ: موضع قرب المدينة أغاروا به على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فغزاهم. اهـ. «قاموس»[4].

---

(١) رواه الواقدي في «المغازي (١/ ٣٠٤) عن أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) رواه الواقدي في «المغازي» (١/ ٢٩٧)، وأبو نعيم من طريقه في «دلائل النبوة» (ص: ٥١٤) عن عروة.

(٣) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٤٢)، والخبر المذكور رواه ابن إسحاق في «سيرته» (٣/ ٣٠٨) عن عاصم بن عمر بن قتادة.

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قرد).

وتقدم حديث عليٍّ ورَمَدِه في غزوة خيبر[1]. وغيرُ ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عدّه، ورواه ثقات المسلمين الأعلام.

أما ما منحه الله إياه من إجابة دعواته، فروي عن أنس بن مالك، قال: قالت أمي أُمُّ سُلَيْمٍ: يا رسول الله! خادمك أنس ادعُ الله له، فقال: «اللهمّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيما آتيته»، قال أنس: فو الله! إنَّ مالي لكثير، وإنَّ ولدي وولد ولدي ليُعادّون اليوم نحو المئة[2].

ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة[3]، فكان نصيب كل زوجة من زوجاته الأربع من تركته ثمانين ألفاً، وتصدق مرّة بعِيرٍ فيها سبعُ مئة بعير وردَتْ عليه تحمل من كل شيء، فتصدّق بها، وبما عليها، وبأقتابها، وأحلاسها[4].

قوله: (من إجابة دعوته): قال الماوردي: فإن قيل: إجابة الأدعية لا تكون معجزة للنبوة؛ لأنه قد تجاب دعوة غير الأنبياء.

قيل: أدعية الأنبياء مجابة على العموم في جميعها، وأدعية غيرهم إن أجيبت فعلى الخصوص في بعضها؛ لأن الأنبياء منطقون بالحق، فإذا نطقت ألسنتهم بالدعاء، صادف ما أمروا به، فأجيبوا إليه، وغيرهم قد ينطق بالحق وبغيره، فإن أجيبت أدعيتهم، فهو تفضل يقف على مشيئة الله تعالى[5].

---

(١) تقدم ذكره في غزوة خيبر.

(٢) رواه البخاري (٦٣٤٤)، ومسلم (٢٤٨١/ ١٤٣)، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه البخاري (٥١٥٥)، ومسلم (١٤٢٧)، من حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٥) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٧٧).

ودعا لمعاويةَ بالتمكين في الأرض، فنال الخلافة[1].

ودعا لسعد بإجابة الدعوة[2]، فما دعا على أحد إلا استجيب له.

وتقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب أن يعزّ الإسلام به[3].

وقال لأبي قتادة: «أفلحَ وجهك، اللهمّ بارك في شعره وبشره»[4]، فمات وهو ابن سبعين سنة، كأنه ابنُ خمسَ عشرة[5].

ودعواته عليه الصلاة والسلام المستجابة أكثر من أن تُحصى يطّلع عليها قارئ سيرتنا هذه.

أما ما أطلعه الله عليه من علم ما لم يكن؛ فمما سارت به الركبان، فعن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قام فينا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مقاماً، فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلّا حدّثه، حفظه مَنْ حفظه، ونسيه مَنْ نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه، ثم إذا رآه عرفه[6].

. . . .

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٤٦)، وقال: إسماعيل بن إبراهيم هذا ضعيف عند أهل المعرفة بالحديث، غير أن لهذا الحديث شواهد.

(٢) رواه الترمذي (٣٧٥١) من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) رواه الترمذي (٣٦٨١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٠٣٢) من حديث أبي قتادة ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٣٢٧).

(٦) رواه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم (٢٨٩١/ ٢٣).

وما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه؟ والله! ما ترك عليه الصلاة والسلام من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاث مئة فصاعداً إلا قد سمّاه لنا باسمه، واسمِ أبيه، واسمِ قبيلته[١].

وقد خرَّج أهل الصحيح والأئمة ما أعلمَ به أصحابَه مما وعدهم به من الظهور على أعدائه، وفتح مكة، وبيت المقدس، واليمن، والشام، والعراق، وظهور الأمن حتى تظعن المرأة من الحيرة إلى مكة، لا تخاف إلا الله، وأنّ المدينة ستُغزى، وتُفتح خيبر على يد عليٍّ في غد يومه، وما يفتح الله على أمّته من الدنيا، ويُؤْتَون من زهرتها، وقسمتهم كنوزَ كسرى وقيصر[٢]، وقد قدّمنا كثيراً من ذلك في هذه السيرة، وقدّمنا ما في القرآن من ذلك، وهذا يُغنينا عن الإطالة في هذا المقام، فحسبُك ما سمعتَ.

ومما ينير بصيرتك ـ أيها القارئ ـ ما مَنّ الله به عَلى رسولنا صلى الله عليه وسلم من عصمته له من الناس، وكفايته مَنْ آذاه، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾[المائدة: ٦٧].

قوله: (من عصمته له): منها ما حكاه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة قال: ما كان أحد أبغض إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكيف لا يكون كذلك وقد قتلَ منا ثمانيةً كلٌّ منهم يحمل اللواء، فلما فتح الله تعالى مكة، يئست مما كنت أتمناه من قتله، وقلت في نفسي: قد دخلت العرب في دينه، فمتى أدرك ثأري منه؟ فلما اجتمعت هوازن بحنين، قصدتُهم لأجدَ منه غِرَّة فأقتلَه، فلما انهزم الناس عنه، وبقي مع من ثبت معه، جئت من ورائه، فرفعت السيف حتى كدت أحطه، غشي فؤادي، ورفع لي شواظ من نار، فلم أطق ذلك، وعلمت أنه ممنوع، فالتفت

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٤٣).

(٢) انظر: «الشفا» للقاضي عياض (١/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨].

وقال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾[الزمر: ٣٦].

وقال: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾[الحجر: ٩٥].

ولما نزل: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[المائدة: ٦٧]، صرف حُجَّابه، وقال: «انصرفوا فقد عصمني الله»[١].

وقدّمنا حديث دُعثور، وإرادته قتلَ النبي صلى الله عليه وسلم، وعصمةَ الله لنبيّنا، وذكرنا كثيراً مما حصل من أبي جهل لما أراد بالرسول المكايد، فكفاه الله شرّه[٢]، وما منّ الله به عليه ليلة الهجرة، وحديث سُراقة في الطريق[٣]، وعلى الجملة: فيكفينا من هذا الباب أنه عليه الصلاة والسلام مكث بين أعداء ألدّاء بمكة ثلاث عشرة سنة، وبين مشابهيهم من المنافقين واليهود عشرَ سنين، فما تمكن أحد من إيصال أذًى إليه صلى الله عليه وسلم، بل كفاه مولاه شرّ أعدائه حتى أظهر الدين وتمّمه.

إليّ وقال: «ادن يا شيب فقاتل»، ووضع يده في صدري، فصار أحبَّ الناس إليّ، وتقدمت فقاتلت بين يديه، ولو عرض لي أبي، لقتلتهُ في نصرته، فلما انقضى القتال، دخلت عليه، فقال لي: «الذي أراد الله بك خيرٌ مما أردته لنفسك»، وحدثني بجميع ما زورته في نفسي، فقلت: ما اطلع على هذا أحد إلا الله، فأسلمت. اهـ. «أعلام النبوة»[٤].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٤٦) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٢) تقدم في غزوة غطفان.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «أعلام النبوة» للماوردي (ص: ١٦٣)، والخبر المذكور رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧١٩٢) بمعناه.

والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ونسألـه أن يوفـق قـارئي هذه السيرة إلى اتباع رسول الله صلى الله عليـه وعلـى آلـه وسـلم، وعلـى أصحابه وأنصاره.

نجز تحرير هذه الحواشي اللطيفة سحرَ ليلـة السـبت المصـادف للسـادس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاث مئة وثلاثٍ وأربعين مـن الهجـرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية، والحمد لله أولاً وآخراً، وأسأله حسن الخاتمة.

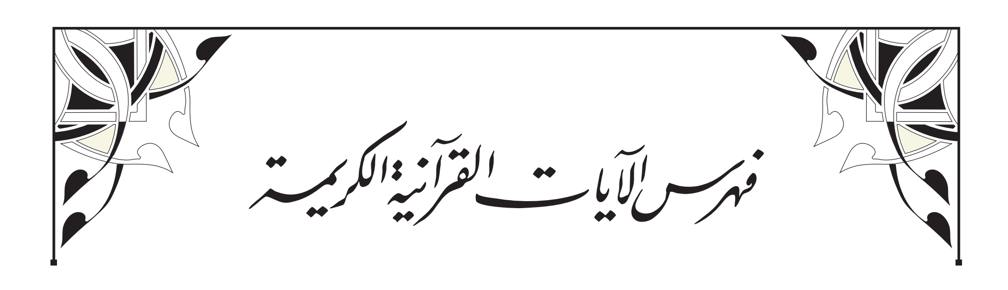
❒ ❒ ❒




الفهارس العامة

* فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
* فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
* فهرس الآثار.
* فهرس الأعلام الذين ترجم لهم الشارح.
* فهرس الأشعار.
* فهرس الأراجيز.
* فهرس غريب اللغة.
* فهرس المصادر والمراجع.
* فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات القرآنية الكريمة

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

سُورَةُ الأَنْعَامِ

سُورَةُ الأَعْرَافِ

سُورَةُ الأَنْفَالِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ . . .﴾	١٢٣	٩١٤
﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم . . .﴾	١٢٨	١٠٤٢
﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾	١٢٨	١٤٣
سورة يونس		
﴿قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾	١٥	٢٦٤
﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ . . .﴾	٣٨	١٠٧٠
﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ . . .﴾	٨٨	٤٥٥
سورة هود		
﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ﴾	١٣	١٠٧٠
﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي . . .﴾	٤٤	١٠٧٥
﴿ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ﴾	٤٨	٢٢٤
﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾	١١٤	٣١٨
﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾	١٢٠	٩٩
سورة يوسف		
﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	٦١٤
﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾	٢٩	٦١٤
﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٩٢	٨٢٣، ٨٤٣
سورة إبراهيم		
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ . . .﴾	١٣	١٨٤
﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	٣٦	٤٥٥

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة سبأ

سورة فاطر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾	٣ ـ ٤	١٦٦، ٢٨٠
﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾	١٩ ـ ٢٠	٢٧٨
﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾	٢٣	٢٧٩
﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾	٣٤	٨٨٩

سورة القمر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾	١ ـ ٢	٢٦٧
﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾	٢	٢٦٨
﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾	٢	١٠٧٢
﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾	٤٥	٤٤١، ١٠٧٩

سورة الحديد

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	١	٢٧٥

سورة المجادلة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾	٨	١٠٧٩
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ . . .﴾	٢٢	٤٤٤

سورة الحشر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ . . .﴾	٥	٥٦٤
﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾	٦	٥٦٧
﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ . . .﴾	٧	٥٦٧
﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾	٩	٣٦٥

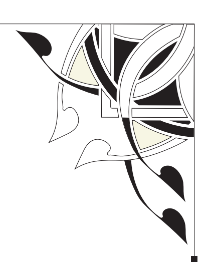
❐ ❐ ❐




فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
يُوشِك أن ترى ما هنا مُلئ بساتين	معاذ بن جبل	٩٢٢
يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة	معاذ بن جبل	١٠٨٧



فهرس الآثار

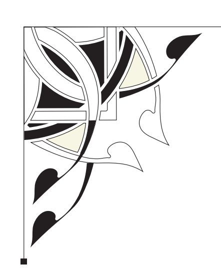
طرف الأثر	القائل	الصفحة
يا قوم والله! إن الذي تكرهون هو ما خرجتم له	عبدُ الله بنَ رواحةَ	٧٩٧
يا قوم! يقتل الإنسان مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً	عقبة بن عامر	٨٠٠
يا معشر المسلمين! اصطلحوا على رجل منكم	ثابت بن أقرم	٨٠١
يا نبي الله! ألا نبني لك عريشاً تكون فيه	سعد بن معاذ	٤٣٤
يرحم الله بلالاً، فلا درعي، ولا أسيريَّ	عبد الرحمن بن عوف	٤٤٥





فهرس الأعلام الذين ترجم لهم الشارح

❐ ❐ ❐

فهرس الأشعار

قَافِيَةُ ٱلدَّالِ

قَافِيَةُ ٱلـرَّاءِ

الصفحة	البيت	
٨٨٢	آليــتُ لا تنفــكُّ عينــي حزينــةً	عليـك ولا ينفـكُّ جِلـديَ أَغبـرا
٣٥٣	سِــرْ طالبــاً غاياتهــا إمَّــا تُــرى	فوق الثُّريـا أو تُـرى تحـت الثـرى
٣٥٤	لو ينتجُ الوطن العلا مـا سـار عـن	غمـدانَ سـيدُ حِمْيَـرٍ مستنصِـرا
٨٨٢	آليــتُ لا تنفــكُّ عينــي قريــرةً	عليـك ولا ينفـكُّ جِلـديَ أصـفرا
٦٧٧	وأشـهد مـن عـوف حلـولاً كثيـرة	يحجون سـب الزِّبرقـان المزعفـرا
٤٥٨	لا تجحـدوا نعمـاءَ بشـرٍ عليكمـو	فقـد كـان ميمـونَ النقيبــة أزهـرا
٦٢٦	لا تعجلــــنَّ فقـــــد أتــــا	كَ مجيــبُ قولــك غيــر عــاجزْ
٦٢٦	ولقـــد بححـــتُ مـــن النـــدا	ء بجمعكـــم هـــل مـــن مبــارِزْ

قَافِيَةُ ٱلعَيۡنِ

الصفحة	البيت	
٥٥٣	لقد جمـع الأحـزابُ حـولي وألَّبُـوا	قبائلَهم واسـتجمعوا كـلَّ مجمَـعِ
٨٥٩	بانت سعاد وأمسى حبلُها انقطعا	وليتَ وصلاً لنا مـن حبلهـا رَجَعـا
٣٥٩، ٤٥٣	طلـــــع البَـــــدرُ علينـــــا	مـــــن ثَنِيَّــــاتِ الـــــوداع
٦٨٧	خــــذها وأنــــا ابــــن الأكــوع	واليـــــومُ يــــومُ الرضَّـــــعِ

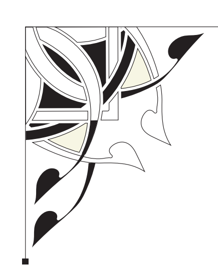
قَافِيَةُ ٱلقَافِ

الصفحة	البيت	
٨٨٢	فلـم أر مثلـي طلـقَ اليـوم مثلَهـا	ولا مثلهـا فـي غيـر جـرمٍ تطلَّـقُ
٦٧٣	أنا لا أقـولُ دعـوا النسـاءَ سَـوافراً	بين الرجـال يَجُلْـن فـي الأسـواقِ
٥١٤	نحـــــنُ بنــــــاتُ طــــــارقْ	نمشـــــي علــــى النمــــارقْ

قَافِيَةُ ٱلكَافِ

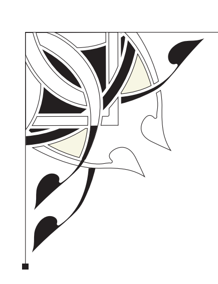
الصفحة	البيت	
٨٥٣	ألا أبلغِــا عنــي بُجَيــراً رســالة	فهل لك فيما قلتَ ويحـك هـل لكـا
١١٢	لا هُــــمَّ إنَّ العبــــدَ يمـــــ	ـــــنعُ رَحْلَــهُ فــامنعْ رحالَــكْ





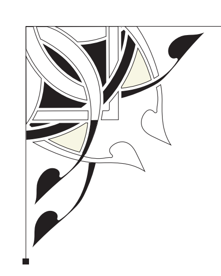

فهرس الأرجاز





فهرس غريب اللغة




فهرس المصادر والمراجع

١ ـ إحياء علوم الدين، لمحمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٢ ـ أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، لمحمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، تحقيق د. عبد الملك عبدالله دهيش، دار خضر، بيروت، ط٢، عام (١٤١٤هـ).

٣ ـ أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت، عام (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

٤ ـ أخلاق النبي وآدابه، لأبي الشيخ، تحقيق صالح بن محمد الونيان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط١، عام (١٩٩٨م).

٥ ـ أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة، عام (١٩٨٦م).

٦ ـ الأدب المفرد، للبخاري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٣، عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٧ ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، عام (١٣٢٣هـ).

٨ ـ أساس البلاغة، لمحمود بن عمر بن محمد الزمخشري، دار الفكر، عام (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٩ ـ أسباب النزول، للواحدي، مؤسسة الحلبي، القاهرة، عام (١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م).

١٠ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، عام (١٤١٢هـ).

١١ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، لعز الدين بن الأثير الجزري، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

١٢ ـ الإسعاد على بانت سعاد، لإبراهيم الباجوري، المطبعة الكاستلية، مصر، عام (١٢٨٦هـ).

١٣ ـ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، عام (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

١٤ ـ إصلاح المنطق، لابن السكيت، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

١٥ ـ إظهار الحق على الخلق، لرحمه الله الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، تحقيق الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ط١، عام (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م).

١٦ ـ إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، لأبي بكر الدمياطي، دار الفكر، بيروت.

١٧ ـ أعلام الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، ط١، عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

١٨ ـ إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، ط١، عام (١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٣م).

١٩ ـ أعلام النبوة، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، عام (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٢٠ ـ الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، عام (٢٠٠٢م).

٢١ ـ أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد، لسعيد الخوري، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم في إيران، عام (١٤٠٣هـ).

٢٢ ـ الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت، ط١، عام (١٤١٧هـ).

٢٣ ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط١، عام (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٤ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، عام (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٢م).

٢٥ ـ إنجيل برنابا ودراسات حول وحدة الدين عند موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام، لسيف الله أحمد فاضل، دار القلم، الكويت، ط٢، عام (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٢٦ ـ أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلاذري، تحقيق سهيل زكار، ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، ط١، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٢٧ ـ أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب، (مطبوع مع شرح محمد بن أحمد عبد الباري الأهدل، المسمى: فتح الكريم القريب شرح أنموذج اللبيب)، لجلال الدين السيوطي، وزارة الإعلام، جدة، ط٣، عام (١٤٠٦هـ).

تهذيب اللغة، لأبي منصور الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، عام (٢٠٠١م).

٢٨ ـ الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية، لمحمد راغب الطباخ، المطبعة العلمية، حلب، عام (١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م).

٢٩ ـ الأوائل، لابن أبي عاصم، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.

٣٠ ـ الأوائل، لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، دار البشير، طنطا، ط١، عام (١٤٠٨هـ).

٣١ ـ الأوائل، للطبراني، تحقيق محمد شكور بن محمود الحاجي أمرير، مؤسسة الرسالة، ودار الفرقان، بيروت، ط١، عام (١٤٠٣هـ).

٣٢ ـ البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٣٣ ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لمحمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، دار الفكر، بيروت.

٣٤ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، لنور الدين الهيثمي، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط١، عام (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٣٥ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت.

٣٦ ـ تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٣٧ ـ تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٨ ـ التاريخ الكبير للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

٣٩ ـ تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

٤٠ ـ تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، عام (١٩٩٥م).

٤١ ـ تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد زهري النجار، دار الجيل، بيروت، عام (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٢م).

٤٢ ـ التحرير والتنوير، المسمى: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، عام (١٩٨٤م).

٤٣ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤ ـ تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف، للزيلعي، تحقيق عبدالله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، عام (١٤١٤هـ).

٤٥ ـ التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، عام (١٤٠٥هـ).

٤٦ ـ تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.

٤٧ ـ تفسير البغوي، تحقيق خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت.

٤٨ ـ تفسير البيضاوي، المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت.

٤٩ ـ تفسير الثعلبي، المسمى: الكشف والبيان، تحقيق أبي محمد بن عاشور، ومراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، عام (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م).

٥٠ ـ تفسير الخازن، المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد ابن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، تحقيق محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٥هـ).

٥١ ـ تفسير الرازي، المسمى: مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٥٢ ـ تفسير السلمي، والمسمى: حقائق التفسير، لمحمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، تحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م).

٥٣ ـ تفسير القرآن، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، عام (١٤١٠هـ).

٥٤ ـ تفسير النسفي، المسمى: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، عام (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٥٥ ـ تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م).

٥٦ ـ تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، حلب، ط١، عام (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٥٧ ـ تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، تحقيق مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط١، عام (١٩٩٦م).

٥٨ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١.

٥٩ ـ الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.

٦٠ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، عام (١٤٠٣هـ).

٦١ ـ الجمع بين الصحيحين، لمحمد بن فتوح الحميدي، تحقيق د. علي حسين البواب، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، عام (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

٦٢ ـ جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، عام (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٦٣ ـ جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، عام (١٩٨٧م).

٦٤ ـ جوامع السيرة، لابن حزم الظاهري، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف، مصر، ط١، عام (١٩٠٠م).

٦٥ ـ حاشية ابن عابدين، المسماة: رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار، دار الفكر، بيروت، عام (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٦٦ ـ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، دار الفكر.

٦٧ ـ حاشية الشلبي، وهي مطبوعة مع تبيين الحقائق للزيلعي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ط١، عام (١٣١٣هـ)، تصوير دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

٦٨ ـ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٦٩ ـ حجة الله البالغة، لأحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي، تحقيق سيد سابق، دار الكتب الحديثة، مكتبة المثنى، القاهرة، بغداد.

٧٠ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، عام (١٤٠٥هـ).

٧١ ـ خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، لأبي عبدالله عماد الدين بن محمد بن صفي الأصبهاني، تحقيق محمد بهجة الأشربي، المجمع العلمي العراقي، العراق، عام (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م).

٧٢ ـ الخصائص الكبرى، لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، عام (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٧٣ ـ خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا بالتمام، لأحمد بن زيني دحلان، تحقيق: محمد فارس الشيخ، ورأفت عبد العزيز، مطبوعات أهل الحرمين.

٧٤ ـ الدر المختار، للحصفكي، دار الفكر، بيروت، ط٢، عام (١٣٨٦هـ).

٧٥ ـ الدر المنثور، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، عام (١٩٩٣م).

٧٦ ـ درر الحكام شرح غرر الأحكام، لملا ـ أو منلا أو المولى ـ خسرو، دار إحياء الكتب العربية.

٧٧ ـ الدرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، عام (١٤٠٣هـ).

٧٨ ـ دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق د. محمد رواس قلعه جي، وعبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، ط٢، عام (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٧٩ ـ دلائل النبوة، لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، ط١، عام (١٤٠٩هـ).

٨٠ ـ دلائل النبوة، للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٠٥هـ).

٨١ ـ ديوان ابن منير الطرابلسي، جمعه وقدم له د. عمر عبد السلام تدمري، دار الجيل، بيروت، ط١، عام (١٩٨٦م).

٨٢ ـ ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه د. محمد التونجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، عام (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٨٣ ـ ديوان الأرجاني، وهو ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين، تحقيق د. محمد قاسم مصطفى، منشورات وزارة الثقافة العراقية، مكتبة الفكر الجديد، عام (١٩٧٩م).

٨٤ ـ ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، عام (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

٨٥ ـ ديوان الشماخ، تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر.

٨٦ ـ ديوان الشنفرى، تحقيق د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

٨٧ ـ ديوان الفضل بن العباس اللهبي، صنعة وتحقيق: مهدي عبد الحسين النجم، مؤسسة المواهب، بيروت، ط١، عام (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

٨٨ ـ ديوان النابغة الذبياني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢.

٨٩ ـ ديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط١، عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

٩٠ ـ ديوان بشار بن برد، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور، وزارة الثقافة، الجزائر، عام (٢٠٠٧م).

٩١ ـ ديوان حافظ إبراهيم، ضبط وشرح: أحمد أمين بك، وأحمد الزين، وإبراهيم الأنباري، وزارة المعارف العمومية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ط٣، عام (١٩٤٨م).

٩٢ ـ ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، تحقيق عبدالله سنده، دار المعرفة، بيروت، ط١، عام (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٩٣ ـ ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي، كتب مقدمته وهوامشه وفهارسه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، عام (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

٩٤ ـ ديوان رؤبة بن العجاج، تحقيق وليم بن الورد، دار ابن قتيبة، الكويت.

٩٥ ـ ديوان زهير بن أبي سلمى، اعتنى به وشرحه: حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط٢، عام (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

٩٦ ـ ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط١، عام (١٩٩٧م).

٩٧ ـ ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، عام (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٩٨ ـ ديوان عنترة، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩٩ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، لمحب الدين أحمد بن عبدالله الطبري، دار الكتب المصرية، مصر.

١٠٠ ـ الذريعة إلى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، تحقيق د. أبي اليزيد أبي زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، عام (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).

١٠١ ـ السنن الكبرى، للبيهقي، دار الفكر ، بيروت، ط١ .

١٠٢ ـ الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية، لحسين أفندي الجسر، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، عام (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٠٣ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٤ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، عام (١٤١٢هـ).

١٠٥ ـ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، عام (١٤١٢هـ).

١٠٦ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة، لمحب الدين أحمد بن عبدالله بن محمد الطبري، تحقيق عيسى عبدالله محمد مانع الحميري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، عام (١٩٩٦م).

١٠٧ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط١٤، عام (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م).

١٠٨ ـ الزهد، لعبدالله بن المبارك، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٩ ـ الزهد، لهناد بن السري الكوفي، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، عام (١٤٠٦هـ).

١١٠ ـ زهر الأكم في الأمثال والحكم، لنور الدين اليوسي، تحقيق د. محمد حجي، د. محمد الأخضر، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، عام (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

١١١ ـ سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لمحمد بن يوسف الشامي الصالحي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٤هـ).

١١٢ ـ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط١.

١١٣ ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

١١٤ ـ سنن الترمذي، المسمَّى: الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

١١٥ ـ سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، عام (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

١١٦ ـ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، عام (١٤٠٧هـ).

١١٧ ـ السنن الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسندار، الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

١١٨ ـ سيرة ابن إسحاق، المسماة: المبتدأ والمبعث والمغازي، تحقيق محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

١١٩ ـ السيرة الحلبية، المسماة: إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، لنور الدين علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت، عام (١٤٠٠هـ).

١٢٠ ـ السيرة النبوية، لابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، عام (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٦م).

١٢١ ـ السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ط١، عام (١٤١١هـ).

١٢٢ ـ السيرة النبوية، لأحمد بن زيني دحلان، دار القلم العربي، حلب، ط١، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

١٢٣ ـ السيرة النبوية، لشرف الدين الدمياطي، تحقيق أسعد محمد الطيب، دار الصابوني، حلب، ط١، عام (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م).

١٢٤ ـ شرح أسماء أهل بدر، للجبريني، المطبعة العامرة، عام (١٢٩٤هـ).

١٢٥ ـ شرح السنة، للبغوي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، عام (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٢٦ ـ شرح العقيدة النسفية، لسعد الدين التفتازاني، تحقيق مصطفى مرزوقي، دار الهدى، عين مليلة في الجزائر.

١٢٧ ـ شرح المواهب اللدنية، للزرقاني، ضبطه وصححه محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

١٢٨ ـ شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، عام (١٣٩٢هـ).

١٢٩ ـ شرح تائية السبكي في السيرة النبوية والشمائل المحمدية، لأحمد الترمانيني، تحقيق عبدالله أحمد الخالد العجيلي، دار الرضوان، حلب، ط١، عام (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

١٣٠ ـ شرح ديوان لبيد بن ربيعة، تحقيق إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، عام (١٩٦٢م).

١٣١ ـ شرح شواهد المغني، لجلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد ظافر كوجان، لجنة التراث العربي، عام (١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م).

١٣٢ ـ شرح قصيدة بانت سعاد، لابن هشام الأنصاري، تحقيق د. عبدالله عبد القادر الطويل، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١، عام (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م).

١٣٣ ـ شرح منار الأنوار في أصول الفقه، لابن ملك، دار الكتب العلمية، بيروت، وهو مصور عن نسخة المطبعة النفيسة العثمانية سنة (١٣٠٨هـ).

١٣٤ ـ الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق د. عبدالله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط٢، عام (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

١٣٥ ـ شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٠هـ).

١٣٦ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار الفكر، بيروت، عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

١٣٧ ـ الشمائل المحمدية، للترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٣٨ ـ صبح الأعشى في كتابة الإنشا، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، تحقيق عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، عام (١٩٨١م).

١٣٩ ـ الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، عام (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

١٤٠ ـ صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، عام (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٤١ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، عام (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م).

١٤٢ ـ صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط١، عام (١٤٢٢هـ).

١٤٣ ـ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

١٤٤ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته، لناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٤٥ ـ طبقات النحويين واللغويين، لمحمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢.

١٤٦ ـ الطيوريات، من انتخاب الشيخ أبي طاهر السلفي، تحقيق دسمان يحيى معالي، وعباس صخر الحسن، أضواء السلف، الرياض، ط١، عام (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

١٤٧ ـ العظمة، لعبدالله بن محمد بن جعفر، المعروف بأبي الشيخ، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، ط١، عام (١٤٠٨هـ).

١٤٨ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لبدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٤٩ ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس، تعليق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، ط١، عام (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٥٠ ـ غريب الحديث، لابن قتيبة، تحقيق د. عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط١، عام (١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م).

١٥١ ـ غريب القرآن، لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، عام (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م).

١٥٢ ـ فتاوى ابن الصلاح، تحقيق د. موفق عبدالله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، ط١، عام (١٤٠٧هـ).

١٥٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

١٥٤ ـ الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي، للمناوي، تحقيق أحمد مجتبى، دار العاصمة، الرياض.

١٥٥ ـ فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي، للشرقاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر، عام (١٣٣٩هـ).

١٥٦ ـ فتوح البلدان، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، عام (١٤٠٣هـ).

١٥٧ ـ الفردوس بمأثور الخطاب، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

١٥٨ ـ القاموس المحيط، للفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت.

١٥٩ ـ قصر الأمل، لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

١٦٠ ـ الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر العسقلاني، دار عالم المعرفة، بيروت، وقد طبع الكتاب بذيل الكشاف في المجلد الرابع.

١٦١ ـ الكامل في التاريخ، لعز الدين بن الأثير، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، عام (١٤١٥هـ).

١٦٢ ـ الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، تحقيق يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط٣، عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

١٦٣ ـ الكتاب، لسيبويه، وهو عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١.

١٦٤ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لمحمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٥ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، للهيثمي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، عام (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

١٦٦ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، عام (١٩٤١م).

١٦٧ ـ الكشكول، لبهاء الدين محمد بن حسين العاملي، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

١٦٨ ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

١٦٩ ـ الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق أبي قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، عام (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١٧٠ ـ اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق أبي عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م).

١٧١ ـ المجالسة وجواهر العلم، للدينوري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، عام (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

١٧٢ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، العدد (١٥)، السنة الثامنة.

١٧٣ ـ مجلة المقتطف، وهي مجلة شهرية، ليعقوب صروف، وفارس نمر، عام (١٢٣٩ ـ ١٣٧١هـ، ١٨٧٦ ـ ١٩٥٢م).

١٧٤ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، عام (١٤٠٧هـ).

١٧٥ ـ مجموع فيه مصنفات أبي جعفر بن البختري، تحقيق نبيل سعد الدين جرار، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، عام (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

١٧٦ ـ مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٧٧ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، تحقيق عمر الطباع، دار القلم، بيروت، عام (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

١٧٨ ـ المحتضرون، لابن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

١٧٩ ـ المخبل السعدي وما تبقى من شعره، لحاتم الضامن، وهو بحث منشور في مجلة المورد العراقية، الإصدار الأول، عام (١٩٧٣).

١٨٠ ـ مختار الصحاح، للرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة منقحة، عام (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

١٨١ ـ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، لابن منظور، تحقيق روحية النحاس، ورياض عبد الحميد مراد، ومحمد مطيع، دار الفكر، دمشق، ط١، عام (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٤م).

١٨٢ ـ المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، ط١، المطبعة الحسينية المصرية.

١٨٣ ـ المخزون في علم الحديث، لأبي الفتح محمد بن الحسين الأزدي، تحقيق محمد إقبال محمد إسحاق السلفي، الدار العلمية، دلهي، ط١، عام (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

١٨٤ ـ المدخل، لابن الحاج المالكي، دار الفكر، عام (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م).

١٨٥ ـ المراسيل، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، عام (١٤٠٨هـ).

١٨٦ ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، لجلال الدين السيوطي، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

١٨٧ ـ المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

١٨٨ ـ مسند أبي عوانة، دار المعرفة، بيروت.

١٨٩ ـ مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، عام (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م).

١٩٠ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر.

١٩١ ـ مسند الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٢ ـ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، بدأت عام (١٩٨٨م)، وانتهت (٢٠٠٩م).

١٩٣ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للرافعي للفيومي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٩٤ ـ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، عام (١٤٠٩هـ).

١٩٥ ـ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق محمد عوامة، دار القبلة، جدة، ومؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط١، عام (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

١٩٦ ـ المصنف، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، عام (١٤٠٣هـ).

١٩٧ ـ المطالع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، لنصر الوفائي الهوريني الشافعي، تحقيق د. طه عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، عام (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

١٩٨ ـ معجم ابن الأعرابي، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

١٩٩ ـ المعجم الأوسط، للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، عام (١٤١٥هـ).

٢٠٠ ـ معجم البلدان، لياقوت بن عبدالله الحموي، دار الفكر، بيروت.

٢٠١ ـ معجم الصحابة، لعبد الباقي بن قانع، تحقيق صلاح بن سالم المصراتي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، عام (١٤١٨هـ).

٢٠٢ ـ المعجم الكبير، لسليمان بن القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، ط٢، عام (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م).

٢٠٣ ـ معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مكتبة المثنى، بيروت.

٢٠٤ ـ معرفة السنن والآثار عن الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، للبيهقي، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠٥ ـ معرفة الصحابة، لأبي نعيم الأصبهاني، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط١، عام (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٢٠٦ ـ المعرفة والتاريخ، للفسوي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، عام (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م).

٢٠٧ ـ المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد الواقدي، تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

٢٠٨ ـ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، عام (١٩٨٥م).

٢٠٩ ـ المغني عن حمل الأسفار، للعراقي، تحقيق أشرف عبد المقصود، مكتبة طبرية، الرياض، ط١، عام (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

٢١٠ ـ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصبهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢١١ ـ المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأحمد بن عمر القرطبي، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، عام (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٢١٢ ـ مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط٥، عام (١٩٨٤م).

٢١٣ ـ مكارم الأخلاق، للطبراني، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م).

٢١٤ ـ مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، لجلال الدين السيوطي، تحقيق سمير القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية، ودار الجنان، ط١، عام (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢١٥ ـ المنح المكية في شرح الهمزية، المسمى: أفضل القرى لقراء أم القرى، لابن حجر الهيتمي، تحقيق أحمد جاسم المحمد، وبوجمعة مكري، دار المنهاج، جدة، ط٢، عام (١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م).

٢١٦ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لتقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٨هـ).

٢١٧ ـ المواقف، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، عام (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٢١٨ ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٢١٩ ـ المواهب اللدنية على الشمائل المحمدية، للباجوري، اعتنى به محمد عوامة، دار اليسر، ودار المنهاج، ط١، عام (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٢٢٠ ـ الموضوعات، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، المعروف بابن الجوزي، تحقيق توفيق حمدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

٢٢١ ـ الموطأ، للإمام مالك بن أنس، برواية يحيى بن يحيى الليثي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.

٢٢٢ ـ ناسخ الحديث ومنسوخه، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، عام (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢٢٣ ـ الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، عام (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٢٢٤ ـ نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض، لشهاب الدين الخفاجي، تصحيح إبراهيم الطاهري الحنفي، المطبعة الأزهرية، مصر، عام (١٣٢٧هـ)، تصوير دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٢٥ ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر.

٢٢٦ ـ نكث الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م).

٢٢٧ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، عام (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٢٢٨ ـ النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، لمحمد رجب البيومي، دار القلم، دمشق، ط١، عام (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م).

٢٢٩ ـ نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول، للحكيم الترمذي، تحقيق إسماعيل إبراهيم متولي عوض، مكتبة الإمام البخاري، ط١، عام (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م).

٢٣٠ ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الخضري، المطبعة الجامعة، ط١، عام (١٣١٥هـ).

٢٣١ ـ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، لمحمد الخضري، تحقيق حمدي زمزم، دار الإيمان، دمشق، عام (١٩٨٨هـ).

٢٣٢ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن قيم الجوزية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٢٣٣ ـ الهداية شرح بداية المبتدي، لأبي الحسن المرغيناني، المكتبة الإسلامية.

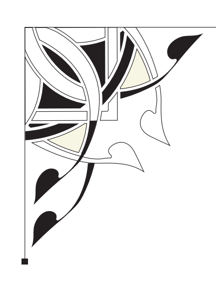
٢٣٤ ـ وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

٢٣٥ ـ المعمرون من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في منتهى أعمارهم، لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني، تصحيح وتعليق: محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، ط١، عام (١٣٢٣هـ ـ ١٩٠٥م).

٢٣٦ ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، لعلي بن عبدالله بن أحمد الحسني الشافعي السمهودي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، عام (١٤١٩هـ).

٢٣٧ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.






فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

القسم الأول
الدراسة

الفصل الأول

ترجمة الشيخ محمد راغب الطباخ والشيخ محمد الخضري

الموضوع	الصفحة
ـ المطلب الثاني: مؤلفاته التي لم تطبع	٣٣
ـ المطلب الثالث: مطبوعات المطبعة العلمية	٣٦
ـ المطلب الرابع: ما استنسخه بخط يده من الكتب	٣٩
ـ المطلب الخامس: ما صححه من الكتب	٤٢
ـ المطلب السادس: ما استُنسخ بواسطته من الكتب للآفاق	٤٤
ـ المطلب السابع: ما نشرَه وطبعَه خارج مطبعته العلمية	٤٦
*** المبحث الثالث: المناصب التي تقلدها**	٤٦
*** المبحث الرابع: علاقته بالسياسة والصحافة والمستشرقين**	٥٦
ـ المطلب الأول: انتسابه لجمعية الاتحاد والترقِّي التركية، وتعيينه عضواً في المعارف، وسعيه لإدخال اللغة العربية في مدارس الحكومة	٥٦
ـ المطلب الثاني: مكاتبته للجرائد	٥٩
ـ المطلب الثالث: اتصاله بالمستشرقين	٥٩
*** المبحث الخامس: ترجمة الشيخ محمد الخضري بك**	٦١
ـ المطلب الأول: مولده ونسبه ونشأته	٦١
ـ المطلب الثاني: مناقبه وتلقيه العلم	٦٢
ـ المطلب الثالث: حليته وأخلاقه	٦٤
ـ المطلب الرابع: المناصب التي تقلدها	٦٤
ـ المطلب الخامس: آثاره ومؤلفاته	٦٥
ـ المطلب السادس: وفاته	٧٣

الفَصْلُ الثَّاني

دراسة الكتاب

*** المبحث الأول: اسم الكتاب**	٧٤

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المُجَلَّدُ الثَّاني

الموضوع	الصفحة

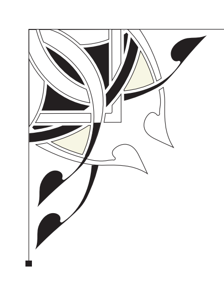
الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
زواج ميمونة	٧٨٨
*** السَّنَة الثامِنَة**	٧٩١
سرية غالب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ إلى بني الملوح	٧٩١
سرية غالب بن عبدالله ـ رضي الله عنه ـ إلى بني مرة بفدك	٧٩٢
سرية كعب بن عمير ـ رضي الله عنه ـ إلى ذاتِ أطلاح	٧٩٤
غزوة مُؤْتَة	٧٩٤
سرية عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ إلى ذات السلاسل	٨٠٤
سرية الخبط	٨٠٨
غزوة الفتح الأعظم	٨١٢
العفو عند المقدرة	٨٤١
وفود كعب بن زهير	٨٥٢
بيعة النساء	٨٦٣
هدم العُزَّى	٨٦٧
هدم سُوَاع	٨٦٨
هدم مناة	٨٦٩
غزوة حُنين	٨٦٩
سرية أبي عامر الأشعري ـ رضي الله عنه ـ إلى أوطاس	٨٨٠
غزوة الطائف	٨٨١
تقسيم السبي	٨٨٦
وفود هوازن	٨٩٢
عمرة الجعِرَّانة	٨٩٧
سرية قيس بن سعد ـ رضي الله عنه ـ إلى صداء	٨٩٨

الموضوع	الصفحة

الفهارس العامة






نُبذةٌ تعريفيّة

الإدارة العامّة للأوقاف

الوقفُ علامةٌ فارقةٌ في مسيرة الْحضارة الإسلاميَّة، وقد أثبت دوْرَه ومكانتَه في مجالات التَّعليم والصِّحة والعمل الثقافي والاجتماعي بمختلف أشكاله، وما زالتِ المساجدُ والمدارسُ والمعاهدُ والمستشفياتُ تقف شاهدةً على عظمة وأهميَّة الوقف عبر تاريخنا المجيد.

وفي هذا السِّياقِ من العطاء والتواصلِ الإنسانيِّ تهدف الإدارةُ العامَّةُ للأوقاف إلى إدارةِ الأموالِ الوقفيَّة واستثمارِها على أُسُسٍ اقتصاديَّةٍ، وفق ضوابطَ شرعيَّةٍ بما يكفل نماءَها وتحقيقَ شروطِ الواقفين، وتُعدُّ الأوقاف إحدى أهمِّ مؤسسات المجتمعِ المدنيِّ سواء من ناحية النَّشأةِ والقِدَمِ أو الاختصاصات المناطة بها.

وانْطلاقًا من النَّهضة الوقفيَّةِ الْمُعاصرة تمَّ توسيعُ نطاقِ الوقف وتنويعُ مصارفِه من خلال إنشاء المصارف الوقفية الستة المشتملة على مختلف نواحي الحياةِ الثقافيَّةِ والتربويَّةِ والصحيَّةِ والاجتماعيَّة. . . إلخ، وذلك تشجيعًا لأهل الخيرِ وإرشادًا لهم لوقفِ أموالِهم على المشاريع الخيريَّةِ التنمويَّةِ، وتنظيمًا لقنوَاتِ الصَّرفِ والإنفاقِ والمساهمة في بناء المجتمع الإسلاميِّ الحضاريِّ.

والمصارف الوقفيَّةُ السِّتَّةُ هِيَ:

١ ـ المصرف الوقفي للبر والتقوى.

٢ ـ المصرف الوقفي لخدمة القرآن والسنة.

٣ ـ المصرف الوقفي لرعاية المساجد.

٤ ـ المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية.

٥ ـ المصرف الوقفي لرعاية الأسرة والطفولة.

٦ ـ المصرف الوقفي للرعاية الصحية.

وانطلاقًا من الإيمان العميق بدوْرِ العلمِ الشَّرعي والثقافَةِ الإسلاميَّةِ بشكلٍ خاصٍّ، والعلومِ التَّطبيقيَّـةِ بشكلٍ عامٍّ في تقدُّمِ الأمَّـةِ وتطورِها، جـاء إنشاءُ «**الْمصرف الوقفي للتنميـة العلميـة والثقافية**» ليكون رافدًا غنيًّا للعطاء الثقافيِّ والعلميِّ، لِمَـا كان للوقف من دورٍ تاريخيٍّ مهمٍّ في تنشيط الحركة العلميَّةِ والثقافيَّةِ، وذلك بإقامة المدارس، والمكتبات والمعاهد وغيرها، ليصنع بذلك حضارة أفادت منها الإنسانية جمعاء.

*** من أهداف المصرف الوقفي للتنمية العلمية والثقافية:**

ـ تشجيعُ ودعمُ إقامة الأنشطة والفعاليات العلميَّة والثقافيَّة.

ـ الحثُّ على الاهتمام بالتعليم، وبيان دوره في رقي الإنسان ونمو المجتمعات.

ـ نشرُ العلمِ الشرعيِّ والثقافـةِ الإسلاميَّةِ على أوسع نطاقٍ، والارتقاء بمستوى العاملين في هذا المجال.

*** من وسائله:**

ـ **دعمُ** إقامة المؤتمرات والندوات وحلقات الحوار والمهرجانات والمعارض والمراكز الثقافية الدائمة والموسمية.

ـ **دعمُ** وإنشاء المكتبات العامة، وطباعة الكتب والدراسات.

ـ **دعمُ** تنظيم الدورات التدريبية التأهيلية لتنمية المهارات والقدرات في مختلف المجالات العلمية والثقافية.

